المختار

في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية

للسنة الثالثة الثانوية

المعهد التربوي الوطني - الجزائر

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التربية الوطنية

المختار

في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية

للسنة الثالثة الثانوية

إعداد وإدارة المفتش العام عبد الرحمن شيبان

تأليف
أحمد سيد محمد

المعهد التربوي الوطني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة :

وفاء لوعدنا بإنجاز سلسلة كتب المختار في القراءة واللغة والأدب والنصوص والتراجم الأدبية لتلاميذ المرحلتين المتوسطة والثانوية ، يسرنا أن نقدم الجزء الأخير من هذه السلسلة لتلاميذ السنة الثالثة من التعليم الثانوي ، وبه تكتمل دراسة جميع عصور الأدب العربي .

وإذا كنا قد بدأنا بالعصر الجاهلي وانتهينا الى العصر الحديث ، فذلك لأسباب تربوية انتهت إليها تجارب علماء التربية العرب في العصر الحديث ، فالأدب الجاهلي وإن امتاز بصعوبة ألفاظه بسبب بعدها عن لغة عصرنا فإن معانيه سهلة وبسيطة ، في حين أن الأدب الحديث وإن كانت ألفاظه يسيرة سهلة - في الجملة - فإنه يتسم بعمق المعاني وبعد المرامي . والتدرج من السهل البسيط الى الصعب العميق - في تقديم المعلومات والأفكار - هو ما يطابق مبدأ مراعاة النمو العقلي والتدرج الفكري لدى التلاميذ . يضاف الى هذا أن الأدب العربي يتصف بتلاحم عصوره ، فاللاحق منها يستمد جذوره من العصور السابقة ، ولو أننا بدأنا بالعصر الحديث لوجدنا أنفسنا مضطرين للاحالة الى العصور السابقة التي لم نتعرض لدراستها من قبل سواء في استنتاج الأحكام الأدبية العامة المتصلة بخصائص العصر أو الأحكام الأدبية الخاصة بأديب أو شاعر معين ، والاحالة الى مجهول أمر يتنافى ومبادئ التربية السليمة .

ويتناول هذا الكتاب دراسة تاريخية ونقدية وتحليل نصوص أدبية لعصرين هما : عصر الضعف وعصر النهضة الحديثة طبقاً للموضوعات التي حددها البرنامج الوزاري المقرر مع إضافة نصوص أخرى رأينا جدوى إلحاقها وهي :

- نماذج من ادب عصر الضعف استيفاء لصورته وتوضيحاً لملامحه .
- نماذج لكل أديب من الأدباء الذين قرر البرنامج دراسة نص من نصوصهم والهدف من هذه النماذج هو تقديم صورة عن أهم الأغراض التي تناولها ذلك الأديب ، وإبراز الاتجاهات الأدبية في انتاجه .

ـ موضوعات للمطالعة تلقي أضواء على النص المدروس بصورة مباشرة كأن تكون تعليقاً عليه أو نقداً له ، أو بصورة غير مباشرة كأن تكون توضيحاً لفكرة وردت في النص أو تتصل به من قريب أو بعيد مما يلبي تطلعات التلاميذ واهتماماتهم في المجالات الاجتماعية والنفسية والخلقية .

ـ نماذج من الأدب الجزائري الحديث أوردناها للتعريف به وبرجاله ولكشف النقاب عن حقبة تاريخية كان لها أثر فعال في تاريخنا الحاضر ، وذلك من خلال ما سجلته التجارب الأدبية في هذه النماذج .

ونوجه أنظار الأساتذة الى أننا أدرجنا نماذج للفنون الأدبية [الخطابة ـ الرسالة ـ المقالة ـ القصة ـ المسرحية] في النماذج الأدبية الملحقة ببعض الأدباء الذين تناولنا دراستهم ، وقد أشرنا عند دراسة كل فن من هذه الفنون إلى موطن نموذج يجسمه ، فالرجاء أن يراعى ـ في التدريس ـ الربط بين الدراسة النظرية والنص التطبيقي لها .

وبهذه الاضافات نكون قد وضحنا صورة الأدب في عصر الضعف والعصر الحديث .

وقد التزمنا في عرض النصوص الأدبية هنا بالإطار الذي سرنا عليه في الكتابين السابقين للسنتين الأولى والثانية الثانويتين . وأدخلنا عليه بعض التعديلات استجابة لمتطلبات النمو الفكري لدى التلاميذ ، وأهم هذه التعديلات ما يلي :

1 ـ التوسع في تحليل الأفكار التي كانت تدرس سابقاً تحت عنوان « دراسة أدبية » وذلك باستخراج أحكام عديدة مختلفة ، وعقد موازانات بين الأدباء والكشف عن مصادر بعض أفكارهم من بيئتهم .

2 ـ الاستعانة في فهم الأدب ونصوصه ببعض ما درسه التلاميذ من علوم مختلفة وخاصة في مواد التربية الاسلامية والفلسفة والتاريخ .

3 ـ توسعنا في تحليل الأسلوب من حيث دراسة الكلمة والعبارة ودلالة الأسلوب على شخصية الأديب ، وعلاقة الأسلوب بالموضوع ، وركزنا اهتمامنا على الجانب التذوقي في تحليل الصور البلاغية .

ولتحقيق الفائدة المرجوة من هذا الكتاب على أحسن وجه ممكن نقدم بين أيدي زملائنا الأساتذة التوجيهات التربوية الآتية :

التوجيهـات الـتربو

أولاً : ينبغي اتباع ما كنا قررناه في الكتابين السابقين من السير على الخطوات التالية :

1 ـ تكليف التلاميذ باعداد النص قبل الدرس للاحاطة ببعض لغوياته وأفكاره وموضوعه بصفة عامة ، دفعاً لهم على المشاركة في الدرس بحيوية وفعالية وتوفيراً للوقت المخصص لشرح ما يصعب على التلاميذ إدراكه بأنفسهم .

2 ـ تمهيد موجز يضع التلميذ في جو النص ويعينه على إدراك الإطار العام لموضوعه وذلك بتعريف التلاميذ بصاحب النص وبيئته ومناسبته ويكون هذا التمهيد بطرق عدة كعرض لوحة أو سماع أسطوانة أو طرح أسئلة أو حديث قصير مركز جذاب يقوم به الأستاذ بين يدي النص .

3 ـ قراءة النص : يقول بعض المربين : « إن القراءة الجيدة لنص من النصوص تعادل نصف شرحه » . والقراءة الجيدة لنص لا تقف عند حد ضبط بنية الكلمات وسلامة حركات إعرابها ، وإنما تتناول حسن مخارج الحروف ودقة النبر وجودة التنغيم ، فينخفض الصوت حينما يعبر عن معاني الحزن والاسى ، ويعلو عندما يعبر عن معاني القوة والثورة ويعطي الدلالات الصوتية لمعاني التعجب والاستفهام والانكار والحيرة ، وما الى ذلك من المعاني التي يكون فيها لطريقة الأداء اللغوي نصيب كبير في إبراز معانيها والتعبير عنها . فعلى الزملاء الأساتذة أن يحرصوا كل الحرص على أن تكون القراءة النموذجية للنصوص ممثلة لهذه الخصائص الفنية للقراءة الجيدة ، وأن يدفعوا تلاميذهم الى مراعاة هذه الخصائص في كل ما يقرأون .

4 ـ تحديد الفكرة العامة للنص : بعد الفراغ من القراءة يطرح الأستاذ عدة أسئلة ، الهدف منها أن يدرك التلاميذ المعنى الاجمالي لموضوع النص .

5 ـ الشرح التفصيلي : ويتم بطريقة الوحدات تسهيلاً للشرح والمقصود بالوحدة هي الفكرة المحددة التي تتألف من أفكار جزئية وقد تكون فكرة كاملة من أفكار النص الرئيسية ، وقد تكون جزءاً منها ، والوحدة قد تؤدي بشطر من بيت أو بيت واحد أو اثنين أو أكثر في الشعر وقد تؤدي بعبارات أو فقرة قصيرة في النثر . وتعالج كل وحدة بقراءتها منفردة لتحديدها وتوجيه انتباه التلاميذ إليها ، ثم تذليل الصعوبات اللغوية فيها ، وشرح أفكارها الجزئية ، ومناقشة المعنى العام لها عن طريق أسئلة تتناول كل الأفكار الجزئية ثم مطالبة التلاميذ بالتعبير عن مضمون الوحدة بأساليبهم الخاصة . وحبذا لو طلب من التلاميذ إعطاء عنوان لمعنى الوحدة وتسجيله على السبورة ، ويقتصر الشرح في هذه المرحلة على توضيح ما يرد من الصيغ البلاغية بالقدر الذي يتطلبه فهم المعنى ، أما الجانب النقدي التذوقي فيرجأ الى مرحلة قادمة عند دراسة الخصائص الفنية للنص .

6 ـ تحليل النص : بعد الانتهاء من الشرح التفصيلي يعود الأستاذ بتلاميذه الى إلقاء نظرة شاملة على النص كله للتأكد من مدى فهم التلاميذ لفكرته العامة وأبرز أفكاره بعد الشرح التفصيلي ويتوج ذلك بتحليله وتقسيمه الى أفكاره الأساسية حسب طبيعة كل نص والأهداف المتوخاة من دراسته .

7 ـ الخصائص الفنية للنص : بعد أن تتجسم معاني النص وأفكاره جيداً عند التلاميذ ينتقل بهم الأستاذ الى دراسة النص من الناحية الفنية ويتناول أمرين :

أ ـ التذوق الفني للصور والأساليب البلاغية بتحليل عناصرها وبيان اثرها في المعاني والأساليب والكشف عن أسرار استعمال الشاعر أو الكاتب لها .

وقد تكون المناقشة التذوقية لبيان جمال التشبيهات أو الاستعارات أو الكنايات ، أو لبيان السبب في إيجاز التعبير أو بسطه ، وغير ذلك من الألوان البلاغية المختلفة .

ب ـ استنباط الأحكام الأدبية وهي متعددة الجوانب . منها ما يتصل بالنص من حيث الغرض الذي تناوله كالسياسة والوصف والرثاء ومدى دلالة هذا الغرض على ظواهر البيئة الطبيعية أو الاجتماعية بما ساد فيها من قيم وعادات وتقاليد واتجاهات فكرية مختلفة ، ومن حيث الخصائص الفنية للمعاني والألفاظ كالحكم بالقوة والضعف أو التقليد والابتكار ، أو العمق والسطحية أو السهولة والصعوبة ، ومدى ملائمة الأسلوب للموضوع . ومنها ما يتصل بالأديب ، من حيث أصالته والتزامه ، ومكانته الأدبية بين أدباء عصره وتقليده لمن سبقوه وأثره في غيره من الأدباء المعاصرين له أو اللاحقين . وخصائص أسلوبه بصورة عامة . ومنها ما يتصل بالعصر كمعرفة حالة الأدب فيه وما ساده من تيارات واتجاهات ومسارات فنية مختلفة . ويجب أن تكون هذه الأحكام المستنبطة نابعة من داخل النص نفسه ومستوحاة منه بدون تعسف أو افتعال أو اقحام ، ولا يليق فرضها على التلاميذ فرضاً ، وانما الواجب أن يشعروا بها ويحسوها كلما زاد انفعالهم بالنص وتذوقهم له .

8 ـ تدريب التلاميذ على موضوع الدرس بالاجابة الشفوية والتحريرية على بعض الأسئلة حول النص . ومن الأفضل أن يكون النص انطلاقاً لمقالة أدبية تتناول شخصية أديب من الأدباء أو جانباً من جوانبه الأدبية البارزة ، أو يتناول ظاهرة أدبية لعصر من العصور .

ثانياً : قد يشعر الأستاذ بأن مستوى تلاميذه لا يناسبه دراسة جميع النصوص المقررة بأكملها خاصة وأن هناك اختلافاً بين تلاميذ التعليم العام والتعليم التقني ، وبين المعرب والمزدوج في عدد ساعات الأسبوع المخصصة لدراسة الأدب والنصوص . ففي هذه الحالة ندعو الأساتذة الى اختيار جزء مناسب من النصوص المقررة على أن يكون هذا الجزء معبراً عن فكرة ذات معنى متكامل ، ويتبع في الشرح المنهج الذي سرنا عليه في دراسة النصوص الأدبية .

ثالثاً : لم نستخرج كل الأحكام الأدبية الممكنة في دراستنا للنصوص وانما أعطينا أمثلة ونماذج . فينبغي للأستاذ أن يعين تلاميذه ويوجههم الى استخراج أحكام أخرى حتى تنمو ملكاتهم الأدبية والنقدية .

رابعاً : عند دراسة العصور الأدبية ، أو الفنون الأدبية المختلفة كالخطابة أو المقالة أو القصة أو المسرحية نوجه الأنظار الى الاستعانة بما قدمنا به كل عصر من لمحة أدبية تلقي ضوءاً على العصر المدروس قبل عرض نماذجه الأدبية ، وبما قفينا به النصوص الأدبية من بسطه تجمع شتات الأحكام الأدبية التي استنبطناها من دراسة النصوص ، وبذلك تتضح المميزات العامة للعصر ، وتظهر الخصائص الفنية للألوان الأدبية .

خامساً : نذكر بأن الهدف من دراسة الأدب لا يقتصر على تنمية التذوق والاحساس بالجمال الفني لدى التلاميذ فحسب ، فللأدب دور ايجابي في تكوين المبادئ والأخلاق والقيم والعواطف ، فيجب على الأساتذة أن يستغلوا دراسة النصوص الأدبية لبث العادات الحسنة وتكوين القيم الفاضلة في نفوس تلاميذهم .

وبعد فإنا بإصدار هذا الكتاب نكون قد أنهينا المرحلة الأولى من مراحل تأليف الكتاب الجزائري لمادة اللغة والأدب العربي ، فملأنا الفراغ الذي كان يخيم على مدارسنا ، آملين ـ في وقت قريب ـ أنّ تتكامل في أيدينا وسائل الشروع في المرحلة الثانية ، وهي مرحلة « التنقيح والتطوير » لهذه الكتب شكلاً ومضموناً . ومن ثم فإننا نتوجه الى زملائنا الأساتذة والمربين أن يوافونا بما يبدو لهم من اقتراحات أو ملاحظات وسنوليها ما تستحقه من الرعاية والتقدير .

والله نسأل أن يكون لهذا الكتاب أثر في إعداد ناشئتنا إعداداً سليماً ، يثبت دعائم شخصيتهم الوطنية العربية المسلمة ، ويدفعهم الى مسايرة عصرهم المتطلع الى آفاق بعيدة من الرقي والتقدم .

ونتوجه إلى الله تعالى أن يتغمد برحمته الواسعة أخانا فقيد البحث والتأليف المغفور له رابح بونار على ما قدم من جهد لإعداد هذا الكتاب والكتب السابقة ، كما نقدم شكرنا إلى الأستاذ حمدي البري وغيره من زملائنا الأساتذة ـ أعضاء لجنة التأليف ـ على مشاركتهم في هذا الكتاب .

والله ولي التوفيق

المفتش العـام

عبد الرحمن شيبان

البــاب الأول

عصر الضعــف

(656 : 1213 هـ ـ 1258 : 1798 م)

الفصـــل الأول

لمحـة ادبية عن عـصر الضعف

1 ـ تمهيـــــــــد . 2 ـ الحيـــاة السياسية .

3 ـ الحيـــاة الاجتماعية . 4 ـ الحيـــاة الفكـــرية .

5 ـ حـــــالـة الأدب .

تمهيد

عرفت في دراستك السابقة أن **القرون الهجرية الأولى** شهدت **نهضة فكرية عظيمة** ، شملت كل مظاهر الحياة ، وانتشرت في الأرض ، انتشار **الفتوحات الاسلامية الواسعة** . وقدتنافست حضارة العباسيين بالمشرق وحضارة الأمويين بالأندلس ، وظلتا **كوكبين** يشعان بضياء المعرفة فترة طويلة من الزمان .

وكانت الدولة العباسية تضم بلدانا متباعدة الأطراف ، وعناصر مختلفة الأجناس والنّزعات والأهواء . ومع ذلك فقد استمرت وحدتها متماسكة بفضل قوة الخلفاء وسيطرتهم على الحكم ، وعندما ضعف الخلفاء ، تصدّع المجتمع العربي بالخلافات المذهبية والشعوبية ، والفتن الدينية ، فأدّى ذلك إلى تمزق وحدة الدولة العباسية ، وانفصال بعض الأقطار عنها ، واستقلالها استقلالا تاما حينا ، أو استقلالا داخليا ـ مع تبعية اسمية للخلافة العباسية ـ حينا آخر .

وعلى الرغم من هذا التمزق السياسي ؛ فإن **الحركة الأدبية** قد زاد نشاطها ، وغزر انتاجها ، بسبب تنافس هذه الدول فيما بينها ، ومحاكاة حكامها للخلفاء العباسيين الأقوياء في تقريب العلماء ، وتكريم المفكرين والأدباء .

حملات الصليبيين والتتار على المشرق العربي :

أدّى تفرق المسلمين وانقسامهم دولا إلى ضعف قوتهم وتطاول الأعداء عليهم ؛ فبدأ الصليبيون يشنون حملاتهم المتتالية على المشرق العربي عام (491 هـ ـ1097 م) واستمرت هذه الحملات بيّن مدّ وجزْر متواصلين تمكن الصليبيون خلالها من احتلال جزء من بلاد الشام ، ولكنها انتهت بعد قرنين بهزيمتهم وانتصار المسلمين عليهم عام (690 هـ) (1) .

وقد نتج عن هذه الحروب الطويلة اضعاف الطاقات الحربية الاسلامية ، والحيلولة دون مواصلة سيْرها في طريق التقدم الحضاري الذي قطع فيه المسلمون أشواطا طويلة .

---

(1) كان من أهم المعارك الحربية بين المسلمين والصليبين **موقعة حطين** (1187 م) وفيها انتصر « **صلاح الدين الأيوبي** » على الصليبيين انتصارا ساحقا . وقد مر بك تفصيل هذه الحملات في :

أ ـ كتاب « المختار في الأدب والنصوص والبلاغة والتراجم الأدبية » للسنة الثانية الثانوية (منشورات المعهد التربوي الوطني بالجزائر) .

ب ـ كتاب « تاريخ القرون الوسطى في الشرق والغرب » (منشورات المعهد التربوي الوطني بالجزائر)

وقبل أن يستريح المسلمون من مدافعة **((الصليبيين))** هاجمتهم قوات **((التتار))** [2] وتمكنت من احتلال ((**بغـداد**)) عاصمة الخلافة العباسية عام 656 هـ ــ 1258 م ، وبعد أن سقطت المدينة فى أيديهم استباحوها أربعين يوما ، فسفكوا فيها الدماء ، وقتلوا الآلاف من الأبرياء وانتهكوا الأعراض والحرمات ، وتطاولت أيديهم على دور العلم والمكتبات ، فخربوها والقوا بكتبها فى نهر ((**دجـلة**)) .

وفى هذه الأثناء أحس السلطان ((**قُطُزْ**)) أحد حكام المماليك [3] بمصر ــ بخطر التتار فخرج الى قتالهم بجيش قوي يقوده **((بيبَرْس))** الأمير المملوكي ، والتقى معهم فى موقعة ((**عين جَالُوت**)) 1260 م بالقرب من **فلسطين** ، ودارت معركة حامية انهزم فيها التتار هزيمة ساحقة ، وسلم **التراث الاسلامي والحضارة العربية** التي اعتصمت بمصر من شرهم المستطير . ثم ضم المماليك حكم **الشام والحجاز** اليهم ، واحيوا الخلافة العباسية فى ((**القاهرة**)) بعد سقوط ((**بغداد**)) عاصمة الخلافة العباسـية .

الحملات الصليبـية على الأندلس والمغرب العربي :

بعد أن فشلت حملات الصليبيين على المشرق العربي استطاعت أن تحقق اهدافها في غرب الدولة الاسلامية . حيث استولوا على ((**الأندلس**)) سنة (897 هـ ــ 1492 م) وغادرها المسلمون بعد أن تركوا فيها حضارة تعد من أرقى حضارات التاريخ .

وكانت دولة ((**الموحِّدين**)) التي تأسست عام (515 هـ ــ 1128 م) وضمت أقطار المغرب العربي تحت حكمها ــ قوية الجانب عزيزة السلطان ، فأعانت المسلمين بالأندلس على صد الهجوم المسيحي . ولما ضعفت هذه الدولة تمزقت وحدة أقطار المغرب العربي . وقام على انقاضها ثلاث دول ، هي :

(أ) دولة ((**الحفْصيِّين**)) بتونس [4] . (ب) دولة ((**بني زَيَّان**)) بتلمسان [5] .

---

(2) **التتار** مجموعة من القبائل الطورانية عرفت بالشجاعة وحب المغامرات وقد عاشت على حدود الصين فى اواسط آسيا بين بحيرة **بايكال** وجبال **التاى** ، وكانوا فى اول امرهم قبائل متفرقة وظهر بينهم ((**جنكيزخان**)) 1206 م فجمع شملهم وتولى رئاستهم ثم قام بحملات متتالية مكنته من الاستيلاء على ((**بكين**)) عاصمة الصين ثم زحف خلفاؤه من بعده فى ناحيتين الأولى عبر أوربا الشرقية لملكوها والاخرى كانت فى اتجاه الشرق الادنى ، ثم جاء ((**هولاكو**)) حفيد ((**جنكيزخان**)) فاستولى على ((**فارس**)) وبعد ذلك هاجم **العراق والشام** واستولى عليهما . وحاول فتح مصر فانهزم امام جيوشها فى موقعة ((**عين جالوت**)) . وكان **هولاكو** وثنيا مثل أجداده ولكنه كان يظهر العطف على البوذيين والنصارى لأن زوجه كانت نصرانية . ثم أعتنق (**غازان**) احد احفاده الاسلام ونشره بين جنوده . (راجع تاريخ الشعوب الاسلامية **كارل بروكلمان** ص 381 وما بعدها) .

(3) **المماليك** : ارقاء مختلفو الأجناس والقوميات جعلوا من انفسهم **طبقة عسكرية** حاكمة وسيطروا على الشام ومصر مدة 270 سنة وهم نوعان : المماليك البحرية والمماليك الرجبية . (راجع تاريخ العرب لفيلب حتي ج 2 ، ص 794 وما بعدها) .

(4) نسبة الى **بني حفص** وقد استقلت عن دولة الموحدين فى عام 1228 م ــ 627 هـ وضمت غرب ليبيا وتونس والشرق الجزائري تحت حكمها وكانت عاصمتها ((تونس)) .

(5) **بنوزيان** استقلوا بتلمسان بوسط **الجزائر** عام 1235 م ــ 634 هـ وامتد نفوذهم الى بجـاية .

(حـ) دولة « بني مـرين » بفـاس [6] .

وقد حاولت دولة الحفصيين أن تقوم بدور الموحدين تجاه أطماع الصليبيين في الأندلس ، لـكن ذلك لم يكن في مقدورها بعد فترة قصيرة من تاريخ قيامها .

وفي أواخر القرن التاسع الهجري استنجد حاكم « غرناطة » [7] بالمغرب العربي الذي كان حينئذ في حاجة الى من يعينه على نفسه لما وقع فيه من انقسامات داخلية ، وتنافس على الحكم ، فلم يستطع تلبية نداء المستنجدين ، وهكذا أصبح على المغرب العربي ان يواجه مسئولية تاريخية في صد هجمات الأسبانيين والبرتغاليين بعد أن استتب لهم الأمر في الأندلس (*) .

استيلاء الاتراك على البلاد العربية :

وكان الأتراك العثمانيون قد أسسوا خلافة اسلامية ناشئة فتية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، وضموا البلاد العربية تحت حكمهم ، وقد انتصر الجيش التركي بقيادة « سليم الأول » على جيش المماليك في موقعة « مرج دابق » [8] سنة (923 هـ ــ 1516 م) ، واستولى الأتراك على مصر والشام وبقية البلاد العربية ماعدا المغرب الاقصى (مراكش) (**) .

ويقسم مؤرخوالأدب « عصر الضعف » الى مرحلتين :

(أ) عصر المماليك : ويشمل الفترة التي حكم فيها المماليك في المشرق العربي منذ عـام 656 هـ ، والفترة التي حكمت فيها الدويلات المتتابعة في المغرب العربي حتى دخول الأتراك عـام 923 هـ .

(ب) عصر الأتـراك : وهو يبتدئ بعام 923 هـ وينتهي بقدوم الحملة الفرنسية على مصر عـام 1213 هـ ــ 1798 م .

ويرجع ضعف الأدب في هذا العصر الى عوامل تتضح من خلال دراستك لظروفه السياسـية ، والاجتماعية ، والفكـرية .

---

(6) بنو مرين واصلهم من قبيلة « زناته » الجزائرية وكانوا يقطنون الزاب ثم تراجعوا عنها غربا ، عند قدوم الهلاليين ودخلوا المغرب الاقصى وكونوا دولة ، استقلوا بالحكم عام 1195 م ــ 647 هـ . وقد مر بك تفصيل ذلك في دراستك تاريخ القرون الوسطى في الشرق والغرب للسنة الثانية الثانوية (مطبوعات المعهد التربوي الوطني) .

(7) هو « ابو عبد الله محمد بن ابى الحسن على » من بني الاحمر . وبعد ان سقطت غرناطة عـام 1492 م اعطيت له ضيعة نزل فيها فترة من الزمان ثم هجرها الى مدينة فاس في المغرب وقضى بها آخر ايامه .

(8) موضع في سوريا الشمالية بين منبج وانطاكية على نهر قويق ، اتخذه سليمان بن عبد الملك معسكرا ، وفيه مات ، وفيه ايضا اقام هارون الرشيد .

(*) انظر الخريطة ص 430 من هذا الكتاب .

(**) انظر الخريطة ص 431 من هذا الكتاب .

الحياة السياســية :

ساد القلق والاضطراب السياسي دولة المماليك منذ قيامها حتى نهايتها ، فقد تولى حكم البلاد فى الفترة ما بين عام 1250 م وعام 1517 م سبعة واربعون حاكما ، لم يستقر الحكم لواحد منهم زمنا طويلا الا نادرا . ولم يكن هناك نظام محترم لتولي الحكم ، فكثرت المؤامرات السياسية لذلك ، واصبح لكل أمير من امراء المماليك حزب يعتز به ، ويقربه اليه ، ويعتمد عليه في اغتصاب الحكم عندما تحين له الفرصة . وبالاضافة إلى هذه الفتن الداخلية كانت المملوك متواصلة ضد الصليبيين والمغول .

وقد مر المغرب العربي فى تلك الفترة من التاريخ بحالة من التَقْهقر والفوضى والانحلال . يصورها ، الأستاذ « **أحمد توفيق المدني** » بقوله : [9]

« كان الملوك لا يفكرون إلاّ في احباط المؤامرات والفتن التي يثيرها ضدهم أفراد من عائلتهم من أجل الاستيلاء على العرش ، أو في اخماد الثورات التي تقوم بها قبائل سئمتّ حكم العجز والطغيان ، ولقد ضربت الفوضى أطنابها في كل مكان ، فسكان الولايات القسنطينية وسكان مدينة الجزائر وأهل الشرق الوهراني ، لم يبقوا معترفين بسلطة احد عليهم . اما بالمغرب الأقصى فان أفراد عائلة « بني مرين » قد اقتطع كل منهم لنفسه إمارة صغيرة لم يكن فى وسعه الدفاع عنها ضدّ مطامع جيرانه . فهذه الفوضى قد سَهّلَتْ مهمة الاسبان والبرتغاليين سواء في احتلال البلاد أو توسيع نفوذهم فيها » . وظل الحال كذلك حتى بدأ حكم الأتراك للبلاد العربية .

وقد استطاعت **الخلافة العثمانية** ـ فى عصور قوتها ـ أن تحافظ على وحدة البلاد الاسلامية والعربية وأن تحميها من سطوة الغزاة الأوربيين وخاصة فى المغرب العربي الذي كان هدفا لأطماع الاسبان والبرتغاليين .

ولكن نظام السياسة الداخلية للخلافة العثمانية ـ بالاضافة إلى عوامل أخرى ـ كان سببا فى إضعافها ، فقد حادت عن المبدأ الأساسي للخلافة الاسلامية وهو الشورى فاضعفت ثقة المسلمين فيها . واعتمدت على الأسرة الحاكمة واستأثر السلطان بشؤون كثيرة فى الدولة وسلك مع الولايات التابعة لحكمه ـ ومن بينها البلاد العربية ـ مسلكا لم يساعدها على الاستقرار السياسي ، فكان الولاة يعينون من قبل السلطان ويرسل معهم فرقا عسكرية ويضع نظما ادارية تهدف الى عدم تركيز السلطة فى يد الوالي حتى لا يستقل بشؤون الحكم عن الخلافة ، وكانت هذه السياسة سببا فى تصدع الحياة السياسية داخل البلاد .

وعندما ضعفت الخلافة العثمانية وانهارت امبراطوريتها سقط معظم البلاد العربية فريسة فى أيدي المستعمرين الأوربيين .

(9) حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ص 67 : **احمد توفيق المدني** .

الحياة الاجتماعية :

تميزت جماعة الحكام واعوانهم الذين يعيشون فى الترف والبذخ عن عامة الشعب الذين يتحملون ـ وحدهم ـ ما يحقق للحكام وأعوانهم حياة الرفاهية ، وإلى جانب الاسراف والنفقات الباهظة كان الاهتمام باعداد الجيوش للمعارك والحروب يرهق الشعب بالضرائب الكثيرة .

وكان اكتشاف طريق « **راس الرجاء الصالح** » نكبة اقتصادية كبيرة فى عصر المماليك ، اذ فقدت بلادهم موردا اقتصاديا هاما عندما تحولت عن مصر تجـارة أوربا مع الهنـد .

واستنزف الصليبيون في الشام والمغول في العـراق جانبا من ثروات البـلاد ، وكانت المعـارك الدائرة بين ملوك دويلات المغـرب العربي تمتص من دماء الشعب وثرواته ، ثم تطاول المسيحيون على مدن سواحل المغرب العربي بالعدوان والنهب والسرقات .

وقد ترك كثير من الفلاحين المصريين والسوريين أراضيهم فرارا من الضرائب الفادحة التي اشتط فى جمعها الولاة الأتراك وأعوانهم الملتزمون بجباية الضرائب .

وواجهت شعوب الأمة العربية أزمات اقتصادية ، وابتليت بمرض الطاعون الذي فتك بآلاف الناس فى القرن الرابع عشر من الميـلاد .

ولم يكن **التعليم منتشرا** بين مدن وقرى البلاد العربية انتشارا كبيرا كما هو الحال في أيامنا ، وانما كان منحصرا في العواصم الكبرى **كالقاهرة والقيروان** ، وغيرهما من المـدن الـكبرى . وقد حرص **الأزهر** وجامع **الزيتونة** وجامع **القرويين** على **حفـظ التراث من الضياع خلال هذه العصور .**

وكثرت الآفات الاجتماعية لانتشـار الفقر والجهل والمرض فراجت البدع والخرافات وساد الظلم والنفاق وغيرها من الأمراض الاجتماعية المختلفة .

الحيـاة الفـكرية :

يجب أن نفرق ـ بعض التفرقة ـ بين **عصر المماليك وعصر الأتراك** ، كما يجب ان نفرق بين النهضة العلمية والفكرية بصفة عامة ، والنهضة الأدبية بصفة خاصة . فقد شهد عصر المماليك **تقدما** في نواحي **فكرية** متعددة ، ومن بينها **الحركة العلمية** . ويرجع الفضل في ذلك الى **المدارس والمساجد** التي انشأها المماليك تخليدا لذكراهم وتقربا الى الشعب وعواطفه الدينية .

وكانت « **القـاهرة** » **حاضرة** البلاد العربية والاسلامية في عصر المماليك ، يؤمها العلماء من كل مكان فيجدون من سلاطينها تشجيعا على الاقامة فيها ، وترغيبا في العلم والبحث والتأليف . وربما أعانها على بلوغ هذه المكانة انتقال الخلافة العباسية اليها ، وتوسط موقعها بين البلاد العربية والاسلامية .

وقد اندفع العلماء بغيرة دينية تملكت قلوبهم وحملتهم على **البحث والتاليف** ، فجندوا انفسهم لبعث **تراثهم العريق** بعد ان كادت **تعصف** به يد **المغول في بغداد** ، ويد **الصليبيين في الشام والأندلس** .

ونالت الحركة العلمية نصيبا موفورا : فاشتهر في الطب وتاريخه « **ابو بكر ابن البيطار** » 1340 م ، ونبغ في علم الاجتماع « **ابن خلدون** » 1406 م ، وفي السير «**ابن خلكان**» 1282 م . وفى التاريخ «**المقريزي**» 1442 م – 845 هـ ، وفى التفسير « **السيوطي** » 1505 م . وعرف هذا العصر **بعصر الموسوعات العلمية** ؛ فألف «**النويري**» 1372 م كتابه «**نهاية الأرب**» ، و «**القلقشندي**» 1418 م – 821 هـ كتابه «**صبحي الأعشى**» ، و «**ابن منظور**» **1311 م معجمه «لسان العرب»** ، ونظم «**ابن مالك**» الفيته فى **النحو والصرف** 1273 م و « **ابن الحاجب** » كافيته في **النحو والصرف** ؛ ونظم غيرهما فى كثير من العلوم كما فعل « **عبد الرحمن الأخضر الجزائري** » 1546 م فى كتابيه : « **السلم المرونق فى علم المنطق** » و « **الجوهر المكنون فى صدق الثلاثة فنون** » فى علم البلاغة .

والى جانب هذه النهضة العلمية كان العصر زاخرا **بالفنون الصناعية** ، **والعمارة** ، **والهندسة** ، **والزخرفة والنقش** ، وغيرها من الفنون الجميلة .

وشهد **المغرب العربي** جانبا من **ازدهار الأدب** في أواخر حكم « **الموحدين** » **وعصر الدويلات المتتابعة** ، نتيجة لهجرة **الأدباء والعلماء الأندلسيين** الى المغرب . وقد زادت موجات الهجرة اثر استيلاء الاسبانيين على الأندلس فتأثر أدباء المغرب بهؤلاء المهاجرين وظهر فيهم شعراء متفوقون من بينهم « **مالك بن المرحّل** » 1299 م ، و «**أبو الحسن الخزاعي** » التلمساني 1337 م .

ثم الغى الأتراك « **ديوان الانشاء** » الذي جمع كبار الكتاب وعظماء الرجال في اللغة والأدب على مر العصور ، وجعلوا اللغة التركية لغة الدواوين الرسمية في البلاد التي حكموها ، ففقدت اللغة العربية قيمتها ، وضعف التعبير بها .

وعندما دخل السلطان « **سليم الأول** » مصر ، وجد فيها عمالا وصناعا مهرة ، فجمعهم وأخذهم الى تركيا ، فانحط في عصر الأتراك ما كان زاخرا من الفنون – بمصر – خلال عصر المماليك .

حالة الأدب :

ضعف الأدب – في هذا العصر – عما كان عليه في العصور السابقة ، ولم ينل حظا من التقدم مثل ما نالته بعض العلوم أو الفنون في عصر المماليك .

ويرجع ضعفه إلى الأسباب الآتية :

اولا – **اضطراب الحياة السياسية** ، الذي أسفر عن شعور المواطنين بخيبة الأمل ، وفقدان الحرية الشخصية ، فضعفت موهبة الابداع والابتكار عند الأدباء والشعراء .

ثانيا ـ سوء الاحوال الاقتصادية والاجتماعية ، فكان انتشار الفقر والمرض والاحساس باليأس والملل عاملا من اكبر العوامل التي صرفت الناس عن الاشتغال بالأدب .

ثالثا ـ عدم تشجيع الخلفاء والحكام وذوي الجاه للشعراء بالمنح والعطايا كما كان يفعل أسلافهم في عصور الازدهار الأدبي ، فقد كان معظم حكام عصر الضعف اعاجم لا يحسنون اللغة العربية ، ولا يتذوقونها شعرا أو نثرا .

رابعا ـ ضياع مجموعة من الكتب والدواوين خلال هجمات الصليبيين والمغول ؛ وكان من الممكن ان تكون مصدرًا يستفيد منه أدباء عصر الضعف .

خامسا ـ إلغاء « ديوان الانشاء » ، الذي كان كتابه يقومون بإعداد الرسائل الديوانية بأسلوب ادبي رصين .

ونتيجة للظروف السابقة ، تضاءل عدد الشعراء الأكفاء ، وانصرف معظمهم إلى حرف يشتغلون بها ، فكان منهم الجزّار ، والخبّاز ، والعطّار . وضاقت بهم سُبُل الحياة في عصر انكر فضلهم وتجاهل مواهبهم . يقول احد شعراء هذا العصر :

أَسَفِي عَلَى الشُّعَرَاءِ إِنَّهُمُ عَلَى ... حَالٍ تُثِيرُ شَمَاتَةَ الأَعْدَاءِ
خَاضُوا بُحُورَ الشِّعْرِ إِلَّا أَنَّهَا ... مِمَّا تُرِيقُ وُجُوهَهُمْ مِنْ مَاءِ

وليت هذا الشاعر مع إراقته ماء وجهه يجد قوت زوجه واولاده ، فيضجر قائلا :

لَقَدْ أَصْبَحْتُ ذَا عُمْرٍ عَجِيبٍ ... أُقَضِّي فِيهِ بِالأَنْكَادِ وَقْتِي(*)
مِنَ الأَوْلَادِ خَمْسٍ حَوْلَ أُمٍّ ... فَوَا حَرَّاهُ مِنْ خَمْسٍ وَسِتِّ

وعندما انصرف الشعراء الموهوبون عن قول الشعر ظهر كثير من المتطفلين الذين لا يملكون مواهب أصيلة ولا يقدرون على التعبير الشعري الجيّد ، فكانوا اشبه بالفقاقيع التي تطفو على سطح الماء ثم لا تلبث أن تتلاشى .

(*) المفصل في تاريخ الأدب العربي ، ص. 180 لاحمد امين واخرين .

ومع **قِـلَّة الشعراءِ المُقْتَدِرين** ، كان الجيِّد من إنتاجهم قليلا ، وداروا في دائرة ضيقة من أغراض الشعر ، بعد ان فقدوا دوافع القول في معظم الأغراض التي غَذَّتْ الشعر العربي وَأَثْرَتْهُ في عصورها الذهبية ، فقلَّ شعر المدح لعدم وجود المكافئين عليه ، وضعفت العصبية التي تدعو إلى شعر الفخر ، وتضاءلت قصائد اللهو في جو القلق وضيق العيش .

هذا وقد غرق بعض الشعراء في تصوير المتع الحسية ، هربا من واقعهم الأليم ، وتطلع آخرون إلى نعيم الآخرة يلتمسون فيه التعويض عن حرمانهم ، فكثر شعرهم **في الزهد والمدائح النبوية والتصوف** .

وانحصر النثر الفني في الكتابة الديوانية والرسائل الاخوانية ، وقد قضى إلغاء **« ديوان الانشاء »** في عصر الأتراك على فن الكتابة الديوانية . ولم تسلم الكتابة الاخوانية من تيار الضعف أيضا فمالت إلى الركاكة والابتذال ، واصبحت متكلفة ثقيلة .

اما **النثر العلمي** ، فإنه كان اقرب إلى الطبع في أول عصر الضعف ، ولكن المتأخرين لم يسلموا من التعقيد والإسفاف ، فانخفض انشاؤهم الى مستوى النثر العامي

ومع ذلك فقد انجب هذا العصر مجموعة من الأدباء والشعراء من بينهم :

الامامُ البُوصِيري ، وصَفِيّ الدين الحِلِّي ، وابنُ نباتَة المِصْري ، وابن حِجَّةَ الحَمَوي ، ومالك ابن المُرَحَّل ، وابنُ خلدون .

وغيرهم من الأدباء والشعراء .

وسنقدم لك نماذج من أدب هذا العصر ، لتتعرف من خلالها على مميزاته العامة

نصــوص أدبيــة من عصــر الضعف

الفصــل الثــاني

أولا : الشعــر — ثانيا : النــثر

اولا : الشـــعر

1

من همـزية ((البُوصِـيرِي))

(608 ـ 696 هـ : 1213 ـ 1296 م)

تعريف وتمهـيد :

ولد ((**محمد بن سعيد شرف الدين البوصيري**)) (*) بمصر ، ونشأ فيها ، حيث تعلم العلوم الدينية وتعمق في دراسة **التصوف** ، وكانت له معرفة بعلم الحساب والكتابة ، فتولى منصبا حكوميا فى محافظة الشرقية (**) .

وعاصر **البوصيري** سلطانيّن عظيمين من سلاطين الدولة المملوكية هما : ((**بيبَرْس**)) الذي هزم ((**التتار**)) و ((**قلاَوُون الأشْرف**)) الذي تم على يديه جلاء الصليبيين عن مدينة ((**عَكّا**)) آخر معقل كان تحت أيديهم في بلاد الشام . وتوفى البوصيري بمدينة الاسكندرية ودفن فيها .

والبوصيري من احسن شعراء عصره في **جودة المعنى وحسن الصياغة** ، وله شعر فى اغراض متعددة استخدم فى بعضه اللغة العامية أحيانا . ولكن الجيد فى شعره والذي اشتهر به هو **شعر المدائح النبوية** . وله في هذا الفن قصيدتان طويلتان : أولهما : قصيدة ((**البردة**)) المشهورة ؛ والثانية : قصيدة ((**الهَمْزِيَّة**)) ، التي بلغت ابياتها (460) اربعمائة وستين بيتا ، تناول فيها **مدح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ** من جوانب عدة ، من بينها **الحديث عن مولده ، ونسبه ، ومكانته ، وصفاته وشمائله ، وموقفه من قومه ، ومعجزاته ، والإشادة بدعوته ، والرد على اعدائها من اليهود والنصارى ، ومدح الصحابة المكرمين .**

ومن قصيدته ((**الهمزية**)) نقدم لك الأبيات التالية :

(*) ((**البوصيري**)) نسبة الى بوصير ، وهي قرية بمحافظة **بني سويف فى مصر** ، جنوبي القاهرة ، والى هذه القرية يرجع نسب امه . ويرجع نسب أبيه الى قبيل يعرفون بقبيل حبون من قلعة بني حماد **بالجـزائر** .

(**) كان منصبه يتعلق بتصريف الشئون المالية والادارية . المحافظة : مصطلح اداري مستخدم حاليا فى مصر ، ويقابله عندنا مصطلح (ولاية) .

النـــص (*) :

(أ)

1 ـ كَيْفَ تَرْقَى رُقِيَّـكَ الأَنْبِـيَاءُ   يَا سَمَـاءً مَـا طَاوَلَتْهَا سَمَـاءُ
2 ـ لم يُسَاوُوكَ فِي عُلاكَ وقد حَا   لَ سَـنًا مِنْـكَ دُونَهُمْ وَسَـنَاءُ
3 ـ إنما مَثَّـلُوا صفـاتِكَ لِلنَّـا   سِ كَمَا مَثَّـلَ النُّجُـومَ المَـاءُ
4 ـ أنتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ ، فَمَا تَصْـــدُرُ إلا عن ضَـوْئِكَ الأَضْـوَاءُ
5 ـ لَكَ ذاتُ العـلومِ من عالِمِ الغيـــبِ ومِنهــا لِآدمَ الأسمـــاءُ
6 ـ لم تَزَلْ فِي ضمائرِ الكونِ تُخْتَا   رُ لكَ الأمَّهَـــاتُ والآبَـــاءُ
7 ـ ما مضتْ فَـتْرَةٌ من الرُّسْلِ إلا   بَشَّرَتْ قَوْمَهَـا بِـكَ الأنْبِيـاءُ
8 ـ تَتَبَاهَى بكَ العصـورُ وتسمُو   بِـكَ عَلْيَـاءُ بَعْـدَهَـا عليـاءُ

(ب)

9 ـ وبـدَا للوجودِ منـكَ كـريمٌ   مِـن كريـمٍ آبـاؤُهُ كُرَمَـاءُ
10 ـ نَسَبٌ تَحْسِبُ العُـلاَ بِحُـلاَهُ   قَلَّدَتْهَـا نُجُومَهَـا الجَـوْزَاءُ
11 ـ حَبَّـذَا عِقْـدُ سُؤْدُدٍ وَفَخَـارٍ   أنــتَ فِيْـه اليَتِيمَةُ العَصْمَـاءُ

(حـ)

12 ـ وَمُحَيًّا كَالشَّمْسِ مِنكَ مُضِيءٌ   أَسْفَـرَتْ عَنْـهُ لَيْـلَةٌ غَـرَّاءُ
13 ـ لَيْـلَةُ المولـدِ الذي كان لِلدِّيـــنِ سُرُورٌ بِيَـوْمِـهِ وَازْدِهَـاءُ

(د)

14 ـ فَتَـنَزَّهَ فِي ذَاتِـهِ وَمَعَـانِيـــهِ اسْتِمَاعًا إنْ عَزَّ مِنْـكَ اجْتِـلاَءُ
15 ـ وَامْلأِ السَّمْعَ مِن مَحَاسِنَ يُمْلِيهَـــا عَلَيْـكَ الإِنْشَـادُ وَالإِنْشَـاءُ

(*) حاشية لوامع الكوكب الدري فى شرح همزية البوصيري .

2 ـ **السنا** مقصورة : ضوء البرق ، **والسناء** ممدودة : الرفعة . 11 ـ **اليتيمة** : الفريدة . **العصماء** : الممتنعة التي يصعب نيلها . 12 ـ **المحيا** : الوجه . غرة : علامة مميزة هي ليلة الرسول

16 ـ سَيِّدٌ ضِحْكُهُ ٱلتَّبَسُّمُ وَٱلْمَشْـــيُ ٱلْهُوَيْنَى وَنَوْمُهُ ٱلْإِغْفَاءُ
17 ـ رَحْمَةٌ كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ وَوَقَارٌ وَعِصْمَةٌ وَحَيَاءُ
18 ـ لَا تَحُلُّ ٱلْبَأْسَاءُ مِنْهُ عُرَى ٱلصَّـــبْرِ وَلَا تَسْتَخِفُّهُ ٱلسَّرَّاءُ
19 ـ كَرُمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ ٱلسُّو ءُ عَلَى قَلْبِهِ وَلَا الفحشاء
20 ـ جُهِلَتْ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى وَأَخُو الحِلْمِ دَأْبُهُ ٱلْإِغْضَاءُ

(هـ)

21 ـ وَسِعَ ٱلْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا فَهْوَ بَحْرٌ لَمْ تُعْيِهِ ٱلْأَعْبَاءُ
22 ـ شَمْسُ فَضْلٍ تَحَقَّقَ ٱلظَّنُّ فِيهِ أَنَّهُ ٱلشَّمْسُ رِفْعَةً وَالضِّيَاءُ

(و)

23 ـ خَفِيَتْ عِنْدَهُ الفَضَائِلُ وَانْجَا بَتْ بِهِ عَنْ عُقُولِنَا ٱلْأَهْوَاءُ
24 ـ أَمَعَ ٱلصُّبْحِ لِلنُّجُومِ تَجَلٍّ أَمْ مَعَ ٱلشَّمْسِ لِلظَّلَامِ بَقَاءُ
25 ـ مُعْجِزُ ٱلْقَوْلِ وَالْفِعَالِ كَرِيمُ ٱلْـــخَلْقِ وَالْخُلْقِ مُقْسِطٌ مِعْطَاءُ
26 ـ لَا تَقِسْ بِالنَّبِيِّ فِي ٱلْفَضْلِ خَلْقًا فَهْوَ البَحْرُ وَٱلْأَنَامُ إِضَاءُ
27 ـ كُلُّ فَضْلٍ فِي ٱلْعَالَمِينَ فَمِنْ فَضْـــلِ ٱلنَّبِيِّ اسْتَعَارَهُ ٱلْفُضَلَاءُ
28 ـ فَإِذَا شِمْتَ بِشْرَهُ وَنَدَاهُ أَذْهَلَتْكَ ٱلْأَنْوَارُ وَٱلْأَنْوَاءُ
29 ـ أَوْ بِتَقْبِيلِ رَاحَةٍ كَانَ لِلَّـــهِ وَبِاللَّـــهِ أَخْذُهَا وَٱلْعَطَاءُ
30 ـ تَتَّقِي بَأْسَهَا المُلُوكُ وَتَحْظَى بِالغِنَى مِنْ نَوَالِهَا ٱلْفُقَرَاءُ

شرح وإيضاح :

(أ) استهل الشاعر **مديحه للرسول** ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالحديث عن مكانته . وهي مكانة تفوق ارتفاع السماء قدرا ، وتسمو على جميع الرسل والأنبياء قيمة وشأنا ، **فقد أرسله الله إلى الناس كافة ، وختم به الرسل والأنبياء ، وأعطاه الشفاعة العظمى** ـ وحده ـ **يوم القيامة** .

16 ـ **الإغفاء** : النوم الخفيف . 18 ـ **عرى** : جمع عروة : ما يوثق به والمقصود من عرى الصبر : الاستمساك والاعتصام به . 19 ـ **الفحشاء** : ما يشتد قبحه من الذنوب . 21 ـ **وسع** : وسع القوم فضله : عمهم وشملهم . 25 ـ **مقسط** : عادل . 26 ـ **الإضاء** : الغدير . 28 ـ **شمت** ; شام الشيء : تطلع نحوه منتظرا له . **الأنواء** : **جمع نوء** : العطاء .

وكل ما ذكره المتحدثون عن صفاته لا يعبر عن حقيقتها وَكُنْهِهَا لأنَّها تفوق كل وصف ، ولن تستطيع الكلمات أن تبلغ درجة الإفصاح الكامل عنها . ولا غَـرْوَ أن **منحه الله علما** لم يعطه احدا من البشر ، **وهدى به امة** كانت تتخبط في الجهل والضلال ، وأنزل عليه دستورا خالدا هو **القرآن الكريم** الذي كان **سبب تقدم المسلمين** عندما تمسكوا به وساروا على هديه ، فدانت لهم دولة الفرس والروم ، **ونشروا الحضارة** في شرق البلاد وغربها .

واختاره الله من أصلاب **شريفة** وانساب **عريقة** ، وكلما بعث الله رسولا إلى قومه ، **بشَّرهم بقدوم النبي محمد** ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى **بُعِثَ** ، فصار فخْر الأجيال والعصور .

(ب) وفي الفقرة الثانية ، عاد الشاعر إلى الحديث عن **نسب الرسول** ، مفصلا ما اجمله في البيت السادس من أبيات الفقرة (أ) فقال :

لقد تدرَّج نسبه الشريف **في أصول طيبة** ، فهو **خِيَارٌ من خيار** ، ونسبه عريق في المعالي والمكارم ، يبدو في اشراقه وكأن الجوزاء قد صنعت من نجومها قلادة وطوقت بها جيد ذلك النسب العظيم ، ثم جاء الرسول ــ بما خصه الله من شرف **الوحي** وتبليغ الرسالة ــ لؤلؤة فريدة متميزة بين لآلئ ذلك العقد الرفيع .

(حـ) **وفي هذه الفقرة تحدث الشاعر عن مولد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في ليلة عظيمة ، شرفت بقدومه ، واصبحت معدودة من ليالي التاريخ ، وعندما اشرق الرسول بنوره على الوجود ، اهتزَّ الاسلام فرحا وبشرا ، وانتشر في الأرض يملأ الدنيا رحمة وعدلا وانصافا .**

(د) وبعد أن تحدث الشاعر عن مولد الرسول انتقل إلى بعض صفاته الحسية والمعنوية ، فدعا السامعين والقارئين إلى التمتع بسماع المديح في ذات الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصفاته ، فلقد بلغ الكمال خَلْقاً وخُلُقاً ، وحوى كل معاني الفضيلة من رزانة العقل ، ودماثة الخلق ، ورقة الشمائل ، ويقظة الضمير. واتصف بالرحمة والكرم والعزم والحياء والتنزه عن الفحشاء تفكيرا وعملا .

(هـ) وفي هذه الفقرة يشير البوصيري إلى صفة عظيمة من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي الصبر الطويل على اذى قومه ، والرافة بهم ، والدعاء لهم بالهداية والتوفيق ، فكلما بالغوا في أذاه والاعراض عن دعوته ، ازْداد صبرا وحلما وعزما طيلة الفترة ما بين **بعثته وهجرته** إلى **المدينة المنورة** . ولم يقل **مقالة نوح** ــ عليه السلام ــ في قومه حين اشتد عليه اذاهم :

« رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (*) » .

بل كان عليه السلام يردد قوله المأثور :

« اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

(و) وفي ابيات هذه الفقرة يعود البوصيري إلى تفصيل ما أجمله في البيت الرابع من الفقرة (أ) فيتحدث عن **الدعوة المحمدية** في المجتمع البشري ، إذْ نشر الرسول بدعوته في الوجود **علما غزيرا** ، وافاض على الانسانية **نظما اجتماعية** نقلتهم من **ظلمات الكفر والشرك والجهالة** إلى **نور الايمان والمعرفة والحضارة** ، **واسس امة** شهد لها التاريخ بالتقدم زمنا طويلا طالما كانت متمسكة بتعاليم رسولها وهدى بنيها ، **وقد اثرت حضارتها** تأثيرا كبيرا في **الحضارة العالمية** التي توارثتها الأمم على مر التاريخ .

وكل ما نراه في هذا الوجود من رفعة وازدهار في شتى نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، كان **لدولة الاسلام** فيه اثر كبير ، فقد كانت قامعة للجبابرة من الملوك العظماء ، ورحمة وانصافا للمستضعفين والفقراء ، ولَوْ عملت المجتمعات الحديثة بمبادئ دعوته لسعدت بالتقدم والرفعة والاخاء ، ولما شقيت بالصراع والتناحر من أجل السيطرة والاستيلاء

دراسة الأفكار :

يعتبر هذا النص نموذجا صادقا للنزعة الدينية التي غلبت على شعراء عصر الضعف بصفة عامة ، وظهرت في شعر « البوصيري » بصفة خاصة . ولهذه النزعة أسباب تتضح فيما يلي :

اولا : انتشر تيار **اللهو والمجون** بين شعراء عصر الضعف ، وكلما انتشر هذا التيار في الشعر العربي تصدى لمهاجمته بعض المعارضين مع اختلاف في النزعة والهدف والطريقة والأسلوب . وقد سجل الشعر العربي تجارب كثيرة في هذا الميدان ، من ذلك مثلا ، قول « **أبي العتاهية** » :

أَتَلْهُو وَأَيَّامُنَا تَذْهَبُ ... وَتَلْعَبُ وَالمَوْتُ لَا يَلْعَبُ

أَيَلْهُو وَيَلْعَبُ مَنْ نَفْسُهُ ... تَمُوتُ وَمَنْزِلُهُ يَخْرَبُ

وقول « **ابي العلاء المعرّي** » :

تَعَبٌ كُلُّهَا الحَيَاةُ فَمَا أَعْجَبُ إِلَّا مِنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ

(*) من سورة نوح : الآيتان [26 ، 27]

فكلا الشاعرين يتفق مع « **البوصيري** » في **معارضة اللهو والمجون** ، لكن لكل واحد منهم منهجا خاصا به . فإذا صح أن نسمي « **ابا العتاهية** » شاعر **الزهد** ، و « **ابا العلاء المعري** » شاعر **التشاؤم** ؛ فإن « **البوصيري** » **يعَدّ** شاعر المدائح النبوية .

ثانيا : شهد عصر « **البوصيري** » صراعا فكريا بين الصليبيين والمسلمين ، فبينما الحروب الصليبية مستمرة بين الفريقين على جبهات القتال **بالسلاح** ، كانت المعارك **الكلامية حول الدين والعقيدة** مشتعلة أيضا .

وفي موقف **الدفاع عن الاسلام** يشيد « **البوصيري** » بصاحب **الدعوة الاسلامية** ، فيمدح **الرسول** ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ قائلا :

دَعْ مَـا ادَّعَتْـهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمُ   وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ

وقد أفاض « **البوصيري** » في مدح **الرسول** ــ صلى الله عليه وسلم ــ مدفوعا إلى ذلك بالدفاع عن العقيدة الاسلامية ، والدعوة إلى **التمسك بالاسلام** والسير على **مبادئه الرشيدة** .

ثالثا : كانت نفس الشاعر مهيئة ــ بطبيعتها ــ للتقوى والورع والتصوف ، يتفانى في حب **المصطفى** ــ عليه السلام ــ وأهل بيته المكرمين .

وهذا اللون من الشعر لم يكن جديدا على الشعر العربي ، فقد تناول مدح **الرسول** ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل البوصيري ، كثير من الشعراء « **كحسان ابن ثابت** » و « **الكُمَيْت بن زيد** » ، كما عرفت ذلك في دراستك السابقة .

وقد اثر « **البوصيري** » بمدائحه في عديد من الشعراء المعاصرين له أو الذين جاءوا بعده من امثال « **شوقي** » و « **الرّصافي** » و « **أحمد محرم** » ، وغيرهم من الشعراء .

وقد عبر الشاعر عن مدحه **للرسول** ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمجموعة من **الافكار** تناول الحديث فيها عن :

1) مكانته ، 2) نسبه ، 3) مولده ، 4) صفاته ، 5) موقفه من قومه ، 6) اثر دعوته في المجتمع الانساني .

ولعلك لاحظت ان **الافكار** جاءت مضطربة ومتكررة ، ومتداخلة ، وغير متماسكة ، بحيث يمكن **تقديم اي فكرة** عن الأخرى ، أو حذف بعض الأبيات دون تأثير في المعنى .

وقد مر بك أن الشاعر بعد ان يفرغ من الحديث عن عنصر من عناصر النص وينتقل إلى غيره ــ يعود إلى الحديث عن بعض أفكار العنصر الأول ، كما حدث

ذلك في أبيات الفقرة (ب) فقد عاد إلى تفصيل ما أجمله في البيت السادس من الفقرة (أ) ، وكما حدث في الفقرة (و) فقد عاد إلى تفصيل ما أجمله في البيت الرابع من الفقرة (أ) .

واذا تتبعت صفات **الرسول** ــ صلى الله عليه وسلم ــ التي وصفه بها الشاعر وجدتها متفرقة فى ثنايا النص ، ويمكنك ملاحظة ذلك فى قوله :

ومحيا كالشَّمْسِ منْك مضيء   أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلة غرَّاء (12)

فيه وصف لصفة حسية هي الوجه .

وقوله :

شَمْسَ فَضْلٍ تحقّق الظّن فيه   أنَّهُ الشَّمْسُ رِفْعَةً والضِّياءُ (22)

فيه وصف لصفة معنوية هي الفضل .

وقوله :

مُعْجِزُ القَوْلِ وَالفِعَال كريم الــ   ـخَلْقِ والخُلْق مُقْسِطٌ مِعْطَاء (25)

فيه جمع بين وصف حسي هو **الخَلْق** ، وآخر معنوي هو **الخُلق** .

وظلّ الشاعر يكرر بعضا من الصفات مثل **الشمس** ، يصف بها **جانبا حسيا** كما في البيت (12) ، **وجانبا معنويا** كما في البيت (22) .

والى جانب **قلق الأفكار** ، وعدم ترابطها ، فان معانيها بسيطة عادية ليس فيها **عمق** ولا **جدة** . وفى بعض أبيات النص غموض يجهدك فى طلب معناه ، كما ترى في البيت العاشر مثلا .

وعاطفة الشاعر صادقة في **وصفه للرسول** ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فقد مزج الشاعر بين الوصف واحساسه الذاتي .

والشاعر متأثر **بالقرآن الكريم والحديث الشريف** . كما ترى فى البيت السادس :

. . . . تَخْتَارُ لكَ الأُمَّهَاتُ والآبَاء

فهذا المعنى مأخوذ من معنى الحديث الشريف :

« إِنَّ الله اصْطَفى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ اسْمَاعِيل ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانة ، واصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِم ، واصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِم » (*)

(*) صحيح مسلم ، ج. 7 ص. 58 .

وقول الشاعر في البيت السابع :

. . . . . بَشَّرَتْ قَوْمَهَا بِكَ الأنبياء

ماخوذ من معنى الآية الكريمة :

« وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَد » (**)

دراســة الأســلوب :

سلم اسلوب النص من كثرة **المحسنات البديعية المتكلفة** ؛ ومعظم عباراته سليمة واضحة ، وقد نجد في بعضها غموضا كما في البيت العاشر . ولعل كثرة الضمائر في هذا البيت كانت سببا في غموض معناه .

واستهل الشاعر قصيدته بأسلوب **استفهامي** يهدف إلى **اثارة الانتباه** ليثبت الفكرة التي يريد تأكيدها وهي : **استحالة أن يرقى إلى مكانة الرسول انسان آخر .**

وتتنوع وتتعدد الأساليب الانشائية في ثنايا النص ؛

من ذلك قوله : « **فتنزه في ذاته . . .** » . أمر يدل على التشويق [البيت 14]

وقوله : « **املأ السمع . . .** » . أمر يدل على التشويق أيضا [البيت 15]

وقوله : « **أمع الصبح . . .** » . استفهام يدل على النفي والانكار ويوحي بانفراد الرسول بالعظمة [البيت 24]

وقوله : « **لا تقس . . .** » . نهي يدل على استحالة مقارنة الرسول بغيره في علو الشرف والمكانة . [البيت 26]

واستعان الشاعر **بالأسلوب الخبري** في الجانب الذي تحدث فيه عن نسب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفاته . وكان هدفه **ذكر الحقيقة وتوضيحها .**

وفي النص **اساليب بيانية** مختلفة ، منها « **التشبيه** » في قوله :

إِنَّمـا مثَّلوا صِفَـاتك للنَّـا س كما مثَّـل النُّجـومَ المَـاءُ

(البيت 3)

وهو **تشبيه** صور فيه الشاعر العلاقة بين صفات الرسول الحقيقية وصفاته التي يتحدث عنها الواصفون ، بالعلاقة بين النجوم الحقيقية وصورتها فى سمائها المنعكسة على سطح الماء ؛ وهذا التشبيه يدل على كمال سمو صفات الرسول وعلو قدرها ،وعجزالمصورين عن توضيحها .

والاستعارة في قوله : « **املأ السمع من محاسن . . .** » . [البيت 15]

فقد جعل الشاعر من السمع وعاء ، ثم أتى بصفة من صفات الوعاء بعد أن حذفه على سبيل **الاستعارة المكنية** ، وهذه الاستعارة توحي بالحرص الشديد على الاستماع حتى يستمتع القارئ والسامع بالحديث العذب عن الرسول وصفاته .

(**) الآية رقم 6 من سورة الصف

والكناية في قوله : « **تختار لك الامهات . . .** » [البيت 6]
فهي كناية اريد بها صفة شرف النسب .

وقوله : « **نومه الاغفاء** » كناية عن يقظة الروح الدائمة [البيت 16]

ومن **الألوان البديعية** في النص « **الطباق** » ؛

من ذلك قوله : « **الباساء والسراء** » [البيت 18]

« **والجناس** » في قوله : « **علما وحلما** » [البيت 21]

« **الخَلق . . الخُلق** » [البيت 25]

وفي النص **اساليب بلاغية** متعددة يمكنك الوقوف عليها ومعرفة ما فيها من **جمال في الفكرة والاسلوب** .

مجمل القول

- النص من **ادب المدائح النبوية** الذي ساد في عصر الشاعر لمعارضة تيار اللهو والمجون ، الذي ساد خلال فترة الحروب الصليبية ، وهذا الاتجاه يمثل منهج الشاعر الذي عرف بحبه للرسول ، والحرص على دعوة الناس إلى **التمسك بمبادئ الدين الاسلامي** .
- يتصف **بصدق العاطفة** ، **وبساطة الأفكار وتكرارها وتداخلها** ، **وعدم تناسقها** ، **وغموض معانيها** احيانا ، وفيه بعض **الصور البيانية والمحسنات البديعية** .
- والنص من **بحر الخفيف** ووزنه :

فاعلاتن مستفعلن فاعلات   فاعلاتن مستفعلن فاعلات

المناقشة :

1 ـ ما أهم الصفات الحسية التي وصف الشاعر بها **رسول الله** صلى الله عليه وسلم ؟ وما رايك فيها ؟

2 ـ اذكر بيتا تحدث فيه الشاعر عن نسب الرسول ، ووضح سر جماله .

3 ـ تناول الشاعر موقف الرسول من قومه ؛ اشرح ذلك مستشهدا بما عرفت من دراستك للسيرة النبوية .

4 ـ وضح مظاهر تأثير الدعوة المحمدية في المجتمع البشري .

5 ـ يستوحي الشاعر أفكاره من مصادر دينية ـ اشرح هذه الحقيقة مع التمثيل .

6 ـ استخرج من النص « صورة بلاغية » ، و « محسنا بديعيا » ، وبين أثرهما في المعنى والأسـلوب .

7 ـ عرف عصر « البوصيري » بعصر الضعف الأدبي ـ فما مظاهر ذلك الضعف ، كما تبدو لك من خـلال دراستك للنـص ؟

المقـــال :

اكتب مقالا تبين فيه حاجة المجتمعات الاسـلامية الى **الاقتـداء بسيرة الرسـول** ـ صلى الله عليه وسلم ـ . حتى يتسنى للمسلمين نجاحهم في مسيرتهم نحو التقدم والعزة والرفاهية .

نمـوذجان من شعـره :

أ ـ من قصـيدة البـردة

في مدح رسول الله صلى الله عليه وسـلم :

أَمِنْ تَذَكُّـرِ جِـيرَانٍ بِذِي سَـلَمِ[1] ... مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْـلَةٍ[2] بِدَمِ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَـاءِ كَاظِمَـةٍ[3] ... وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ[4]
فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ : اكْفُفَا هَمَتَا[5] ... وَمَـا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِـمِ
يَا لَائِمِي فِي الهَـوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً ... مِنِّي إِلَيْـكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَـمْ تَلُـمِ
مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَـكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ ... إِنَّ المُحِبَّ عَـنِ العُـذَّالِ فِي صَمَـمِ
إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَـذَلِي ... وَالشَّيْبُ أَبْعَـدُ فِي نُصْـحٍ عَنِ التُّهَـمِ
فَـإِنَّ أَمَّـارَتِي بِالسُّـوءِ مَـا اتَّعَظَتْ ... مِنْ جَهْلِهَـا بِنَـذِيرِ الشَّيْبِ وَالهَـرَمِ
وَلَا أَعَـدَّتْ مِنَ الفِعْـلِ الجَمِيلِ قِرَى ... ضَيْفٍ أَلَـمَّ بِرَأْسِي غَـيْرَ مُحْتَشِـمِ
مَنْ لِي بِـرَدِّ جِمَـاحٍ مِـنْ غَـوَايَتِهَا ... كَمَـا يُـرَدُّ جِمَـاحُ الخَيْـلِ بِاللُّجُمِ

1 ـ **ذي سلم** : اسم مكان . 2 ـ **المقلة** : العين . 3 ـ **كاظمة** : اسم مكان . 4 ـ **اضم** : واد بجبال تهامة قرب المدينة المنورة . 5 ـ **همتا** : انهمرت منهما الدموع بغزارة .

ب ـ في نقد المجتمع (*)

نَقَدْتُ (6) طَوَائِفَ ٱلْمُسْتَخْدِمِينَا فَلَمْ أَرَ فِيهِمُ رَجُلاً أَمِينَا

فَكَمْ عَاشَرْتُهُمْ وَلَبِثْتُ فِيهِم مَعَ ٱلتَّجْرِيبِ مِنْ عُمْرِي سِنِينَا

فَكَمْ سَرَقُوا ٱلْغِلاَلَ وَمَا عَرَفْنَا بِهِمْ فَكَأَنَّمَا سَرَقُوا ٱلْعُيُونَا

وَلَوْلاَ ذَاكَ مَا لَبِسُوا حَرِيرًا وَلاَ شَرِبُوا خُمُورَ ٱلْأَنْدَرِينَا (7)

أَمَوْلاَيَ الوزيرَ غَفَلْتَ عَمَّا يَتِمُّ مِنَ ٱللِّئَامِ ٱلْكَاتِبِينَا

تَنَسَّكَ (8) مَعْشَرٌ مِنْهُم وَعُدُّوا مِنَ ٱلزُّهَّادِ وَالْمُتَوَرِّعِينَا

وَقِيلَ : لَهُمْ دُعَاءٌ مُسْتَجَابٌ وَقَدْ مَلَأُوا مِنَ ٱلسُّحْتِ (9) ٱلْبُطُونَا

تَفَقَّهَتِ (10) ٱلْقُضَاةُ فَخَانَ كُلٌّ أَمَانَتَهُ وَسَمَّوْهُ ٱلْأَمِينَا

(*) الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام [د. أحمد بدوي] .

6 ـ نقدت : نقد الدراهم : اخرج منها الزيف ، والمقصود هنا الخبرة والمعرفة . **7 ـ الاندرينا** : قرية في جنوب حلب بسوريا اشتهرت بصناعة الخمر الجيدة . **8 ـ تنسك** : تزهد وتعبد . **9 ـ السحت** : المال الحرام . **10 ـ تفقهت** : تفقه الرجل : تعلم الفقه .

ثانيا : النثر

2

طريقة التعليم

لابن خلدون

(732 هـ - 808 هـ — 1332 م - 1406 م)

تعريف وتمهيد :

الكاتب هو : « **ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون** » ، من أسرة يمنية دخلت بلاد الأندلس مع جيوش الفتح الاسلامي ، ثم نزحت إلى « تونس » في أواسط القرن السابع الهجري واشتهرت بالعلم والرئاسة .

ولد « **عبد الرحمن** » عام 732 هـ بتونس ، ونشأ فيها ، فحفظ **القرآن الكريم والحديث النبوي ، وتعلم المنطق** على يد والده وبعض مشايخ جامع **الزيتونة** ؛ وشغل مناصب متعددة ، منها : الكتابة الديوانية ، والقضاء ، والتدريس . وتنقل بين الأندلس والمغرب العربي ومصر والشام والحجاز ؛ واتصل بزعماء عصره ، فنال اعجابهم وتقديرهم .

ومن اشهر آثاره العلمية « **مقدمته** » التي تعتبر فتحا جديدا في فلسفة التاريخ ، وهي مترجمة الى عدة لغات أجنبية ، وقد عد بها مؤلفها **مؤسس العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية** ، وكان لها اثر بارز في الدراسات التاريخية الأوربية ، وقد ظهر ذلك عند « **أوجست كونت** » و « **دور كايم** » الذي يعتبره الأوربيون مؤسس علم الاجتماع .

وقد مر « ابن خلدون » بتجربة التعلم والتعليم حيث درس على مشايخ الزيتونة ؛ ثم اشتغل بالتدريس في فترات مختلفة بالمغرب ومصر ؛ ومن خلال هذه التجارب يقدم لنا « ابن خلدون » آراءه القيمة في **طريقة التعليم** . والنص الذي نقدمه لك هنا من « **مقدمته** » المشهورة .

النص (*) :

(أ)

« اعْلَمْ أَنَّ تَلْقِينَ(1) الْعُلُومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُفِيدًا إِذَا كَانَ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَقَلِيلاً قَلِيلاً . يُلْقَى عَلَيْهِ أَوَّلاً مَسَائِلُ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْفَنِّ هِيَ أُصُولُ ذَلِكَ الْبَابِ ، وَيُقَرَّبُ لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الإِجْمَالِ وَيُرَاعَى فِي ذَلِكَ قُوَّةَ

(*) مقدمة ابن خلدون . 1 التلقين : التفهيم مشافهة .

عَقْلِهِ واسْتِعْدَادِهِ لِقَبُولِ مَا يُورَدُ[2] عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ مَلَكَةٌ[3] فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ إِلاَّ أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ ، وَغَايَتُهَا أَنَّهَا هَيَّئَتْهُ لِفَهْمِ الْفَنِّ وتَحْصِيلِ مَسَائِلِهِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ إِلَى الْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينِ عَنْ تِلْكَ الرُّتْبَةِ إِلَى أَعْلَى مِنْهَا ، وَيَسْتَوْفِي الشَّرْحَ والْبَيَانَ ، وَيَخْرُجُ عَنِ الإِجْمَالِ ، وَيَذْكُرُ لَهُ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْخِلاَفِ وَوَجْهِهِ ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ ، ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَا[4] فَلاَ يَتْرُكُ عَوِيصًا[5] وَلاَ مُبْهَمًا وَلاَ مُنْغَلِقاً إِلاَّ وَضَّحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ الْفَنِّ وَقَدِ اسْتَوْلَى عَلَى مَلَكَتِهِ . هَذَا وَجْهُ التَّعْلِيمِ الْمُفِيدِ ، وهو كَمَا رَأَيْتَ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي ثَلاَثِ تَكْرَارَاتٍ ، وَقَدْ يَحْصُلُ لِلْبَعْضِ فِي أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يُخْلَقُ لَهُ وَيَتَيَسَّرُ عَلَيْهِ » .

(ب)

« وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا مِنَ المعلِّمِينَ لهذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَدْرَكْنَا يَجْهَلُونَ طُرقَ التَّعْلِيمِ وإِفَادَتِهِ ، ويُحْضِرُونَ لِلْمُتَعَلِّمِ فِي أَوَّلِ تَعْلِيمِهِ الْمَسَائِلَ الْمُقْفَلَةَ مِنَ الْعِلْمِ ، ويُطَالِبُونَه بِإِحْضَارِ ذِهْنِهِ فِي حَلِّهَا ، ويَحْسِبُونَ ذلِكَ مِرَانًا[6] عَلَى التَّعْلِيمِ وصَوَابًا فِيهِ ، ويُكَلِّفُونَهُ رَعْيَ[7] ذلِكَ وتَحْصِيلَهِ ، فَيَخْلِطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يُلْقُونَ لَهُ مِن غَايَاتِ الْفُنُونِ فِي مَبَادِئِهَا وقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِفَهْمِهَا ، فَإِنَّ قَبُولَ الْعِلْمِ والاسْتِعْدَادَاتِ لِفَهْمِهِ تَنْشَأُ تَدْرِيجًا ، وَيَكُونُ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ الأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ الْفَهْمِ بِالْجُمْلَةِ إِلاَّ فِي الأَقَلِّ وَعَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ وَالإِجْمَالِ ، وبِالأَمْثِلَةِ الْحِسِّيَّةِ ، ثُمَّ لا يَزَالُ الاسْتِعْدَادُ فِيهِ يَتَدَرَّجُ قَلِيلاً قليلاً بِمُخَالَطَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْفَنِّ وتَكْرَارِها عَلَيْهِ والانْتِقَالِ فِيهَا مِنَ التَّقْرِيبِ إِلَى الاسْتِيعَابِ[8] الَّذِي فَوْقَهُ ، حتَّى تَتِمَّ الْمَلَكَةُ فِي الاسْتِعْدَادِ ، ثُمَّ فِي التَّحْصِيلِ ، ويُحِيطُ هُوَ بِمَسَائِلِ الْفَنِّ » .

(ج)

« وإِذَا أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ الْغَايَاتِ[9] فِي الْبِدَايَاتِ ، وهُوَ حِينَئِذٍ عَاجِزٌ عَنِ الْفَهْمِ والْوَعْيِ ، وبَعِيدٌ عَنِ الاسْتِعْدَادِ لَهُ كَلَّ ذِهْنُهُ مِنْهَا ، وحَسِبَ ذلِكَ من صُعُوبَةِ الْعِلْمِ

---

2 يورد عليه : ورد الماء : صار اليه ، واورده المورد : احضره اليه ، والمقصود هنا يقدم له .
3 ـ ملكة : صفة راسخة في النفس تعين على المهارة في العمل . 4 ـ شدا : شدا من العلم : اخذ .
5 ـ عويصا : العويص من الكلام : ما يصعب فهمه . 6 ـ مران : مرن على الشيء : اعتاده وتدرب عليه . 7 ـ رعي : ملاحظة وحفظ . 8 ـ الاستيعاب : اخذ الشيء باجمعه واستيفاؤه . 9 ـ الغايات : جمع غاية وهي مدى الشيء ونهايته والمقصود هنا هو الوصول الى درجة عالية في العلم .

نَفْسِهِ ، فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وانْحَرَفَ عن قَبُولِهِ ، وتَمَادَى فِي هِجْرَانِهِ ، وإِنَّمَا أَتَى ذَلِكَ من سُوءِ التَّعْـلِيمِ » .

(د)

« ولا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَّ[10] عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ إِلَّا بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا كَانَ أَوْ مُنْتَهِيًا وَلَا يَخْلِطُ مَسَائِلَ الْكِتَابِ بِغَيْرِهَا حَتَّى يَعِيَهُ[11] مِن أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ويُحَصِّلَ أَغْرَاضَهُ ، ويَسْتَوْلِيَ مِنْـهُ عَلَى مَلَكَةٍ بِهَا يَنْفُذُ فِي غَيْرِهِ ، لِأَنَّ الْمُتَعَـلِّمَ إِذَا حَصَّلَ مَلَكَةً مَّا فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُـلُومِ اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ الْمَزِيدِ والنُّهُوضِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى يَسْتَوْلِيَ عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ ، وَإِذَا أُخْلِطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ عَجَزَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَدْرَكَهُ الْكَلَالُ[12]، وانْطَمَسَ فِكْـرُهُ وَيَئِسَ مِنَ التَّحْصِيلِ وهَجَرَ الْعِلْمَ والتَّعْلِيمَ .

شرح وايضـــاح :

يصور الـكاتب فى هذا النص الطريقة التربوية الصحيحة فى نظـره .

ففي الفقـرة (أ) :

تحـدث عن التـدرج فى التعـليم ، ورأى أن التعليم المفيـد هو الذي يتم على مراحل ثلاث :

- **المرحـلة الأولى :** وتبدأ بالمعرفة الاجمالية للفن المدروس فيقدم الأستاذ لتلميذه الأصول العـامة التي يدرسها مراعيا فى الشرح والتفهيم مستوى مدارك التلميذ . والهدف من هذه المرحلة اعداد التلميذ وتهيئته لتلقي المـادة التي يدرسها .
- **المرحـلة الثانية :** وفيها يتلقى المتعلم المـادة بالشرح والتفصيل بعد الاجمـال .
- **المرحـلة الثالثة :** يتدرب المتعلم على المقارنة والتحليل والتعمق فى مسـائل الفن المدروس فتكتمل ملكته العلمية ، وقد يختصر بعض المتعلمين المرور بهذه المراحل بما له من قدرات خاصة .

وفى الفقـرة (ب) :

ينتقد « ابن خـلدون » الطريقة التربوية السـائدة في عصره . ويبين مدى مخالفتها للطريقة السـليمة فقد شاهد المعلمين فى عصره يبدءون مع تلاميذهم بالمسـائل الصعبة

10 ـ **اكب على عمله :** أقبل عليه ولزمه . 11 ـ **يعيه :** يحفظه . 12 ـ **الكلال :** التعب .

التي تحتاج إلى تحليل أو مقارنة ولا يقدر عليها إلَّا من أُوتي حظا من مبادىء الفن الذي يعالج مسائله، ويحسب هؤلاء المعلمون أنهم بذلك يدربون تلاميذهم على التعليم الجيد .

ولكن « ابن خلدون » يقرر أن هذه الطريقة قَلْبٌ للحقيقة ومخالفة واضحة للطريقة التربوية السليمة ، لأن المتعلم يبدأ بالفهم الاجمالي ويتقدم شيئا فشيئا فى استيعاب المادة العلمية مستعينا بالأمثلة الحسية والتدريب المتواصل .

وفى الفقرة (حـ) :

يوضح « ابن خلدون » خطورة الطريقة السائدة فى عصره ، فالمتعلم بها يشعر بصعوبة بالغة فى الفهم والتحصيل ، فيظن أن سبب الصعوبة كامن فى العلم نفسه فيهجره ويبتعد عنه ، وبذلك تصبح هذه الطريقة سببا من أسباب التنفير من العلم وانتشار الجهالة .

وفى الفقرة (د) :

يلح « ابن خلدون » على ضرورة التزام برنامج دراسي محدد في مادته وموضوعاته بحيث يكون ملائما لمستوى التلميذ ، ويلتزم به فلا يدرس اي موضوعات او مواد أخرى أثناء دراسته للبرنامج الذي حدده سلفا ، ولا ينتقل منه إلى غيره قبل أن تصبح له ملكة قوية فيه ، تمكنه من تحصيل مختلف العلوم والفنون . واتباع البرنامج المحدد وعدم الخروج عنه يساعده على نمو مدارك التلميذ تدريجيا فيقبل على طلب العلم والمعرفة فى شغف ونشاط ، أما الخلط والاضطراب فى البرنامج فإنهما يسببان صعوبات للتلميذ تؤدي إلى تنفيره من العلم والتعليم .

دراسة الأفكار :

النص من « **مقدمة ابن خلدون** » التي تناولت بالدراسة المركزة العميقة موضوعات متعددة ومختلفة فى التاريخ والسياسة والاجتماع والاقتصاد والأدب وطرق التعليم ، وهي بحق موسوعة علمية كبيرة ، تناولها بالشرح والدراسة والتحليل والتعليق كثير من الباحثين العرب والأوربيين .

وقد مر بك أن العصر الذي عاش فيه « **ابن خلدون** » عرف بعصر الموسوعات العلمية ومن بينها هذه **المقدمة** .

والنص يعالج **قضية تربوية هامة** شغل بها علماء الفلسفة والتربية والمجتمع على مر العصور ، ونالت من **علم النفس** في العصر الحديث عناية كبيرة ؛ وهي **قضية تحديد الطريقة التربوية السليمة** ، التي يجب اتباعها فى التعليم .

وقد تناول الكاتب فى هذا النص عدة أفكار أساسية ، هي :

1 ـ **تحديد الطريقة السَّوِيَّة في نظره .**

2 ـ **عيوب الطريقة السائدة في عصره .**

3 ـ **خطورة هذه الطريقة وآثارها السيئة .**

4 ـ **وجوب اتباع برنامج دراسي محدد فى المادة والموضوعات .**

واذا تأملت هذه الأفكار وجدتها تتسم بالانسجام والوضوح والدقة ، وتعتمد على الأمثلة والبراهين .

ومن عرض الكاتب أفكاره يمكنك أن تدرك **طريقته فى الاصلاح الاجتماعي** ـ ومن بينها **اصلاح التعليم** ـ وهي طريقة **ايجابية** تقوم على مبدأ **النقد البناء** ، فعندما ينتقد الكاتب طريقة المعاصرين له فى التدريس نقدا صريحا معتمدا على أسس منطقية يقدم الطريقة المثلى ـ كما يراها ـ مفصلة محددة واضحة .

ويندرج هذا النص فى عداد **النثر العلمي** ، لأنه يبحث موضوعات علمية ، فيه جوانب من **علم النفس والتربية وطرق التدريس** ، وهذه العلوم وإنْ ظهرت بمصطلحاتها العلمية الدقيقة والمحددة فى العصر الحديث فان الباحثين العرب والمفكرين المسلمين قد سبقوا إلى دراستها ولهم فيها آراءٍ صائبة استفاد منها المتأخرون .

فمن خلال هذا النص ندرك أن « **ابن خلدون** » سبق بمنهجه التربوي كثيرا من علماء التربية فى عصرنا الحديث ، وهم ناقلون عنه أو متأثرون به ، من ذلك مثلا :

(أ) ما دعت إليه التربية الحديثة من استخدام وسائل الايضاح فى طرق التدريس ؛

(ب) الانتقال من المعلوم الى المجهول ، ومن المحسوس إلى المعقول ؛

(حـ) مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين والمستويات المختلفة ؛

(د) التزام البرنامج الدراسي وعدم الخروج عنه .

دراسة الأسلوب :

النص من **النثر العلمي** فى أول عصر المماليك ، وقد عرفت ان **أسلوب** هذا النوع من الأدب كان **قويا** فى أول العصر ؛ ومع **وضوح** الأسلوب **وسلامته** لم يخل من **التكرار بلا فائدة كبيرة في المعنى** ، من ذلك قوله :

«اعْلَمْ أنَّ تَلْقِينَ العُلوم للمتعلِّمين إنَّما يكونُ مفيدا
اذَا كَانَ عَلَى التَّدرُّج شَيْئًا فَشَيْئًا ، وَقَليلاً قَليلاً » [فقرة (أ) س 1]

ثم يقول :

« فإنَّ قبُول العِلْم والاسْتِعْدَادَاتِ لِفَهْمِه يَنْشَأُ تَدْرِيجيًّا » [فقرة (ب) س 5]

وقد عمد الكاتب الى استخدام **الأسلوب المباشر** الذي يهدف إلى **بلوغ الحقيقة** من اقرب طريق، ولا يعتمد كثيرا على **الخيال** ، لأن الكاتب لا يصور عواطفه وأحاسيسه، وانما يوضح حقائق ويفسر نظريات ومع ذلك استعان **بالصور البيانية** بالقدر الذي يعينه على تحقيق هدفه ، وتقبله طبيعة الموضوع المدروس ، من ذلك **الاستعارة** في قوله :

« يَسْتَوْلِي مِنْهُ عَلَى مَلَكَةٍ بِهَا يَنفُذُ في غَيْرِه » [فقرة (د) س 4]

فقد شبه **الملكة** وهي امر معنوي بشيء **حاد له قدرة النفاذ** ، ثم حذفه وأتى **بصفة من صفاته** على سبيل **الاستعارة بالكناية** . وهذه الاستعارة تدل على قوة الملكة وقدرتها على **التحصيل** .

واساليب النص كلها **خبرية** تناسب الموضوع الذي تناوله الكاتب بالشرح والتحليل لينتهي الى **تقرير المبادئ والنظريات التربوية الصحيحة** .

وقد سلم النص من العيوب التي شاعت فى أدب معاصريه من ركاكة التعبير والاهتمام بالمحسنات البديعية على حساب المعنى ، وان وردت بعض **المحسنات** في اسلوبه ، فهي قليلة وفي موضعها ، من ذلك **الطباق** في قوله :

« الغَايَات ...... البِدَايَات » [فقرة (هـ) س1]

« مُبْتَدِئًا .... مُنْتَهِيًا » [فقرة (د) س 2]

وهذا اللون من المحسنات البديعية يوضح الفكرة ويجلو المعنى .

مجمل القول

- **النص جزء من « مقدمة ابن خلدون » ، يعالج الطريقة التربوية الصحيحة في نظر الكاتب .**
- **افكاره مرتبة مسلسلة ، ومعانيه واضحة سهلة ، تدل على صدق ادب « ابن خلدون » ومنهجه التربوي ، وطريقته المنطقية فى مناقشة الموضوعات العلمية .**
- **وهو من النثر العلمي ، ويتميز بجودة العبارة ، وسلامة التركيب ، وخلوه من الركاكة التي شاعت فى عصره ، وقد اعتمد على « الأساليب الخبرية » المباشرة ، واستعان « باساليب البيان والبديع » بالقدر الذي يوضح الفكرة ويجلوها .**

المناقشة :

1 ـ كيف كانت طريقة التعليم فى عصر ابن خلدون ؟ وما عيوبها ؟

2 ـ ما الطريقة التي دعا اليها ابن خلدون حتى يصبح التعليم مفيدا ؟

3 ـ استفادت التربية الحديثة من آراء ابن خلدون . وضح هذه الحقيقة مستدلا بأفكار النص .

4 ـ ما الأشياء التي تنفر من العلم كما وضحها ابن خلدون ؟ وما آثارها على التلميذ ؟

5 ـ لماذا اعتمد الكاتب على الأسلوب الخبري المباشر ؟

6 ـ استخرج من النص صورة بيانية وبين أثرها فى المعنى .

7 ـ كان ابن خلدون صاحب منهج علمي فى عرض مشكلة التعليم وحلها . فما أسس ذلك المنهج كما فهمته من النص ؟ وما رأيك فيها ؟

8 ـ ابن خلدون ناقد بناء . فما الدليل على ذلك ؟

المقالة الأدبية :

— ان شخصية المعلم وطريقته تؤثر فى تكوين شخصية تلاميذه .
ـ ناقش هذه القضية .

السؤال الكتابي :

— ينسب بعض الدارسين « ابن خلدون » الى الأمة العربية لا الى قطر بعينه . ويعتبره بعض الدارسين موسوعة علمية . فما سر ذلك ؟

نموذجان من أدبه :

أ ـ فن التاريخ *

« إِنَّ فَنَّ التَّارِيخِ مُحْتَاجٌ إِلَى مَآخِذَ مُتَعَدِّدَةٍ ، ومَعَارِفَ مُتَنَوِّعَةٍ ، وحُسْنِ نَظَرٍ وتَثَبُّتٍ يُفْضِيَانِ(1) بِصَاحِبِهِمَا إِلَى الْحَقِّ ويَنْكِبَانِ(2) بِهِ عَنِ الْمَزَلَّاتِ وَالْمَغَالِطِ ، لِأَنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا اعْتُمِدَ فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ النَّقْلِ ، ولَمْ تُحَكَّمْ أُصُولُ الْعَادَةِ وقَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ العُمْرَانِ وَالْأَحْوَالِ فِي الاجْتِمَاعِ الإِنْسَانِيِّ ، ولا قِيسَ الْغَائِبُ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ ، والْحَاضِرُ بالذَّاهِبِ ، فَرُبَّمَا لَمْ يُؤْمَنْ فِيهَا مِنَ الْعُثُورِ ومَزَلَّةِ الْقَدَمِ والْحَيْدِ عَن جَادَّةِ الطَّرِيقِ .

وكَثِيرًا ما وَقَعَ لِلْمُؤَرِّخِينَ والمفسِّرِينَ وأَيِمَّةِ النَّقْلِ مِنَ الْمَغَالِطِ فِي الْحِكَايَاتِ وَالْوَقَائِعِ لِاعْتِمَادِهِم فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ النَّقْلِ غَثًّا أَوْ سَمِينًا ، ولَمْ يَعْرِضُوهَا عَلَى أُصُولِهَا ، ولاَ قَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا ، ولا سَبَرُوهَا(3) بِمِعْيَارِ الْحِكْمَةِ والْوُقُوفِ عَلى طَبَائِعِ الكَائِنَاتِ ، وتَحْكِيمِ النَّظَرِ والْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ ، فَضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ وتَاهُوا فِي بَيْدَاءَ الْوَهْمِ والْغَلَطِ » .

ب ـ تقليد المغلوب للغالب **

« المغلوبُ مُولَعٌ أبدًا بالاقْتِدَاءِ بالْغَالِبِ فِي شِعَارِهِ ، وزِيِّهِ ، ونِحْلتِهِ ، وسَائِرِ أَحْوالِهِ ، وعَوائِدِهِ » .

والسَّبَبُ فِي ذلكَ أَنَّ النَّفْسَ أَبَدًا تَعْتَقِدُ الْكَمالَ فِيمَنْ غَلَبَهَا ، وانْقَادَتْ إِلَيْهِ ، إِمَّا لِنَظَرِهِ بالْكَمَالِ بِما وَقُرَ عِنْدَهَا من تَعْظِيمِهِ ، أَوْ لِمَا تُغَالِطُ بِهِ من أَنَّ انْقِيادَهَا لَيْسَ

* مقدمة ابن خلدون .
1 **يفضيان** : يوصلان . 2 **ينكبان** : يبعدان . 3 **سبروها** : اختبروها .
** مقدمة ابن خلون .

لِغَلَبٍ طَبِيعِيّ إِنَّمَا هُوَ لِكَمال الْغَالِبِ ، فَإِذَا غَالَطَتْ بذلِكَ واتَّصَلَ لَهَا اعْتِقَـادًا ، فانْتَحَلَتْ جَمِيعَ مَذَاهِبِ الْغَالِبِ وتَشَبَّهَتْ بِهِ ، وذَلِكَ هُوَ الاقْتِدَاءُ أَوْ لِمَا تَرَاهُ ، واللهُ أَعْلَمُ من أَنَّ غَلَبَ الْغَالِبِ لَهَا لَيْسَ بِعَصَبِيَّةٍ وَلَا قُوَّةِ بَأْسٍ ، وإِنَّما هُوَ بِمَا انْتَحَلَتْهُ مِن الْعَوائِدِ والمذَاهِبِ تُغَالِطُ أَيْضا بِذَلِكَ عَنِ الْغَلَبِ ، وَهذَا رَاجِعٌ لِلأَوَّلِ . ولِذَلِكَ تَرَى المغْلُوبَ يَتَشَبَّهُ أَبَدًا بِالْغَالِبِ فِي مَلْبَسِهِ ومَرْكَبِهِ وسِلَاحِهِ فِي اتِّخَاذِهَا وَأَشْكَالِهَا بَلْ وفِي سَـائِرِ أَحْـوَالِهِ .

وانْظُر ذَلِكَ فِي الأَبْنَاءِ مَعَ آبائِهِمْ كَيْفَ تَجِدُهُمْ مُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ دَائِمًا ، ومَا ذَلِكَ إِلاَّ لِاعْتِقَادِهِم الـكَمَالَ فِيهِمْ ، وانْظُرْ إِلَى كُلِّ قُطْرٍ مِن الأَقْطَارِ كَيْفَ يَغْلِبُ عَلَى أَهْلِهِ زِيُّ الْحَامِيَةِ وجُنْدِ السُّلْطَانِ فِي الأَكْثَرِ لِأَنَّهُمْ الْغَالِبُونَ لَهُمْ . حَتَّى أَنَّهُ إِذَا كَانَت أُمَّةٌ تُجَاوِرُ أُخْرَى ، وَلَهَا الْغَلَبُ عَلَيْهَا فَيَسْرِي إِلَيْهِمْ مِنْ هَذَا التَّشَبُّهِ والاقْتِدَاءِ حَظٌّ كَبِيرٌ ... وتَأَمَّلْ فِي هَذَا سِرَّ قَوْلِهِمْ : « الْعَـامَّةُ عَلَى دِينِ الْمَـلِكِ » فَإِنَّهُ مِن بَابِهِ ، إِذِ الْمَلِكُ غَالِبٌ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ والرَّعِيَّةُ مُقْتَدُونَ بِهِ لِاعْتِقَادِ الـكَمَالِ فِيهِ اعْتِقَادَ الأَبْنَاءِ بِآبَائِهِم والْمُتَعَلِّمِينَ بِمُعَلِّمِيهِمْ . وَاللهُ الْعَـلِيمُ الْحَكِيمُ ، وبِهِ سُبْحَانَهُ وَتعالَى التَّوْفِيقُ .

الفصـــل الثـــالث

نمـــــاذج من ادب عصر الضعف

اولا : الشعـــر ـــ ثانيا : النـــثر

أولاً ـ الشعر :

ا ـ الزّهد والحكم

لابن الوَرْدِي *

اعْتَزِلْ ذِكْرَى الْأَغَانِي والْغَزَلْ — وقُلِ الْفَصْلَ وجَانِبْ مَنْ هَزَلْ
ودَعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصِّبَا — فَلِأَيَّامِ الصِّبَا نَجْمٌ أَفَلْ
واتْرُكِ الْغَادَةَ لاَ تَحْفِلْ بِهَا — تُمْسِ في عِزٍّ رَفِيعٍ وتُجَلْ
وافْتَكِرْ في مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي — أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدْ أَمْرًا جَلَلْ
واهْجُرِ الْخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتًى — كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلْ
واتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهِ مَا — جَاوَرَتْ قَلْبَ امْرِئٍ إِلاَّ وَصَلْ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرْقًا بَطَلاً — إِنَّمَا مَن يَتَّقِي اللَّهَ الْبَطَلْ
كُتِبَ الْمَوْتُ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ — فَلَّ مِن جَيْشٍ وَأَفْنَى مِن دُوَلْ
أَيْنَ « نُمْرُودٌ(1) » « وكَنْعانٌ(2) » وَمَن — مَلَكَ الْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلْ
أَيْنَ مَنْ سَادُوا وشَادُوا وبَنَوْا — هَلَكَ الكُلُّ ولَمْ تُغْنِ الْقُلَلْ (3)
أَيْنَ أَرْبَابُ الْحِجَى أَهْلُ النُّهَى — أَيْنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأُوَلْ
سَيُعِيدُ اللَّهُ كُلاًّ مِنْهُمُ — وَسَيَجْزِي فَاعِلاً مَا قَدْ فَعَلْ

---

* ولد الشاعر زين الدين عمر بن الوردي في « معرَّة النُّعمان » وهي قرية تقع بين حلب وحماة في سوريا ، وتبعد عن العاصمة دمشق بحوالي 200 كلم ، وبها قبر « أبي العلاء المعري » وقد عاش ابن الوردي حياة علمية وادبية غنية بالانتاج فكتب في التاريخ والنحو ، ونظم ديوانا في الشعر ، وله مقامات ومن أشهر قصائده « لاَمِيَّته » وهي قصيدة طويلة بلغت سبعة وسبعين بيتا ، ومنها اخترنا لك هذه الأبيات ، وقد توفي ابن الوردي عام 749 هـ .

1 **النمرود** : اسم ملك حكم في العصور القديمة ، وهو الذي بني برج بابل ، وبابل مملكة قديمة في بلاد العراق . ـ 2 **كنعان** : ملك من الملوك القدماء . ـ 3 **القلل** : جمع قلة ، وهي أعلى الجبل .

ب ــ الحث على الجهــاد

لصَفيِّ الدِّين الحِلّي *

لاَ يَمْتَطِي[1] الْمَجْدَ مَن لَمْ يَرْكَبِ الْخَطَرَا … وَلاَ يَنَـالُ الْعُلاَ مَن قَـدَّمَ الْحَـذَرَا

وَمَنْ أَرَادَ الْعُـلاَ عَفْـوًا بِلاَ تَعَـبٍ … قَضَى ، وَلَـمْ يَقْضِ مِنْ إِدْرَاكِهَا وَطَرَا

لاَ بُـدَّ لِلشَّهْـدِ مِن نَحْـلٍ يُمَنِّعُـهُ … لاَ يَجْتَنِي النَّفْـعَ مَنْ لَمْ يَحْمِلِ الضَّرَرَا

مَنْ فَاتَـهُ الْعِـزُّ بِالْأَقْـلاَمِ أَدْرَكَهُ … بِالْبِيضِ[2] يَقْدَحُ مِن أَطْرَافِهَا الشَّرَرَا

لاَ يَحْسُـنُ الْحِـلْمُ إِلاَّ فِي مَوَاطِـنِه … وَلاَ يَلِيـقُ الْـوَفَـا إِلاَّ لِمَنْ شَـكَرَا

وَلاَ يَنَـالُ الْعُـلاَ إِلاَّ فَـتًى شَرُفَـتْ … خِـلاَلُهُ ، فَأَطَـاعَ الـدَّهْرُ مَا أَمَـرَا

يَا أَيُّهَـا الْمَـلِكُ الْبَـانِي لِـدَوْلَتِـهِ … ذِكْرًا طَوَى ذِكْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ وَانْتَشَرَا

كَانَتْ عِدَاكَ لَهَا دَسْتٌ[3] فَقَدْ صَدَعَتْ … حَصَـاةُ جِدِّكَ ذَاكَ الدَّسْتَ فَانْكَسَرَا

فاوْقعْ[4] إِذا غَدَرُوا سَوْطَ الْعَذَابِ بِهِمْ … يَظَلُّ يَخْشَاكَ صَرْفُ الدَّهْرِ إِنْ غَـدَرَا

وَارْعِبْ قُلُوبَ الْعِـدَا تُنْصَرْ بِخَذْلِهِم … إِنَّ النَّبِيَّ بِفَضْـلِ الـرُّعْبِ قَـدْ نُصِرَا

---

* ولد الشاعر « عبد العزيز بن سَرَايَا » بمدينة « الحِلَّة » وهي مدينة في العراق تقع على نهر الفرات وتبعد عن العاصمة « بغداد » 80 كلم تقريبا ، وفي الحلة نشأ الشاعر واتصل بأمراء « الدولة الأُرْتُقِيَّة » ومدحهم بقصائد عدة ، ثم رحل إلى مصر واتصل بالسلطان الناصر قلاوون ، وعاصر الحلي معارك المسلمين مع فلول التتار وسجل هذه الحروب في شعره ، وهذه الأبيات من أشعاره في الحث على الجهاد ، وكانت وفاته عام 750 هـ .

1 **يمتطي** : يركب . ــ 2 **البيض** : السيف . ــ 3 **الدست** : جمع دسوت كلمة فارسية معناها : الحيلة والخديعة . **الحصاة** : الحجرة الصغيرة ، والمقصود هنا حسن التدبير . ــ 4 **فاوقع** : فعل أمر ماضيه أوقع ومضارعه يوقع ، وقد سهل هنا للضرورة الشعرية ، وكذلك الفعل **وارعب** في البيت الأخير من هذا النص .

جـ ـ فى الـرثاء *

للحَـوْضِي**

مَـا لِلْمَنَـازِلِ أَظْلَمَـتْ أَرْجَـاؤُهَـا ... وَالْأَرْضُ رُجَّـتْ حِـينَ خَابَ رَجَاؤُهَا
وَأَتَى عَلَيْهَـا النَّقْـصُ مِن أَطْرَافِـهَا ... وتَرَاكَمَـتْ وتَعَـاظَمَتْ أَرْزَاؤُهَـا(1)
فَقْـدُ السَّـنُوسِيِّ الْإِمَـامِ مُحَمَّـدٍ ... وهُـوَ ابْنُ يُوسُفَ هَـدَّ مِنْهَا عَلَاؤُهَا
قَـدْ كَانَ بَحْـرًا لِلْمَعَـارِفِ زَاخِـرًا ... فَانْزَاحَ عَنْهَـا حِـينَ بُثَّ غِطَاؤُهَا(2)
وَدَعَـا إِلَى التَّـوْحِيدِ دَعْـوَةَ مُخْلِصٍ ... وإِلَى الشَّرِيعَـةِ فاسْتَنَـارَ ضِيَـاؤُهَا
هَذَا الَّـذِي وَرِثَ النَّـبِيَّ فَأَصْبَحَتْ ... عِـلَلُ الضَّـلَالِ بِهِ اسْتُفِـيدَ دَوَاؤُهَا
هَـذَا الَّـذِي تَبِـعَ النَّـبِيَّ وَصَحْبَهُ ... فَانْجَابَ عَنْ سُبُلِ الْهُـدَى ظَلْمَاؤُهَا
يَـا دُرَّةَ الزُّهَّـادِ يَـا غَـوْثًا بِـهِ ... يُرْجَى لِأَمْـرَاضِ الْقُـلُوبِ شِفَـاؤُهَا
كَمْ جَـاءَتِ الدُّنْيَـا تَسُـوقُ رِيَاسَـةً ... يَبْـغِي إِلَيْـكَ تَقَـرُّبًا أَبْنَاؤُهَـا
فَأَبَيْتَ عَنْهَـا مُعْـرِضًا مُسْـتَحْقِرًا ... لَمْ يجْـدِ عَنْـكَ جَمَـالُهَا وَبهَـاؤُهَا
وجَعَلْتَهَا نَحْـوَ الْجِنَـانِ مَطِيَّـةً(3) ... وَسَـبِيلَ تَرْحَـالٍ وَذَاكَ جَـزَاؤُهَا
مَنْ لِلْعُـلُومِ عَلَى اخْتِـلَافِ فُنُـونِهَـا ... يُبْـدِي لَهَـا نُكَتًـا يَرُوقُ سَنَاؤُهَـا
مَنْ لِلْقُلُوبِ إِذَا صَدَتْ(4) وَإِذَا قَسَتْ ... تَـأْتِي مَواعِظُـهُ فَيَـذْهَبُ دَاؤُهَـا
مَـا ذَاكَ إِلَّا مِـنْ مَـزَايَاكَ الَّـتِي ... أَعْطَـاكَهَـا رَبٌّ لَـهُ إِعْطَـاؤُهَا
مَا شِئْتَ مِنْ تَقْوَى ومِـنْ وَرَعٍ وَمِـنْ ... كَـرَمٍ وَمِنْ شِـيَمٍ تَلَا إِحْصَـاؤُهَا
وَاسَيْتَ(5) أَهْلَ الْعِلْمِ حَتَّى أَصْبَحُوا ... وعَلَيْـكَ مِـن نَفَقَـاتِهِمْ إِجْـرَاؤُها

* تاريخ الادب الجزائري : محمد الطمـار .

** عاش الشاعر الجزائري « **محمد بن عبد الرحمن الحوضي** » فى مدينة تلمسان بالجزائر حيث نهل من العلوم الدينية والعربية التي سادت فى عصره ونظم الشعر فى اغراض متعددة ، وغلبت النزعة الدينية فى الشعر وله نظم فى العقائد ومما قاله فى رثاء محمد بن يوسف السَّنُوسي إمام علم التوحيد والكلام ، المتوفي سنة 1491 م هذه الابيات ، وقد توفي الشاعر عام 910 هـ .

1- **أُرزاؤها** : جمع رزء ، وهو المصيبة . ـ 2 **بث غطاؤها** : بث الشيء : فرقه . ـ 3 **المطية** : الدابة التي تركب ويستوي فيها المذكر والمؤنث . ـ 4 **صدت القلوب** : صدىء الحديد : علاه الصدأ . والمقصود هنا عدم نقاء القلوب . ـ 5 **واسيت** : واسى مواساة الرجل : لغة فى آساه مؤاساة أي عاونه .

د ــ فى الفكاهـــة *

لأبي الحســن الخزاعي التلمساني **

مَوْلاَيَ لاَ ذَنْبَ لِلشَّقْرَاءِ إِنْ عَثَرَتْ ... وَمَنْ يَلُمْهَــا لعمْــرِي فَهوَ ظَالِمُهَــا

وهَالَهَا مَا اعْتَرَاهَا (1) مِن مَهَابَتِكُمْ ... مِنْ أَجْــلِ ذَلِكَ لَمْ تَثْــبُتْ قَوَائِمُهَا

ولَمْ تَزَلْ عَادَةُ الْفُرْسَانِ مُذْ رَكِبُوا ... تَكْبُو(2) الْجِيَادُ ولَــمْ تَثْبُتْ عَزَائِمُهَا

وَفِي النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَتُنَا(3) ... أَعْلَى النَّبِيِّــينَ مِقْــدَارًا وخَاتَمُهَــا

كَبَا بِهِ فَــرَسٌ أَبْــقَى بِسَقْطَتِــهِ ... فِي جَنْــبِهِ خَدْشَــةً تَبْدُو مَعَــالِمُهَا

---

* تاريخ الادب الجزائري : محمد الطمــار .

** ولد الشاعر « **محمد ابو الحسن الخزاعي** » بالجزائر عام 710 هـ من اسرة معروفة بالعلم ، وقد تولى الشاعر الكتابة الديوانية لملوك بني زيان بالجزائر ، واتصل بملوك بني مرين فى فاس واصبح رئيسا للكتابة الديوانية عندهم ومدحهم فى شعره وكانت وفاته عام 789 هـ وهذه الأبيات نظمها الشاعر مسجلا بها حادثة وقعت لموسى بن أبي عنان المريني عندما كبا به فرسه عقب صلاة الجمعة بجامع القروين فى مدينه فـاس .

1 **هالها** : افزعها ، **اعتراها** : غشيها واصابها . ــ 2 **تكبو** : تسقط على وجهها . ــ 3 **اسوة** : بضم الهمزة وكسرها قدوة .

ا ـ فى المــديح
مُحْيِي الدِّين بن عبْد الظَّاهر *

« حَرَسَ اللهُ نِعْمَةَ مَوْلَايَ ، وَلَا تَزَالُ كَلِمُ السَّعْدِ مِن اسْمِهِ وفِعْلِهِ ، وحَرْفُ قَلَمِهِ يأْتَلِفُ ، ومُنَادِي جُودِهِ لا يُرَخِّمُ ، وأَحْمَدُ عَيْشِهِ لاَ يَنْصَرِفُ ، وَلاَ عَدِمَ مُسْتَوْصِلَ الرِّزْقِ مِنْ يَرَاعَتِهِ الَّتِي لَا تَقِفُ الْوَصْلَ ، وَلاَ عَدِمَتْ نُحَاةُ الْجُود من نَوَالِهِ كُلَّ مَوْزُونٍ ومَعْدُودٍ ، ومِنْ فَضْلِهِ وَظِلِّهِ كُلَّ مَقْصُورٍ ومَمْدُودٍ ، وما خاطبتِ الْأَيَّامُ مُلْتَمِسَهُ إِلاَّ بِلَامِ التَّوْكِيدِ ، وَلَا عَدُوَّهُ إِلاَّ بِلاَمِ الْجُحُودِ » .

ب ـ وصف علم البــلاغة
لـ شهاب الدين الحلي **

« الْبَلَاغَةُ تَسْحَرُ الْأَلْبَابَ حَتَّى تُخَيِّلَ الْعَرَضَ جَوْهَرًا ، وتُحِيلَ الْهَوَاءَ الْمُدْرَكَ بالسَّمْعِ لِانْسِجَامِهِ وعُذُوبَتِهِ فِي الذَّوْقِ نَهَرًا ، لَكِنَّهُ سِحْرٌ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ(1) فَيَتَأَوَّل فِي حِلِّهِ ، وإِذَا كَانَ فِي الْحَدِيثِ مَا هُوَ عُقْلَةٌ لِلْمُسْتَوْفِزِ(2) فَهذَا أُنْشُوطَةُ نَشَاطِ الْبَلِيغِ وحَلُّ عِقَالِ(3) عَقْلِهِ » .

---

* هو الشاعر الكاتب « **عبد الله محي الدين بن عبد الظاهر** » مصري المولد والوفاة عاش فى عصر المماليك وتولى رئاسة ديوان الانشاء أيام « بيبرس » و «قلاوون الأشرف » وله مؤلفات فى التاريخ من أهمها « الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة » وكتب عدة رسائل وكانت وفاته عام 692 هـ ، وهذه الفقرة من رسالة كتبها فى مدح أحد ملوك عصره .

** ولد الكاتب « **محمود بن سليمان** » المعروف « **بشهاب الدين الحلي** » فى مدينة دمشق عام 644 هـ تعلم فيها ، ثم رحل الى مصر ، وتولى رئاسة ديوان الانشاء فى حكم « الناصر بن قلاوون » أحد حكام المماليك ، وتوفي عام 719 هـ .

1 **المتحرز** : المتقي . ـ 2 **المستوفز** : المستعد . ـ 3 **عقال** : قيد .

جـ ـ وصف موقعة

للقلقشندي *

« وتَحَرَّكْنَا مِن الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ فِي جُيُوشٍ لا يَأْخُذُهَا حَصْرٌ ، ولاَ يَلْحَقُهَا هَصْرٌ ، ولا يُظَنُّ بِهَا عَلَى كَثْرَةِ الأَعْدَادِ كَسْرٌ.

ولَمْ نَزَلْ نَحُثُّ السَّيْرَ ، ونُسْرِعُ الْحَرَكَةَ لِلِقَاءِ الْعَدُوِّ إِسْرَاعَ الطَّيْرِ ، حَتَّى وَافَيْنَا دِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةَ فَنَزَلْنَا بِظَاهِرِهَا مُسْتَمْطِرِينَ النَّصْرَ فِي أَوَائِلِ حَرَكَتِنَا وَآخِرِهَا ، وانْضَمَّ إِلَيْنَا مِن عَسَاكِرِ الشَّامِ وعُرْبَانِها وتُرْكُمَانِها الزَّائِدَةِ عَلَى الْعَدُوِّ مَا لاَ يَنْقَطِعُ لَهُ مَدَدٌ وَلا يَدْخُلُ تَحْتَ عَدَدٍ » .

* ولد « **ابو العباس شهاب الدين احمد** » بقرية « قَلْقَشَنْدَة » وهي احد قرى محافظة القَلْيُوبِيَّة المجاورة للقاهرة وقد نشأ الكاتب فى مصر وتولى ديوان الانشاء فى عهد المماليك ، ومن اشهر مؤلفاته « **صُبْحِ الأعْشى فى صناعة الانشا** » و « **نهاية الارب فى معرفة قبائل العرب** » ، وقد توفي عام 821 هـ .

وهذه الفقرة من رسالة كتبها على لسان الملك الناصر « فرج بن بَرْقُوق » إلى صاحب فاس يصف له فيها احدى المعارك .

الفصـل الرابـع

خصائص الأدب في عصر الضعف

يتميز الأدب العربي فى عصر الضعف بعدة خصائص نجملها فيما يلي :

اولا : كانت الفنون الأدبية قليلة في هذا العصر اذا قورنت بالعصور السابقة عليه ، او العصر الحديث ، فقد **انحصر النـثر فى الكتابة الديوانية ، والرسائل الاخوانية ، والنثر العلمي** ، وقُرْبَ نهاية العصر انقرضت الكتابة الديوانية كما مـر بك ، بينما كان **النثر العربي خصبا فى عصور القوة** الماضية حيث ازدهرت فيه **الخطابة** بأنواعها ، **والرسائل الديوانية والاخوانية ،** وظهرت **المقامات** التي تعتبر نوعا معينا من القصص فى الأدب العربي ، وفى العصر الحديث كثرت الفنون النثرية ، كما سيتضح لك ذلك فيما بعد .

وفى ميدان **الشعر** ، اقتصر شعراء عصر الضعف على **الشعر الغنائي** (*) وتناولوا نظم العـلوم كما فعل « **ابن مالك** » في الفيته المشهورة ، حيث يقول في تعريف الـكلام واقسامه عنـد النحاة :

كَلاَمُنَـا لَفْظٌ مُفِيـدٌ كَاسْتَقِمْ   واسْمٌ وَفِعْـلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الكَلِمْ

ثانيا : ضاقت دائرة الموضوعات التي تناولتها الفنون الأدبية في عصر الضعف فغلب على الشعر تياران سبق الحديث عنهما (وهما : **التيار الديني** ، وتيار **اللهـو والمجون**) ، وكان **الشعر العربي** في عصر **القوة** المـاضية **حافلا بالأغراض الكثيرة** كما عرفت ذلك في دراستك السابقة ، وقد لجأ شعراء عصر الضعف إلى **التاريخ بالشعر** ، فكان الشاعر يستعمل كلمات لـكلِ حرف من حروفها رقم حسابي ، ومجموع الحروف في الـكلمة او الجملة يدُلّ على تاريخ معين :

من ذلك ، مثـلا ، ما قالـه الشّبْراوي فى رثاء « **احمد الدِّلنْجَاوِي** » المتوفي عـام 1123 هـ .

سَأَلْتُ الشِّعْرَ هَلْ لَكَ مِنْ صَدِيقٍ   وَقَـدْ سَـكَنَ الدِّلنْجَـاوِيُّ لَحْـدَهْ
فَصَـاحَ وَخَـرَّ مَغْشِـيًّا عَلَيْـهِ   وَأَصْبَـحَ سَـاكِنًا فِي القَـبْرِ عِنْـدَهْ
فَقُلْتُ لِمَـنْ أَرَادَ الشِّـعْرِ قَصِّرْ   فَقَدْ أَرَّخْتُ « مَاتَ الشِّعْرُ بَعْـدَه »(1)

(*) هو احد أنواع الفنون الشعرية كما ستعرف ذلك فى دراستك لتطور الشعر العربي وخصائصه فى العصـر الحـديث .

(1) لكل حرف من أحرف الهجـاء رقم خاص كما هو موضح فيما يلي :

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	مـ	ن
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	20	30	40	50
س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
60	70	80	90	100	200	300	400	500	600	700	800	900	1000

ويجمع أرقام أحرف المثال المذكور تتضح الطريقة كما يلي :

م ا ت ا ل ش ع ر ب ع د هـ

هـ 1123 = 5 + 4 + 70 + 2 + 200 + 70 + 300 + 30 + 1 + 400 + 1 + 40

وهو تاريخ وفاة الشاعر « أحمد الدلنجاوي » .

اما الموضوعات النثرية فقد طغى عليها **النثر العلمي** ، وكانت جهود علماء عصر الضعف في هذا الفن تعتمد على جمع وتدوين ما خلفه السابقون ، **ولم ينل النثر الفني حظا من التقدم على أيديهم** ، لأن هذا اللون من النثر يحتاج إلى **مواهب مبتكرة** ، وذلك لم يتوفر كثيرا في هذا العصر .

ثالثا : كانت **المعــاني قليلة** ، سواء في **الشعر** أو **النثر** ، وكان الأديب يأتي بحشد كبير من الألفاظ ليعبر عن معنى قليل ، ويكرر المعاني ويدور حولها ، **ولعلك** لاحظت شيئا من ذلك في دراستك لقصيدة البوصيري .

وإلى جانب قــلة المعاني ، فإنها كانت غامضة ، ويمكنك أن تراجع وصف عــلم البلاغة « **لشهاب الدين الحلي** » لترى شاهدا على ذلك .

رابعا : لم يحســن بعض ادباء هذا العصر استخدام **الصور البيانية** استخداما يفيد في **توضيح المعنى** أو **جلاء العاطفة** ، كما تلاحظ ذلك في قول « **الشهاب الخفاجي** » (1069 هـ) :

إنَّ وَجْدِي بِمِصْرَ وَجْــدٌ سَقِيمٌ   وَحَنِيــــنِي كَمَـــا تَــرَوْنَ حَنِيـــنِي

• ويقــول آخــر :

كَأَنَّهُــمْ وَالمَــاءُ مِــنْ حَوْلِهِــمْ   قَـــوْمٌ جُــلُوسٌ حَوْلَهُــــمْ مَــاءُ

ولعلك لاحظت أن التشبـــيه هنا لا يزيد في المعنى شيــئا .

خامسا : ويبدو أن أدباء هذا العصر شعروا بعجزهم عن التجديد في المعنى أو التجويد فيه فاتخذوا من **التنميق اللفظي** بديلا يفتخرون به ويتفننون فيه **فكثرت المحسنات البديعية** في غير موضعها ، كما رأيت في مدح « **ابن عبد الظاهر** » لأحد ملوك عصره .

واشتد اعجاب هذا العصر **بالتورية** ، يَتَبَاهَون بأنَّها من خصائص عصرهم . يقول « **نصر الدين الحمامي** » (712 هـ) :

جُــودُوا لِنَسْــجَعَ بِالمَــدِيحِ   عَــلَى عُـــــلاَكُــمْ سَرْمَــــدَا
فَالطَّــيْرُ أَحْسَـــنُ مَـــا يُغَــرِّدُ   عِنْــدَمَـــا يَــقَـــعُ الــنَّـــــدَا

وتبارى « **ابن نباتة** » مع « **الصَّفدي** » في تضمين اعجاز معلقة « **امرئ القيس** » فكتب« الصفدي » إلى « ابن نباتة » :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْكَ عَتْبٌ يَسُوءُنِي   كَجَلْمُــودِ صَخْرٍ حطّه السَّيلُ مِنْ عَلِ

فأجابه « ابن نباتة » :

فَطَمْتُ وَلَائِي ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَاتِبًا ... أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ

والزم بعض الشعراء نفسه فى نظم الشعر بما لا يلزم . فكتب « **صفي الدين الحلي** » مجموعة من القصائد مدح فيها (**آل الأرتُق**) ملوك ديار « **بكّر بن وَائِل** » .

وقد بدأ القصيدة بحرف من حروف الهجاء ، والتزم به في أول كل بيت وآخره من أبيات القصيدة من ذلك قوله :

فَفِي وَدِّعِينَا قَبْلَ وشْكِ التَّفَرُّقِ ... فَمَا أنا مَنْ يَحْيَا إِلَى حِينِ نَلْتَقِي
قَضَيْتُ وما أَوْدَى الحِمَامُ بِمُهْجَتِي ... وَشِبْتُ ومَا حَلَّ البَيَاضُ بمفْرقِي

واستخدم بعض الشعراء كلمات عامية واساليب ركيكة من ذلك قول « **ابن نباتة** » :

وَكَمْ ذِي كِتَابٍ فِي الوَرَى وَكَتِيبَةٍ ... غَدَا دَاخِلاً مِنْ مَوْتِهِ تَحْتَ مَكْتُوبِ(*)

ومنذ بداية عصر الضعف اخذ الأدب العربي يتسم بالركاكة والاسفاف ، واستمر على ذلك حتى بداية العصر الحديث .

(*) يقول الشاعر :

ان كثيرا من ارباب الاقلام والسيوف وافاهم الاجل ، فأصبحوا فى عداد الموتى ، ونفذ فيهم قدرهم المحتوم . ولعلك تلاحظ ما فى الشطر الثاني من ركاكة وضعف . (الفصل فى تاريخ الأدب العربي حـ 1 احمد امين) .

البـاب الثـاني

العـــــصر الحـــــديث

(1213 هـ — 1798 م)

الفصل الأول

لمحة ادبية عن العصر الحديث

- حالة البلاد العربية فى مطلع العصر الحديث .
- مصادر النهضة العربية الحديثة .
- عوامل النهضة الأدبية فى العصر الحديث .

حالة البلاد العربية في مطلع العصر الحديث

إذا القينا نظرة سريعة على البلاد العربية من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي في مطلع العصر الحديث وجدنا ما يلي :

1 ـ **المغرب العربي** يخرج من نفوذ الترك ليدخل تحت سيطرة الاستعمار الأوربي الحديث ، وتقف فيه **الثقافة العربية** حائرة ، تنتظر **فجر الحرية** الذي لم تلح بشائره الا في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ولم يكتمل ظهور فجرها الا **باستقلال الجزائر** عام 1962 م .

2 ـ وفى **مصر** بقي شعاع خافت من ضياء الثقافة العربية يستمد خفقاته من استمرار الحضارة العربية بوادي النيل فترة طويلة من الزمان خلال العصور **الاسلامية** السابقة ، وقبل أن ينطفئ هذا الشعاع ـ قرب نهاية حكم الأتراك ـ بدأت مصر مرحلة جديدة بتولي « **محمد على** » حكمها في عام 1805 م .

3 ـ وفي **بلاد الشام** : (**سوريا ـ لبنان ـ فلسطين ـ الأردن**) ساد ظلم الحكام المستبدين ، وكثرت الخلافات الدينية ، وتناحرت الطوائف المذهبية ، فانتشرت المذابح ، وكان من أعنفها مذبحة عام 1860 م ، وهرب كثير من السكان إلى مختلف بقاع الأرض .

4 ـ وفى **العراق** اشتد الصراع بين الأتراك والمماليك والزعماء المحليين ، ونازعته بلاد فارس والدولة العثمانية ، ودارت الحروب بين سكان الحضر والبوادي .

5 ـ وفي شبه **الجزيرة العربية** انعزل الناس عن العالم وما يدور فيه حتى وقت قريب .

وانتهى الأمر بسيطرة اوربا على البلاد العربية(*) ، واختلفت صور الاستعمار من استعمار مباشر الى حماية ، او وصاية ، او انتداب ، او ارتباطات اقتصادية او ثقافية ، او غير ذلك من الأساليب الاستعمارية المختلفة(**) .

(*) انظر الخريطة ص 432 من هذا الكتاب .

(**) انظر كتاب التاريخ المعاصر للشعب النهائية . (مطبوعات المعهد التربوي بالجزائر) .

مصـــادر النهضة العـــربية الحديثة

إنّ الأمة العربية الاسلامية تحمل فى ذاتها عوامل نهضتها مهما طال بها التخلف ، ولقد مضت عليها عصور طويلة ذاقت فيها مرارة الاستبداد من بعض سلاطينها ، وقاومت اغارات المعتدين من الصليبيين والتتار ، وما كان لها أن تنهض من كبوتها لولا أنها أمة أصيلة لها من مبادئ دينها الاسلامي ما يردّها إلى الطريق السوي ، ويخرجها من دركات الظلم والتخلف . وما كان لهؤلاء المغيرين وأولئك المستبدين أن يطفئوا نور الله بأيديهم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وقد سجّل التاريخ حركات انتفاضية تشهد بالدور العظيم الذي قام به رجال الفكر الديني خلال عصور الضعف ، فالامام عز الدين بن عبد السلام يعلن غضبته الدينية ممثلا لجماهير المسلمين فى وجه الحكام المماليك ويأمر ببيعهم فى الأسواق (1) . ويلتف الشعب المصري حول علماء الأزهر قادته الحقيقيين ويجعلون من الجامع الأزهر منطلقا لثورتهم ضد المماليك والغزاة الفرنسيين ، وفى شبه الجزيرة العربية تنتشر الحركة الوهابية (2) وتؤدي دورها فى يقظة الأمة الاسلامية ونهضتها .

وعندما شعر كثير من المصلحين العرب والمسلمين بوطأة الاستعمار الأجنبي يمزق أوصال بلادهم ويبعث فى نفوسهم الضعف والتخلف ويعمل على افساد دينهم ولغتهم ، انبرى لصد هذه الهجمات قادة مصلحون من امثال « **جمال الدين الافغاني** » 1897 مـ و « **عبد الرحمن الكواكبي** » 1902 مـ ، والشيخ « **محمد عبده** » 1905 مـ ، والشيخ « **السنوسي الكبير** » 1859 مـ ، والشيخ « **عبد الحميد بن باديس** » 1940 مـ ، وغيرهم من دعاة الاصلاح والحرية .

وتأثر الأدب شعره ونثره بهذه اليقظة واثر فيها ، فندّد الشعراء والكتاب بالاستعمار وحثوا شعوبهم على الثورة ، وذكّروهم بماضيهم الاسلامي العربي القديم ، وراحوا يستلهمون تاريخه فى أعمالهم الأدبية ، ويبعثون تراثه الأدبي والفني فى قالب جديد ، وارتبطت حركة النهضة الأدبية الحديثة بيقظة الشعور الديني والوطني ، وسرت هذه الصيحة بين شعراء العرب ، يرددها « **الرصافي** » فى بغداد ، ويلهج بذكرها « **شوقي** » و « **حافظ** » فى مصر ، ويتغنى بها « **ابو القاسم الشابي** » فى تونس ، ويدعو اليها « **محمد العيد آل خليفة** » فى الجزائر ويثور بها « **الفيتوري** » فى السودان ، وغيرهم من الأدباء فى مختلف البلاد العربية . وظهرت المقالات السياسية كفن أدبي جديد فى النثر العربي ، وأخذت الخطابة طابعا خاصا يلائم الحركة الجديدة بسبب مشاركتها فى يقظة الشعور الديني والوطني على الصورة التي ستراها عند الحديث عن تطور النثر وخصائصه فى العصر الحديث .

وقد ساعد على انطلاق نهضتنا العربية الكامنة فى نفوسنا عامل خارجي جاءنا من

---

(1) انظر امراء للبيع ، فى نماذج من أدب الرافعي ص 167 من هذا الكتاب .

(2) انظر ص 129 تاريخ العالم الحديث ، السنة الخامسة ثانوي ـ منشورات المعهد التربوي الوطني بالجزائر

الاحتكاك بالحضارة الأوربية ، والحضارة على مر التاريخ ـ ميراث الانسانية جمعاء ، تنتقل من جيل إلى جيل ومن مكان إلى مكان ، نتيجة الاتصال والاحتكاك والتأثير المستمر بين الأمم والشعوب . وقد استفاد اليونان من حضارة الرومان واستفاد العرب من حضارات الأمم السابقة كالفرس واليونان والهند ، وقد شهد القرن الخامس عشر الميلادي طلائع النهضة الأوربية الحديثة ، التي حوت حضارة العرب وعكفت على دراستها منذ أوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، واستمرت فى نمو وازدهار دائمين ، وفى الوقت نفسه توقف نمو الحضارة العربية ، وتجمدت فى مواطنها ، وانعزلت عن عجلة التطور الحضاري فى البلاد الأوربية . واستمر الحال على تلك الصورة حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي .

وفى أوائل القرن التاسع عشر أتيح للعرب ان يتصلوا بالحضارة الاوربية اتصالا وثيقا فقد فتحت لبنان أبوابها على أوربا وتبادلت معها البعثات ، وكان من نتائج ذلك الاتصال اهتمام بعض اللبنانيين بجمع المخطوطات العربية وترجمة الآثار الأوربية إلى اللغة العربية ، وكانت مصر من أسبق البلاد العربية التي اتصلت بالحضارة الأوربية ، فقد جاءها « **نابليون بونابرت** » على رأس حملة عسكرية علمية عام 1798 مـ ، وبقيت حملته فى مصر ثلاث سنوات ، استفاد منها المصريون فى بعض النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية ، ولما تولى « **محمد على** » حكم مصر ، أراد أن يجعل منها دولة عصرية مثل أوربا ، فبذل جهودا كبيرة فى هذا الميدان .

وقد حمل لواء النهضة الحقيقية جيل من المصريين الذين تعلموا فى أوربا ، وجعلوا ثقافتهم الأوربية منطلقا لتقدم النهضة فى بلادهم بعد عودتهم إليها .

ومن هذين المصدرين :

1 ـ يقظة الشعور الديني والوطني وبعث التراث القديم .

2 ـ الاحتكاك بالحضارة الأوربية .

شق الأدب العربي الحديث طريقه نحو النهضة والتقدم .

عوامل النهضة الأدبية في العصر الحديث

1 ـ الطباعة ؛

2 ـ الصحافة ؛

3 ـ الترجمة والبعثات العلمية ؛

4 ـ انتشار التعليم ؛

5 ـ المستشرقون .

1 ـ الطباعة :

الطباعة ، فن قديم عرفه الانسان مذ آلاف السنين ، ولكن الطباعة القائمة على جمع الكلمات من الأحرف الرصاصية المتفرقة لم تظهر إلا في عام 1440 مـ على يد أحد العلماء الألمان « **جُوتَنْبرج** » ثم شاع استعمالها في سائر بلاد أوربا ، وعرفتها « **تركيا** » في منتصف القرن السادس عشر الميلادي .

ولأول مرة في التاريخ ظهرت الحروف العربية مطبوعة عام 1514 م بايطاليا ، وفي عـام 1752 م انشئت في مدينة « حلب » بسوريا اول مطبعة عربية .

وقد عرف المصريون الطباعة على ايدي علمـاء الحمـلة الفرنسـية ، إلا ان آلات الطباعة التي احضرها الفرنسيون الى مصر ، **حملوها معهم عند رحيلهم عنها** ، ثم تأسست مطبعة « **بولاق** » **بالقاهرة** عام 1821 مـ ، وكان لها أثر كبير في **النهضة العربية المعـاصرة** ، ومازالت هذه المطبعة تعمل حتى اليوم .

ومن اشهر المطابع التي ساهمت في النهضة العربية : « **مطبعة استانبول** » **بتركيا** والمطبعة الأمريكية في بيروت (1834 مـ) ، ومطبعة الآباء اليسوعيين بلبنان (1848 مـ) ثم انتشرت المطابع وتعددت في مختلف البلاد العربية .

ولقد كان لشيوع الطباعة وانتشارها في البلاد العربية أكبر الأثر في **النهضـة العلمية** بصفة عامة ، **والادبية** بصفة خاصة ، فعلى آلاتها السريعة تدفقت الصحف ، وبُعثت **المخطوطات** القديمة ، وظهرت **المؤلفات** الحديثة ، وبفضلها انتشر **الـكتاب المدرسي** ، وتكونت **المكتبات** العـامة والخاصة في **المدن والمساجد والجامعات والمدارس والمنـازل .**

2 ــ الصحافـة :

كان لانتشار **الطباعة** أثر كبير في ظهور **الصحافة** وشيوعها في البلاد الاوربية ، وقد عرف الأوربيون قيمة الصحافة في **نشر الوعي القومي** بين الشعوب ، وكان لهـا الفضل فى نجاح **ثوراتهم السياسية والاجتماعية والدينية** ، تلك الثورات التي اخرجتهم من ظلمات العصور الوسطى إلى ضياء النهضة الحديثة .

وكان أول صحيفة عرفتها البلاد العربية هي جريدة « **الوقائع المصرية** » التي اسسها «**محمد علي** »(*) فى مصر عام 1828 مـ ، وما زالت تصدر حتى اليوم .

وقد أدت هذه الصحيفة دورها في **تطوير اللغة العربية** وتخليص اسلوبها من الاسفاف الذي عرفت به في عصر الضعف .

وفي« **بيروت** » اسس اللبنانيون جريدة « **حديقة الأخبار** » عام 1858 مـ . وعندما هاجر نفر من المفكرين السوريين الى مصر ، في منتصف القرن التاسع عشر ، نمت الصحافة العربية على ايديهم ، وظهرت جريدة « **الأهرام** » عام 1875 مـ وما زالت تصدر حتى اليوم ، وجريدة « **المقطم** » عام 1888 مـ ، واصبحت معظم الصحـافة العربية مسايرة **لحركة الاندفاع الثوري** في طريق اليقظة والتقدم ، وبذلك انتشرت الصحف العربية وكثرت انواعها وتعددت أهدافها ، وتناولت مختلف جوانب الحياة المعـاصرة .

(*) راجع : عصر محمد علي : عبد الرحمن الرافعي .

وصدرت في « **الجزائر** » مجموعة من الصحف العربية أثناء الحكم الاستعماري . بدات بظهور صحيفة « **المبشر** » عــام 1847 مـ .

ثم أسهم الجزائريون الوطنيون فى انشاء الصحف منذ أصدر الأستاذ الفنان « **عمر راسم** » عام 1908 جريدة الجزائر (**) .

وقد نمت الصحافة العربية بالجزائر على ايدي مؤسسي « **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** » ومن احتذي حذوهم ، فظهرت عدة صحف منها : « **النجاح ، والمنتقد ، والشهاب ، والسنة ، والشريعة ، والصراط ، والبصائر** » ، وغيرها من الصحف التي مهدت للاستقلال وشاركت فيه ، وكان لها اثر فعال فى **نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية فى البــلاد** .

وكانت الصحافة العربية **نافذة** يطل منها العرب على العالم وما يدور فيه من احداث **وميدانا** تتسابق فيه اقلام الكتاب والأدباء والشعراء ، **ومنبرا** للساسة والزعماء والمصلحين طالبوا من فوقه المستعمرين بالحرية ونددوا بأعمالهم الاستبدادية .

وللصحافة آثارها الملموسة في **تطور النثر** العربي ، فقد مال اسلوبه الى استخدام العبارة السهلة والبسيطة التي تناسب عامة الناس ، وبذلك تخلص من قيود الأساليب القديمة التي كانت سببا في احساس القارئ بالملل والسأم ، كما كان لها الفضل في ظهور لون أدبي جديد هو فن **المقــالة الصحفية** .

3 ـــ الترجمة والبعثات العلمية :

اذا تتبعنا تاريخ الحضارات ، وجدنا أن العامل الأول في نقلها من أمة الى أمة **هو الترجمة** ، فلم تنهض الحضارة العربية الا **بنقل علوم اليونان والفرس الى اللغة العربية** فى القرنين السادس والسابع الميلادي .

وقد سبقت **اوربا** بحضارتها الحديثة كل البلاد العربية فى مختلف الميادين ، فكان لزاما على العرب أن يتجهوا الى نقل وترجمة العلوم والفنون والآداب الأوربية الى اللغة العربية . فحاول بعض اللبنانيين الاتصال بأوربا عن طريق **البعثات العلمية** في مستهل عصر النهضة ، ونقلوا بعض الآثــار الأوربية الى اللغــة العــربية .

ومع انتشار المدارس الحديثة في مصر في أوائل القرن التاسع عشر ، عرفت مصر بعض المترجمين من السوريين وبلاد المغرب العربي ، وكان لهم دور هام في مساعدة الأساتذة الأوربيين الذين يقومون بتعليم المصريين فى مدارس الطب والهندسة والصيدلة والحربية وغيرها من المدارس (*) وقد اثرت هذه الحركة فى **إحياء بعض**

---

* ابن باديس حياته وآثاره د . عمار طالبي ص 55 .

** فى الأدب الحديث ـ **عمر الدسوقي** ج 1 ط 7 ص 27 .

المصطلحات العربية القديمة التي استخدمها نفر من علماء المسلمين « **كابن سيناء** » و « **ابن البيطار** » في فن **الطب العربي** القديم .

ثم ظهرت آثار البعثات العلمية التي أوفدتها مصر الى أوربا ، **فبعد عودتها** قام كل مبعوث **بترجمة مجموعة من روائع الكتب الاوربية** في الفن الذي تخصص فيه . وان كان معظم ما ترجم ـ في أول الأمر ـ من الكتب العلمية ، لكن **نشاط الترجمة تناول الآداب والفنون الجميلة** ، وشتى مظاهر النهضة فيما بعد .

وانشئت في **مصر** مدرسة خاصة بتخريج **المترجمين** عام 1870 م ، وحذا حذوها بعض الدول العربية فأنشأوا مدارس لتخريج المترجمين .

المجامع اللغوية :

وكانت أهم مشكلة تقف أمام المترجمين العرب هي مشكلة **المصطلحات اللغوية** ، فكان لزاما عليهم أن يؤسسوا **مجامع لغوية** لهذا الغرض ، فتكون **المجمع اللغوي** في كل من **مصر وسورية والعراق** ، ولم تكن هذه المجامع اللغوية قاصرة على **ابناء قطر بعينه** ، بل ضمت **البارزين من علماء وادباء أبناء البلاد العربية قاطبة** على اختلاف تخصصاتهم العلمية والفنية والأدبية ، وما تزال هذه المجامع تؤدي مهمتها في خدمة اللغة العربية وتطويرها حتى الآن .

وبالاضافة الى الجهود الجماعية في المجامع اللغوية قام بعض العلماء بجهود فردية في هذا الميدان ، كما فعل الدكتور « **احمد عيسى** » في **معجمه الطبي** ، والدكتور « **مصطفى الشهابي** » في معجمه في**علم النبات** ، وغيرهما من العلماء في تخصصاتهم المختلفة .

واسهم كثير من الأدباء والكتاب العرب في نقل الآداب الأوربية الى اللغة العربية نثرا وشعرا ، ولا تزال الجهود تتوالى في هذا المجال .

وقد أثرت هذه الترجمة في الأدب واللغة ، فتخلص النثر من أغلال الصنعة اللفظية واهتم **بتجويد المعاني والدقة فى التعبير** ، وهجر بعض الأغراض القديمة ، وظهرت **المذاهب الأدبية** المختلفة في الشعر والنثر ، واصبح الأدب بصورة جديدة تختلف عن صورته القديمة في كثير من الأمور ، كما سيتضح لك من دراستك لتطور الشعر والنثر في العصر الحديث .

4 ـ انتشار التعليم :

قبيل العصر الحديث انخفض مستوى التعليم في البلاد العربية ، وانحصر في **الكتاتيب والزوايا والمساجد الكبرى** التي يأوى اليها طائفة من راغبي العلم في العواصم الكبرى .

وكان **الجامع الأزهر** بمصر ، **وجامع الزيتونة** بتونس ، **وجامع القرويين** بفاس ، هي **المعاهد العلمية البارزة** ، وتاثرت فيها الدراسة بطابع التخلف العلمي العام الذي ساد العصر ، فانكب ابناؤها على علوم اللغة والدين يحفظونها بطريقة عقيمة ، وابتعدوا عن تيار العـلوم الحديثة .

وقد كان لهذه المؤسسات العلمية الثلاث **اعظم الفضل في حفظ التراث الاسلامي والعربي** خلال فترات الضعف والتخلف .

وفي مطلع العصر الحديث عرفت **مصر المدارس العصرية كالطب والهندسة والصيدلة** ، وانشئت الجامعة المصرية عام 1908 م وتعددت بعد ذلك المدارس المختلفة في المدن والقـرى المصرية .

وفي **لبنان ، وسورية** ، انتشرت المدارس الأجنبية الى جانب المدارس الوطنية ، وكان المبشرون المسيحيون حريصين على نشر التعاليم الدينية ، فاتخذوا من المؤسسات التعليمية وسيـلة لبث افكارهم الدينية . وفي اعقاب الحرب العالمية الأولى تأسست الجامعة السورية .

اما في **المغرب العربي** ، فقد كان لجامعتي **الزيتونة والقرويين** دور يشبه دور **الجامع الأزهر** في مصر من حيث الهدف والمنهج والطريقة التعليمية .

وقد ضرب الاستعمار الفرنسي بالجزائر حصارا شديدا على التعـليم العـربي والاسلامي ، ومع ذلك فقد استمر نقل الثقافة العربية الاسلامية بواسطة الـكتاتيب والزوايا والمساجد ، وكان التعليم بها يسير على نهج من مناهج التعليم في الأزهر والزيتونة والقرويين .

واسهمت المدارس الحكومية الثلاث : **الثعالبية**(*) في **الجزائر** ، ومدرسة **قسنطينة** ومدرسة **تلمسان** في تخريج القضاة والمدرسين والموظفين باللغة العربية .

وظلت حركة التعليم بطيئة في الجزائر حتى تاسست « جمعية العلماء » المسلمين الجزائريين فقامت بنشاط كبير في مجال التعليم تجلى في المظاهر التالية :

اولا : انشاء مدارس حرة يتميز تعليمها بالحيوية والقومية والشعبية ، واشتراك الفتاة الجزائرية فيه .

ثانيا : اهتمام المدارس الحكومية التي تشرف عليها السلطة الحاكمة بالثقافة العربية حتى لا تفقد مكانتها الثقافية والسياسـية .

ثالثا : اهتمام الزوايا القديمة برفع مستوى التعليم فيها حتى لا يهجرها التلاميذ الى مدارس الجمعية فتفقد الزوايا بذلك قيمتها المـادية والمعنوية .

رابعا : اهتمام السياسيين بالتعليم ، واتجاههم اليه بعد ان كانوا يؤمنون بان الاهتمام

(*) تأسست بالجزائر عام 1903 م وبدأ العمل فيها عام 1905 م .

بالتعليم ياتي بعد الاستقلال . وخلال حرب الاستقلال تابعت « جبهة التحرير الوطني » حركة التعليم ، فكانت تقيم مدارسها في المخيمات والغابات والجبال .

ومنذ الاستقلال عام 1962 م والجزائر تخطو خطوات كبيرة في نشر التعليم وتعميمه وتعريبه (*) .

وقد كان لانتشار التعليم باللغة العربية في مختلف البلاد العربية اثر كبير في ازدهار النهضة وتطور اللغة والأدب في العصر الحديث .

5 ـ المستشرقون وأثرهم في اللغة والأدب :

بدات **حركة الاستشراق** في القرن العاشر الميلادي ، وكان لها فضل كبير في نمو وازدهار النهضة الأوربية الحديثة ، **فقد ادرك علماء الغرب اهمية الثقافة العربية فاتجهوا اليها ينقلونها الى « اللغة اللاتينية »** التي اصبحت لغة العلوم والآداب فيما بعد

وقد اتصل الاوربيون بالحضارة العربية عندما استقروا في **بلاد الأندلس** ، واحتكوا بالعرب ، ومن خلال الحروب الصليبية التي دارت في بلاد الشام واستمرت قرنين من الزمان .

ثم عاد الأوربيون الى الاتصال بالشرق من جديد إبَّان اتساع حركة الاستعمار الاوربي الحديث في القرن التاسع عشر الميلادي .

وكان هذا الاتصال سببا في أن يهتم بعض علماء الغرب بالبحث في لغات الشرق ودراسة تاريخه ودياناته ، وقد ازداد نشاطهم على مر السنين ، فاتسع الميدان الذي وجهوا اليه اهتمامهم ، واختلفت أهدافهم تبعا للظروف السياسية والاجتماعية التي **مرت على المجتمع الدولي منذ بداية نشاط المستشرقين حتى يومنا هذا .**

فكان هدفهم أولا تعريف الأوربيين بالتراث الشرقي وتمكينهم من دراسة نفسياتهم وخصائصهم الاجتماعية لِغَايَاتٍ سياسية واقتصادية وغيرها .

ثم أصبح التبشير بالديانة المسيحية في البلاد الشرقية من اعظم هذه الأهداف ، فكان أول ما ظهر من الكتب المطبوعة بالحروف العربية « في ايطاليا » هو الكتاب المقدس .

وادرك بعض الأوربيين ان الشرق بأسره سيصبح سوقا كبيرة لتجارته في بيع الكتب المطبوعة بالحروف الشرقية والعربية ، فشجعوا نشاط المستشرقين . وبالرغم من تعصبهم الشديد ضد الاسلام والمسلمين في القرن السادس عشر فان مطبعة ايطالية أخرجت طبعة كاملة للقرآن الكريم سنة 1530 م لأغراض تجارية خالصة .

(*) تشرف على التعليم بالجزائر ثلاث وزارات لكل عملها ومسؤليتها « وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ، ووزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، ووزارة التعليم العالي » .

ومع اتساع موجة الاستعمار الأوربي المعاصر اتسع نشاط المستشرقين لأسباب **استعمارية** . وبعد انحسار موجة الاستعمار في القرن العشرين اتجهت جهود المستشرقين الى العمل على توثيق أواصر الفكر والثقافة بين الشرق والغرب .

ومهما تكن الدوافع والأسباب ، فان المستشرقين قد اثروا بجهودهم في الأدب واللغة ، وكان من اهم ما حققوه من اعمال لها اثر على أدبنا ولغتنا ما يلي :

اولا : جمع المخطوطات العربية التي تفرقت في مختلف بلاد العالم ، وتحقيق بعضها تحقيقا امينا ، واخراجها مطبوعة في صورة جيدة .

ثانيا : اعداد دراسات شاملة في التاريخ والأدب وبحوث في اللغـة .

ثالثا : اعتمادهم على المنهج العلمي في دراساتهم التي قدموها باللغة العربية .

رابعا : انشاء جمعيـات خاصة بهم مثل « الجمعية الملكية الآسيوية » في لندن وغيرها فيبعض الدول الأوربية تنظيما لجهودهم ، وتنسيقا لأعمالهم .

خامسا : اتصالهم بالأدباء والعلماء العرب عن طريق الندوات والزيارات والمؤتمرات . وقد عقد أول مؤتمر للمستشرقين عـام 1773 م . ثم تتابعت بعد ذلك المؤتمرات وكان من بينها مؤتمر عقد في مدينة **الجزائر** عام 1905 مـ .

سادسا : تاليف **« دائرة المعارف الاسلامية »** مرتبة ترتيبا ابجديا ، وهي موسوعة علمية تحتوي على تراجم أعلام الرجال وأهم الموضوعات الاسلامية من تاريخ وجغرافية وفقه وأدب وفلسفة وغيرها .

ومن اشهر المستشرقين : « **فرايتاخ** » من المـانيا ، « **ماسينون** » و « **بلاشير** » من فرنسـا ، « **جب** » و « **مرجيليوث** » من انجلترا ، و « **جولد زيهر** » من المجر .

وهم كثيرون في مختلف بلاد العالم **منهم الأمناء** في بحوثهم ودراساتهم ، **ومنهم المغرضون والمتعصبون .**

والى جانب ما قدمناه لك من عوامل النهضة العربية في العصر الحديث فقـد ساهم المسرح العربي في النهضة الحديثة . كما اسهمت الاذاعة المسموعة والمرئية بجهود عظيمة أيضا .

ومن تضافر هذه العوامل جميعها ظهر الأدب الحديث بصورة جديدة ستتضح لك خلال دراستك بعض نصوصه الشعرية والنثرية .

الفصل الثاني

نصوص من الشعر فى العصر الحديث



3 البــدو والحضر

للأمير عبــد القــادر الجــزائري

(1808 - 1883 م) — (1222 - 1300 هـ)

تعريف وتمهيــد :

ولد **الأمير « عبد القادر »** في قرية **« القيطنة »** بولاية **وهران** ، وقد بدأ حياته التعليمية على يد أبيه وبعض علماء بلدته ، ولما كبر ارتحل إلى وهران ، حيث تلقى فيها **علوم اللغة العربية والدراسات الاسلامية** .

وعندما هجمت فرنسا بجيوشها على **الجزائر** عام 1830 وفر **« الداي »** التركي الذي كان يحكم البلاد مع حاشيته ، لم يسلم الجزائريون بلادهم لقمة سائغة للاستعمار بل أسندوا مهمة ادارة البلاد ، وقيادة الجيش الى **« الأمير عبد القادر »** الذي قاد المقاومة المسلحة ضد الغزو الاستعماري أكثر من ستة عشر عاما ، اثبت فيها كفاءة نادرة ، وشجاعة منقطعة النظير . وظل يقاوم حتى استنفد ما عنده من وسائل الدفاع ، واضطر الى التسليم ــ لأسباب داخلية وخارجية ــ للفرنسيين ، وحمله هؤلاء على بارجة حربية الى فرنسا ، وعاملوه معاملة أسير في قصر **« امبواز »** وبعد اطلاق سراحه ذهب الى **«استامبول »** ، فاستقبله السلطان التركي بالتكريم ، وبقي فيها بعض الوقت ثم ذهب الى **سوريا** فاتخذها سكنا له ولأسرته وجعلها منطلقا لرحلاته المتعددة الى **القدس** ، **والحجاز** ، **واوربا** ، **ومصر** . وتوفي **بدمشق** عام 1883 م ، وظل جثمانه مدفونا بها حتى نقل الى **الجزائر** عام 1966 م .

وقد نال الأمير شهرة عالمية في علمه وشهامته وانسانيته ، ومن أشهر مواقفه الانسانية دفاعه عن المسيحيين وانقاذ الآلاف منهم خلال المذابح التي دارت في بلاد الشام أثناء اقامته فيها عام 1860 ، واثار بموقفه هذا اعجاب ملوك العالم وحكوماته فبعثوا اليه برسائل الشكر مصحوبة بالأوسمة والنياشين وشارات التقدير .

ونبغ الأمير في **الفقه وعلم الكلام والشعر** ، ومن أشهر آثاره كتاب **المواقف في التصوف** ورسالة **« ذكرى العاقل وتنبيه الغافل »** **وديوانه الشعري** . وانعكست دراسته الفقهية والكلامية في شعره ، ومن أبرز صفاته النفسية **حبه العطرة** ، والبعد عن الزخرف ، والميل الى التصوف ، والتعصب لرأيه اذا اعتقد انه صواب .

وفي النص الذي بين ايدينا صورة صادقة لهذه الصفات النفسية . وقد أعده الشاعر ردا على سؤال وجهه اليه بعض علماء فرنسا وادبائها أيام اقامته بقصر امبواز .

ـــ ايهما افضل : البــداوة ام الحضارة ؟

النــــص :

(أ)

1 ـ يَاعَاذِرًا لِامْرِىءٍ قَدْ هَامَ فِي الْحَضَرِ   وَعَـاذِلًا لِمُحِـبِّ الْبَـدْوِ وَالْقَفَـرِ
2 ـ لَا تَذْمُمَنَّ بُيُوتًا خَـفَّ مَحْمَلُهَـا   وَتَمْـدَحَنَّ بُيُـوتَ الطِّـينِ وَالْحَجَرِ
3 ـ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي الْبَدْوِ ، تَعْذِرُنِي   لَكِنْ جَهِلْتَ، وَكَمْ فِي الْجَهْلِ مِنْ ضَرَرِ

(ب)

4 ـ أوْ كنتَ أصبحتَ فى الصحراءِ مُرْتَقِيًا   بِسَاطَ رَمْلٍ ، بِهِ الحَصْبَاءُ كَالـدُّرَرِ
5 ـ أو جُلْتَ فى رَوْضة ، قد رَاقَ منظرُها   بكل لَونٍ جميـلٍ شَيِّـقٍ عَطِـرِ
6 ـ تَسْتَنْشِقَنْ نَسِيما ، طـابَ مُنْتَشَقًا   يزيد فى الروح لم يَمْـرُرْ على قَذَرِ
7 ـ أو كنتَ فِي صبح ليلٍ ، هاجَ هاتِنُهُ   عَلَوْتَ فِي مَرْقَبٍ أو جُلْتَ بِالنَّظَـرِ
8 ـ رَأَيْتَ فِي كل وجهٍ من بَسَائِطِهـا   سِرْبًا من الوَحْشِ يرعَى أطيبَ الشجرِ
9 ـ فَيَالَهَا وَقْفَـةٍ لم تُبْـقِ من حـزَنٍ   في قَلْبِ مُضْنًى،ولا كَدًّا لذِي ضَجَرِ

(حـ)

10 ـ نُبَـاكِرُ الصـيدَ أحيانا فَنَبْغَـتُهُ   فالصيدُ مِنَّا مَدَى الأوقات فِي ذُعَـرِ
11 ـ فكم ظَلَمنـا ظَلِيمًا في نَعَامَـتِهِ   وإِنْ يَكُنْ طَائِرًا فِي الْجَوِّ كَالصَّقَـرِ
12 ـ يومَ الرحيـلِ اذا شُدَّتْ هَوَادِجُنَا   شَقَـائِقٌ عَمَّهَـا مُـزْنٌ مِنَ المَطَـرِ
13 ـ فيها العذَارَى،وفيها قَدْ جَعَلْنَ كُوًى   مُرَقَّعَـاتٍ بِأَحْـدَاقٍ مِنَ الْحَـوَرِ
14 ـ تَمْشِي الحداةُ لهَا مِنْ خَلْفِهَا زَجَلٌ   أشهَى مِنَ النَّايِ والسِّنْطِيرِ والوَتَـرِ

(*) ديوان الأمير عبد القـادر الجزائري .

1 ـ **عاذرا** : اسم فاعل من العذر وهو الحجة التي يعتذر بها . **عاذلا** : اسم فاعل من العذل وهو اللوم . 4 ـ **مرتقيا** : ارتقى المكان ، صعد اليه .7 ـ **مرقب** : المكان المرتفع يعلوه الرقيب . **هاج هاتنه** : كثر مطره . 8 ـ **البسائط** : المنبسط الفسيح من الارض . 11 ـ **الظليم** : ذكر النعام . 12 ـ **الهوادج** : جمع هودج وهو بيت صغير ينصب على ظهر الجمل فى الأسفار . 12 ـ **الشقائق** : يقصد بها شقائق النعمان نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود ينبت فى أواخر الشتاء وفى الربيع. 13 ـ **العذاري** : جمع عذراء وهي البكر والمراد بها هنا . الفتاة الجميلة . **كوى** : جمع كوة وهي النافذة الصغيرة . **الحور** : شدة سواد ولد العين مع شدة بياض الحدقة . 14 ـ **الحداة** : جمع حادي وهو الرجل الذي يغني للابل وهي تسير **الزجل** : الضجة الخفيفة . **الناي والسنطير والوتر** : آلات موسيقية .

15 ــ ونحن فوقَ جِيَادِ الخيلِ نَرْكُضُها　　شَلِيلُهاُ زِيَنــةُ الأكْفَــالِ وَالخُــصَرِ
16 ــ نطــاردِ الوحشَ والغِزلانَ نلحقُها　　على البِعَــادِ وما تنجو من الضُمَّــرِ
17 ــ نروحُ لِلْحَيِّ ليــلاً بعــدَ مَا نَزَلُوا　　مَنَــازِلاً ، مَا بِهَا لَطْــخٌ مِنَ الوَضَرِ
18 ــ ترابُهَا المِسْكُ بَل أنقَى وجادَ بِهــا　　صَــوبُ الغَمَائِمِ بالآصَالِ والبُكَــرِ
19 ــ نلقَي الخيامَ وقد صُفَّتْ بها فغَدَت　　مثلَ السمــاء زَهَتْ بِالأَنْجُمِ الزُّهُرِ
20 ــ قال الأُلَى قد مَضَوْا قولاً يُصَدِّقُهُ　　نَقْــلٌ وعَقْــلٌ ومَا لِلْحَقِّ مِن غِــيَرِ
21 ــ « الحسنُ يظهرُ في بَيْتَيْنِ رَوْنَقُــهُ　　بيتٍ من الشِّعْرِ أو بيتٍ من الشَّعَرِ »
22 ــ أنعامُنا ان أتت عِندَ العَشِيِّ تَخَــلْ　　أصواتَهَا كَدَوِيِّ الرَّعْــدِ بِالسَّحَــرِ
23 ــ سَفَــائِنُ البَرِّ ، بَلْ أَنْجَى لِرَاكِبِهَا　　سَفَائِنُ البَحْرِ كَمْ فِيهَــا مِنَ الخَطَــرِ
24 ــ لَنَا المَهَــارَي ، ومَا لِلرِّيمِ سُرْعَتُهَا　　بِهَــا ، وبالخَيْــلِ نِلنَا كُلَّ مُفْتَخَــرِ
25 ــ فَخَيْلُنَــا دَائِمًا للحــربِ مُسْرَجَةٌ　　من استغــاثَ بِنَــا بَشَّرْهُ بِالظَفَــرِ

(د)

26 ــ نحنُ المُــلوكُ فَلاَ تَعْدِلْ بِنَا أحدًا　　وَأَيُّ عيشٍ لمــن قد باتَ في خَفَرِ ؟!
27 ــ لا نحملُ الضيمَ مِمَّنْ جــارَ. تَتْرُكُهُ　　وَأَرْضه وَجَمِيعُ العِــزِّ فِي السَّفَــرِ
28 ــ وان أســاء علينا الجــارُ عشرتَه　　نَبِــينُ عنــهُ بِــلاَ ضُرٍّ ولا ضَرَرِ
29 ــ نَبِيتُ ، نَارُ القِرَى تَبْــدُو لِطَارِقِنَا　　فِيهَــا المُدَاوَاةُ من جوعٍ ومن خَصَرَ
30 ــ عَــدُوُّنَا مَا لَــهُ مَلْجَــا ولاَ وَزَرْ　　وعِنــدَنا عَــادِيَاتُ السَّبْقِ والظَّفرَ
31 ــ شرابُهَا من حليبٍ ، ما يُخَالِطُــه　　ماءٌ، وليس حليبُ النُّوق كالبَقَرَ
32 ــ أموالُ أعــدائِناَ في كل آونَــةٍ　　تَقْضِي بِقِسْمَتِهَا ، بالعَــدْلِ والقَدَرِ

(هـ)

33 ــ مَا فِي البَــدَاوَةِ من عَيْبٍ تُذَمُّ بِهِ　　الا المُــرُوءَةُ والاحســانُ بِالبِــدَرِ
34 ــ وصِحَّةُ الجِسم فِيها غيرُ خافِيَــةٍ　　والعيبُ والداءُ مقصورٌ على الحَضَرَ
35 ــ من لم يَمُتْ عِندنا بالطّعنِ عاشَ مَدَى　　فَنَحْنُ أَطْوَلُ خَــلْقِ اللهِ فِي العُمُــرِ

---

15 ــ **شليلها** : جمع اشلة مسح من الصوف أو الشعر يجعل على عجز الدابة وراء الرحل . **الاكفال** : جمع كفل : العجز أو الردف . **الخصر** : وسط الانســان والمراد هنا وسط الدابة . 17 ــ **الوضر** : القذر . 24 ــ **المهاري** : جمع مهرية وهي من انجب النوق . 29 ــ **نار القرى** : نار يوقدها العرب لكي يهتدي بها المســافر ليلا. والخصر شدة البرد على الأطراف .

شرح وايضـــاح :

عبر الشاعر عن موقفه من **المفاضـــلة** بين حياة **الحاضرة والبـــادية في مجموعة** من الافكار :

أ ـ بداها بتوجيه الخطاب الى من يتلمسون الأعذار للهائمين في حب الحضر وحياة المدن ، بينما ينكرون ذلك على عشاق البدو ، ويلومونهم على الهيام بها ، فيقول :

لا يليق بكم ان تفضلوا المنازل الثقيلة الـكئيبة التي بنيت من الطين والحجارة على المنازل اللطيفة الخفيفة التي يسهل نقلها من مكان الى آخر ، ولكم ـ أيها اللائمون ـ عذركم ، فأنتم **تجهلون محاسن البادية** وما فيها من بساطة العيش وجمال الطبيعة ونقاء الجو ، ولو عرفتم شيئا من ذلك ـ أو كله ـ لالتمستم لي الأعذار في هيامي بالبادية ، ولكن **الجهل حجاب يعمي** الابصار والبصائر فيتردى أصحابها فى متاهات الجهالة والضلالة وهم لا يشعرون .

ب ـ وفي الفقرة الثانية يستعرض الشاعر الأدلة والبراهين التي تؤكد فضل البادية ، فيقول :

تأمل ما حبى الله به الصحاري من محاسن تجد ما يروعك ، فأرضها مفروشة ببساط رملي كأنه اللآلئ الناصعة البياض ونسيمها **عليل يغـذي الأرواح** وينعش الأبدان ، وصباحها بعد الليـــل المطير زاخر بالمناظر الجميلة حيث تكتسي الأرض **حلة خضراء** ، فتأتيها جماعات من البقر الوحشي ترعى الحشائش اليانعة ، فهذه الطبيعة البديعة ، بما حوت من جمال متعدد الصور ، تملأ النفس بهجة وسرورا وتجدد للعقل قوته ونشاطه .

حـ ـ وبعد ان تحدث الشاعر عن **جمال الطبيعة في البادية** ، تحدث عن بعض مظاهر الحياة فيها :

فتكلم عـــن **الصيد** ، عندما ينطلق خلفـه فى الصباح البـــاكر يريد أن يقتنصه على غرة ، ولكن الصيد قد ينتبه فيجد فى الجـري ويسرع فى العـدو ، ثم يتبعه الشاعر ويدور معه حتى يلحق به ويقبض عليه .

ويصف **الرحيل** في البادية عندما ينتقل سكانها من مكان الى آخر بواسطة الابل ، فينصبون الهوادج فوق ظهور الجمال ويزينونها بأقمشة حمراء زاهية الألوان كأنها شقائق النعمان ، وبداخل الهودج فتيات بدويات جميلات يختلسن النظر ـ من خلال فتحات صغيرات في الهودج ـ بعيون ساحرة الاحورار ، تحسبها ستائر لهذه الفتحات ومن خلف النياق والجمال تنطلق أغنيات الرجال بألحان شجية عذبة ، تسير القافلة على وقع أنغامها .

وتراب الصحراء زكي الرائحة كأنه المسك ، **ومنازلها خيام** بسيطة ضربت في مكان صحي ، وقد اصطفت في مواقعها كأنها النجوم في السماء .

وهذه الانعـام ، راجعـة وقت الغـروب تصيح بأصوات قويـة ، لأنهـا أكلت حتى شبعت ، وشربت حتى ارتوت ، فأصبحت قوية جيدة ، **فمن ابل أسرع من البحار ، الى خيول تسارع الغزلان في الصيد ، وتحقق لفرسانها النصر والفوز في الحرب ، وتنجد المستجير والمستغيث في الأزمات .**

د ـ وبعد أن تحدث الشاعر عن **صفات الأرض البدوية** في الفقرة السابقة ، تحدث في هذه الفقرة عن **صفات الرجل البدوي ؛**

. فهو يغيث الملهوف ، ويحمي الجار ، ويحسـن معاملة الناس ، ويكرم الضيف والطارق بالليل ، ويقهر العدو بسلاحه وخيله التي اعدها لمثل هذه الظروف والمواقف .

والبدوي يعيش في **يسر ورخاء** لكثرة ما غنم من اعدائه ، وهو **قنوع عادل** يقسم الغنيمة بالقسـط بينه وبين زملائه .

هـ ـ وفي الفقرة الأخيرة يوضح الشاعر أثر الحياة في البادية على الانسان من النواحي الصحية ، والنفسية ، والخلقية . ويقارن بينها وبين حياته في المدينة وتأثيرها في الانسـان ، فيقول :

« ان حياة البادية تكسب الانسان صحة في الجسم ، بما فيها من هواء عليل ، خال من الأمراض والجراثيم ، التي تفتك بجسم الانسـان ، ومتى سلم الانسـان من الأمراض فان عمره يطول غالبا ، وتكسبه حياة البادية صفات نفسية وخلقية حميدة مثل : **الـكرم ، وحسن المعاملة ، وسلامة الفطرة** ، فيعيش بعيدا عن النفاق والرياء وغيرهما من الأمراض الاجتماعية التي تعكر صفو الحياة ، وبذلك يسعد بعمره الطويل **ويقضي حياة هانئة هادئة سعيدة .**

دراسـة الأفكـار :

عاش **الأمير « عبد القادر »** في عصر ادبي يمكن تسميته **« عصر الإرْهَاص » بالنهضة الحديثة** ، فقبل ان ينطـلق **« البارودي »** بوثبته الـكبرى في تقدم الشعر المعـاصر أرهص لفيف من الشعراء ـ السـابقين عليه والمعاصرين له ـ بهذه النهضة من أمثال **« الساعاتي »** و **« العطار »** و **« المويلحي »** و **« الأمير عبد القادر »** وغيرهم .

وقد سلم النص الذي بين أيدينا من عيوب الشعر في عصر الضعف ، ولم يلحق بكل مظاهر التجديد كما ظهرت بعد ذلك في الشـعر الحديث ، فجاء تعبيرا صادقا عن المرحـلة التي مر بها الشعر العربي في الفترة التي عاصرها الشـاعر .

والنص لون من الوان **المطارحات الشعرية والمساجلات الأدبية** ، يعكس نوعا من الترف الفكـري والقدرة على المناظرة والمجادلة .

وقد عالج هذا النص الأفكار الأسـاسـية الآتية :

**1 ـ تفضيل البادية على الحاضرة . 2 ـ وصف جمالها . 3 ـ مظاهر الحياة فيها .
4 ـ صفـات البـدوي . 5 ـ آثار البادية على سكانها .**

واذا تأملت هذه الأفـكار ، وجدتها غير مرتبـة ، اذ يمكن تقـديم بعضها دون اختلاف فى المعنى ، وتظهر هذه الحقيقة بوضوح فى ابيات الفقرة حـ .

ولم يهتم الشاعر **بتنظيم افكاره** ، فبينما يتحدث عـن امر من الأمـور ينتقل الى غيره قبل أن ينتهي من الأول ، ثم يعود اليه مرة اخرى ، من ذلك حديثه عن الصيد في البيت العاشر ، ثم الرجوع الى الحديث عنه مرة اخرى في البيت السادس عشر .

ويمكنك ان تلاحظ ايضا أن حديث الشاعر **عن الخيل** ورد فى أكثر من موضع بين ثنايا القصيدة . وفى نهاية النص تكرار لا مبرر له ، فالأبيات الثلاثة الأخيرة وردت معانيها صراحة او ضمنا فيما تقدم عليها من الأبيات .

وافكار النص **واضحة بسيطة** فيها نمو واتساع ، وليس فيها **عمـق** او **جـدة** أو **ابتكار** . ومع أن الشاعر اكثر من وصف البادية ومناظرها وحياتها ، لكنه كان **وصفـا خارجيا** ، فلم يمزج عواطفه بما يصف ، ولم يربط احاسيسه بما يراه من صور الحياة التي تحدث عنها ، ومن ثم جاءت **العاطفة فاترة** .

وربما تحدث الشاعر عن نفسه مفتخرا في بعض الأبيات ، لـكن **حديثه عن ذاته** جاء مستقلا تماما عن الموضوعات التي وصفها ، وكان هذا الفصل بين الوصف وحديثه عن نفسه سببا آخر في **برود الجو النفسي** وفي **ضعف بناء القصيدة** .

وقد نجح الشاعر في **تصوير البادية** تصويرا جميلا يفوق ما في واقعها من جمال . كما تتبع مختلف أوجه الحياة فيها فأحصاها ، وأبرز شخصيتها ممثـلة في الطبيعة المـادية والبشرية ، واستطاع ان يكشف عن الانعكاسات الخلقية والنفسية التي يتلقاها الانسان من الطبيعة التي يعيش فيها .

وان كان الشاعر حريصا على اخفاء الجوانب السيئة في حياة البدو فذلك لانه فى معرض المفاضلة بين البـدو والحضر ، وقد مال الى تفضيل الحياة فى البادية ، فكان طبيعيا أن يغفل ما فيها من العيوب .

دراسـة الأسـلوب :

اسـلوب النص جيد ، تخلص فيه الشاعر ــ الى حد كبير ــ من العيوب اللغوية والركاكة التعبيرية ، والعناية باللفظ على حساب المعنى ، والاكثار من المحسنات البديعية المصطنعة ، ولـكنه لم يسلم من جميع هذه العيوب .

فمثلا قوله في البيت الأول :

« ياعاذرا لامرىء . . . . .   وعاذلا لمحب . . . . . » .

فيه ضعف لغوي ، حيث عدّى اسم الفاعل بحرف الجر . وفعله من الافعال المتعدية ، فلا يحتاج الى حـرف جـر .

وفي البيتين الثاني عشر والثالث عشر غموض في الأسـلوب يجهد القارئ في فهم مراد الشاعر ، ويمكنك ملاحظة ذلك بمعاودة قراءة البيتين وقراءة شرح معناهما .

والشاعر وان **التزم قافية واحدة** ، فانه **لم يوفق فى بعض قوافيه** ، اذ كرر كلمة « **الظفر** » في البيتين (25 ، 30) **بنفس المعنى** ، وهذا معيب في نظر علماء العروض والقافية .

وإذا تأملنا الصور البيانية في النص ، رأيناها **توحي بفتور العاطفة** ، وتدل على **عدم انفعال الشاعر بالموقف** الذي يدافع عنه .

من هذه الصور مثلا ، قوله في البيت (4) :

« بساط رمل ، به الحصباء كالدرر » .

فهو تشبيه مجته الأسماع لكثرة استعماله . وقوله في البيت (23) :

« سفائن البر » .

كناية عن الجمال ، كثر استعمالها حتى صارت الكناية أوضح في مدلولها من الحقيقة فلم يعد للكناية تأثير فى المعنى . وقوله فى البيت (22) :

أنعامنا ان أتت عند العشى تخل   أصواتها كدوي الرعد بالسحر

فيه **مبالغة** غير مقبولة ، فأين أصوات الأنعام مهما ارتفعت من صوت الرعد فى وقت السحر . وقوله في البيتين (12 ، 13) :

يوم الرحيل اذا شدت هوادجنا   شقائق عمها مزن من المطر

فيها العذارى وفيها قد جعلن كوى   مرقعات بأحداق من الحود

فيهما **تشبيه** ضعيف ، فما ابعد الحركة والتلفت فى العيون الحوراء من السكون والجمود في أستار أسدلت على الكوة .

ولا يخلو النص من بعض الصور المقبولة ، من ذلك قوله في البيت (18) :

« ترابها المسك . . . . . » .

وقوله في البيت (19) :

نلقي الخيام وقد صفت بها فغدت   مثل السماء زهت بالأنجم الزهر

وان كان تأثيرها في المعنى تأثيرا ضئيلا .

وقد **نوع الشاعر أسلوبه بين الخبر والانشاء** ، ولم يكثر من الأساليب الانشائية في النص ، لأنه كان في موقف الحكم أو القاضي ، عليه أن يلقي بالأحكام مؤيدا وجهة نظره بالدليل والبرهان .

ومن الأساليب الانشائية في ألنص قوله في البيت الأول :

« يا عاذرا . . . . . وعاذلا . . . . . »

فيــه نداء يثــير الانتبــاه .   وقــوله في البيت (9) :

« فيــا لهــا وقفــــة . . . . . » .

فيه نداء يدل على التعجب والتحسر ، لأن الشاعر كان أسيرا بعيدا عن حياة البادية التي يحبها .

ومن المحسنات البديعية في النص ، **الطبــاق** ، من ذلك قــوله في البيتين (1 ، 2)

« يا عــــاذرا . . . . .   وعــــاذلا . . . . . »

« تذمـــــن . . . . . وتمدحــــن . . . . . »

وذكر الشئ وضــده ، يزيد وضوحه ويؤكد معنــاه في الذهن .

والجناس كما ترى في قوله في البيتين (11 ، 20) :

« ظلمنــــا . . . . . ظليمــــا . . . . . » .

« نقـــل . . . . .   وعقـــل . . . . . » .

وحسن **التقسيم** في البيت (21) :

«الحسن يظهر في بيتين رونقــه   بيت من الشعر أوبيت من الشعر»

والمدح بما يشبه الذم في اليت (33) حيث يقول :

« ما في البداوة من عيب تذم به . . . . . الا المروءة . . . . . »

ولا يخفى عليك ما في هذه الأساليب من اثر في المعنى والأسلوب .

مجمــل القــول

- **تناول هذا النص موضوعا هاما ، وهو العلاقة بين المدينة والبادية ، وأثر كل منهما على الانسان . ولــكن الشاعر عالجه معالجة ضعيفة ، فاصبح لونا من المطــارحات او المساجلات الادبية .**
- **وقد تميز بهدوء العاطفة وبكثرة الأفكار وبساطتها وعدم ترابطها ، وســلم اســلوبه الى حد كبير من عيوب الضعف والركاكة التي تعتمد على اصطيــاد المحسنات البديعية والاكثار من الزخارف اللفظية .**
- **والنــص من بحــر البسيــط ، ووزنه :**

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن   مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن .

المنـــاقشــة :

1 ـ لحياة البادية آثار فى أخلاق سكانها . اشرح ذلك كما فهمته من النص .

2 ـ ما اجملّ مظـاهر الطبيعة البـدوية التي وصفها الشاعر فى النـص ؟

3 ـ رسم الشاعر صورة الرحيل فى البادية . فوضحها بإسلوبك .

4 ـ هل حقيقة ان حُياة البادية تطيل أعمار سكانها ؟ ولمـاذا ؟

5 ـ مجد الشاعر بعض العادات العربية القديمة . اذكر بعضها مبينا رايك فيها .

6 ـ **ما في البـداوة من عيب تذم به … الا المروءة والاحسان بالبـدر**

فصل جمـال التعبـير في هذا البيت .

7 ـ **سفائن الـبر ، بل انجى لـراكبها … سفائن البحر كم فيها من الخطر**

هل توافق الشاعر على تفضيـله الابل على السفن للأمن والسلامة ؟

8 ـ قال الشاعر : «**فيا لها وقفة لم تبق من حزن**» . وضح نوع هذا الأسلوب واثره .

9 ـ عرف الشاعر بحب الفطرة وتمسكه برأيه وحدته فيه . فما دليلك من النص على ذلك ؟

10 ـ سـلم هذا النص من بعض عيوب الشعر في عصر الضعف . وضح ذلك مع التمثيل .

11 ـ وضح المقصود من الاستفهام في قول الشاعر :
« **واي عيش لمن قد بات في خفـر ؟** »

12 ـ ما رأيك فى تناسق أفكار هـذا النص ؟ مع التعليـل لمـا تقول .

المقـالة الادبيـة :

« منْ الريف تنبع الثروة ، ومن المدينة تنطلق النهضة » .

ـــ اكتب فى هذا الموضوع موضحا دور القرية ، ودور المدينة فى بناء الأمة . مستعينا بقـول المعـري :

« الناس للناس من بَدْوٍ وحاضرة … بعْضٌ لبعض وانْ لم يَشْعُروا خَدَمُ » .

نمـــوذجان من شعـــره (*) :

آ ـ في الفخـــــر

إِذَا مَا لَقِيتُ الخيلَ ، إنِّي لأوَّلُ   وإن جال أصحابي فإنِّي لها تال

أدافع عنهم ، ما يخافـون من ردًى   فيشكرُ كُلُّ الخلقِ من حسنِ أفعالي

وأُوردُ رايـاتِ الطِّعـانِ صحيحةً   وأُصْدِرُها ـ بالرَّمْيِ ـ تِمْثَالَ غِرْبَالِ

ومن عادةِ الساداتِ ، بالجيش تَحْتَمِي   وبي يَحتمِي جيشي ، وتُحرَسُ أبطالي

وبي تَتَقِي ، يومَ الطِّعـانِ ، فوارسٌ   تَخَالِينَهُم ، في الحرب ، أمثالَ أشبالِ

اذا اشتَكَتْ خَيلي الجراحَ تَحَمْحُمًا   أقولُ لها : صبرًا ، كصبري واجمالي

وأَبْذُلُ -يومَ الرَّوْعِ ـ نفسا كريمةً   عَلَى أنَّها في ، السِّلْمِ ، أغْلَى من الغالي

ب ـ في الحث على الجهـاد

بعث الأميرُ بهذه القصيدةِ الى جيوشه في جبال جرجرةَ للشكر والتشجيع .

يَا أَيُّهَا الريـحُ الجنـوبُ تحمَّلي   مِنِّي تحيـةَ مُغْـرَمٍ ، وتجمَّـلي

واقـرِ السلامَ أَهَيْـلَ وُدِّي وانثري   من طيبِ مـا حُمِّلتِ ريـحَ قـرنفل

خَلِّي خيـامَ بني الـكرامِ وخبِّري   أني أبيـتُ بحُـرقةٍ وتبلْبُـل

جَفْنـايَ ، قد أَلِفا السُّهـادَ لبينِكم   فلذا ، غـدا طيبُ المنـامِ ، بمعْزَل

كـم ليـلةٍ قـد بِتُّهـا مُتحـيِّرا   كمبيتِ أرمدَ في شـقًا وتململُـل

أَفـدِي أناسا ليس يُدعَى غيرُهم   جـاشـا العِصابةَ والطـرازَ الأول

البـاذلـون نُفـوسَهم ونفيسَـهم   في حبِّ مالِكِنـا العظيم الأجـلل

الصادقون ، الصابرون لدى الوَغَي   الحامـلون لـكل ما لم يُحْمَـل

ان غـيرُهم نال اللـذائذَ مسرِفـا   هم يبتغـون قراع كُتْب الجَحْفَـل

لا يعـرف الشكوى صغـيرٌ منهُم   أبـدا ولا البـلوَى ، اذا ما يَصْطَلي

مـا منهـمُ الا شـجاعٌ قـارعٌ   أو بـارعٌ في كل فعـلٍ مُجْمِـل

فدِمـاؤُهم وسـيوفُهم مَسـفوحةٌ   مَمْسـوحةٌ بثيـاب كلِّ مُجَنْـدَل

لا يَحـزَنون لهالكٍ بـل عنـدهم   موتُ الشهـادةِ غبـطةُ المتحـوِّل

يارب إنَّـك في الجهـاد أقمتَهم   فبـكل خـير عنهـم فتفضَّـل

يارَبُّ ، يـاربَّ الـبَرَايا زِدْهُـمُ   صَـبرا ونَصرا ! دائمـا بتكمُّـل

وافتَـحْ لهم مـولايَ فتحـا بيِّـنا   واغفِـر وسامِـح يا إلَهي عَجِّـل

وتجَـاوَزَنْ مولايَ عن هفـواتهم   والطُفْ بهم في كل أمـر مُـنْزَل

(*) ديوان الأمير عبد القـادر الجزائري .

4

في سَرَنْـــــدِيب *



لمحمود سامي البـارُودِي

(1255 – 1322 هـ — 1838 – 1904 م)

تعريف وتمهيـد :

« **محمود سامي البارودي** » رائد الشعر العربي في العصر الحديث ، ينتمي إلى أسرة شركسية الأصل عاشت في مصر ، حيث ولد ونشأ شاعرنا وبدأ حياته التعليمية في منزله ، ثم إلتحق بالمدرسة الحربية وتخرج فيها ضابطا عام 1854 م . وظل يَتَرَقَّى في رُتَبِ الجيش المختَلِفَةِ حتى وصل إلى مَصَافِّ الضباط الكبار .

وقد اثرت في تكوين **شخصيته الأدبية** مجموعة من العوامل هيأته للنهوض بالشعر العربي وبعثه من جديد في العصر الحديث .

ومن أهم هذه العوامل : **استعداده الفطري لتذوق الشعر ونظمه** ، وثقافته الخاصة التي تزود فيها بقراءة الجيد من الشعر العربي القديم ، واجادته اللغتين التركية والفارسية ، وتجاربه وخبراته في الحياة ، واسهامه في المعارك الحربية ، واشتراكه في الادارة والسياسة ، وتوليه الوزارة .

وفي عام 1881 م ، قام الجيش المصري **بثورة** على « الخديوي توفيق » تحت قيادة « **احمد عرابي** » وحاول « **البارودي** » أن يوفق بين الخديوي والجيش ، ولكنه لم ينجح في مسعاه ، فانضم الى الثوار ، وانتهى الأمر بفشل الثورة ، واحتلال الانجليز لمصر عام 1882 م .

والقى الانجليز القبض على الثوار ومن بينهم « البـارودي » ونفوه الى جزيرة « سرنديب »(*) وقضى في منفاه سبعة عشر عاما يعاني من آلام الغربة ، وخيبة الآمال وقد كبر سنّه ، وتخطف الموت بعضَ اهله واصحابه ، واخيرا سُمح له بالرجوع الى مصر عـام 1900 م . وتوفى بعد ذلك بأربع سنوات .

وللبارودي آثار ، **اهمها مختاراته** التي انتقاها من عيون الأدب العربي القديم ، **وديوان شعري** حوى العديد من القصائد في مختلف الموضوعات ، ومنه نقدم لك هذا النص الذي نظمه في **منفاه** ، وصور فيه حالته النفسية وموقفه من فشل الثورة العربية

(*) سرنديب : احدى جزر الهنـد

النــــص :

(أ)

1 ـ تَأَوَّبَ طَيْفٌ مِنْ « سَمِيرَ » زَائِرُ ... وَمَا الطَّيْفُ إِلَّا مَا تُرِيهِ الخَوَاطِرُ

2 ـ طوى سُدْفَةَ الظَّلْمَاءِ وَاللَّيْلُ ضَارِبٌ ... بِأَرْوَاقِهِ وَالنَّجْمُ بِالأُفْقِ حَائِرُ

3 ـ فَيَا لَكَ مِنْ طَيْفٍ أَلَمَّ وَدُونَهُ ... مُحِيطٌ مِنَ البَحْرِ الجَنُوبِيِّ زَاخِرُ

4 ـ تَخَطَّى إِلَيَّ الأَرْضَ وَجْداً وَمَالَهُ ... سِوَى نَزَوَاتِ الشَّوْقِ حَادٍ وَزَاجِرُ

5 ـ أَلَمَّ وَلَمْ يَلْبَثْ وَسَارَ وَلَيْتَهُ ... أَقَامَ وَلَوْ طَالَتْ عَلَيَّ الدَّيَاجِرُ

(ب)

6 ـ فَيَا بُعْدَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّتِي ... وَيَا قُرْبَ مَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ الضَّمَائِرُ

7 ـ وَلَوْلاَ أَمَانِي النَّفْسِ وَهِيَ حَيَاتُهَا ... لَمَا طَارَ لِي فَوْقَ البَسِيطَةِ طَائِرُ

8 ـ فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنَا ... فَكُلُّ امْرِئٍ يَوْماً إِلَى اللهِ صَائِرُ

(حـ)

9 ـ صَبَرْتُ عَلَى كُرْهٍ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي ... وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَنْدُوحَةً فَهْوَ صَابِرُ

10 ـ وَمَا الحِلْمُ عِنْدَ الخَطْبِ وَالمَرْءُ عَاجِزٌ ... بِمُسْتَحْسَنٍ كَالحِلْمِ وَالمَرْءُ قَادِرُ

11 ـ وَلَكِنْ إِذَا قَلَّ النَّصِيرُ وَأَعْوَزَتْ ... دَوَاعِي المُنَى فَالصَّبْرُ فِيهِ المَعَاذِرُ

(د)

12 ـ فَلاَ يَشْمَتِ الأَعْدَاءُ بِي فَلَرُبَّمَا ... وَصَلْتُ لِمَا أَرْجُوهُ مِمَّا أُحَاذِرُ

13 ـ فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الأَمْرُ بَعْدَ اعْوِجَاجِهِ ... وَتَنْهَضُ بِالمَرْءِ الجُدُودُ العَوَاثِرُ

14 ـ وَلِي أَمَلٌ فِي اللهِ تَحْيَا بِهِ المُنَى ... وَيُشْرِقُ وَجْهُ الظَّنِّ وَالخَطْبُ كَاشِرُ

15 ـ إِذَا المَرْءُ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى اللهِ فِي الَّذِي ... يُحَاذِرُهُ مِنْ دَهْرِهِ فَهْوَ خَاسِرُ

(*) ديوان البارودي .

1 ـ **سميرة** : ابنة الشاعر . 2 ـ **سدفة الظلماء** : السدفة : ما يستر به الشيء . **الليل ضارب بأرواقه** : الارواق : جمع روق وهو الستر . والمقصود أن الظلام قد عم واستقر . 3 ـ **البحر الجنوبي** : يقصد به المحيط الهندي الذي تقع فيه جزيرة سرنديب . 4 ـ **حاد وزاجر** : اسما فاعل من حدا الابل ، بمعنى غنى لها ليحثها على المسير ، وزجر الابل بمعنى ساقها . 9 ـ **مندوحة** : سعة .
13 ـ **الجدود العواثر** : جمع جد ، وهو الحظ ، والحظ المتعثر هو الذي لايسعف صاحبه . 14 ـ **كاشر** : متهيء ومستعد للهجوم والافتراس .

16 ـ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَهُ فَلَيْـسَ لَهُ فِي مَعْرِضِ الحَقِّ نَاصِرُ
17 ـ وَمَنْ لَمْ يَـذُقْ حُلْوَ الزَّمَانِ وَمُرَّهُ فَمَا هُـوَ إِلاَّ طَائِـشُ اللُّبِّ نَافِـرُ

(هـ)

18 ـ عَلَيَّ طِلاَبُ العِـزِّ مِنْ مُسْتَقَـرِّهِ وَلاَ ذَنْبَ لِي إِنْ عَارَضَتْنِي المَقَـادِرُ
19 ـ فَمَاذَا عَسَى الأَعْـدَاءُ أَنْ يَتَقَوَّلُوا عَلَيَّ وَعِـرْضِي نَاصِعُ الجَيْبِ وَافِرُ ؟
20 ـ فَلِي فِي مُرَادِ الفَضْـلِ خَيْرُ مَغَبَّةٍ إِذَا شَـانَ حَيًّا بِالخِيَـانَةِ ذَاكِـرُ
21 ـ مَلَكْتُ عُقَـابَ المُلْكِ وَهْيَ كَسِيرَةٌ وَغَـادَرْتُهَا فِي وَكْرِهَا وَهْيَ طَـائِرُ
22 ـ وَلَو رُمْتُ مَا رَامَ امْـرُؤٌ بِخِيَـانَةٍ لَصَبَّحَنِي قِسْـطٌ مِنَ المَـالِ غَـامِرُ
23 ـ وَلَكِنْ أَبَتْ نَفْسِي الكَرِيمَةُ سَوْءَةً تُعَـابُ بِهَـا وَالدَّهْرُ فِيـهِ المَعَايِرُ
24 ـ وَلَو أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَـادَةِ بِالغِنَى لَكَاثَرَ رَبَّ الفَضْـلِ بِالمَـالِ تَاجِـرُ
25 ـ فَلاَ غَـرْوَ أَنْ حُزْتُ المَكَارِمَ عَارِيًا فَقَدْ يَشْهَدُ السَّيْفُ الوَغَى وَهْوَ حَاسِرُ
26 ـ فَلاَ الفَقْرُ إِنْ لَمْ يُدْنَسِ العِرْضُ فَاضِحٌ وَلاَ المَـالُ إِنْ لَمْ يَشْرُفِ المَرْءُ سَاتِرُ
27 ـ إِذَا مَا ذُبَابُ السَّيْفِ لَمْ يَكُ مَاضِيًا فَحِلْيَتُهُ وَصْمٌ لَدَى الحَـرْبِ ظَاهِرُ

(و)

28 ـ فَسَوْفَ يَبِينُ الحَقُّ يَوْمًا لِنَـاظِرٍ وَتَنْزُو بِعَـوْرَاءِ الحُقُـودِ السَّرَائِرُ
29 ـ وَمَا هِيَ إِلاَّ غَمْـرَةٌ ثُمَّ تَنْجَـلِي غَيَـابَتُهَـا وَاللهُ مَنْ شَـاءَ نَـاصِرُ
30 ـ وَعَمَّـا قَلِيلٍ يَنْتَهِي الأَمْـرُ كُلُّـهُ فَمَـا أَوَّلٌ إِلاَّ وَيَتْـلُوهُ آخِـرُ

---

19 ـ **ناصع الجيب** : نصع الشيء نصوعا خالصا . الجيب جمعه جيوب وهو من القميص طوقه وعند العامة هو كيس يخاط فى جانب الثوب ويجعل فمه من الخارج ، والمراد هنا : نقي خالص من كل ما يعيبه .
يحاط فى جانب الثوب ويجعل فمه من الخارخ ، والمـراد هنـا : نقي خالص من كل ما يعيبـه .
21 ـ **العقاب** : طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى نوي المخالب وجمعه عقبان ، واعقب . والمراد هنا مسئولية الحكم . 21 ـ **كسيرة** : قلقة مضطربة . 23 ـ **السوءة** : العيب والنقيصة .
27 ـ **ذباب السيف** : حـده . 28 ـ **تنزو السرائر** : تتحرك الضمائر فتكشف ما أخفت من الأسـرار .
عوراء الحقود : الضغائن المعيبـة .

شرح وايضــاح :

تناول « **البارودي** » الحديث عن **المأساة** التي حلت به من جراء مشاركته **في الثورة العربية في مجموعة** من الافكار .

في الفقرة (أ) تحدث عن عواطف الشوق والحنين الى الاهل والاحباب والوطن ، وتركزت عواطفه في حديثه عن زيارة طيف ابنته « سميرة » ، فقد زاره طيفها لكثرة ما يفكر فيها ، ويتمنى لقاءها ، وان كان لم يستمتع به جيدا ، فلم يكن الطيف جليا واضحا ، اذ جاء في ليل حالك الظلام ولم يمكث طويلا ، فعلى الرغم من البحار التي تفصل بينه وبين ابنته فان طيفها أتاه مدفوعا بالأشواق كما يدفع الراعي إبله ويحثها على المســـير .

وفي الفقرة (ب) يستيقظ الشاعر من احلامه ، ليعيش **في واقعه الأليم** ، فيرى أن ما بينه وبين أحبائه بعيد جدا في الواقع ، وان كانوا قريبين من قلبه وخواطره ، ولو لا **الأمل** ـ وهو حياة النفوس ـ **يراوده** في لقائهم ما بقي حيا على هذه الدنيا ، فان بخلت عليه باللقاء فسيحظى به حتما في الآخرة ، يوم يعود الناس لرب العالمين .

وفي الفقرة (**حـ**) يضع الشاعر يده على سبب **مأساته الحقيقية** ، لينفس بذلك عن كربته ، فيتحدث عن دوره في الثورة وما اعقبها من هزيمة ونفي ، فيستسلم للصبر مرغما لا مختارا ، وليس في ذلك الصبر فضيلة يشكر عليها ، وانما هو ـ في نظره ـ صبر العاجز المغــلوب على أمره .

وفي الفقــرة (**د**) يلتفت الى **الشامتين الحاقدين** ليقول لهم : ان شرفي عظيم لا يدنسه شيء وليس لكم أن تفرحوا شماتة بي ، فان الدنيا لا تسير على حالة واحدة ومهما احاطت بي المصائب فان **ايماني بالله يبدد اليأس ، ويبعث في نفسي الأمل والعزم على النهوض بعد الكبوة** ، ومن لم يلجأ الى الله ليحتمي به من مصائب الحياة فهو فيها من الخاسرين ، ومن لم يصبر على بلواه لا يجد من ينصره ، والذي لا يذوق مر الحيـــاة وحــلوها يعيش على هامش الحياة فلا يدرك سرها .

وفي الفقرة (**هـ**) يبين انه اذا كان قد أخفــق فيما يرجوه من معـــالي الأمــور ، وآل أمره الى هذا المصير فان ذلك لم يكن عن تقصير منه ، ولذا فهو راضي النفس لأن أعداءه لن يجدوا فيه مغمزا ، فشرفه عظيم يعجز الأعداء عن تدنيســه ، ويقول : لقد توليت مسئولية الحكم ، والأمور مضطربة فأصلحتها ، وتركتها بعـد أن اســتقام شأنها ، ولو كنت مثل هؤلاء الخائنين لأصبح لدي من الأموال الطائلة الشيء الكثير ، ولكن **نفسي الأبية** لا تقبل العار ، والدهر مليء بالعيوب ، وليس الغنى غنى المال ، والا لفاق التجار بأموالهم ذوي الفضل في الشرف والمكانة ، ولا عجب أن أنال المجد

على الرغم مما حل بي ، فان الفقر لا يدنس العرض ، **والمال لا يعوض الشرف المسلوب** ، كما لا يجدي السيف نفعا ترصيعه بالحلي والذهب اذا كان حده غير قاطع ولا بتار .

وفى الفقرة (و) يعلن عن رجائه فى كشف الغمة وتفريج الكربة وجلاء الحقيقة ؛ فان ضمائر الحاقدين لن تقدر أبدا على اخفاء ما فيها من حسد وحقد وضغينة ، وان ما أصابه من بلاء ليس الا أزمة عارضة مثل كل الأزمات سوف تنتهي حتما ، وينصر الله من يشاء من عباده ، ولكل بداية نهاية ، ولكل أجل كتاب .

دراســة الأفكــار :

يذكرنا موضوع هـذا النص بمفاخر « أ فراس الحمـداني » ، وخاصة في « رومياته » التي كتبها في الأسر ، ومنها قوله :

أسرت وما صبحي بعزل لدى الوغي   ولا فـرسي مهـر ولا ربه غمـر
ولكن اذا حم القضـاء على امرىء   فليـس لـه بر يقيـه ولا بحـر

فالموضوع **ليس جديدا** على الشعر العربي ، ولكن اهتمام « **البارودي** » بالثورة العرابية ، وجه اهتمام الشعراء اللاحقين الى الحديث عن **الثورات الشعبية** وتخليدها ، وحث الشعوب على القيام بها ، حتى نما هذا اللون من الشعر وتطور على أيديهم ، واصبح غرضا مستقلا ، سمي : « **بالأدب التحرري** » .

و قد **عاش « البارودي » مأساة حقيقية** ، وانفعل بأحداثها **فعبر عنها تعبيرا صادقا** . وكان تصويره للأحداث والأشياء تصويرا ذاتيا يفصح عن شعوره ويوضح عواطفه الصادقة القـوية .

وأفكار النص الأساسيـة ، هي :

1 ــ **شـوق الى الأهـل والأوطان .**

2 ــ **حالتـه في المنـفى .**

3 ــ **مأسـاته .**

4 ــ **رد على الشـامتين .**

5 ــ **اعتزاز بتحمـل الصعـوبات في سبـيل المجـد .**

6 ــ **رجـاء في زوال الغمـة .**

وهي أفكار تتميز **بالوضوح والغزارة والتماسـك** فيما بينها .

وقد استوحى « **البارودي** » بعض أفكاره من منابع فطرية عميقة في طبيعة النفس الانسانية نتيجة **لاستغراقه الطويل في ماساته** ، فزيارة **طيف ابنته له** ، لكثرة ما فكر فيها ، ظاهرة نفسية اكدتها الدراسات المعاصرة فى **علم النفس** .

وافكار الشاعر تنم عن **ايمان قوي بالله** ، يعتمد على الثقة بالنفس والاذعان **للقضاء والقدر** ، فقد بني علي **فكرة الرجوع الى الله** عند العجز عن مقاومة الهزائم تحقيق هدفين :

احدهما : راحة النفس ، لأن الانسان اذا لم يوفق فى بعض ما يرجوه من شئون الحياة ، وقد بذل من الجهد كل ما يستطيع ، وجد فى الإيمان بقضاء الله وقدره **راحة من عذاب النفس وتانيب الضمير** .

ثانيهما : الأمل في تحقيق النجاح ومواصلة السعي والكفاح ، لأن الانسان اذا أراد أمرا ، وقدم له الأسباب ، ولم يحصل على النتائج ، فعليه أن يعاود الكرة بعد الكرة حتى يتحقق له ما يصبو اليه من آمال .

والنص من هذه الزاوية له **طابع تربوي** في حياة الأفراد والشعوب ، فالعقبات لا تفل العزائم الصلبة ، والنكبات لا تزعزع الارادة القوية ، **وفي تلك الطاقة الشعورية التي ينفثها « البارودي » في شعره قيم خلقية عظيمة** يجدر بك أن تقتدي بها وتضعها نصب عينيك .

ولقد حاول « **البارودي** » ان يعيد للقصيدة **بناءها القوي القديم** ، فاتخذ من كبار الشعراء امثلة يحتذيها ، وقد بلغ به التاثر حدا بعيدا كما ترى فى قوله فى البيت (18) :

على طلاب العز من مستقره ... ولا ذنب لى ان عارضتني المقادر

فهو متاثر بقول « **ابى فراس الحمداني** » :

على طلاب العز من مستقره ... ولا ذنب لي ان حاربتني المقادر

وقوله في البيت (30) :

وعما قليل ينتهي الأمر كله ... فما أول الا ويتلوه آخر

معناه قريب من قول الشاعر « **اسامة بن منقذ** » 548 هـ :

خفض عليك فللأمور نهاية ... والى النهاية كل شيء صائر

ومع ذلك فان « **للبارودي** » **اصالة تتجلى في شعره كرائد مجدد ، ينهض بالشعر العربي بعد انتكاسة طال بها الزمن**(*) .

(*) فى الادب الحديث : عمر الدسوقي ، ص 287 ج 1 ط 7 .

دراســة الأســلوب :

ألفاظ النص واضحة ، سلمت من الـكلمات العامية التي شاع ذكرها عند الشعراء السابقين خلال مرحلة الضعف الأدبي ، وعباراته **جـزلة** محكمة النسج ، ليس فيها غموض او التواء . وقد كثرت **الحكمـة** في النص ، من ذلك قوله في الأبيات (8 ، 9 ، 17) :

« . . . . . كل امرىء يوما الى الله صائر » .

« . . . . . ومن لم يجد مندوحة فهو صابر » .

ومن لم يذق حلو الزمان ومره فما هو الا طائش اللب نافر

وهذه **الحكم** ــ وغيرها في النص ــ عبر عنها الشاعر بأسلوب خال من **الصور البيانية** ولـكنها لا تخلو من **العاطفة** .

وتتضح نفسية الشاعر من خلال اساليب النص ؛ فقد اكثر من **الأسلوب الخبري** الذي يوحي **بالثقة** فيما يلقي من أحكام .

واستخدم **اساليب القصر** ، من ذلك قوله في البيت (17) :

« . . . . . فمـا هو الا طائش اللب نافر » .

فقد قصر **الموصوف** وهو **الانسان** ، الذي لم يجرب الحياة ، على **صفة** هي **الطيش والنزق** ؛ وهذا القصر يدل على **خبرة الشاعر بالحياة** وشئونها .

وقوله أيضا في البيت (29) :

« وما هي الا غمـرة ثم تنجـلي . . . . . » .

قصر الموصوف ، وهو الحالة التي يعانيها على **صفـة** هي الشدة العارضة التي سوف تزول حتما .

وهذا **الأمل الثابت** والثقة الآكيدة في جلاء الغمة وكشف الـكربة التي أصابته يدل على عزم أصيل ونفس راسخة لا تزعزعها الأحداث .

وقد استعان الشاعر **بالصور البلاغية** المختلفة في تصوير مشاعره واحاسيسه نحو ما يعانيه من **صراع نفسي** .

من ذلك قوله في البيت (2) :

« طـوى سـدفة الظلمـاء . . . . . » .

فقد شبه الظلام الشديد بالشيء الذي يحجب الرؤية تماما عن العيون ، وهو تشبيه مقلوب يعكس لنا الحالة النفسية التي يعيش فيها الشـاعر .

وقوله في البيت (4) :

تخطى الى الأرض وجـدا ومـاله　　　سـوى نزوات الشوق حاد وزاجر

فقد **شبه** اندفاع الطيف اليه بقوة الاشواق كاندفاع الابل في المسير بقوة الزجر والحداء وهذا يدل على **عنف الأشواق** المتبادلة بينه وبين ابنـته التي ابتعـد عنهـا قسرا (**وهو تشبـيه ضمني**) .

وفي قـوله في البيت (14) :

« . . . . . الخطـب كاشـر » .

استعارة تدل على قسوة المصيبة التي لحقت به ، فقد صورها بحيوان مفترس كشر عن أنيابه ، وفي ذلك ايحاء بتضخيم الهـول وعظم المصيـبة .

وفي قـوله في البيت (18) :

« . . . . . عـارضتني المقـادر » .

استعارة جميلة أبرز فيها الشـاعر قوة الأقدار وفاعليتها وضعف الانسان أمام مقاومتها ليبرر بذلك القول هزيمته حتى ينشد لنفسه الصبر والعزم .

وفي قوله في البيت (21) :

ملكت عقـاب المـلك وهي كسيرة　　　وغادرتهـا في وكـرها وهي طائر

تصوير جيد لمسئولية الحكم يوحي بآثاره العظيمة فى تدبير الأمور وتسيير شؤون الدولة عندما اسـندت اليه ، وفي ذلك نشدان للتسلي عن همومه باستعراض ما له من امجـاد سـابقة .

وفى قـوله فى البيت (2) :

« . . . . . والنجـم بالأفـــق حـــائر » .

كناية عن طول الليل توحي بسـوء الحالة النفسـية التي يعيش فيها .

وفي قـوله في البيت (19) :

« . . . . . وعرضي ناصـع المجيب وافـر » .

كناية عن صفة هي الشرف يدافع بها عما حل به من هزائم .

ولم يستخدم الشـاعر الأسـلوب الانشائي الا قليلا .

ومن ذلك قـوله في اليت (19) :

« فماذا عسى الأعـداء أن يتقولوا . . . . . » .

وهـو **اسـلوب استفهـامي** يدل على عجز الآعداء عن النيل من شرفه .

وفي قـوله في البيت (6) :

« فيا بعـد ما بيني وبين أحبتي . . . . . » .

نـداء يوحي باللـوعة والتحسر .

ولم يسرف الشاعر في استخدام **المحسنات البديعية** . واذا جاءت ، **فهي مناسبة في مؤضعها غير متكلفة ، تزيد المعنى وضوحا والأسـلوب جمالا .**

كالطبـاق في قوله في البيتين (17 ، 10) :

« ومن لم يذق حـلو الزمان ومره . . . . . » .

وما الحـلم عند الخطب والمرء عاجز بمستحسن كالحلم والمرء قادر البيت

والمقـابلة في قوله في البيت (26) :

فلا الفقران لم يدنس العرض فاضح ولا المـال ان لم يشرف المرء ساتر

وفي النص كثير من **الوان البلاغة** ، نترك لك فرصة للتعـرف عليها واكتشـاف مواطن الجمـال فيها .

مجمـل القـول

- **النص من الشعـر الطليعي في العصر الحديث ، يصور حالة شعورية من خـلال حادث وطني ، هو فشل الثورة العُرابية في مصر واحتلال الانجليز لهـا ، ونفيُ الثـوار واخراجُهم من البـلاد .**
- **وتمـتزج فيه الحكمـة والموعظة بالفخر ، وتلوح فيه آياتُ الشوق الى الاهل ، والحنينُ الى الوطن ، ويكشف عن جانب من تاريخ الثورة العربية .**
- **وافكار النص جيدة واضحة ليس فيها ابتكار ، ولـكنها تتسم بالصدق الشعوري ، وقد تاثر في بعض افكاره بفحول الشعراء السابقين .**
- **وعاطفة الشاعر متوهجة تفيض قوة وصدقا وتنعكس على الصور البلاغية فتبدو جذابة ومثيرة .**
- **وابيات النص من بحـر الطـويل ، ووزنه :**

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن .

المناقشة :

1 ــ بم وصف الشاعر طيف ابنته « سميرة » ؟

2 ــ الشاعر فى محنته غير راض بهذا اللون من الصبر . فلماذا ؟

3 ــ اكثر البارودي من الاعتزاز بنفسه . فما سبب هذا الاتجاه في النص ؟
وهل يقبل منه ذلك . ولماذا ؟

4 ــ شخصية البارودي قوية متطلعة . من اي ابيات النص تدرك معالم شخصيته ؟

5 ــ تشيع في النص روح دينية . فأين تجدها ، وما مصدرها ؟

6 ــ « ليس الغنى بالمال » . كيف عبر الشاعر عن هذا القول ؟ وما فلسفته في الفقر والغنى ؟

7 ــ كيف ندد الشاعر بأعداء الثورة العرابية ؟

8 ــ ما المناصب السياسية التي شارك فيها الشاعر ، وما دوره فى مسئولية الحكم كما صوره في هذا النص ؟

9 ــ اذكر حكمة اعجبتك من النص وبين ما فيها من جمال .

10 ــ في النص « اساليب قصر » ، تخير واحدا منها ، ووضح اثره فى المعنى .

11 ــ بين مظاهر التجديد فى هذا النص .

12 ــ أخرج من النص فكرة قلد فيها الشاعر غيره من الشعراء السابقين .

السؤال الكتابي :

« ان الشدائد بوتقة تصهر الرجال » .

ــ اكتب فى هذا المعنى مستعينا بافكار هذا النص .

المقال الأدبي :

« البقاء للأصلح » .

ــ اكتب مقالا تناقش فيه هذه الفكرة مسترشدا بقوله تعالى : « **اما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض** » مبرهنا على صدق هذا المبدا بشواهد من التاريخ القديم والحديث .

نماذج من شعره : (*)

ا ـ الرثاء

قال **البارودي** يرثي زوجته وهو في منفاه :

لَا لَوعَتِي تَدَعُ الفُؤَادَ وَلَا يَدِي ... تَقْوَى عَلَى رَدِّ الحَبِيبِ الغَادِي
يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ ... كَانَتْ خُلَاصَةَ عُدَّتِي وَعَتَادِي (1)
إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا ... أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الأَسَى أَوْلَادِي (2)
أَفْرَدْتَهُنَّ فَلَمْ يَنَمْنَ تَوَجُّعاً ... قَرْحَى العُيُونِ رَوَاجِفَ الأَكْبَادِ
يَبْكِينَ مِنْ وَلَهٍ فِرَاقَ حَفِيَّةٍ ... كَانَتْ لَهُنَّ كَثِيرَةَ الإِسْعَادِ
فَخُدُودُهُنَّ مِنَ الدُّمُوعِ نَدِيَّةٌ ... وَقُلُوبُهُنَّ مِنَ الهُمُومِ صَوَادِي (3)
أَسَلِيلَةَ القَمَرَيْنِ أَيُّ فَجِيعَةٍ ... حَلَّتْ لِفَقْدِكِ بَيْنَ هَذَا النَّادِي
أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكِ رَهِينَةً ... فِي جَوْفِ أَغْبَرَ قَاتِمِ الأَسْدَادِ
أو أن تَبِيني عن قرارةِ مَنْزِلٍ ... كنتِ الضياءَ له بكل سواد
لَوْ كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَقْبَلُ فِدْيَةً ... بِالنَّفْسِ عَنْكِ لَكُنْتُ أَوَّلَ فَادِي
جَزَعُ الفَتَى سِمَةُ الوَفَاءِ وَصَبْرُهُ ... غَدْرٌ يَدُلُّ بِهِ عَلَى الأَحْقَادِ
وَمِنَ البَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الأَسَى ... رَعْيَ التَّجَلُّدِ وَهْوَ غَيْرُ جَمَادِ (4)
هَيْهَاتَ بَعْدَكِ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي ... أَسَفاً لِبُعْدِكِ أَوْ يَلِينَ مِهَادِي
وَلَهِيَ عَلَيْكِ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي ... وَالدَّمْعُ فِيكِ مُلَازِمٌ لِوِسَادِي ( )
فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِي ... وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي

(*) البارودي : عمر الدسوقي .

1 ـ **الحليلة** : الزوجة . 2 ـ **الضني** : المرض . 3 ـ **صوادى** : جمع صادية وهي الشديدة العطش .
4 ـ **سامه الامر** : كلفه اياه ، التجلد : الصبر . 5 ـ **الوساد** : جمع وساد . وهي ما يوضع تحت الراس عند النوم .

ب ـ في وصف حالته بالسجن

وقد قضى فيه الشاعر فترة من الزمن بعد فشل الثورة العرابية التي شارك فيها :

لَا أَنِيسٌ يَسْمَعُ الشَّكْوَى وَلَا ... خَبَرٌ يَأْتِي ، وَلَا طَيفٌ يَمُرْ
بَيْنَ جُدْرَانٍ وَبَابٍ مُوصَدٍ ... كُلَّمَا حَرَّكَهُ السَّجَّانُ صَرْ(1)
يَتَمَشَّى دُونَهُ حَتَّى إِذَا ... لَحِقَتْهُ نَبْأَةٌ مِنِّي اسْتَقَرْ(2)
كُلَّمَا دُرْتُ لِأَقْضِي حَاجَةً ... قَالَتِ الظُّلْمَةُ : مَهْلاً لَا تَدُرْ
أَتَقَرَّى الشَّيْءَ أَبْغِيهِ فَلَا ... أَجِدُ الشَّيْءَ وَلَا نَفْسِي تَقِرْ(3)
فَاصْبِرِي يَا نَفْسُ حَتَّى تَظْفَرِي ... إِنَّ حُسْنَ الصَّبْرِ مِفْتَاحُ الظَّفَرْ
هِيَ أَنْفَاسٌ تَقَضَّى وَالفَتَى ... حَيْثُمَا كَانَ أَسِيرٌ لِلْقَدَرْ

جـ ـ في وصف طائر

استيقظ الشاعر من نومه على اثر حركة طائر فاخذ يتتبع حركاته ويصفها بدقة

وَنَبْأَةٍ أَطْلَقَتْ عَيْنَيَّ مِنْ سِنَةٍ ... كَانَتْ حِبَالَةَ طَيفٍ زَارَنِي سَحَرَا
فَقُمْتُ أَسْأَلُ عَيْنِي رَجْعَ مَا سَمِعَتْ ... أُذْنِي ، فَقَالَتْ : لَعَلِّي أَبْلُغُ الخَبَرَا
ثُمَّ اشْرَأَبَّتْ فَأَلْفَتْ طَائِراً حَذِراً ... عَلَى قَضِيبٍ يُدِيرُ السَّمْعَ وَالبَصَرَا(4)
لَا تَسْتَقِرُّ لَهُ سَاقٌ عَلَى قَدَمٍ ... فَكُلَّمَا هَدَأَتْ أَنْفَاسُهُ نَفَرَا
يَهْفُو بِهِ الغُصْنُ أَحْيَاناً وَيَرْفَعُهُ ... دَحْوُ الصَّوَالِجِ فِي الدَّيْمُومَةِ الأُكَرَا(5)
مَا بَالُهُ وَهْوَ فِي أَمْنٍ وَعَافِيَةٍ ... لَا يَبْعَثُ الطَّرْفَ إِلَّا خَائِفاً حَذِرَا
إِذَا عَلَا بَاتَ فِي خَضْرَاءَ نَاعِبَةٍ ... وَإِنْ هَوَى وَرَدَ الغُدْرَانَ أَوْ نَقَرَا

---

1 ـ صر : صوت . 2 ـ دونه : أمامه النبأة : الصوت الخفي . 3 ـ تقرى الشيء : تتبعه ، تقر : تهدأ 4 ـ اشرأبت : اشرأب للشيء : مد عنقه لينظره . 5 ـ دحا اللاعب الكرة : دلعها ورماها ، والديمومة : الأرض المستوية .

5	**نكبـــة « دمشـــق »** **احمـد شــوقي**

(1285 – 1351 هـ — 1868 – 1932 م)

تعريف وتمهيـــد :

امير الشعراء ((**احمد شوقي**)) ، شاعر مصري ، ولد في القاهرة عام 1868 م ، وتلقى علـومه الأولى بها ، ثم واصل دراسته في فرنسـا ، ورجع ليتولى منصبا في قصر ((**الخديوي عباس**)) الذي نحاه الانجليز من الحكم خلال الحرب العالمية الأولى ، ونفي « شوقي » الى اسبانيا ، ثم عـاد بعد خمس سنوات من منفاه ليقف الى جوار الشعوب العربية في نضالها . واتخذ من شعره سلاحا يناضل به المستعمرين ، ويبعث العزم والأمل في نفوس العرب الثـائرين (1) .

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى (1914 ـ 1918 م) وقفت **تركيا** الى جانب **المـانيا وايطاليا** ، ضـد **انجلترا وفرنسا وحلفائهما** . فلجأ الحلفاء الى **العرب** وطلبوا اليهم أن يقفوا الى جانبهم ضد **دول المحور** ، ومن بينها **تركيا** ، واذا فعل العرب ذلك فان **الحلفاء سيمنحونهم الحرية والاستقلال** متى خرجوا منتصرين ، ولـكنها كانت **وعودا كاذبة** . فقد انتصر الحلفاء **ولم ينفذوا شيئا مما وعدوا به العرب** .

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، وتم توقيع **الهـدنة** ، انعقـد **المؤتمر السوري** في عـام 1919 م ، وأعلن الاستقلال ، فاجتمع المجلس الأعلى للحلفاء في ((**سان ريمو**)) **بايطاليا** عـام 1920 م ورفض منح **سوريا** استقلالها ، وزحفت **فرنسا** بجيوشها لتفرض **الانتداب على البلاد السورية** .

ولـكن شعبها الأبي لم يستسلم ، **فتجددت الثورة في** عام 1925 م ، وقـام **الدروز** في جبال **لبـنان** بهجوم عنيف على المستعمرين الفرنسيين ، فثارت ثائرة **فرنسا** وصبت مدافعها على مدينة ((**دمشق**)) ، وقتلت العديد من سكانها ، **وحطمت** دورها وآثارها . فاهتزت **مشاعر العـرب** لهذه الـكارثة المروعة ، وهب الـكتاب والشعراء يندون **بموقف فرنسا** ، ويطالبون الأحرار في كل مكان أن **يقفوا مع الشعب السوري في** محنته ويمدوه بالتأييد المـادي والمعنوي .

واقيم بالقاهرة مهرجان وطني لهذا الغرض ، شارك فيه الشاعر **بقصيدة صور فيها مصاب** ((**دمشق**)) ، ودعا العرب الى القيام بما يمليه عليهم واجبهم نحوها ، ومعاني أخرى تتضح لك من دراستك للقصيدة التالية :

---

(1) ستأتي ترجمة مفصلة لحياته وآثاره .

النص : (*)

(أ)

1 – سَلامٌ مِنْ صَبَا بَرَدَى أَرَقُّ ... وَدَمْعٌ لَا يُكَفْكَفُ يَا «دِمَشْقُ»

2 – وَمَعْذِرَةُ الْيَرَاعَةِ وَالْقَوَافِي ... جَلَالُ الرُّزْءِ عَنْ وَصْفٍ يَدِقُّ

3 – وَذِكْرَى عَنْ خَوَاطِرِهَا لِقَلْبِي ... إِلَيْكِ تَلَفُّتٌ أَبَداً وَخَفْقُ

4 – وَبِي مِمَّا رَمَتْكِ بِهِ اللَّيَالِي ... جِرَاحَاتٌ لَهَا فِي الْقَلْبِ عُمْقُ

(ب)

5 – دَخَلْتُكِ وَالْأَصِيلُ لَهُ ائْتِلَاقٌ ... وَوَجْهُكِ ضَاحِكُ الْقَسَمَاتِ طَلْقُ

6 – وَتَحْتَ جِنَانِكِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي ... وَمِلْءُ رُبَاكِ أَوْرَاقٌ وَوُرْقُ

7 – وَحَوْلِي فِتْيَةٌ غُرٌّ صِبَاحٌ ... لَهُمْ فِي الْفَضْلِ غَايَاتٌ وَسَبْقُ

8 – غَمَزْتُ إِبَاءَهُمْ حَتَّى تَلَظَّتْ ... أُنُوفُ الْأُسْدِ وَاضْطَرَمَ الْمَدَقُّ

9 – وَضَجَّ مِنَ الشَّكِيمَةِ كُلُّ حُرٍّ ... أَبِيٍّ مِنْ أُمَيَّةَ فِيهِ عِتْقُ

(ح)

10 – لَحَاهَا اللهُ أَنْبَاءً تَوَالَتْ ... عَلَى سَمْعِ الْوَلِيِّ بِمَا يَشُقُّ

11 – يُفَصِّلُهَا إِلَى الدُّنْيَا بَرِيدٌ ... وَيُجْمِلُهَا إِلَى الْآفَاقِ بَرْقُ

12 – تَكَادُ لِرَوْعَةِ الْأَحْدَاثِ فِيهَا ... تُخَالُ مِنَ الْخُرَافَةِ وَهْيَ صِدْقُ

13 – وَقِيلَ : مَعَالِمُ التَّارِيخِ دُكَّتْ ... وَقِيلَ : أَصَابَهَا تَلَفٌ وَحَرْقُ

(*) الشـوقيـات .

1 – بردى : نهر في سوريا ، 6 – ورق : جمع ورقاء : وهي الحمامة البرية ، 9 – الشكيمة : الحديدة التي توضع في فم الفرس : وتمثل جزءا من اللجام الذي يمسك به الفارس ، والمراد بها هنا : القيد الذي يفرضه المستعمرون .

(د)

14 ـ أَلَسْتِ دِمَشْقُ لِلإِسْلَامِ ظِئْراً ... وَمُرْضِعَةُ الأُبُوَّةِ لَا تُعَقُّ ؟
15 صَلَاحُ الدِّينِ تَاجُكِ لَمْ يُجَمَّلْ ... وَلَمْ يُوسَمْ بِأَزْيَنَ مِنْهُ فَرْقُ
16 ـ وَكُلُّ حَضَارَةٍ فِي الأَرْضِ طَالَتْ ... لَهَا مِنْ سَرْحِكِ العُلْوِيِّ عِرْقُ
17 ـ سَمَاؤُكِ مِنْ حُلَى المَاضِي كِتَابٌ ... وَأَرْضُكِ مِن حلَى التَّارِيخِ رَقُّ
18 ـ بَنَيْتِ الدَّوْلَةَ الكُبْرَى وَمُلْكاً ... غُبَارُ حَضَارَتَيْهِ لَا يُشَقُّ
19 ـ لَهُ بِالشَّامِ أَعْلَامٌ وَعُرْسٌ ... بَشَائِرُهُ بِأَنْدَلُسٍ تُدَقُّ

(هـ)

20 ـ رِبَاعُ الخُلْدِ وَيحَكَ مَا دَهَاهَا ... أَحَقٌّ أَنهَا دَرَسَتْ أَحَقُّ ؟
21 ـ وَهَلْ غُرَفُ الجِنَانِ مُنَضَّدَاتٌ ؟ ... وَهَلْ لِنَعِيمِهِنَّ كَأَمْسِ نَسْقُ ؟
22 ـ وَأَيْنَ دُمَى المَقَاصِرِ مِنْ حِجَالٍ ... مُهَتَّكَةٍ وَأَسْتَارٍ تُشَقُّ ؟
23 ـ بَرَزْنَ وَفِي نَوَاحِي الأَيْكِ نَارٌ ... وَخَلْفَ الأَيْكِ أَفْرَاخٌ تُزَقُّ
24 ـ إِذَا رُمْنَ السَّلَامَةَ مِنْ طَرِيقٍ ... أَتَتْ مِنْ دُونِهِ لِلْمَوْتِ طُرْقُ
25 ـ بِلَيْلٍ لِلْقَذَائِفِ وَالمَنَايَا ... وَرَاءَ سَمَائِهِ خَطْفٌ وَصَعْقُ
26 ـ إِذَا عَصَفَ الحَدِيدُ احْمَرَّ أُفْقٌ ... عَلَى جَنَبَاتِهِ وَاسْوَدَّ أُفْقُ

---

14 ـ **الظئر** : المرضعة . 15 ـ **يوسم** : يوصف باي علامة . **فرق** : الفرق يسمى به مفرق الشعر والمقصود هنا الراس . 16 ـ **السرح العلوي** : الشجر العالي . 17 ـ **رق** : نوع من الجلد استخدم فى الكتابة قبل الورق . 18 ـ **لا يشق غباره** : لا يمكن اللحاق به والوصول اليه . 22 ـ **المقاصر** : جمع مقصورة : وهي الدار الواسعة المصونة . **حجال** : جمع حجلة وهي الستر يضرب للعروس . 23 ـ **الايك** : الشجر الكثير الملتف . والواحدة (ايكة) . 25 ـ **صعق** : من الصاعقة : وهي نار تسقط من السماء فى رعد شديد .

(و)

27 ـ سَلِي مَنْ رَاعَ غِيدَكِ بَعْدَ وَهْنٍ　　أَبَيْنَ فُؤَادِهِ وَالصَّخْرِ فَرْقُ ؟
28 ـ وَلِلْمُسْتَعْمِرِينَ وَإِنْ أَلاَنُوا　　قُلُوبٌ كَالْحِجَارَةِ لَا تَرِقُّ
29 ـ رَمَاكِ بِطَيْشِهِ وَرَمَى فَرَنْسَا　　أَخُو حَرْبٍ بِهِ صَلَفٌ وَحُمْقُ
30 ـ إِذَا مَا جَاءَهُ طُلَّابُ حَقٍّ　　يَقُولُ : عِصَابَةٌ خَرَجُوا وَشَقُّوا
31 ـ دَمُ الثُّوَّارِ تَعْرِفُهُ فَرَنْسَا　　وَتَعْلَمُ أَنَّهُ نُورٌ وَحَقُّ +

(ز)

32 ـ بَنِي سُورِيَّةَ اطَّرِحُوا الأَمَانِي　　وَأَلْقُوا عَنْكُمُ الأَحْلَامَ أَلْقُوا
33 ـ فَمِنْ خِدَعِ السِّيَاسَةِ أَنْ تُغَرُّوا　　بِأَلْقَابِ الإِمَارَةِ وَهْيَ رِقُّ +
34 ـ نَصَحْتُ وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَاراً　　وَلَكِنْ كُلُّنَا فِي الهَمِّ شَرْقُ +
35 ـ وَيَجْمَعُنَا ـ إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادٌ ـ　　بَيَانٌ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ وَنُطْقُ
36 ـ وَقَفْتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَو حَيَاةٍ　　فَإِنْ رُمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْقُوا
37 ـ وَلِلأَوْطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حُرٍّ　　يَدٌ سَلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحِقُّ
38 ـ وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنَايَا　　إِذَا الأَحْرَارُ لَمْ يُسْقَوْا وَيَسْقُوا؟
39 ـ وَلَا يَبْنِي الْمَمَالِكَ كَالضَّحَايَا　　وَلَا يُدْنِي الْحُقُوقَ وَلَا يُحِقُّ
40 ـ فَفِي الْقَتْلَى لِأَجْيَالٍ حَيَاةٌ　　وَفِي الْأَسْرَى فِدًى لَهُمُ وَعِتْقُ
41 ـ وَلِلْحُرِّيَّةِ الحَمْرَاءِ بَابٌ　　بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ +

---

27 ـ **الغيد** : جمع غيداء وهي الشابة الناعمة الرقيقة . 29 ـ **الصلف** : تمدح الانسان بما ليس عنده وغروره . 41 ـ **مضرجة** : ملطخة بالدماء .

شرح وايضـــاح :

تناول الشاعر في هذا النص مجموعة من الأفكار :

بداها بأبيات الفقرة (أ) ، وفيها يبعث بتحياته الرقيقة الى « **دمشق** » ، ويذرف دموعه أسفا على **مصابها** ، ويعتذر لعجزه عن تصوير ما أصابها من البلاء ، لأن فادحتها كبيرة لا يستطيع وصفها الـكتاب والشعراء ، ومع ذلك فقلب الشاعر الجريح من مصابها ، يعيش مع احداثها في دقاته وخفقاته .

وفى أبيات الفقرة (ب) يتحدث الشاعر عن **ذكرياته فى دمشق** ، فقد زارها قبل نكبتها ، وعندما دخلها كانت الشمس تميل الى الغروب ، فالفى فيها حدائق غناء ، وانهارا جارية ، وطبيعة خلابة ، ولقي من أهلها ترحيبا وتكريما ، يدل على كرم أصلهم وطيب عنصرهم ، ومكانتهم فى الفضل والتقدم . ووجدهم يتبرمون من قيود الاستعمار لما لهم من **عراقة فى الحرية والاستقلال** .

وفى أبيات الفقرة (حـ) **يصور احساسه نحو الأخبار التي ترددت حول نكبة** « **دمشق** » وهي انباء مروعة يصعب سماعها على نفوس الأصدقاء الأوفياء ، وقد تناولتها وسائل الاعلام في مختلف بلاد العالم فانتشرت سريعة ، مفصـلة حيـنا ومجمـلة أحيانا ، وهي لعظم بشاعتها قد يحسبها السامع خرافة وكذبا ، مع أنها حقيقة واقعة مرة ، ولعل **اعنف** هذه **الأنباء** ، ما تردد حول امتداد النكبة الى **الآثار الخالدة في** « **دمشق** » فدمرتها واحرقتها .

وفي أبيات الفقرة (د) يشير الشاعر الى **عظمة** « **دمشق** » **وتاريخها المجيـد** ، فلقد **حفظت الاسلام وصانته** ، وكانت بمثابة الأم التي تحنو على طفلها الرضيع ، ومن الواجب على **الأبناء الأوفياء** ان يراعوا حق الأمهات ، ولهذا كان لا بد عليهم أن يحرصوا على حفظها وحمايتها من عبث الأعــداء .

ثم يخاطب « **دمشق** » **قائلا** :

ان لك في مجال الفخر **ازهى تاج نصبه التاريخ** على راسك ، فقد شهدت **بطولات** « **صلاح الدين الأيوبي** » الذي طهر بلاد الشام من الصليبيين المغيرين ، وفي أرضك **استقرت دعائم الحضارة العربية** التي استمدت من نورها كل حضارات الدنيا .

وغدت سماؤك كتابا يحوي أروع صحف المجد ، وأرضك سجل الآثار والمعالم التي لا تفنى . وكنت **عاصمة لدولة اسلامية عظيمة** ، اسسـها الأمويون في الشرق ، ثم خفقت راياتها فوق ربوع **الشام والأندلس** ــ وفاقت حضارتها كل حضارات العالم في زمانها .

وفي أبيات الفقــرة (هـ) يصور الشاعر **فظائع المأساة** فيتسـاءل منكرا ما أصاب **الربوع الخالدة** ؟ ، وهل دمرها العدو حقا ؟ ، وهل بقي فيها شئ من مظاهر الترف والنعيم الذي عهده الشاعر ؟ ، وما مصير نسائها الحسان المصونات بعد أن هتكت

أستارهن ، وامتد العدوان الى خدورهن ! لقد خرجن والفزع يستولي على نفوسهن واشتعال النار من حولهن ، فذهلن عن كل شئ حتى عن أطفالهن الصغار ، ولم يجدن فرارا أو خلاصا . لقد كان الليل حالك الظلمة عندما انصبت قذائف الأعداء كالمطر على المدينة الثائرة فاستحالت سماؤها دخانا ولهبا قويا ، ينشران الخراب ، ويقذفان الرعب والدمار في كل مكان .

وفي الفقرة (و) يندد الشاعر بالمستعمرين ، فيخاطب « دمشق » قائلا : اسالي ن فزع قلوب نسائك الرقيقات في ظلام الليل الحالك ، هل في قلبه شفقة أو رحمة ؟

ان قلوب المستعمرين جميعا كالحجارة بل اشد قسوة ، مهما اظهروا من الرقة واللين أحيانا . والدليل على قسوتهم وجبروتهم ما فعله ذلك القائد **الفرنسي الاحمق** الذي أمر بتدميرك وحرقك ، فأساء بصنيعه ، الى امته « **فرنسا** » ، فقد اظهرها عدوا للحرية وللأحرار .

وفي الفقرة (ز) يوجه الشاعر نصحه وتحذيره الى **الشعب السوري** فيقول : وا الأماني الكاذبة ، والأحلام التي تعيشون فيها حينما تتصورون أن الحرية منحة الأعداء ، ولا تنخدعوا بأساليب المستعمرين الذين يغرونكم بألفاظ الأمارة ومناصب ئاسة ، وهي فارغة جوفاء فظاهرها الحرية وحقيقتها العبودية .

انني أتوجه اليكم بالنصيحة مع انني أعيش في مصر ، وانتم في سوريا ، ولكن معنا مشاعر الألم والأمل ، وتربط بيننا أواصر متينة ، أهمها **اللغة العربية** سبيل دة **الفكر والثقافة والمشاعر والوجدان والعواطف** . وانتم الآن في موقف حرج ، ان تم **حياة العزة والكرامة** ، فادفعوا الثمن غاليا ؛ لأنها تتطلب **التضحية بالنفس** نفيس . ومهما عظمت تضحياتكم في سبيل **حرية الوطن** فلا تستكثروها ، لأن طان **حقا فوق كل الحقوق** ، والاحرار أولى الناس برده ، يدفعونه من أموالهم واحهم فداء لحرية الوطن ، **ولا تبنى الامم بغير الكفاح** ، **ولا تنال الحرية الا** **سلاح** ، وفي دماء الشهداء حياة كريمة لمن يعيش معهم أو من يأتي بعدهم .

ان للحرية بابا موصدا لا يدخل منه الا من دميت يداه من كثرة الطرق في عزم **ـة واصرار .**

اسة الأفكار .

موضوع هذا النص من **الأدب القومي التحرري** ، الذي نما وازدهر في عصرنا لحديث ، فقد واكب **الثورة العربية** ضد الاحتلال الأوربي .

عاصر « **شوقي** » أحداثا تاريخية عظيمة ، تتمثل في انتفاضة الشعب العـ
فى مختلف البلاد العربية ، ومع أن شوقي ينتمي الى أصول غير عربية ، لكن شـ
السياسي يوضح **صدق ولائه لعروبته ودينه الاسلامي** ، وخاصة بعد عودته من منفـ

ولم يكن « **شوقي** » فى دمشق يوم أن ضربهـا المستعمرون بمدافعهم ، و
ير بعينـه ما أصابها من الدمار والخراب ، لـكنه عايش تجربته الشعرية ، وعا
فى وجدانه معاناة صادقة ، فجاء تعبيره عنها تعبيرا دقيقا ، حتى يخيل اليك وهو ينـ
من وصف جانب في المأساة الى وصف جانب آخر ، أنك ترى بعينيك ، وتلمس بيديك
وتسمع بأذنيك كل شئ يدور في « دمشق » .

وفى هذه القصيدة التي عبر فيها شوقي عن شعوره نحو **ماساة « دمشق »** ؛
صورة صادقة لمشاعره العربية الفياضة .

وقد تناول هذا النص الأفكار الأساسـية الآتية :

1 ـ تحـية واسف واعتـذار .
2 ـ ذكـرياته في دمشـق .
3 ـ أخبـار الفجيعة وأثرها في نفسه .
4 ـ عظمة دمشق وتاريخهـا المجيـد .
5 ـ تصـوير لفظاعة المأساة .
6 ـ تنـديد بالمستعمرين .
7 ـ ارشـاد وتوجيـه .

ولعلك لاحظت ان الشاعر قد أطال في الوصف احيانا ، وتطرق لمواقف كثيرة
يبدو في ظاهرها أنه ابتعد عن موضوعه الأصلي .

ومن بين هذه المواقف : حديثه عن **ذكرياته في « دمشق »** ووصف اهلها وآثا
وذكرتاريخها ، ولـكن الشاعر نجح في ربط ذلك كله بموضوعه الأصلي واستفاد
في نمو بنـاء قصيدته .

وقد أعد الشاعر قصيدته لكي تلقى فى مهرجان أقيم لنصرة **دمشق** ، فغـ
عليها **الطـابع الـوجداني الانفعالي** الذي يمس قلـوب السـامعين .

واستعان الشاعر **بالمنطق الفكري المقنع** فى مجادلة المستعمرين ، وتشويه أعما
الوحشية كما ترى فى الأبيات (29 ، 31) حيث أوضح مخالفة المستعمرين الفرنسـ
لمبادئهم التي نادوا بها من قبل فى **الحرية والمساواة ورفعوها شعارا لثورتهم الفرنسـ**
عـام 1789 م .

واستفاد « **شوقي** » **من التاريخ** فى أفكار هذا النص فتراه يتحدث عن **عصر بني امية** ، وعن **حضارة الاندلس** ، وعن « **صلاح الدين الأيوبي** » الذي حطم الصليبيين وطردهم من بلاد الشام بعد حكم دام قرابة قرنين من الزمان .

وذكر الحقائق التاريخية فى مثل هـذه المناسبة لـه دلالة جيدة ، فان **التذكير بالامجاد برهان على اصالة هـذا الشعب** ، وتأييد لموقفـة النضالي ضد الغاصبين المستعمرين .

وفي بعض الأفكار نلاحظ اقتباسا من القـرآن الـكريم ، من ذلك قـوله في البيت (6) :

« وتحت جنانك الأنهـار تجـرى . . . . . » .

ماخوذة من قوله تعـالى :

« جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار » (*)

وفي النـص **نزعة حكمية** امتاز بها شعر شوقي بصورة عامة ، وبرزت صورة جلية في هذا النص ، من ذلك قوله في البيتين (28 ، 4) :

وللمستعمـرين وان الانـوا   قـلوب كالحجـارة لا ترق
وللحـرية الحمـراء بـاب   بـكل يد مضرجـة يـدق

وقد اتخذ شوقي موقف الناصح والمحذر ، والمرشد والداعية ، فحق له ان يلجا الى الحكم التي تمس القلب وتخاطب العقل وتبقى ماثـلة فى الذاكرة .

دراسـة الأسـلوب :

يمتاز أسـلوب النص بإحكام عباراته وجودة تركيبها ، وسهولة الفاظه وسلامتها ووضوحها وإيحائها . كما ترى فى قوله فى البيت (23) :

« . . . . . أفـــراخ تــــزق » .

فكلمة تزق لها ايحاء قوي في المعنى ، فهي تجسم صغر الفراخ وعجزها عن الاستقـلال بالطعام .

وكلمـات النص متسقة فيما بينها تحدث نغما عذبا يسمى « **الموسيقى الداخلية** » .

وقدكثرت **الأساليب البلاغية** فى هذا النص ، وتنوعت لتلائم عناصر الموضوع الذي تناوله الشاعر ، فهو يصور عواطفه نحو **ماساة دمشق** ، والعاطفة تحتاج الى الخيال ، والصورة هي المرآة التي يظهر فيها الخيال وتنعكس عليها العاطفة ، وقد استعان الشاعر بالصور الجزئية والصور الـكلية .

(*) من سورة البينة الآية رقم (8) .

وقد مرت بك الوان **الصور الجزئية** من **تشبيه ، واستعارة ، ومجاز ، وكناية .**
وهي كثيرة في هذا النص ، نشير لك الى بعضها ،من ذلك التشبيه البليغ في البيت (14) :

« ألست دمشق للاسلام ظئرا ؟ . . . . . . » .

وهو يدل على مدى حنو دمشق ورعاينها **للاسلام** .

والاستعارة في البيت (3) :

« . . . . لقلبي اليك **تلفت** . . . . » .

اذ جعل القلب يتلفت الى دمشق لشدة تعلقه بها وعمق ذكراها في حناياه .

والمجاز في قوله بالبيت (2) :

« ومعذرة اليراعة والقوافي . . . . . » .

حيث عبر **باليراعة** واراد بها النثر وهو **مجاز مرسل** علاقته **الآلية** . وعبر **بالقوافي** عن الشعر ، وهو **مجاز مرسل** علاقته **الجزئية** .

والكناية في قوله بالبيت (13) :

« . . **وقيل معالم** التاريخ . . . . »

فهي **كناية** عن المباني والمعالم الاثرية **في دمشق** ، وهذا يوحي ببشاعة العدوان .

والصورة الكلية واضحة في هذا النص ، تتجلى في الفكرة الخامسة ، والتي اراد أن يصور الشاعر فيها فظائع الاستعمار واعماله ، فقد صور المراة السورية منعمة مكرمة مصونة في دارها ، فاذا لحظة النزق تنصب عليها فتخرج مذعورة لا تجد طريقا للخلاص .

وتتابع أجزاء الصورة لتكون **لوحة متكاملة** ، فالطفل الذي يصرخ ، واللهيب المستعر والدخان المتطاير ، والفزع الذي يملأ المكان ، كل هذه الأشياء تكون منظرا واحدا يعبر عن وحشية الاستعمار وقسوته .

وتتنوع أساليب النص بين **الخبر والانشاء** . ومن الأساليب الانشائية **الاستفهام المتعدد الأغراض** ، كما ترى في الأبيات (14 ، 21 ، 22) :

« ألست دمشق للاسلام ظئرا ؟ . . . . . . » .

« وهل غرف الجنان منضدات ؟ . . . . . » .

« وأين دمى المقاصر ؟ . . . . . . » .

ففي الأول **استفهام** يدل على **التقرير** ، والثاني يدل على **الانكار** ، والثالث يدل على **التحسر** .

والأمر فى قوله فى البيت (27) :

سلي من راع غيـــدك بعد وهن ابين فـــؤاده والصخر فـــرق ؟

والنـــداء في قوله بالبيت (32) :

بني ســـورية اطـــرحوا الأماني . . . . . . » .

ولهذه الأساليب الانشائية مقـــاصد يجدر بك أن تتأملها وتقف على سر التعبير بها هنا .

واستعان الشاعر **بالمحسنات البديعية المتعددة** ، وهي طبيعية فى موضعها غـــير متكلفة ، من ذلك **الجناس** في قوله بالبيت (6) :

« وملء رباك أوراق وورق . . . . » .

والطباق في الأبيات (11 ، 12 ، 36) :

« يفصلهـــا . . . . . ، يجملهـــا . . . . . » .

« . . . . . . تخال من الخرافة وهي صدق » .

« وفقتم بين مـــوت أو حيـــاة . . . . . . » .

وفي النص العـــديد من الصور البـــلاغية ، والأســـاليب الخـــبرية والانشائية ، والمحســـنات البديعية ، يمكنك ادراك ما فيها من جمال وتأثير في المعنى .

مجمـــل القـــول

- **النص ، من الادب التحرري ، الذي يصور موقفا بطوليا لشعب ســـوريا ، ويسجل الخزى والعـــار على المستعمرين الفرنسيين ، ويستنهض همم السوريين والعرب اجمعين لرد عدوان المعتدين .**
- **ويتميز بخصوبة الأفكار ، وجودة المعاني وابتكارها وتآلفها ، ويبدو من خلال افكاره ، اهتمام شوقي بالأحداث التاريخية ، وميله الى سوق الأمثال والحـــكم .**
- **واســـلوبه قوي العبـــارة جيد التركيب ، والفاظه قوية جـــزلة واضحة موحية فيها جـــرس موسيقي .**
- **وقد صاغ الشـــاعر تجربته في قالب موسيقي من بحـــر الوافر، ووزنه :**
  مفـــاعلتن مفـــاعلتن فعولن مفـــاعلتن مفـــاعلتن فعولن

المنـــــاقشـــة :

1 ـ تحدث الشـاعر عن عظمة دمشـق . اذكـر ما تعـرفه عن تاريخها .

2 ـ اي ابيـات النص أوضح دلالة في تأثر الشـــاعر بنكبة دمشـق ؟

3 ـ لمـاذا اختار الشـاعر المراة السورية والطفل ليصور بهما هول الفزع فى نكبة دمشـق ؟

4 ـ بمـاذا وصف شـوقي المستعمـرين ؟

5 ـ ما موقف الاستعمـــار من طلاب الحـرية ؟ وبمـاذا نصفهم ؟

6 ـ وضح الروابط التي ذكـرها الشـــاعر بيـــنه وبين شعب سوريا .

7 ـ في النص ، حكم جميلة . وضح معنى الحكمة . واشر حكمة أعجبتك من النص .

8 ـ يلجأ الاستعمار الى اسـاليب ملتوية ليخدربها الشعوب الثائرة . اذكر بعضا منها .

9 ـ **« ألست دمشـق للاسلام ظئرا ؟ . . »**   **« أبين فؤاده والصخر فرق ؟ . . »**

وضح نوع الاستفهام في البيتين وبين الغرض المقصود من كل واحد فيهما .

10 ـ وضح صورتين بلاغيتين مختلفتين وبين اثر كل منهما في المعنى .

المقـــــــال الادبي .

« لقد ساير الادب العربي ركب الحركة التحررية ضد الاستعمار الأجنبي فى البـلاد العـربية » .

ـــ اكتب فى هذا الموضوع موضحا دور الأدب واثره فى الثورات والحرية .

نماذج من شعره :

أ ــ في رثاء حافظ ابراهيم (*)

قَدْ كُنْتُ أُوثِرُ أَنْ تَقُولَ رِثَائِي ... يَا مُنْصِفَ المَوْتَى مِنَ الأَحْيَاءِ
لَكِنْ سَبَقْتَ وَكُلُّ طُولِ سَلامَةٍ ... قَدَرٌ وَكُلُّ مَنِيَّةٍ بِقَضَاءِ
الحَقُّ نَادَى فَاسْتَجَبْتَ وَلَمْ تَزَلْ ... بِالحَقِّ تَحْفِلُ عِنْدَ كُلِّ نِدَاءِ
وَأَتَيْتَ صَحْرَاءَ الإِمَامِ تَذُوبُ مِنْ ... طُولِ الحَنِينِ لِسَاكِنِ الصَّحْرَاءِ
فَلَقِيتَ فِي الدَّارِ الإِمَامَ مُحَمَّدًا ... فِي زُمْرَةِ الأَبْرَارِ وَالحُنَفَاءِ
أَثَرُ النَّعِيمِ عَلَى كَرِيمِ جَبِينِهِ ... وَمَرَاشِدُ التَّفْسِيرِ وَالإِفْتَاءِ
فَشَكَوْتُمَا الشَّوْقَ القَدِيمَ وَذُقْتُمَا ... طِيبَ التَّدَانِي بَعْدَ طُولِ تَنَاءِ
إِنْ كَانَتِ الأُولَى مَنَازِلَ فُرْقَةٍ ... فَالسَّمْحَةُ الأُخْرَى دِيَارُ لِقَاءِ
وَوَدِدْتُ لَوْ أَنِّي فِدَاكَ مِنَ الرَّدَى ... وَالكَاذِبُونَ المُرْجِفُونَ فِدَائِي
النَّاطِقُونَ عَنِ الضَّغِينَةِ وَالهَوَى ... وَالمُوغِرُو المَوْتَى عَلَى الأَحْيَاءِ
مِنْ كُلِّ هَدَّامٍ وَيَبْنِي مَجْدَهُ ... بِكَرَائِمِ الأَنْقَاضِ وَالأَشْلاءِ
مَا حَطَّمُوكَ وَإِنَّمَا بِكَ حُطِّمُوا ... مَنْ ذَا يُحَطِّمُ رَفْرَفَ الجَوْزَاءِ
أُنْظُرْ فَأَنْتَ كَأَمْسِ شَأْنُكَ بَاذِخٌ ... فِي الشَّرْقِ وَاسْمُكَ أَرْفَعُ الأَسْمَاءِ
بِالأَمْسِ قَدْ حَلَّيْتَنِي بِقَصِيدَةٍ ... غَرَّاءَ تُحْفَظُ كَاليَدِ البَيْضَاءِ
غِيظَ الحَسُودُ لَهَا وَقُمْتُ بِشُكْرِهَا ... وَكَمَا عَلِمْتَ مَوَدَّتِي وَوَفَائِي
فِي مَحْفِلٍ بَشَّرْتُ آمَالِي بِهِ ... لَمَّا رَفَعْتَ إِلَى السَّمَاءِ لِوَائِي
يَا حَافِظَ الفُصْحَى وَحَارِسَ مَجْدِهَا ... وَإِمَامَ مَنْ نَجَلَتْ مِنَ البُلَغَاءِ
مَا زِلْتَ تَهْتِفُ بِالقَدِيمِ وَفَضْلِهِ ... حَتَّى حَمَيْتَ أَمَانَةَ القُدَمَاءِ
جَدَّدْتَ أُسْلُوبَ « الوَلِيدِ » وَلَفْظَهُ ... وَأَتَيْتَ لِلدُّنْيَا بِسِحْرِ الطَّائِي
وَجَرَيْتَ فِي طَلَبِ الجَدِيدِ إِلَى المَدَى ... حَتَّى اقْتَرَنْتَ بِصَاحِبِ البُؤَسَاءِ
مَاذَا وَرَاءَ المَوْتِ مِنْ سَلْوَى وَمِنْ ... دَعَةٍ وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِغْضَاءِ

(*) الشوقيات ، ج 3 .

إِشْرَحْ حَقَائِقَ مَا رَأَيتَ وَلَمْ تَزَلْ أَهْلاً لِشَرْحِ حَقَائِقِ الأَشْيَاءِ
رُتَبُ الشَّجَاعَةِ فِي الرِّجَالِ جَلاَئِلُ وَأَجلهُنَّ شَجَاعَةُ الآرَاءِ
كَمْ ضِقْتَ ذَرْعاً بِالحَيَاةِ وَكَيدِهَا وَهَتَفْتَ بِالشَّكْوَى مِنَ الضَّرَّاءِ
فَهلُمَّ فَارِقْ يَأْسَ نَفْسِكَ سَاعَةً وَاطْلعْ عَلى الْوَادِي شُعَاعَ رَجَاءِ
وَأَشِرْ إِلى الدُّنيَا بِوَجْهِ ضَاحِكٍ خُلِقَتْ أَسِرَّتُهُ مِنَ السَّرَّاءِ
يَا طَالمَا مَلأَ النَّدِيَّ بَشَاشَةً وَهَدَى إِلَيكَ حَوَائِجَ الفُقَرَاءِ
أَلْيومَ هَادَنتَ الحَوَادِثَ فَاطَّرِحْ عِبءَ السِّنِينَ وَأَلْقِ عِبْءَ الدَّاءِ
خَلَّفْتَ فِي الدُّنْيَا بَيَاناً خَالِداً وَتَرَكْتَ أَجيَالاً مِنَ الأَبْنَاءِ
وَغَداً سَيَذْكُرُكَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ لِلدَّهرِ إِنْصَافٌ وَحُسْنُ جَزَاءِ

ب ـ وصف النيل (*)

مِنْ أَيِّ عَهْدٍ فِي الْقُرَى تَتَدَفَّقُ وَبِأَيِّ كَفٍّ فِي الْمَدَائِنِ تُغْدِقُ
وَمِنَ السَّمَاءِ نَزَلْتَ أَمْ فُجِّرْتَ مِنْ عُلْيَا الجِنَانِ جَدَاوِلاً تَتَرَقْرَقُ
وَبِأَيِّ عَيْنٍ أَمْ بِأَيَّةِ مُزْنَةٍ أَم أَيِّ طُوفَانٍ تَفِيضُ وَتَفْهَقُ(1)
وَبِأَيِّ نَوْلٍ(2) أَنْتَ نَاسِجُ بُرْدَةٍ لِلضَّفَّتَيْنِ جَدِيدُهَا لاَ يَخْلَقُ(3)
تَسْوَدُّ دِيبَاجاً إِذَا فَارَقْتَهَا فَإِذَا حَضَرْتَ اخْضَوضَرَ الإِسْتَبْرَقُ(4)
فِي كُلِّ آونَةٍ تُبَدِّلُ صِبْغَةً عَجَباً وَأَنْتَ الصَّابِغُ الْمُتَأَنِّقُ
أَتَتِ الدُّهُورُ عَلَيكَ مَهْدُكَ مُتْرَعٌ وَحِيَاضُكَ الشُّرُقُ(5) الشَّهِيَّةُ دُفَّقُ
تَسْقِي وَتُطْعِمُ لاَ إِنَاؤُكَ ضَائِقٌ بِالوَارِدِينَ وَلاَ خِوَانُكَ يَنفُقُ
وَنَجِيبَةٍ بَينَ الطُّفُولَةِ وَالصِّبَا عَذْرَاءَ تَشْرَبُهَا القُلُوبُ وَتَعلَقُ
كَانَ الزِّفَافُ إِلَيكَ غَايَةَ حَظِّهَا وَالحَظُّ إِنْ بَلَغَ النِّهَايَةَ مُوبِقُ(6)
لاَقَيتَ أَعْرَاساً وَلاَقَتْ مأْتَماً كَالشَّيخِ يَنعَمُ بِالفَتَاةِ وَتَزْهَقُ

(*) الشـوقيـات ج 2 .

1 ـ **تفهق** : تمتلىء حتى تنصب . 2 ـ **نول** : ما ينسج عليه الثياب . 3 ـ **يخلق** : يبلى .
4 ـ **الاستبرق** : الحرير . 5 ـ **الشرق** : الغرقى . 6 ـ **موبق** : مهلك .

فِي كُلِّ عَامٍ دُرَّةٌ تُلْقَى بِلاَ ثَمَنٍ إِلَيْكَ، وَحُرَّةٌ لاَ تُصْدَقُ
إِنْ زَوَّجُوكَ بِهِنَّ فَهْيَ عَقِيدَةٌ وَمِنَ العَقَائِدِ مَا يَلِبُّ[1] وَيَحْمَقُ
مَا أَجْمَلَ الإِيمَانَ لَوْلاَ ضِلَّةٌ فِي كُلِّ دِينٍ بِالهِدَايَةِ تُلْصَقُ

د ـ الحنين الى الوطن (*)

إخْتِلاَفُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يُنْسِي اُذْكُرَا لِي الصِّبَا وَأَيَّامَ أُنْسِي
وَسَلاَ مصرَ: هَلْ سَلاَ القَلْبُ عَنْهَا، أَوْ أَسَا جُرْحَهُ[2] الزَّمَانُ المُؤَسِّي؟
كُلَّمَا مَرَّتِ اللَّيَالِي عَلَيْهِ رَقَّ وَالعَهْدُ فِي اللَّيَالِي تُقَسِّي؟ [3]
مُسْتَطَارٌ، إِذَا البَوَاخِرُ رَنَّتْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، أَوْ عَوَتْ بَعْدَ جَرْسِ[4]
رَاهِبٌ فِي الضُّلُوعِ، لِلسُّفْنِ فَطْنٌ كُلَّمَا ثُرْنَ شَاعَهُنَّ بِنَقْسِ[5]
يَا ابْنَةَ اليَمِّ مَا أَبُوكِ بَخِيلٌ مَا لَهُ مُولَعاً بِمَنْعٍ وَحَبْسِ؟
أَحَرَامٌ عَلَى بَلاَبِلِهِ الدَّوْ حُ، حَلاَلٌ لِلطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ
كُلُّ دَارٍ أَحَقُّ بِالأَهْلِ، إِلاَّ فِي خَبِيثٍ مِنَ المَذَاهِبِ رِجْسِ
نَفْسِي مِرْجَلٌ، وَقَلْبِي شِرَاعٌ بِهِمَا فِي الدُّمُوعِ سِيرِي وَأَرْسِي
وَطَنِي لَوْ شُغِلْتُ بِالخُلْدِ عَنْهُ نَازَعَتْنِي إِلَيْهِ فِي الخُلْدِ نَفْسِي
وهفا[6] بِالفُؤَادِ فِي سَلْسَبِيلٍ ظَمَأٌ لِلسَّوَادِ[7] مِنْ عَيْنِ شَمْسِ
شَهِدَ اللهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جُفُونِي شَخْصُهُ سَاعَةً، وَلَمْ يَخْلُ حِسِّي

د ـ الغواصة (*)

وَدَبَّابَةٍ تَحْتَ العُبَابِ بِمَكْمَنٍ أَمِينٍ، تَرَى السَّارِي وَلَيْسَ يَرَاهَا
هِيَ الحُوتُ، أَوْ فِي الحُوتِ مِنْهَا مُشَابِهٌ، فَلَوْ كَانَ فُولاَذاً لَكَانَ أَخَاهَا
أَبَتْ لِأَصْحَابِ السَّفِينِ غَوَائِلاَ[8]، وَالأَمُ نَاباً حِينَ تَفْغَرُ فَاهَا

(*) الشوقيات ج 2 .

1 ـ **يلب** : صار لبيا . 2 ـ **اسا جرحه** : داواه . 3 ـ **يقسى** : يصير قاسيا . 4 ـ **الجرس** : الصوت 5 ـ **فطن للنقس** : حذق به والنقس : ضرب الناقوس . 6 ـ **هفا** : اسرع . 7 ـ السواد ما حول البلد من القرى . 8 ـ **غوائل** : جمع غائلة : وهي الداهية .

جَؤُونٌ إِذَا غَاصَتْ ، غَدُورٌ إِذَا طَفَتْ ، مُلَعَّنَةٌ فِي سَبْحِهَا وَسُرَاهَا
تُبَيَّتُ(1) سُفْنَ الأَبْرِيَاءِ مِنَ الوَغَى ، وَتَجْنِي عَلَى مَنْ لاَ يَخُوضُ رَحَاهَا
فَلَوْ أَدْرَكَتْ تَابُوتَ مُوسَى لَسَلَّطَتْ عَلَيْهِ زُبَانَاهَا (2) وَحَرَّ حَمَاهَا
وَلَوْ لَمْ تُغَيَّبْ فُلْكُ نُوحٍ وَتَحْتَجِبْ لَمَا أَمِنَتْ مَقْذُوفَهَا وَلَظَاهَا
فَلاَ كَانَ بَانِيهَا ، وَلاَ كَانَ رَكْبُهَا وَلاَ كَانَ بَحْرٌ ضَمَّهَا وَحَوَاهَا
وَأُفٍّ عَلَى العِلْمِ الَّذِي تَدَّعُونَهُ إِذَا كَانَ فِي عِلْمِ النُّفُوسِ رَدَاهَا

د ـ من الشعر المسرحى :

مصرع « كليوباترا » (*)

تدور أَحداثُ هذه **المسرحيةِ** فى اواخرِ عصر **البطالسةِ** فى مِصْرَ عندما استولت روما على عرشهم . أما مكان الرواية فهو قصر الملكة « **كليوبترا** » ملكة مصر فى ذلك الوقت .

وتتكون المسرحية من اربعة فصول .

يبدأ المنظر فى مكتبة القصر ، وقد جلس ثلاثة من الموظفين يتحدثون عن اناشيد النصر الكاذب التي يتغنى بها الشعب ، فهم يرددون انتصارَ الاسطول المصرى متضافرا مع اسطول « **انطونيو** » فى معركة قُرْبَ **الاسكندرية** ، والحقيقة ان اسطول مِصرَ خرج بأمر من **كليوباترا** من المعركة . ثم تدخل احدى وصيفات القصر ، وتخبرهم بقدوم الملكة التي يستولي عليها الذعر عندما تسمع هتاف الشعب بالنصر ، وتسأل : من اذاع هذا الخبرَ الكاذبَ ؟ فتجيبها احدى وصيفاتها بانها اذاعته حين كثرت الاقاويل والظنون ، وتعتذر لها ، فَتَتَقَبَّلُ الملكةُ عذرها ، ثم تأخذ **كليوبترا** في بيان موقفها ، وسبب انصرافها بأسطولها ، وتقول **انها ارادت ان تقف على الحياد ايثارا لوطنها وحرصا عليه .**

---

1 ـ **بيت للعدو** : اذا اوقع به ليلا من دون أن يعلم .2 ـ **زبانا العقرب** : قرناها .

(*) حكمت الملكة كليوبترا مصر عام 51 الى عام 30ق . م . وهي اخت بطليموس السابع .

ويتبدل المشهد ، فنلتقي **بانطونيو** بين يدي **كليوبترا** ، وقد ظفر في موقعة برية على ابواب **الاسكندرية** ، فتستقبله **كليوباترا** وتأمر بتزيين القصر واقامة الأفراح احتفاء به وبجنوده .

وفي **الفصل الثاني** : تقيم **كليوبترا** وليمة **لانطونيو وقادته من الرومان** ، ولكنها تعرض اثناء المادبة بروما ، فيتألم لذلك القادةُ الرومان الذين يناصرون **انطونيو** ضد **اكتافيوس** ، فيتمردون على **انطونيو** لانه في نظرهم خائن لوطنه ، فاذا انتهت المادبة خرج **انطونيو** لطاردة **اكتافيوس** وجنوده .

وفي **الفصل الثالث** : يخسر **انطونيو** الحرب ويهرب ، ويستظل بشجرة الى جانب المعبد عَلَّهُ يستريح ، فيقبل عليه طبيب روماني كان يعمل في قصر **كليوبترا** ويخبره كذبا بان **كليوبترا انتحرت بسببه** ، فيهتز للأمر ، ويستغفر روما لأنه خانها ، ويستغفر **كليوبترا** لانه كان سبب وفاتها ، ويطلب من غلامه أن يقتله ، فيرفض الغلام ، فينتحر **انطونيو** بيديه .

وفيمشهد آخر : من **الفصل الثالث** : تقف **كليوبترا** مع الكاهن في المعبد لتستعرض الأفاعي السامة ، وتطلب منه أن يعد لها سلة ويضع فيها واحدة من تلك الافاعي **لتنتحر بها** عندما يهددها العدو ويقترب منها ، وفي أثناء ذلك ينقل بعض الجنود **انطونيو** الى المعبد وقد أوشك على الموت ، فترثيه **كليوبترا** فيفيق لحظة يدرك فيها خدعة الطبيب ، ثم يموت بين يدي حبيبته ، ويقف **اكتافيوس** مشاهدا هذا المنظر .

وفي**الفصل الرابع** : تخبر **كليوبترا** وصيفتها بأن **اوكتافيوس** يريد اخذها غنيمة الى روما ، لكنها ستحول دون ذلك ، ثم يُحضِر الكاهن السلة ، فَتُخرِج **كليوبترا** منها الافعى ، وتُدنيها من صدرها فتلدغها وتموت ، وتفعل وصيفتها ذلك . ثم يحضر **اكتافيوس** والطبيب الروماني فتلدغ الافعى الطبيب ويودع **اكتافيوس** جثة الملكة المصرية ويغادر المعبد ، فلا يبقى فيه سوى الكاهن الذي يدعو على الرومان بالدمار وينذرهم بالخراب .

واليك مشهدا من فصول هذه المسرحية :

الفصل الاول من المسرحية ـ المنظر الثاني

« يدخل **انطونيـو** وحاشـيته وقـواده وتابعه أُورُوسُ . انطونيـو يُقبل على **الملـكة** مادا يديه » :

انطونيـو : إلـهتي !

المـلكة : قَيْـصَرِي !

انطونيـو : سُـلطَانَتِي !

المـلكة : ملِـكِي !

انطونيـو : عِنْدِي لَكِ اليَومَ يَا دُنيَايَ أَخْبَـارُ

المـلكة : عَجِّـلْ ، فَدَيتُـكَ !

انطونيـو : لَا ، لَابُدَّ مِنْ ثَمَنٍ !

المـلكة : كَـرَائِمُ المَـالِ ؟

انطونيـو : مَا لِلْمَـالِ مِقْـدَارُ !

« يمـد اليهـا جبـينه في ضراعة »

رُدِّي عَلَيَّ هَامَتِي الغَارَ الَّذِي سُلِبَتْ ... فَقُبْـلَةٌ مِنكِ تَعْلُوهَا هِيَ الغَـارُ

« تقبــله »

كليوباترا :

أليَـــومَ تَعْـلَمُ رُومَـــا أَنَّ ضَرَّتَها ... تُقَـلِّدُ الغَـارَ مَنْ تَهوَى وَتَخْتَـارُ

وَالْيَـــومَ تَعلمُ رُومَـــا أَنَّ فَارِسَها ... جَيْشٌ بِمُفْـرَدِهِ فِي الرَّوعِ جَـرَّارُ

أَنْطُونيُو سَيِّدِي هَلْ نَحْنُ فِي حُلُمٍ ؟ ... أَسَـالِمٌ أَنتَ ؟ لَا أَسْرٌ وَلَا عَـارُ ؟

ـنيــو :

سْرٌ ؟ وَهِمْتَ كِلُوبَاتْرَا ، أتظفرُ بِي ... أَيْدِي الكُمَاةِ وَفي كَفّي أظْفَـارُ ؟
وْ قُلْتِ قَتْلٌ لَكَانَ القولُ أشْبَهَ بِي ... كَأسُ المَنَـايَا عَلَى الأبطَـالِ دَوَّارُ
لَحَـرْبُ تعـلمُ ، وَالأيامُ تَشْهَدُ لِي ... أنِّي شَـدِيدٌ على الأقْـرانِ ، جَبَّارُ
و كُنتِ شَاهَدْتِني ، والحَرْبُ جارِفَةٌ ... وَالصَّفُّ تَحْتِيَ بَينَ الصَّفِ يَنْهَـارُ ،
نْذُ جُنَّ تَحْتِي جَوَادِي ، فَهْوَ عاصِفَةٌ ... وَجُنَّ نَصْلِي بِكَفِّي ، فَهْوَ إعْصَـارُ ،
أَيْتِ حَمْـلَةَ صِدْقٍ غـيرَ كَاذِبَةٍ ، ... لا السَّيلُ يَحْمِلُهَا يَوماً ، وَلَا النَّـارُ
لَمَّـا صَـدَمْتُ جَنَـاحَيْهِمْ وَقَلْبَهُمُ ... عَنِ الخِيَـامِ ، وَمَنْ أوكارِهِمْ طَارُوا
مَا وَجَـدْتُ « لأُكْتافيُو » وَقَادَتِهِ ... رِيحَـاً ، وَلَمْ أتبَـيَّنْ أيَّةً سَـارُوا
وَمالَتِ الشَّمسُ أوْ كَادَتْ ، فَرَاجَعَنِي ... شَوقٌ إليـكِ قَدِيمُ الدَّاءِ ، سَوَّارُ
حَتَّى رَجَعْتُ ، وَلَـو أنِّي طَـرَدْتُهُمُ ... لَبَاتَ «أُكْتَافُ» عِندِي وَانْقَضَى الثَّارُ !

ياترا :

رَكْتَهُمْ لِغَـدٍ ! هَـٰذِي مُجَازَفَةٌ ، ... غَـدٌ غُيُـوبٌ وَأسْرَارٌ وَأقْـدَارُ ،

« مخـاطبةُ اوروس »

أُوُروسُ أَنْـتَ بِفَـنِّ الـــقِتَـالِ أعْـلَمُ مِـنِّي
ألفَـــنُّ فَنُّـــكَ أُوَرو ... سُ وَالسِّـيَاسَـةُ فَـنِّي
فَكُـنْ بِحَقِّـكَ عَوْنِي ، ... وَقُـلْ لِقَيْـصَرَ عَـنِّيَ
إنَّ المُـنَى لَمْ تُقَـصِّرْ ، ... بَـلْ قَـصَّرَ المُتَمَـنِّيَ
فَـلَوْ صَبَرْتُمْ قَليـلاً ، ... وَسِرْتُـمُ في تَـأنِّيَ
أَرَحْتُمُـــونِي وَرُومَـا ... مِنَ الخِصَـامِ المُعَـنِّي !

وس :

سَـيِّدَتِي لَمْ تَقْصُـدِي ... لَمَّـا عَـدَلْتِ سَـيِّدِي ،
عَجِّـلْتِ فِي الحُكْمِ عَلَى ... مَا لَمْ تَرَيْ وَتَشْهَـدِي ،

لَقَـدْ حَمَلْنَـا حَمْـلَةً كَمِثْلِهَـا لَـمْ تُعْهَـدِ
إِسْتَنْفَـذَتْ بَأْسَ القَنَـا وَقُـوَّةَ المُهَنَّـدِ
فَـكَانَ لَابُـدَّ لَنَـا نُرْجِي القِتَـالَ لِلْغَـدِ !

انطونيو :

كِلْيُـوبَاتْرَا ، دَعِينَا مِنْ تَجَنِّيكِ كِلْيُوبَاتْرَا
أَتَبْكِينَ عَلَى الصَّبْرِ وَقَوْمٌ حُرِمُوا الصَّبْرَا ؟
وَلِي مِنْ صَبْرِكِ الوَاهِي جِرَاحُ الأَمْسِ لَمْ تَبْرَا
لَقَـدْ مَنَّيْتُ أُسْطُولِي لَدَى أُسْطُولِكِ النَّصْرَا
حَلِيفُ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ سَأَشْتَدُّ بِهِ أَزْرَا
فَعَبَّا تَحْتَ أَعْلَامِكِ حَتَّى زَحَمَا البَحْرَا ،
وَقَـدْ كَانَا الجَنَاحَيْنِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَنَا النَّسْرَا
وَأَجْرَى الفُلْكَ أَكْتَافِيُو فَأَجْرَيْتُ كَمَا أَجْرَى
صَفَفْنَاهَا وَأَرْسَلْنَا بِهَا نَقْتَحِمُ الجَمْرَا ،
كِلَانَا مَارَسَ الحَرْبَ ، وَعَانَى الكَرَّ وَالفَرَّا
فَلَمَّا آذَتَنَا الحَرْ بُ بِالمَعْرَكَةِ الكُبْرَى ،
تَسَلَّلْتِ بِأُسْطُولِكِ مِنْ غَمْرَتِهَا الحَرَّى ،
فَقُلْتُ : انْسَحَبَتْ ضَعْفًا ، وَقَالَ النَّاسُ : بَلْ غَدْرَا !
وَلَـوْ كَانَ لَهُـمْ قَلْـبٌ كَقَلْبِي الْتَمَسُوا العُذْرَا !

كليوباترا :

أَنْطُونْيُوسُ مَلِكِي ، أَنْطُونْيُوسُ سَيِّدِي ،
لَيْسَ العُبُوسُ سُنَّةً لِوَجْهِكَ الطَّلْقِ النَّدِي
وَلَسْتَ مَنْ يَغْضَبُ فِي لَيْلِ الشَّرَابِ وَالدَّدِ
وَلَسْتَ لِلْكَأْسِ عَلَى شَارِبِهَا بِالمُفْسِدِ !
قَلْبُكَ كَنْزُ الحُبِّ وَالـ ـرَّحْمَةِ ، وَالتَّوَدُّدِ ،

وَكَــمْ حَقَــدْتَ ثُــمَّ أَصْــــبَحْتَ كَأَنْ لَــمْ تَحْقِدِ ،
أَلَسْــتَ بِالأَمْــسِ ، وَأَمـــسِ لُغَــةٌ لَــمْ تَبْعُــدِ ،
وَهَبْــتَ لِي جَــرِيرَتِي ،   وَالصَّفْــحُ نِصْفُ السُّؤْدُدِ !
فَاطْـــوِ مَعِي حَــوَادِثَ الـــ   أَمْـــسِ ، وَلاَ تُجَــدِّدِ ،
وَامْضِ مَعِي فِي لَــذَّةِ الـــ   يَوْمِ ، وَدَعْ هَــمَّ الغَــدِ !

انطونيــو :

كِلْيُــوبَاتْــرَا ، بِحُبِّيْكِ   مِنَ التَّأْنِيـــبِ خَلِّيــنَا
لَقَــدْ سُقْـتُ وَقُــوَّادِي   إِلَيْــكِ النَّصْرَ فَاجْــزِينَـا
مُــرِي بِالكَأْسِ وَالطَّــاسِ   وَبِالنُّــدْمَــانِ يَسْقِيــنَا ،
وَبِالقَصْـــفِ وَبِالعَــزْفِ ،   وَحُــذَّاقِ المُغَنِّـــينَا ،
وَمَــا طَيِّـبَ أَلْــوَانَــا ،   وَمَــا طَــابَ رَيَاحِيــنَا
وَقُولِي الشِّعْــرَ عَــلَوِيَّا ،   كَمَــا كُنْــتِ تَقُولِيــنَا ،
وَأَوْحِيــهِ إِلَــى شَــادِيــ   ـكِ يُلْقِيــــهِ فَيُشْجِيــنَا
غَــدًا نَسْتَــأْنِفُ الحَــرْبَ   وَنَطْــوِيهَــا مَيَــادِينَــا

انشــو :

وَنَغْشَــاهَــا مَخَــامِيرًا،   وَنَلْقَــاهَــا مَجَــانِيــنَا !

كليوباترا :

مُــرْ بِمَــا شِئْتَ قَيصَرُ ،   وَأَشِــرْ كَيْــفَ تَأْمُــرُ ،
لَكَ قَصْرِي وَمَــا حَوَى الــــقَصْرُ ، كُــلٌّ مُسَخَّـــرُ
لَيْــسَ شَيْءٌ، وَإِنْ غَــلا   عَنْ حَبِيـــبٍ يُؤَخَّـــرُ ،
لِتَكُــــونَنَّ لَيْـــلَةً ،   آخِــرَ الدَّهْـــرِ تُذْكَــرُ
لاَ نُبَــالِي إِذَا صَفَــتْ ،   بَعْــدَهَا ، مَــا يُــكَدِّرُ ،
تَحْــلُمُ الحُــلْمَ لَسْتَ تَدْ   رِي بِمَـــاذَا يُفَسَّــرُ !

« لوصفـائها ووصيفاتها »

البِـدَارَ البِدَارَ يا وُصَفَـائِي وَوَصِيفَـاتِيَ ، البِـدَارَ البِدَارَا
قَيصَرُ قَيصَرُ هُـوَ الآمِرُ النَّـا هي عَلَى القَصْرِ فَلْيَكُنْ مَا أَشَارَا
هُوَ يَبْـغِي وَلِيمَـةً ، فَاصْنَعُوهَا وَلسقُوهَا كَمَـا اشْتَهَى وَاخْتَارَا
أَطْلِقُـوا هٰذِهِ الشُّمُوعَ شُمُوساً تَـذَرِ اللَّيْـلَ بِالعَـشِيِّ نَهَـارَا
وَأَعِدُّوا الخُوَانَ قَدْ حَمَـلَ الأَلْـوَانَ شَتَّى وَجُـلِّلَ الأَزْهَـارَا
وَاجْمَعُوا بِالمُـدَامِ شَمْلَ النَّدَامَى وَأَدِيرُوا الْـكُؤُوسَ وَالأَوْتَـارَا
وَاجْعَـلُوهَا وَلِيمَـةً وَبِسَـاطاً يَتَـبَارَى خَـلاعَةً وَوَقَـارَا
مِصْرُ إِنْ أَوْلَمَـتْ سَمَتْ بِالأَغَانِي دَرَجَـاتٍ ، وَأَسْمَتِ الأَشْعَـارَا
لَا تَسِـيرُوا عَـلَى وَلَائِمِ رُومَا سَرَفاً فِي الفُسُـوقِ وَاسْتِـهْتَارَا
كُلَّمَـا أَوْلَمَـتْ أَسَاءَتْ إِلَى العَقْـلِ وَجَـرَّتْ عَلَى الحَضَـارَةِ عَارَا
وَلَقَـدْ تَجْعَـلُ النِّمَـارَ نَدَامَـا هَا ، وَأُسْـدَ العَـرِينَةِ السُّمَّارَا

قائد روماني لزميله غاضبا :

أَتسمعُ مَا تَقُـولُ عَدُوُّ رُومَا ؟ قَدِ اجْـتَرَأَتْ عَلَى رُومَا ، البَغِيُّ
أَتَحْـتَ لِـوَائِهَـا ، وَبِجَانِبَيْهَـا يَخُوضُ الحَرْبَ مِنْ رُومَا كَمِيٌّ ؟ !

الآخر :

غَـداً تلْـقَى ، وَإِنَّ غَـداً قَرِيبٌ عِقَـاباً فِي البِـلَادِ لَـهُ دَوِيُّ

الاول لانطونيوس في عتب وغضب :

أَمِيرِيَ أَنْطُونْيُوَ ، أَفِي الْحَقِّ أَنَّنَا نَبِيتُ سُكَارَى ، وَالعَدُوُّ مُبَيِّتٌ ؟

« ينظر اليه **انطونيو** نظرة طويلة ثم ينصرف عنه الي **كليوبترا** فيهمس **القائد** » :

أَلَا إِنَّـهُ لَيْـلٌ لَـهُ مَـا وَرَاءَهُ غَـرَامُكَ حَيٌّ فِيهِ ، وَالمَجْدُ مَيِّتٌ !



6 تربيــة الفتــاة

حافظ ابراهيــم

(1289 - 1351 هـ) — (1872 - 1932 م)

تعريف وتمهيـــد :

ولد شاعر النيل ((**محمد حافظ ابراهيم**)) على ظهر سفيـنة كانت ترسو على شاطئ النيل أمام بلدة ((**دَيْرُوط**)) في صعيد مصر ، من اب مصري وام تركية الأصل ، وقبل ان يبلغ الشاعر السنة الرابعة من عمره فاجاه القدر بموت ابيه ، فحملته امه إلى القاهرة ليتربى في منزل خاله ، حيث تلقى تعليمه الابتدائي وجزءا من التعليم الثانوي بمدارسها ، ولما رحل خاله إلى مدينة **طنطا** رافقه إليها ، وبعد زمن قصير احس الشاعر بالملل والسأم وثقل حياته على منزل خاله ، فودعه(*) وذهب يبحث عن وسيلة يتكسب بها ، فاشتغل بالمحاماة حينا ، وعمل ضابطا بالحربية فترة من الزمان ، ثم تنقل ما بين الشرطة والصحافة ، واخيرا عمل **مديرا لدار الـكتب المصرية** ، حتى احيل الى التقاعد عام 1932 مـ ، وتوفي بعدها باربعة شهور .

وقد تاقت نفس الشاعر الى **الادب والشعر** منذ طفولته ، فانكب ينهل من موارده الأصيلة حتى استوى عوده واصبح أديبا كبيرا وشاعرا عظيما ، ترك آثارا **في النـثر والـترجمة والشـعر** . من اشهرها **ليالي سطيح ، والبـؤساء ، وديوان** في مختلف الاغراض الشعرية ، من ابدعها : ((**فن الرثاء**)) ، وقد صور في شعره **ما الم بأمّته العربية والاسلامية من احداث** في مختلف النواحي السياسية والاجتماعية .

والموضوعات الاجتماعية من أهم وأكثر ما تناوله حافظ في شعره ، ولعل أعظم قضية اجتماعية ـ عاصرها ـ هي **قضية تحرير المراة** ، فقد كان الصراع الفكـري حولها على أشـدّه ، ساهم فيه المصلحون ، والمربون ، والزعماء السياسيون ، والأدباء من كتاب وشعراء من الرجال والنسـاء على اختلاف في الراي وتباين في الطريقة والأسـلوب ، من امثال ((**قاسم أمين ، وسعد زغلول ، والعقاد ، وملك حفني ناصف ، وطاهر الحداد ، والخضر حسين ، وابن باديس**)) ، وغيرهم . .

وفي حفل اقيم بمناسبة افتتاح مدرسة للبنات بمدينة **بُورْسَعِيد** عام 1910 مـ شارك **حافظ ابراهيم** بقصيدة طويلة مطلعها :

كَمْ ذَا يُكَابِدُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي ... فِي حُبِّ مِصْرَ كَثِيرَةِ الْعُشَّاقِ

وقد عالج فيها قضية المراة من عدة جوانب ، ونقـدم لك فيما يلي جزءا منها تتعرف من خـلاله على راي الشاعر في هـذه القضية :

(*) ومما قاله في وداع منزل خاله :

ثَقُلَتْ عَلَيْـكَ مَؤُونَتِي ... إنّـِي أَرَاهَـا وَاهِيَـهْ

فَافْـرَحْ فَإِنِّي ذَاهِبٌ ... مُتَـوَجِّـهٌ فِي دَاهِيَـهْ

النص : (*)

(أ)

1 ـ مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ ، فَإِنَّهَا ... فِي الشَّرْقِ عِلَّةُ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ

(ب)

2 ـ الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا ... أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ
3 ـ الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الْحَيَا ... بِالرِّيِّ أَوْرَقَ أَيَّمَا إِيرَاقِ
4 ـ الْأُمُّ أُسْتَاذُ الْأَسَاتِذَةِ الْأُلَى ... شَغَلَتْ مَآثِرُهُمْ مَدَى الْآفَاقِ

(حـ)

5 ـ أَنَا لَا أَقُولُ دَعُوا النِّسَاءَ سَوَافِرًا ... بَيْنَ الرِّجَالِ يَجُلْنَ فِي الْأَسْوَاقِ
6 ـ يَدْرُجْنَ حَيْثُ أَرَدْنَ لَا مِنْ وَازِعٍ ... يَحْذَرْنَ رِقْبَتَهُ وَلَا مِنْ وَاقِ
7 ـ يَفْعَلْنَ أَفْعَالَ الرِّجَالِ لَوَاهِيًا ... عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِسِ الْأَحْدَاقِ
8 ـ فِي دُورِهِنَّ شُؤُونُهُنَّ كَثِيرَةٌ ... كَشُؤُونِ رَبِّ السَّيْفِ وَالْمِزْرَاقِ

(د)

9 ـ كَلَّا وَلَا أَدْعُوكُمُ أَنْ تُسْرِفُوا ... فِي الْحَجْبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالْإِرْهَاقِ
10 ـ لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمُ حُلِيًّا وَجَوَاهِرًا ... خَوْفَ الضَّيَاعِ تُصَانُ فِي الْأَحْقَاقِ
11 ـ لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمُ أَثَاثًا يُقْتَنَى ... فِي الدُّورِ بَيْنَ مَخَادِعٍ وَطِبَاقِ
12 تَتَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا ... دُوَلًا وَهُنَّ عَلَى الْجُمُودِ بَوَاقِ

(هـ)

13 ـ فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا ... فَالشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ

(و)

14 ـ رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا ... فِي الْمَوْقِفَيْنِ لَهُنَّ خَيْرُ وَثَاقِ
15 ـ وَعَلَيْكُمُ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتُكُمْ ... نُورَ الْهُدَى وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِي

(*) ديوان حافظ ابراهيم ج 1 .

2 ـ **الاعراق** : جمع عرق وهو الاصل . 3 ـ **الحيا** : المطر . 4 ـ **مآثرهم** : ما خلفوه من أعمال عظيمة .
5 ـ **سوافر** : جمع سافرة وهي المرأة التي تكشف وجهها . 6 ـ **يدرجن** : يمشين . ـ **وازع** : زاجر . ـ **واق** : (حام) من الوقاية والحماية . 7 ـ **نواعس الاحداق** : فاترات الأجفان . 8 ـ **المزراق** : الرمح.
14 ـ **وثاق** : قيد والمراد خير عاصم لهن .

شرح وايضـــاح :

تناول هذا النص مجموعة من **قضايا المراة** في الأفكار الأساسية الآتية :

أ ـ **اهمية تربية المراة** تربية صالحة يقوم عليها بناء المجتمع السليم ، وقـرر أن اهمال تربيتها فى المجتمع الشرقي ـ فى ذلك الحين ـ كان سبب التخلف وعدم اللحاق بالمجتمعات الراقية في أوربا وغيرها من دول العالم المتقـدم .

ب ـ وفي **الفقرة الثانية** اشار الشاعر الى **دور المراة في المجتمع** وقدرتها على التأثير فيه ، فاذا ربيت تربية صالحة قدمت الى المجتمع جيلا نافعا ، مثلها فى ذلك مثل الحديقة اذا تعهدها صاحبها بالسقي ورعاها من كل ما يعوق نموها ، أورقت واينعت وآتت أكلها الوانا مختلفة ، ولقد كانت الأمومة ولا تزال عاملا فعالا فى تكوين العظماء من كبار الأساتذة المصلحين ، الذين حفل التاريخ بتمجيدهم وعم ذكرهم الآفاق على مر السنــين .

وفي **الفقــرة (حـ)** يعلن الشاعر عن موقفه من أصحاب المغالاة في السفور ، فهو ضد من يرى خروج المراة تمشي في الأسواق ، دون حماية أو رقابة ، مضطلعة باعمال الرجال ، تاركة بذلك عملها فى منزلها ورعاية شئونه ، وهو عمـل لا يقل أهمية عن أعمال الرجال في شتى الميادين .

وفي **الفقــرة (د)** ينكر الشاعر موقف المغالين في **التضييق على المراة** ، فهـو ضد من يرى حبسها في المنزل كأنها قطعة من أثاثه أو حلي وجواهر تحفظ في الخزائن والصناديق ، فان فى هذا التضييق ظلما للمراة واجحافا بها ، وسببا من أسباب تخلفها وجمودها وعدم تطورها بتطور الزمان .

وفى **الفقــرة (هـ)** يعلن الشاعر عن رايه في مشكلة **السفور والحجاب** . وهو راي وسط بين الاطلاق التـام الذي **يؤدي الى الانحراف والفساد** ، وبين **التضييق الذي يؤدي الى الاجحاف والجمود** . فمن حق المراة أن تخرج من دارها **للتعليم** أو **زيارة الطبيب** أو غير ذلك مما تدعو اليه مطالب الحياة الكريمة في المجتمع .

وفى **الفقرة (و)** دعا الشاعر الى **الاهتمام بتربية المراة على الأخلاق الفاضلة** فهي **اقوى عاصم لها يحميها** فى سفورها وحجابها

وعلينا أن نقدم لها **قبسا من ضوء العـلم والتربية** ، ينير لها معالم الطريق ، وبذلك تتمكن من**الاستفادة من تجاربها في الحياة** ، وتسلك فيها على أساس قوي سليم،حيث يقودها حياء الأنوثة إلى سواء الطريق .

دراســة الأفكـار :

النص الذي قدمناه لك من **الأدب الاجتماعي** ، تناول **قضية تحرير المراة** ، وهي من اهم قضايا العصر الحديث التي احتلت مكانا بارزا في السياسة والاجتماع والأدب . وقد شعر رواد النهضة العربية أن **صلاح المجتمع** لا يتم الا بمساهمة المراة فيه ، فهي المحور الذي تدور عليه حياة الأسرة .

وشان كل حركة اصلاح وتجديد ، ان تلقى من انصار التجديد تأييدا ، ومن المحافظين مقاومة واعتراضا ، فدارت بينهم معارك ادبية وفكرية ، شملت جوانب كثيرة وكان من ابرزها قضية سفور المراة وحجابها .

فموضوع النص **هادف وبناء** ، يدل على تفاعل الأدب مع المجتمع وتاثيره فيه ، وتلك رسالة مقدسة للفنون والآداب .

وقد تناول النص الافكار الأساسية الآتية :

1 ــ اهمية تربية المراة .

2 ــ دور المراة في المجتمع .

3 ــ موقف المتطرفين في سفور المراة وحجابها .

4 ــ موقف الجامدين .

5 ــ راي الشاعر في قضية سفور المراة وحجابها .

6 ــ دعوة الى الاهتمام بتربيتها .

وافكار النص مسلسلة متناسقة ، تتتابع حتى تؤدي الى نتيجة منطقية مقنعة .

وليس في الأفكار غموض ولا عمق ، لأن الموضوع الذي عالجه الشاعر تلائمه البساطة والوضوح .

واذا نظرنا الى راي الشاعر في قضية السفور والحجاب ، لاحظنا انه يردد الافكار التي تناسب المرحلة الوسطى في تاريخ تطور قضية تحرير المراة ، كما مر بها المجتمع المصري ، وان حاول أن يتحدث عن المراة بصورة عامة .

وقد مرت قضية تحرير المراة في المجتمع المصري بمراحل ثلاث هي :

1 ــ **مرحلة البعث** : وفيها اتجهت الدعوة الى الاهتمام بالمراة وتحسين حالتها ، والعمل على تثقيفها وتهذيبها داخل بيتها ، وكان من رواد هذه الحركة « **جمال الدين الافغاني** » و « **محمد عبده** » ، وباحثة البادية « **ملك حفني ناصف** » .

2 ــ **مرحلة الصراع** : وقد بدات بصيحات « **قاسم امين** » في كتابه **تحرير المرأة** ، وفيها تطورت القضية تطورا سريعا ، انتهت بمطالبة المراة بالمساواة الكاملة بالرجل في جميع الحقوق . وفي هذه المرحلة ظهر اتجاهان متعارضان ، احدهما طلب المساواة التامة بين الرجال والنساء ، وذهب الآخر الى نقيض ذلك . وقد اشار « **حافظ** » الى هذين الاتجاهين ، واتخذ لنفسه موقفا وسطا .

والذي يتأمل موقفه يجده غير محدد تحديدا دقيقا ، اذ لا يمكن القول بأن هذا الأمر ضروري أو غير ضروري بالنسبة لجميع الافراد في كل المجتمعات .

ولعلك تلاحظ ان الشاعر قد اقترب من أصحاب المساواة في قوله :

فعليكم ان تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقي

فهو يؤمن بأن المرأة قادرة على خوض غمار الحياة بمفردها متى اعتركتها وجربتها ، بعد أن تنال قسطا من التعليم والثقافة ينير لها معالم الطريق .

3 ـ **مرحلة بلوغ الأهداف** : وهي المرحلة التي حققت فيها المرأة أهدافها ، وحصلت على مساواتها الكاملة بالرجل في معظم البلاد العربية ، وشاركته في الهيئات السياسية والاجتماعية على اختلاف أنواعها .

دراسة الأسلوب :

يقترب أسلوب هذا النص من الأسلوب الخطابي الذي **يعتمد على التقرير والبرهان ، والتمثيل والاقناع ، والنصح والارشاد ، والتبسيط والتوضيح .** وكل هذه الأمور التي اعتمد عليها الشاعر في قصيدته ، تختلف عن الأسلوب الشعري الجيد ، الذي يقوم على الرمز والايحاء .

ولعل الشاعر كان مضطرا إلى استخدام الاسلوب المباشر ، لأن طبيعة الموضوع الذي يعرضه ، والهدف **التربوي** الذي ينشده يلائمهما هذا النوع من الأسلوب .

ومع ذلك فقد استعان الشاعر ـ أحيانا ـ **بالصور البلاغية** لتوضيح فكرته . من ذلك مثلا : **التشبيه** ، في الأبيات (2 ، 3 ، 8) :

« الأم مدرسة . . . . » .

فهو تشبيه بليغ .

« الأم روض . . . . »

فهو تشبيه بليغ .

« في دورهن شؤونهن كثيرة   كشؤون رب البيت . . . »

فيه تشبيه تمثيلي .

والكناية في البيتين (7 ، 15) :

« . . . . . . نواعس الأحداق » .

كناية عن المرأة .

« وعليكم أن تستبين بناتكم   نور الهدى . . . . . » .

كناية عن تسلح المرأة بالعلم .

وفي النص **أساليب انشائية** منها : **الاستفهام** في البيت (1) :

« من لي بتربية النساء ؟ . . . . » .

والمراد منه **الترجي** ، والهدف **تشويق** السامع والقارئ وجذب انتباهه .

والأمر في البيت (13 ، 14) :

« فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا . . . . . » .

« ربوا البـــنات على الفضيـــلة . . . . . » .

والمقصود منهما النصح والإرْشَاد .

وفى النص **محسنات بديعية** ، **كالطباق** فى البيت (13) :

« . . . . . التقيـــيد والاطـــلاق » .

ولعلك تلاحظ ان فى بعض **القوافي** شيئا من الضعف ، من ذلك قوله فى البيت (9) :

« . . . . . الحجب والتضيـــيق والارهاق » .

فليس لـكلمة **الارهاق** دلالة قوية فى هذا المكان بعد كلمتي **الحجب والتضييق** .

مجمـــل القـــول

- **النص من الأدب الاجتماعي البنــاء ، الذي يدل على أصالة الشاعر وارتباطه بمجتمعه .**
- **افكاره مرتبة منظمة ، فيها بساطة وسهولة واقناع ، تعتمـد على مخاطبة العقل اكثر من مخاطبة الوجدان .**
- **اسلوبه مباشر لا يعتمد كثيرا على الصورة والخيال ، لأنه يهدف الى التقرير والتدليل والنصح بالفاظ واضحة وجمل منسجمة .**
- **والنص من بحـــر الـكامل ، ووزنه :**

متفـــاعلن متفـــاعلن متفـــاعلن ‏ ‏ ‏ ‏ متفـــاعلن متفـــاعلن متفـــاعلن .

المنــــاقشـــة :

1 ـ بمــاذا فسر الشـاعر سبب تخلف الشرق ؟

2 ـ « **وراء كل عظيم امراة** » كيف عبر الشـاعر عن هذه الفكرة ؟ وما رايك فيها ؟

3 ـ هل يرى الشـاعر مسـاواة الرجل بالمراة في كل شيئ ؟ وما الأسس التي بنى عليها رايه ؟

4 ـ لخص موقف الشـاعر في مشكلة سفور المراة وحجابها .

5 ـ اعطى الشـاعر **تربية الفتاة** اهمية عظيمة . ففي اي أبيات النص تلاحظ ذلك ؟

6 ـ اي **الصفات الخلقية** الح عليها الشـاعر في تربية المراة ؟ وما رايك فيها ؟

7 ـ الشـاعر شـديد التأثر بالقضـية التي يناقشها . في أي عبارات النص تلمس ذلك ؟

8 ـ لمــاذا اعتمــد الشـاعر على الأسلوب الخبري في معظم أبيــات النص ؟

9 ـ تخير من النص صورة بيانية ومحسنا بديعيا واشرحهما ، موضحا سر جمالهما في المعنى والأســلوب .

تــدريب تطبــيقى

المقـــــال الادبي :

« لقد وضع الاسلام للمراة اسسا تربوية سليمة تناسب طبيعتها وتلائم كل عصر ».

ــ تحدث عن هذه الأسس مستعينا بأفكار الشاعر ما أمكن .

السـؤال الـكتابي :

« لقد اصبحت المراة فى البلاد المتقدمة صناعيا مثل اوربا وامريكا وروسيا واليابان ، جزءا فى عجلة الانتاج » . فهل بلغت قمة أهدافها وسعادتها ؟

ــ ناقش هذه الفكرة مع التمثيـل والاسـتشهاد .

نمــاذج مـن شـعره :

أ ــ تهنئـــة أحمـــد شـوقى بك (*)

انشدت فى المهرجان الذي أقيم لتكريم امير الشعراء **احمد شوقي بدار « الأوبرا »** فى 29 أبريل سنة 1928 م ، وقد اشترك فيه بعض الشعراء من مختلف الأقطار العربية . ومما قاله حافظ ابراهيم فى هذه المناسبة ما يلي :

أَمِيـرَ الْقَـوَافِي قَدْ أَتَيْـتُ مُبَايِعًـا ... وَهذِى وُفُـودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي

فَغَنِّ رُبُـوعَ النِّيلِ واعْطِفْ بِنَظْـرَةٍ ... عَلَى سَاكِنِي النَّهْرَيْنِ وَاصْدَحْ وأَبْدِعِ(٨)

وَلَا تَنْسَ (نَجْدًا) إِنَّهَا مَنْبِتُ الْهَـوَى ... وَمَرْعَى الْمَهَـا مِنْ سَارِحَاتٍ وَرُتَّعِ(2)

وَحَيِّ ذُرَا (لُبْنَانَ) وَاجْعَلْ (لِتُونُسٍ) ... نَصِيـبًا مِنَ السَّـلْوَى وَقَسِّمْ وَوَزِّعِ

فَفِي الشِّعْرِ حَثُّ الطَّامِحِينَ إِلَى الْعُلَا ... وَفِي الشِّعْرِ زُهْدُ النَّاسِـكِ الْمُتَـوَرِّعِ

وَفِي الشِّعْـرِ إِحْيَاءُ النُّفُوسِ وَرِيُّهَـا ... وَأَنْتَ لِرِيِّ النَّفْسِ أَعْـذَبُ مَنْبَـعِ

فَنَبِّـهْ عُقُولاً طَـالَ عَهْـدُ رُقَادِهَـا ... وَافْئِـدَةً شُـدَّتْ إِلَيْهَـا بِأَنْسُـعِ(3)

(*) ديـوان حافـظ ابراهيم ج 1 .

1 ــ **يريد ساكني النهرين** : أهل العراق ، والنهرين دجلة والفرات . 2 ــ **المهـا** : بقر الوحش ، الواحدة مهاة ، والمراد بهن النساء الجميلات ، وحافظ ابراهيم يريد من شوقي ان يتغنى بنجد فى شعره كما يتغنى باهل مصر . 3 ــ **الانسع** : جمع نسع (بكسر النون) وهو سير من جِلْدٍ تشد به الرحال يريد وصف الأفئدة **المقيد** فى اغلال العادات القديمة .

فَقَدْ غَمَرَتْهَا مِحْنَـةٌ فَوْقَ مِحْنَـةٍ وَأَنْتَ لَهَا يَاشَاعِـرَ الشَّـرْقِ فَادْفَـعِ
وَأَنْتَ بِحَمْـدِ اللهِ مَـا زِلْتَ قَـادِرًا عَلَى النَّفْعِ فاسْتَنْهِضْ بَيَانَـكَ وَانْقَـعِ
وَخُـذْ بِزِمَامِ الْقَـوْمِ وَانْزِع بِأَهْلِـهِ إِلَى الْمَجْـدِ وَالْعَلْيَـاءِ أَكْـرَمَ مَنْـزِعِ
تَغَـيَّرَتِ الـدُّنْيَا وَقَـدْ كَانَ أَهْلُهَـا يَرَوْنَ مُتُـونَ الْعِيسِ أَلْـيَنَ مَضْجَـعِ
وَكَـانَ بَرِيـدُ الْعِلْـمِ عِيـرًا وَأَيْنُقًـا مَتَى يُعْيِهَا الأَيجَافُ فِي الْبِيدِ تَظْلَعِ⁽¹⁾
فَأَصْبَـحَ لاَ يَرْضَى الْبُخَـارَ مَطِيَّـةً وَلاَ السِّلْـكَ فِي تَيَّـارِهِ الْمُتَدَفِّـعِ
وَقَدْ كَانَ كُلُّ الأَمْرِ تَصْـوِيبُ نَبْـلَةٍ فَأَصْبَحَ بَعْضَ الأَمْـرِ تَصْوِيبُ مِدْفَعِ
وَنَحْـنُ كَمَـا غَنَّى الأَوَائِلُ لَمْ نَـزَلْ نُغَـنِّي بِأَزْمَـاحٍ وَبِيـضٍ وَأَذْرُعِ
عَرَفْنَا مَدَى الشَّيْءِ الْقَدِيمِ فَهَلْ مَدًى لِشَيْءٍ جَدِيـدٍ حَاضِرِ النَّفْـعِ مُمْتِـعِ
لَـدَى كُلِّ شَعْبٍ فِي الْحَوَادِثِ عُـدَّةٌ وَعُدَّتُنَـا نَـدْبُ التُّـرَاثِ الْمُضَيَّـعِ
فَيَا ضَيْعَـةَ الأَقْلاَمِ إِنْ لَمْ نُقِـمْ بِهَـا دِعَامَـةَ رُكْـنِ الْمَشْـرِقِ الْمُتَزَعْـزِعِ
أَتَمْشِي بِـهِ شُـمَّ الأُنُوفِ عُـدَاتُـهُ وَرَبُّ الْحِمَى يَمْشِي بِـأَنْفٍ مُجَـدَّعِ
عَزِيزٌ عَلَيْـهِ يَابَنِي الشَّرْقِ أَنْ تُـرَى كَـوَاكِبُـهُ فِي أُفْقِـهِ غَـيْرَ طُلَّـعِ
وَأَعْلاَمُـهُ مِـنْ فَوْقِـهِ غَيْرَ خُفَّـقٍ وَأَقْلاَمُـهُ مِـنْ تَحْتِهَـا غَيْرَ شُـرَّعِ
وكَيْفَ يُـوَقَّي الشَّـرَّ أَوْ يَبْلُغُ الْمُنَى عَلَى مَا نَـرَى مِنْ شَمْلِـهِ الْمُتَصَـدِّعِ
فَإِنْ كُنْتَ قَـوَّالاً كَرِيمًـا مَقَـالُـهُ فَقُـلْ فِي سَبِيلِ النِّيـلِ وَالشَّرْقِ أَوْدَعِ

ب ــ رثـاء سعـد زغلـول (*)

إِيهِ يَا لَيْـلُ هَـلْ شَهِـدْتَ الْمُصَـابَا كَيْفَ يَنْصَـبُّ فِي النُّفُـوسِ انْصِبَـابَا
بَلِّغِ الْمَشْرِقَـيْنِ قَبْـلَ انْبِـلاَجِ الصُّبْـحِ أَنَّ الـرَّئِيـسَ وَلَّى وَغَـابَـا
أَيْـنَ سَعْـدٌ؟ فَـذَاكَ أَوَّلُ حَفْـلٍ غَـابَ عَنْ صَـدْرِهِ وعَـافَ الْخِطَـابَا
لَمْ يُعَـوِّدْ جُنُـودَهُ يَـوْمَ خَطْـبٍ أَنْ يُنَـادِي فَـلاَ يَـرُدُّ الْجَـوَابَا
عَـلَّ أَمْـرًا قَـدْ عَـاقَهُ، عَـلَّ سُقْمًا قَـدْعَـرَاهُ، لَقَـدْ أَطَـالَ الْغِيَـابَـا

(*) ديـوان حافـظ ابراهيم ج 2.
(1) العير: القافلة، الايجاف: الاسراع، تظلع: تعرج في مشيتها.

أَيْ جُنُـودَ الرَّئِيـسِ ، نَادُوا جِهَـارًا ! فَـإِذَا لَـمْ يُجِـبْ فَشُقُّـوا الثِّيَـابَا
إِنَّهَـا النَّكْـبَةُ الَّتِي كُنْـتُ أَخْـشَى إِنَّهَـا السَّـاعَـةُ الَّتِي كُنْـتُ آبَي
إِنَّهَـا اللَّفظَـــةُ الَّتِي تَنْسِـفُ الْأَنْـــفُسَ نَسْفًـا وتَفْقُـــرُ الْأَصْـلاَبَا
حَسْرَةٌ عِنْـدَ أَنَّـةٍ ، عِنْـدَ آهٍ تَحْتَهَـا زَفْـرَةٌ تُذِيـبُ الصِّـلاَبَا
خَـرَجَتْ أُمَّـــةٌ تُشَيِّـعُ نَعْشًـا قَـدْ حَـوَى أُمَّةً وَبَحْـرًا عُبَابَـا
حَمَـــلُوهُ عَـلَى الْمَـــدَافِعِ لَمَّـا أَعْجَـزَ الْهَـامَ حَمْـلُهُ والرِّقَـابَـا
حَالَ لَـوْنُ الْأَصِيـلِ والدَّمْعُ يَجْـرِي شَفَقًـا سَـائِلاً وَصُبْحًـا مُـذَابَـا
وَسَهَـا النِّيـلُ عَـنْ سُرَاهُ ذُهُـولاً حِـينَ أَلْفَى الْجُمُـوعَ تَبْـكِي انْتِحَابَا
ظَـنَّ يَا سَعْـدُ أَنْ يَرَى مِهْـرَجَانًا فَرَأَى مَأْتَمًـا وَحَشْـدًا عُجَـابَـا
لَمْ تَسُـقْ مِثْـلَهُ فَـرَاعِـينُ مِصْرٍ يَـوْمَ كَانُـوا لِأَهْلِهَـا أَرْبَـابَـا

جـ ـ اللغـــة العربيـــة (*)

رَجَعْـتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْـتُ حَصَـاتِي وَنَادَيْتُ قَـوْمِي فَاحْتَسَـبْتُ حَيَاتِي
رَمَـوْنِي بِعُقْـمٍ فِي الشَّبَـابِ وَلَيْتَنِي عَقِمْتُ فَـلَمْ أَجْـزَعْ لِقَـوْلِ عُـدَاتِي
أَنَا الْبَحْـرُ فِي أَحْشَـائِهِ الـدُّرُّ كَامِنٌ فَهَـلْ سَأَلُوا الْغَـوَّاصَ عَنْ صَـدَفَاتِي
أَرَى كُلَّ يَـوْمٍ بِالْجَـرَائِـدِ مَزْلَقًـا مِـنَ الْقَـبْرِ يُـدْنِينِي بِغَـيْرِ أَنَـاةِ
وَأَسْمَـعُ لِلْـكُتَّابِ فِي مِصْرَ ضَجَّـةً فَأَعْـلَمُ أَنَّ الصَّـائِحِينَ نُعَـاتِي
أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي ؟ ! ـ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمُ ـ إِلَى لُغَـــةٍ لَـمْ تَتَّصِـلْ بِـرُوَاةِ
سَرَتْ لُوثَةُ الْإِفْرَنْـجِ فِيهَـا كَمَا سَرَى لُعَـابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِـيلِ فُـرَاتِ
فَجَـاءَتْ كَثَـوْبٍ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَـةً مُشَـــكَّلَةَ الْأَلْـوَانِ مُخْتَلِفَـاتِ
إِلَى مَعْـشَرِ الْـكُتَّابِ وَالْجَمْـعُ حَافِلٌ بَسَـطْتُ رَجَائِي بَعْـدَ بَسْـطِ شَكَاتِي
فَإِمَّـا حَيَـاةٌ تَبْعَثُ الْمَيْتَ فِي الْبِـلَى وَتُنْـبِتُ فِي تِـلْكَ الرُّمُوسِ رُفَـاتِي
وَإِمَّـا مَمَـاتٌ لَا قِيَـامَـةَ بَعْـدَهُ مَمَاتٌ لَعَمْـرِي لَمْ يُقَـسْ بِمَمَـاتِ

(*) ديـوان حافـظ ابرهيم ج 1 .

د ـ غـادة اليـابان (*)

نشبت حرب بين الروس واليابان سنة 1904 ـ 1905 م ، وكان النصر فيها حليف اليابان ، فراح الشاعر ينعي على قومه خنوعهم ويستحثهم على الاقتداء بشعب اليابان الشجاع الأبي ، الذي تمثله غـادة كان قد علق بها .

لاَ تَلُمْ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَا[1] صَحَّ مِنِّي الْعَزْمُ والدَّهْرُ أَبَى
رُبَّ سَاعٍ مُبْصِرٍ فِي سَعْيِهِ أَخْطَأَ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا
مَرْحَبًا بِالْخَطْبِ[2] يَبْلُونِي إِذَا كَانَتِ الْعَلْيَاءُ فِيهِ السَّبَبَا
عَقَّنِي الدَّهْرُ ، وَلَوْلاَ أَنَّنِي أُوثِرُ[3] الْحُسْنَى ، عَقَقْتُ الأَدَبَا
إِيهِ يَادُنْيَا اعْبِسِي أَوْ فَابْسِمِي لاَ أَرَى بَرْقَكِ[4] إِلاَّ خُلَّبَا
أَنَا ، لَوْلاَ أَنَّ لِي مِنْ أُمَّتِي خَاذِلاً ، مَا بِتُّ أَشْكُو النُّوَبَا[5]
أُمَّةٌ قَدْ فَتَّ[6] فِي سَاعِدِهَا بُغْضُهَا الأَهْلَ وَحُبُّ الْغُرَبَا
تَعْشَقُ الأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعُلَى ، وتُفَدِّي بِالنُّفُوسِ الرُّتَبَا
وهي وَالأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا ، تَعْشَقُ اللَّهْوَ وَتَهْوَى الطَّرَبَا
لاَ تُبَالِي لَعِبَ الْقَوْمُ بِهَا أَمْ بِهَا صَرْفُ اللَّيَالِي لَعِبَا[7]
لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً ذَاتَ شَجْوٍ[8] ، وَحَدِيثًا عَجَبَا
كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً[9] وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا
حَمَلَتْ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأً ، لاَ رَعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَا !
وأَتَتْ تَخْطِرُ[10] وَاللَّيْلُ فَتَى وَهِلاَلُ الأُفْقِ فِي الأُفْقِ حَبَا
ثُمَّ قَالَتْ لِي بِثَغْرٍ بَاسِمٍ نَظَمَ الدُّرَّ بِهِ والْحَبَبَا[11]

(*) ديوان حافظ ابراهيم ج 2 .

1 ـ **نبا السيف** : كل عن الضرب وارتد ولم يقطع . 2 ـ **الخطب** : المصيبة ـ بلاه : اختبره وامتحنه .
3 ـ **عقني** : انكر فضلي . **اوثر** : افضل . 4 ـ **البرق الخلب** : هو البرق الذي يكون فيه سحاب لا مطر فيه ، فكأنه يخدع .
5 ـ **النوب** : جمع النوبة : وهي المصيبة . 6 ـ **فت في ساعدها** : اضعفها . 7 ـ **صرف الزمان** : نوائبه
8 ـ **الشجو** : الهم والحزن . 9 ـ **الغادة** : الفتاة الناعمة اللينة الاعطف . 10 ـ **تخطر** : تمشي بدلال ـ **الليل فتي** : ـ في اوائله **حبا** : زحف كالطفل ، وهنا استعارة . 11 ـ **نظم اللؤلؤ** : جمعه في سلك ـ **الحبب** : الفقاقيع التي تعلو الماء . الدر والحبب هنا استعيرتا للدلالة على الأسنان .

نَبَّؤُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلٍ ... لاَ أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا
وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي ... عَلَّنِي أَقْضِي لَهُ مَا وَجَبَا
نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَفْرِي[12] جِلْدَهُ ... أَيَظُنُّ الدُّبُّ أَلاَّ يُغْلَبَا ؟
قُلْتُ ، وَالآلاَمُ تَفْرِي مُهْجَتِي ... وَيْكَ ! مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الظِّبَا ؟
مَا عَهِدْنَاهَا لِظَبْيٍ مَسْرَحًا ... يَبْتَغِي مَلْهًى بِهِ أَوْ مَلْعَبَا
فَسَلِينِي ، إِنَّنِي مَارَسْتُهَا ... وَرَكِبْتُ الْهَوْلَ فِيهَا مَرْكَبَا
وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ ... أَسْدَلَ النَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبَا[13]
قَطَّبَتْ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا ... فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطَّبَا
جَالَ عِزْرَائِيلُ فِي أَنْحَائِهَا ... تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِي الْهَيْدَبَى[14]
فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا ... وَالْزَمِي يَا ظَبْيَةَ الْبَانِ الْخِبَا
فَأَجَابَتْنِي بِصَوْتٍ رَاعَنِي ... وَأَرَتْنِي الظَّبْيَ لَيْثًا أَغْلَبَا[15]
إِنَّ قَوْمِي اسْتَعْذَبُوا وِرْدَ الرَّدَى ... كَيْفَ تَدْعُونِيَ أَلاَّ أَشْرَبَا
أَنَا يَابَانِيَّةٌ لاَ أَنْثَنِي ... عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقَ الْعَطَبَا
أَنَا إِنْ لَمْ أُحْسِنِ الرَّمْيَ وَلَمْ ... تَسْتَطِعْ كَفَّايَ تَقْلِيبَ الظُّبَا[16]
أَخْدُمُ الْجَرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ ... وَأُوَاسِي فِي الْوَغَى[17] مَنْ نُكِبَا

---

12 ــ **الدب** : حيوان هو ومز روسيا ــ **نفري** : نقطع نمزق . 13 ــ **الردى** : الموت ــ **النقع** : الغبار ــ **الهيدب** : السحاب التدلى . 14 ــ **الهيدبي** : نوع من مشي الخيل فيه جد . 15 ــ **راعني** : اخافني . **الاغلب** : الغليظ الرقبة . 16 ــ **الظبي** : جمع ظبة : حد السيف او السنان . 17 ــ **اواسي** : واعزي **الوغى** : الحــرب .

تعليق

« احمد امين » على الشعر الاجتماعي عند حافظ ابراهيم(*)

« قد يؤخذ عليه انه لم يكن يتعمق في دراسة المسائل الاجتماعية ، ولم يكن فيها رأيا بعد بحثها وتمحيصها ، ودرس حججها كموقفه في مسألة الحجاب والسفور ، لقد هرب من ابداء رأيه فيها ، ولم يتحيز الى احد الفريقين ، وترك المتنازعين يتنازعون في حرية المراة وتقييدها ، وحلق في المسائل العامة ، وكموقفه ازاء دعوة **قاسم امين ،** فقد حَكَى عنه بعضُ أصدقائه رواية عنه ، انه لم يقرأ كتابَ تحريرِ المراةِ ، وإن كان قال فيه شعرا ، ولم يقطع باصابة قاسم او خطئه . ويظل على هذا حتى في رثائه فيقول :

إِنْ رَيْتَ(1) رَأْياً فِي الْحِجَابِ وَلَمْ   تُعْصَمْ فَتِلْكَ(2) مَرَاتِبُ الرُّسُلِ
الْحُكْمُ لِلْأَيَّامِ مَرْجِعُهُ   فِيمَا رَأَيْتَ فَنَمْ وَلَا تَسَلِ
فَإِذَا أَصَبْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ فَتىً   وَضَعَ الدَّوَاءَ مَوَاضِعَ الْعِلَلِ
أَوْ لَا ، فَحَسْبُكَ مَا شَرُفْتَ بِهِ   وَتَرَكْتَ فِي دُنْيَاكَ مِنْ عَمَلِ

فتراه مضطربا لا يستطيع الجزم براي ، او هو لا يريد .

ولكن قد يخفف من هذا النقص ان هناك فرقا كبيرا بين الأديب والعالم ، **فالعالم** يلاحظ الأشياء ليستكشف ظواهرَها وقوانينَها ، وعلاقَتَهَا بالْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى ، وعلاقَتَها بالظروف التي تُحِيط بها ، على حين ان **الأديب** يلاحظ الأشياء من حيث علاقتها بعواطف الانسان وطبيعته الأخلاقية ، فالعالم بالنبات مثلا يدرسه ليكتشف كلّ الطبائع الخاصة ، واوجهَ الشبه بينه وبين أمثاله من النباتات الأخرى ، ووظيفةَ كُلِّ جُزْءٍ منه والتغييراتِ التي تطرأ عليه ، أما الأديب فلا يهمه كل ذلك ، انما النبات في نظره قد خلق لجماله ، وليست شجرة الورد في نظره الا زهرته الجميلة وأريجها العطر . فهذه الناحية الخاصة التي يعني بها الأديب اتغفر **لحافظ** قلة عمقه في البحث وامعانه في الدرس ، وتخفف حدة نقدنا في أنه كان ينظر الى الأشياء نظرة عامة من ناحية ايصالها لعواطف الجمهور .

(*) **المرجع** : مقدمة احمد امين لديوان حافظ .
(1) ريت : رايت ، تحذف الهمزة للوزن ويشير في هذا البيت الى دعوة قاسم امين الى سفور المراة .
(2) تلك اشارة الى العصمة .



7

وقفة على قبور الشّهداء
محمد العيد آل خليفة

(1904 م ـ 1323 هـ)

تعريف وتمهيد :

ولد ((**محمد العيد بن محمد علي بن خليفة**)) في مدينة **عين البيضاء** عام 1904 م ، ونشأ في أسرة محافظة على تقاليدها(*) الاسلامية وثقافتها العربية ، فحفظ **القرآن الكريم** وتلقى دروسه الابتدائية ومبادئ العلوم الدينية واللغوية في عين البيضاء ، وبسكرة .

وفي عام 1921 رحل إلى ((**تونس**)) ودرس عامين بالزيتونة ، ثم عاد الى بسكرة عام 1923 واشتغل بالتدريس في المدارس الحرة ، ونشر بعض قصائده في صحف مختلفة منها : **صدى الصحراء** ، **والمنتقد** ، **والشهاب** ، **والاصلاح** .

وفي عام 1927 م انتقل الى العاصمة ، وعمل مديرا لمدرسة الشّبيبة ، وعندما تأسست **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** كان الشاعر من أبرز أعضائها ، وأسهم في نشاطها التعليمي ، وتنقل ما بين العاصمة « الجزائر » ، وبسكرة ، وباتنة ، وعين مليلة ، بالشرق الجزائري ، ونشر العديد من قصائده في : الشريعة ، والسنة ، والصراط والبصائر ، والمرصاد ، والثبات .

وبعد اندلاع الثورة الجزائرية الكبرى في نوفمبر 1954 م ، القى المستعمرون القبض عليه ، وزجوا به في السجن ، وبعد أن افرجوا عنه حددوا اقامته في بسكرة وعزلوه عن المجتمع ، وظل تحت الرقابة حتى تم استقلال الجزائر عام 1962 م .

وللشاعر **ديوان** تناول فيه قضايا وطنه الجزائري والعربي والاسلامي ، وهو سجل صادق لأحداث عصره وتاريخ بلاده(**) .

وقد **ضحت الجزائر في سبيل حريتها تضحية يعتز بها التاريخ** ، وكانت جبال ((**الأوراس**)) من المراكز الأساسية التي انطلقت منها الثورة ، وقدمت عشرات الآلاف من أبنائها الأبطال ضحايا في سبيل تحرير الجزائر واستقلالها ، فوقف الشاعر على قبورهم في **عيد الأضحى** عام 1965 م ـ 1384 هـ وجاشت عواطفه بالقصيدة التالية

(*) كان والده محمد علي تاجرا محبّا للصّوفية والعلماء يتصل بهم ويأخذ عنهم ويبالغ في اكرامهم. وقد اسس مسجدا في عين البيضاء .

(**) وله مؤلفات اخرى يقول عنها : اما مؤلفاتي فهي مدرسية لا غير . منها رواية بلال بن رباح وانشودة الوليد في يوم المولد السعيد ، وقد طبعتا . واملاءات علمية واخلاقية ورواية الهداية بعد الغواية وارجوزة قواعد الارشاد في تربية الاولاد ، نظمت بها آراء الغزالي في تربية الناشئة ولم تطبع بعد

النـــص : (*)

(أ)

1 ــ رَحِمَ اللّهُ مَعْشَرَ الشُّهداءِ   وجَزاهمْ عنّا كريمَ الجزاء
2 ــ وسقَى بالنَّعيم منهم تُرابا   مُستطابا مُعطَّرَ الأرْجاء

(ب)

3 ــ هذه في الثرى قُبورٌ حوتهم   أمْ قصورٌ تَسْمُو على الجَوْزاءِ ؟
4 ــ أيها الزَّائرون ساحةَ طُهْرٍ   قُدُسيٍّ وعِزَّةٍ قَعْساء
5 ــ شهداءُ التَّمْدينِ في كلِّ عَصْرٍ   سُرُجُ الأرضِ بَلْ نُجومُ السَّماء
6 ــ لم أجِدْ في الرجال أعلَى وِساما   مِن شهيد مُخَضَّبٍ بالدِّماء

(حـ)

7 ــ إنَّ ذكرى الشهيدِ أرْفَعُ مِنْ أن   ترفعُوها بِالصَّخْرةِ الصَّمَّاء
8 ــ فأقيمُوا لهم تماثيلَ عِزٍّ   في قُلوبِ ثَوْرِيَّةِ الأَهْواء
9 ــ واقْتَدَوا وائْتَسُوا بِهِمْ في المَزايا   إنهم أهلُ قُدْوَةٍ وائْتِسَاء
10 ــ واخلُفوهُمْ بالصِّدق في خِدْمَةِ الشَّعْبِ وفي أهْلِهِمْ وفي الأَبْنَاء

(د)

11 ــ إنَّهم قادَةُ الفَيَالِقِ في الزَّحْفِ لِخَوْضِ المَعارِك الحَمْراء
12 ــ إنَّهُم رادةُ البُطولَةِ في النَّصْرِ وعِزِّ الحِمى ورفْعِ اللواء
13 ــ إنهم أوفوا العُهود فهل أنْتُم لِميثاقِهِم من الأَوْفِيَاء ؟

(هـ)

14 ــ إنَّما تُربةُ الجزائرِ مهْدٌ   عَبْقَرِيٌّ لِثَوْرَةِ العُظَمَاء

(*) ديوان محمد العيد آل خليفة .

4 ــ **عزة قعساء** : ثابتة بارزة . 7 ــ **الصخرة الصماء** : الصلبة المتينة . 9 ــ **المزايا** : المحاسن والفضائل . 11 ــ **الفيالق** : جمع فيلق وهو الجيش العظيم . 12 ــ **رادة** : جمع رائد .

15 ـ وهي أرضُ الاسلام ذِي المبدَأِ السَّمْـــح وأَرْضُ العُـــرُوبَةِ العــربــاء

16 ـ هـــكذا كانتِ الجــزائرُ ميعــا دَاً كــريمــاً لأَقْــدس الإِيحــاء

17 ـ تَتعــالى منــائــرُ الحَــقِّ فيهــا من بعيــدٍ لخــائِضِي الظُّلْمــاء

18 ـ ثورةُ الشِّعْرِ أَنْتَجَتْ ثورةَ الشَّعْـــب ، وعــاَدتْ عليـــه بالآلاء

19 ـ كلُّ مَن لــم يَثُرْ على الهُونِ والذِّلَّـــةِ داسَــه أرْجُـــلُ الأَقْــوِياء

(و)

20 ـ أيهــا الشَّعْبُ أنتَ مُلْهِمُ شِعْــري في كِفــاحي ومُلْهِـــبُ الأَحْشَـــاءِ

21 ـ أينَ مِنَّا ما سَامَنَـا مِنْ عــذابٍ أين مِنَّــا ما سَــاءَنا من شَقــاءِ

22 ـ جَلَّ مَنْ أَخْضَعَ الطُّغَــاةَ فذَلّوا ، وعليهــمْ قَضَى بِحَـــكْم الجَــلاءِ

23 ـ أصبحتْ أرضُنا مِثــالاً من الفِرْ دَوْسِ في أمْنِ شَعْبِهَــا والهنــاءِ

شرح وايضـــاح :

(أ) بدأ الشاعر قصيدته بالترحم على الشهداء والدعاء لهم بأن يطيب الله ثراهم ، ويجزيهم عن تضحيتهم بأرواحهم اطيب الجــزاء .

(ب) وفي الفكرة الثانية يسمو الشاعر **بمكانة الشهداء** فيرى في قبورهم قصورا تطاول النجوم علوا في قيمتها ومكانتها ، وفي الساحة التي تجمع قبورهم **ارضا مقدسة خالدا مجدها خـلود الدهر** ، فشهداؤها مصابيح تضيء في الأرض ، ونجوم تشرق في السماء ، وهم أعلى امثلة الرجولة والفــداء .

(حـ) ثم يخاطب الشاعر شعبه موضحا له الطريقة المثلى لتكريم الشهداء فيقول : ليست قيمة الشهداء ماثـلة في هذه النصب التذكارية ، أو تلك التماثيـل الحجرية التي نرفعها شامخة في الميـادين والساحات ، وانما يجـدر بكم ان تتمثـلوا بطولاتهم في نفوسكم ، وأن ترسموا صورهم في قلب كل حر وثائر ، وان تكونوا أوفياء لعهودهم ، بررة بهم في أهلهم وأبنائهم وشعبهم ، فتؤدوا نحوهم الواجب وترعوهم بأمانة ، وتخدموهم بصدق واخلاص .

(د) ثم يبين الشاعر **فضل الشهداء** ودورهم النضالي ، فقد ذادوا عن الحمى ودافعوا عن راية العزة ، وقادوا الجيوش في المعـارك الشديدة من نصر الى نصر ، وكانوا بعملهم هذا أوفياء لعهدهم فى **التضحية من اجل بلادهم وشعبهم** ، فيجب ان يكون **كل جزائري وفيا لعهده** ، فى اداء الأمانة التي تحمل اعباءها .

---

18 ـ **الآلاء** : النعم واحدها (الى) بالفتح وقد يكسر .

(هـ) ويشيد الشاعر **بالثورة الجزائرية المباركة** ، فهي ثورة عظيمة نبتت في أرض الثوار ، وسقتها روافد العروبة والاسلام ، وبهذه الثورة أصبحت الجزائر منارة تضيء طريق الحرية ، وقد أدى الشعر دوره في هذه الثورة فعبأ المشاعر ، وخاض **معارك النضال** حتى جنى ثمار كفاحه ، وهكذا يفوز بالحرية من يضحي في سبيلها ، ويسحق تحت الأقدام كل جبان مستكين .

(و) ومن الشعب يستمد الشاعر وحي انشاده وثورته ، فهو القوة التي أخضعت الطغاة ، وأذلت كبرياءهم ، بعد أن لقي من المستعمرين ألوان العذاب والهوان ، ولكن ثورته المباركة حققت الجلاء ، وجعلت من الجزائر الحرة جنة آمنة ، يستمتع أهلها بالهدوء والأمن والسلام .

دراسة الأفكار :

موضوع هذا النص من **الأدب التحرري** الذي يمجد البطولات والاستشهاد في سبيل الحرية ، ويسجل الثورات والمواقف الوطنية ، وهذه نزعة جديدة في الشعر العربي الحديث ـ كما مر بك ـ وقد ارتبط وجودها بوجود الاستعمار الأوربي في البلاد العربية . وقد امتاز هذا النوع من الشعر **بصدق العاطفة ،وقوة الانفعال ، وحرارة التاثير** ، لان الشاعر **معاصر لتجربته** يعيش أحداثها وينفعل بها ، وقد مست كل جوانب حياته ، فجاء التعبير عنها صادقا واصيلا .

وفي هذا النص مجموعة من **الافكار ، فيها ترحم على الشهداء وبيان فضلهم ، ونصح وتوجيه للعمل الاجتماعي الصحيح ، وفخر واعتزاز بالجزائر وثورتها** ، وكان من الممكن أن تكون كل فكرة موضوع قصيدة ، ولكن الشاعر استطاع أن يربط بينها **في جو نفسي واحد** .

والنص صورة صادقة للشاعر ومجتمعه ، ففيه **روح المصلح** الذي يدعو الى قيم خلقية ، ومبادئ اجتماعية : كتمجيد النضال ، وتقديس الشهداء ، وتوضيح ما يجب على الأحياء من تحقيق العدالة الاجتماعية ، ورعاية الأهداف التي من اجلها ضحى الشهداء .**وفيه** تصوير لحالة **المجتمع الذي** عاش فيه بعد الثورة ، من أسر فقدت شبابها ورجالها ، وضحت بشهدائها من أجل غايات عظيمة تطمح في تحقيقها بعد ما قدمت لها الشهداء .

وأفكار النص واضحة وبسيطة تناسب طبيعة المجتمع الذي يتحدث اليه الشاعر ، والموضوع الذي يعالجه . وتبدو روح **المعلم والأستاذ** في النصائح المتكررة التي وجهها الشاعر الى سامعيه وقارئيه .

وفي النص مظهر من مظاهر التجديد ، يتجلى في **افتخار الشاعر بقوميته ووطنه .** وقد ألف الشعراء العرب الفخر بالنفس أو القبيلة في العصور السابقة .

دراســة الأســلوب :

يتميز اسـلوب النص **بوضوح العبارة وسلامة التعبير اللغوي** ، وتبدو آثار الثقافة الاسلامية واضحة فيه .

كما ترى في استخدام كلمات : **عزة قعساء ـ فياق** ، وغيرها من الـكلمات **الجزلة** القوية ، وكما ترى في كلمات : **الاسلام والطهر ـ رحم الله ـ أوفوا العهود** ، وغيرها من الأساليب والألفاظ التي توحي بأثر الثقافة الاسلامية عند الشاعر في هذا النص .

وقد وضح الشاعر افكاره في **أساليب بلاغية** مختلفة منها قوله في البيت (5) :

شهـداء التمـدين في كـل عـصر سرج الأرض بـل نجـوم السمـاء

فهو **تشبيـه بليغ** ، يوحي بأثرالاستشهاد في تحرير الانسانية والخروج بها من ظلمات العبودية الى نور الاستقـلال والحرية ، وبهذا يبذل الانسان النفس والنفيس في سبيل نيلهـا .

وقـوله في البيت (6) :

لم أجـد في الرجال أعـلى وسـاما من شهـيد مخضـب بالـدمـاء

فيه **استعـارة** توحي بجمال منظر الدماء مع انها في الحقيقة مثيرة للنفس معـذبة للمشاعر الرقيقة ، ولـكنها من أجل الحرية محبوبة وجميـلة .

وكذلك قوله في البيت (17) :

تتعـالى منـائـر الحـق فيهـا من بعيـد لخـائـفـي الظلمـاء

استعارة تدل على مدى التخبط الذي تعيش فيه الشعوب المغلوبة ، يوحي بالاشمئزاز من حياتهم ، وهذا يدفعهم الى التخلص من واقعهم بالثورة على المستعمرين .

وقد تنوع اسـلوب الشاعر بين **الخبر والانشاء** ، ففي البيت الأول ((**رحم الله**)) ، وفي البيت الثـاني ((**سقى النعيم**)) اسلوب خبري ، المقصود منه الـدعاء .

وفي البيت الثالث ((**أم قصور تسمو على الجوزاء ؟**)) استفهام المقصود منه التعظيم .
وفي الأبيـات (8 ، 9 ، 10) :

فأقيمـوا لهـم تمـاثيل عـز في قـلوب ثـورية الأهـواء
واقتدوا وأتسوا بهم في المـزايا انهـم أهـل قـدوة وائتسـاء
واخلفوهم بالصدق فى خدمة الشعـب وفي أهلهـم وفي الأبنـاء

امـر ، المقصود منه النصح والارشاد .

ومن أساليب **القصر** في النص قوله : ((**انما تربة الجزائر مهد عبقري . .**)) ، وهذا القصر يوحي بأن الجزائر موطن الثوار وأن شعبها محب للثورة ، والتضحية من أجل الحرية .

واستعان الشاعر **بالمحسنات البديعية** المختلفة مثل .

— **الجناس** في : ((**قبور ـ قصور**)) ، (3)
— وفي : ((**ملهم ـ ملهب**)) ، (20)
— **والطباق** في : ((**الأرض ـ السماء**)) ، (5)
— وفي : ((**منائر ـ ظلماء**)) . (17)
— **والتخصيص بعد التعميم** في قوله :

واخلفوهم بالصدق فى خدمة الشعب وفى أهليهم وفى الأبناء (10)

فقد ذكر الأهل والأبناء مع بقية الشعب ، ثم عاد وافرد ذكرهم زيادة في الاهتمام بهم ، وهذا يدفع الانسان الى التضحية ، ويشجعه على الفداء ، لأنه متى شعر بأن أهله وأبناءه محل رعاية وموضع تقدير اذا ما استشهد هانت عليه التضحية ، ورخصت عليه نفسه في سبيل حرية بلاده ، وفي النص العديد من **الصور البلاغية والمحسنات البديعية** يمكنك الوقوف عليها وادراك سر جمالها .

مجمل القول

- **النص من الأدب التحرري ، يمتاز بصدق العاطفة وقوة الانفعال .**
- **افكار النص مترابطة ، وجوها النفسي واحد ، وهي تقدم صورة صادقة عن الشاعر ومجتمعه تتجلى فيها روح المصلح الثائر ، وتصوير للشهداء وأسرهم .**
- **يتميز أسلوب النص بوضوح العبارة ،وتبدو فيه الثقافة الاسلامية ، وصوره البلاغية جيدة لها تاثيرها في المعنى ، وقد تنوع بين الخبر والانشاء المختلف الأنواع والمتعدد الأغراض ، واكتسى من البديع أثوابا مناسبة تزيد الأسلوب رونقا وجمالا .**
- **وفي النص من مظاهر التجديد : اختيار الموضوع ، والامتزاج الوجداني بين الشاعر وموضوعه ، والفخر بالقومية والوطنية ، والنزعة الثورية الجادة ، وتقدير شهداء الحرية .**
- **والنص من بحر الخفيف ووزنه :**

((فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن   فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن))

المناقشـــة :

1 ـ كيف صـور الشـاعر قبـور الشهـداء ؟
2 ـ بمـاذا نكـرم الشهـداء ؟
3 ـ في النص تصوير لحالة الشعب الجزائري بعد انتصار الثورة ، ففي أي الأبيـات ؟ وما رايك في هـذه الصـورة ؟
4 ـ قـال الشـاعر :

كل من لـم يـثر عـلى الهـون والـذلة داسـته أرجـل الأقوياء

وقال « **شوقي** » :

وللحـرِّية الحَمْـرَاء بـا بٌ بكُـلِّ يَـدٍ مضَرَّجَـةٍ يُـدَقُّ

قارن بين البيتـين .

5 ـ وضـح مظـاهر التجديد والتقليد في النص .
6 ـ بمـاذا تعـلل وضوح أفكار النص وبسـاطتها ؟
7 ـ تخـير صورة جميـلة لم يرد ذكرها في دراسة النص واشرحها تفصيلا مبينا سر جمالهـا .
8 ـ قال الشاعـر « **احمد رامي** » في وصف الشهيـد :

يَـا مِثَـالاً يَضُـمُّ كُلَّ الضَّحَـايَا في سَبِـيلِ الفَخَـارِ والعَلْيَـاءِ

وقال « **محمد العيـد** » :

شهـداء التمـدن في كل عـصر سرج الأرض بل نجـوم السمـاء

اي البيتين اجمل في نظـرك ؟ ولمـاذا ؟

9 ـ في البيت العـاشر جمـال في الأسـلوب ـ وضحه .
10 ـ تبدو آثار الروح الاسلامية واضحة في أسلوب النص . اشرح هذه الحقيقة .

المقـــال الأدبي :

ثورة الشـعر انتجت ثورة الشعـب وعـادت عليـه بـالآلاء

ـــ اكتب فى معنى البيت السابق مبرزا دور الشعر فى معركة التحرير الجزائرية .

السـؤال الـكتابي :

ـــ اكتب مقالا توضح فيه منزلة الشهيد بين قومه مبينا واجب الأحياء ازاء الشهداء .

نمـاذج من شعـره : (*)

ا ـ عـــز الأوطـــان

إِذَا مَا رُمْـتَ لِلأَوْطَـانِ عِـزًّا فَجُـدْ بِالنَّفْـسِ وَاسْتَبِقِ الفِدَاءَ
وإنْ حمَـلَ الخُصُومُ عليْك يوْماً فقمْ لِنِضَـالِهِمْ وَخُـضِ الدِّمَـاءَ
ألمْ تـرَ جَعْفَـرًا قُطِعَتْ يَـدَاهُ بِحَرْبِ الرُّوم فاحْتَضَنَ اللِّـوَاءَ
وقـدَّمَ نفْسَهُ للمَـوْتِ سَمْحًـا فَنَـالَ بِهَـا الشَّهَـادَةَ والثَّـنَاءَ

ب ــ في الـــرثاء

قالهـا في الذكرى الأولى لوفاة فقيد العـلم والعلمـاء

الشيخ « محمد البشـير الابراهيمي »

ذِكْرَى وَفَاتِكَ إِحْيَـاءٌ لِأَعْمَـالِ مِنْ صُنْعِ عَزمِكَ أَمْ بَعْثٌ لأجْيَالِ
أَمْ نشْرُ صُحْفِ جِهَادٍ ذُدْتَ عَنْ قِيَمٍ عُلْيَـا بِهِ وَنِضَـالٍ منك ذِي بَالِ
أَمْ عرْضُ ثَوْرَةِ شَعْبٍ كنْتَ قَائِدَهَا بالرَّأْيِ منْ قبْلِ أنْ يَصْلَى بِهَا صَالِي
يارائِدَ الشَّعْبِ للأَهْدَافِ سِرْتَ بِهِ دِينًـا وَدُنْيَا ، بفِكْرٍ منْك جوَّالِ
إِنِّيَ دُعِيتُ إِلى الذِّكْرَى لِأَشْهَدَهَا وإنَّمَا تُعْرَضُ الذِّكْرَى عَلى السَّالِي
تالله ما خَطَرَتْ سَلْوَاكَ فِي خَلَدِي يَوْمًا ولا عَبَرَتْ ذِكْـرَاكَ منْ بَالِي
كأنَّ مَـوْتَكَ مَا مَرَّتْ فَجِيعَـتُهُ وَلَا خَلَتْ لَحْظَةٌ منْ عَـامِهِ الخَالِي
هُنا بَنُوكَ الذِين اسْتَمْسَكُوا أَبَدًا منْ رَمْزِكَ الخَالِدِ السَّامِي بِأَذْيَالِ
لَقَدْ تَسَاقَوا شَرَابَ العَهْدِ بَيْنَهُمُ علَى اسْمِ ذِكْرَاكَ سَلْسَالًا بِسَلْسَالِ
وَقَـدَّمُوا لكَ أَعْـلاقًا مُنَسَّقَـةً عَلىَ مَـوَائِدِ تَكْـرِيمٍ وإِجْمَـالِ
فَأَتْحَفُـوكَ عيُونا مِن قَصَائِدِهِم أَقَـرَّ سَامِعُهَا بِالسِّحْـرِ للتَّـالِي
أنتَ الغَنِيُّ بِمَا خَـلَّدْتَ منْ مُثُلٍ عنْ مَدْحِ قَافِيَـةٍ أَوْ رَفْعِ تِمْثَـالِ

د ـ مــع الشــعب

قِفْ حَيْثُ شَعْبُـكَ مَهْمَا كَانَ مَوْقِفُهُ أَوَّلَا ، فَأَنَّكَ عُضْوٌ مِنْـهُ مُنْحَسِـمُ
تَقولُ أَضْحَى شَتِيتَ الرَّأْيِ مُنْقَسِمًا وَأَنْتَ عَنْـهُ شَتِيتُ الـرَّأْيِ مُنْقَسِمُ
فكُنْ مَعَ الشَّعْبِ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ إِنْ كُنْتَ بِالرَّجُـلِ الشَّعْبِيِّ تَتَّسِـمُ
وَلَا يُرِقْك شَفِيفُ الـذَّاتِ مَائِعُهَـا كَالمَـاءِ فِيـهِ وُجُوهُ النَّاسِ تَرْتَسِمُ
أَعْدَى عِدَى القَوْمِ مَنْ يُعْزَى لَهُمْ نَسَبًا وَيَسْمَعُ القَـدْحَ فِيهِم وَهْوَ يَبْتَسِمُ

(*) ديـوان محمد العيد آل خليفـة .

د ـ الحـــق

مَا أَجْدَرَ الحَقَّ أَنْ تُحْنَى الرُّؤُوسُ لَهُ وَأَنْ يُشَالَ عَلَى الأَعْنَاقِ كَالعَلَمِ
الحَـقُّ ثَوْبٌ تَعَالَى اللهُ نَاسِجُهُ تَبَّتْ يَدَا كُلِّ عَاثٍ فِيهِ بِالجَلَمِ
فَمِلْ إِلَى الحَقِّ فِي الدُّنْيَا تُصِبْ أَمَلاً يُنْسِيكَ مَا قَدْ يَشُوبُ الحَقَّ مِنْ أَلَمِ
وَكُنْ عَلَى البَغْيِ حَرْبًا لا تَكُنْ سَلَماً فَالنَّصْرُ لِلحَرْبِ لَيْسَ النَّصْرُ لِلسَّلَمِ
لا تَخْشَ سَيْفًا مِنَ البَاغِي ولا قَلَمًا فَغَارَةُ اللهِ فَوْقَ السَّيْفِ وَالقَلَمِ
الظُّلْمُ فِي الأَرْضِ سَارٍ كَالظَّلامِ بِهَا وَكَاشِفُ الظُّلْمِ فِيهَا كَاشِفُ الظُّلَمِ

هـ ـ يابحـــر !

يا بَحْرُ أَفْدِيكَ بَحْرًا مَلَكْتَ قَلْبِي سِحْرًا
أَرَى عَلَيْكَ مِئَاتٍ مِنَ المَنَاظِرِ تَتْرَى
تَبْدُو مِيَاهُكَ زُرْقًا لِلنَّاظِرِينَ وَخُضْرا
يا بَحْرُ أَنْتَ أَنِيسِي انْ ضِقْتُ بِالهَمِّ صَدْرَا
أَطْرَيْتُ حُسْنَكَ مَدْحًا يا بَحْرُ وَالحُسْنُ يُطْرَى
يا أَبْيَضَ العِرْضِ جَرَّتْ لَكَ الشَّوَاطِئُ وِزْرَا
أَخْشَى غَدًا فِيكَ تَغْدُو ازبادك البيض حمرا
أَخْشَى وَغًى فِيكَ تَحْمِي فَتَقْلِبُ المَاءَ جَمْرَا
أَمْسَتْ مَرَاسِيكَ تَرْعَى مَرَاصِدَ الشُّهْبِ سَهْرَى
فِيكَ دَوَارِعُ غُبْرٌ تَحْوِي دَوَارِعَ غُبْرَا
وَيْلٌ لِمَنْ جَازَ حَدًّا أَوْ مَنْ تَقَدَّمَ شِبْرَا
وَكُلُّ مَنْ رَامَ حَرْبًا فَإِنَّمَا رَامَ خُسْرَا
يا أَبْيَضَ الوَجْهِ نَالَتْ افْرِيقِيَا بِكَ فَخْرَا
نَالَتْ بِفَضْلِكَ خَيْرًا مِنَ الجَزِيرَةِ وَفْرَا
فَكَمْ مِنَ العُرْبِ غَازٍ لَهَا تَخَطَّاكَ جِسْرَا

فَقَــامَ بالــدِّيــنِ فِيهَــا وَبِــالفَضِيـــلَةِ نَــشْرَا
وَقَــائِــدٍ فِيــكَ حُــرٍّ سَــاقَ الأَعَــاجِمَ أَسْرَى
والحُــرُّ انْ ثَــارَ يَطْــغَى كاللَّيْــثِ انْ جَــاعَ يِضْرَى
أُحِــبُّ فِيــكَ ثَبَــاتًــا عَلَى الخُطُــوبِ وَصَــبْرَا
أُحِــبُّ فِيــكَ هُــزُوءًا بِالأَقْــوِيَاءِ وَسُخْــرَا

و ـ فتــح جــديد (*)

نَحْنُ الجِبَالُ بَنُــو الجِبَــا لِ ، صَدَى الجِبَالِ بِنا حَدَا
رَكْــبٌ إلَى العِــرْفَانِ أَتْــعَبَهُمَ فِي ســرَاهُ وأَنْجَــدَا
مَنْ سَــامَنَــا بِــإِذَايَــةٍ فَعَلَى الجِبَــالِ قَدْ اعْتَدَى
وَمَن اسْتَهَــانَ بنَــا اسْتَهَا نَ بِهَــا فَحَــلَّ به الــرَّدَى
لا خــوْفَ منْ ظُــلْمِ الطرِّ يقِ فقَــدْ جَلَوْ نا المَقْصِــدَا
جاءَ «البَشِيرُ»(١)فَبَشَّرَ الأَعْــمَى فــأبْــصَرَ واهْتَــدى
شــعْبُ الجــزَائر بالقُــلُو بِ إلى « البَشِــير »تَوَدَّدَا
مَنْ كانَ لِلــوَطَنِ العَــزِيــزِ فِدًى ، فَنَحْنُ لــهُ الفِدَى
يا أيُّهَــا الشَّعْــبُ اسْتَبِقْ للصَّــالِحَاتِ وَطُــلْ يَــدَا
إِنِّــي أَرَاكَ مُنكَّــــرَا بَــيْنَ الشُّعُــوبِ مُنَكَّــدَا
أَحْثُثْ خُطَــاكَ فَمَنْ يَعِشْ وَكِــلًا يَعِشْ مُسْتَعْبَــدَا
وَدَعِ الفِـــرَاقَ فَــإِنَّــهُ أَقْــصَى الــرِّفَاقَ وَبَــدَّدَا
وَدَعِ الهَــوَى انَّ الهَــوَى لَكَ فِي العِــدا شَرَّ العِدَا ا
حَكِّمْ هُــدَى الاسْلَامِ تُرْ ضِ اللّــهَ تُرْضِ مُحَمَّــدا
وَاقْفُ الهُــدَاةَ الــرَّاشِدِيــــين الــرَّاكِعِــين السُّجَّدَا
صَوْتُ السَّمَاوَاتِ العُــلىَ صَوْتُ الهُــدَاةِ لَهُ صَدَى
فَمَنْ اسْتَجَــابَ لِصَــوْتِهِمْ نَــالَ النَّعِيــمَ السَّرْمَــدَا

(*) هذه الأبيات جزء من قصيدة انشدت بمناسبة افتتاح مدرسة « **الهدى** » بمدينة **القنطرة** قرب بسكرة يوم الخميس 16 صفر عام 1366 هـ ، ومطلعها :
فَتْحٌ جَدِيدٌ قَدْ بَدَا فِي فَتْحِ مَدْرَسَةِ الهُدَى

(1) هو الشيخ « **البشير الابراهيمي** » رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي اشرف على حفل افتتاح المدرسة .

8

الطلاسم

ايليا ابو ماضي

(1889 - 1957 م — 1307 - 1377 هـ)

تعريف وتمهيد :

« **إيليّا ابو مَاضِي** » (*) من كبار شعراء المهجر ، ولد في **لبنان** عام 1889 م وانتقل الى **مصر** ، حيث بدأ حياته الأدبية ، ثم هاجر الى **امريكا** وانضم الى « **الرابطة القلمية** » وتأثر بالحياة في موطنه الجديد ، فجدد في الشعر العربي .

والأبيات التي نقدمها لك الآن جزء من قصيدة « **الطلاسم** » وهي قصيدة طويلة بلغت أبياتها 288 بيتا . وقد تناول فيها الشاعر « **الغاز** » **الوجود** التي وقف حائرا أمامها نتيجة ظروفه الخاصة التي عاشها في مهجره ، وتأثره بالتيارات الفلسفية الغربية الحديثة ، وإليك نماذج من حيرته تتضح في الأبيات الآتية :

النص : (*)

(أ)

جِئْتُ لا أعلَمُ مِن أينَ ولـكنّي أتَيْتُ ... وَلَقَدْ أبصَرْتُ قُدَّامي طَـريقًا فَمَشَيْتُ
وَسَأبقى سائرا إنْ شِئتُ هـذا أمْ أبَيْتُ ... كيفَ جِئتُ ، كيفَ أبصَرْتُ طـريقي
لَسْتُ أدري

(ب)

أجَديدٌ أم قَديمٌ أنا في هذا الوُجودْ ؟ ... هَلْ أنا حُـرٌّ طَليقٌ أم أسيرٌ في قيود ؟
هَلْ أنا قائِدُ نَفْسِي في حَياتي أم مَقُودْ ؟ ... أتَمَنَّى أنَّني أدري ولـكنْ . . . . . .
لَسْتُ أدري

(د)

وطَرِيقي ، ما طَريقي ؟ أطَويلٌ أم قَصِيرْ ؟ ... هَلْ أنا أصعَدُ أمْ أهبِـطُ فيهِ وأغُورْ ؟
أأنا السَّائِرُ في الدّربِ أَمِ الدَّرْبُ يَسِير ؟ ... أمْ كلانا واقِفٌ والدَّهرُ يَجْري . . . . .
لَسْتُ أدري

(*) ايليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر . دراسة وشعر . زهير مرزا . سنأتي ترجمة مفصلة لحياته وشعره .

شرح وايضـــاح :

عَبَّرَ الشاعر عن حيرته في مجموعة من الأفكار . تناول في **الفكرة الاولى** مشكلة اصل الوجود واستمرار الحياة ، فالانسان ـ في نظر الشاعر ـ لا يعرف من اين اتى ، ولـكنه وجد نفسه يسير في هذه الحياة طائعا او مُكْرَهًا ، وسيمضي في هذا الطريق .

وفى **الفكرة الثانية** ، يَتَسَاءَلُ الشاعر عن مصدر حيرته وتاريخها فى حياة الانسان فهل شغلت هذه التساؤلات أفكار الناس منذ قديم الزمان ؟ ، وهل لها جذورها البعيدة فى النفس البشرية ؟ ، ام أنها حيرة جديدة طارئة ؟

وفي **الفكرة الثالثة** ، يتناول الشاعر مشكلة اعمال الانسان بين الجبر والاختيار . وراح يتساءل ، هل للانسان ارادة حرة مستقلة تتحكم فى أفعاله وتصرفاته ؟ ام انه مجبور تسيره قوة خارجية لا سلطان له عليها كأنه الريشة فى مهب الرياح ؟

وفي **الفكرة الرابعة** ، يتحدث الشاعر عن مشكلة الغيب والمجهول . ويقرر انه لا يعرف مقدار حظه من البقـاء في الحياة ، أيقصر عمره أم يطول ؟

ولا يستطيع تحديد نصيبه من السعادة أو الشقاء في حياته ، هل يصل الى اعلى درجات المجد أم يسفل في درجات الشقاء والسقوط ؟

وهل سيمضي الى مصيره المحتوم بنفسه ام ان قدره سوف يأتيه وان بقي ساكنا في موضعـه ؟

دراســة الأفكــار :

النص الذي بين يديك من**الشعــر الفلسفي** ، تناول فيه الشاعر عدة مشكـلات فلسفية ، هي :

1 ـ **مشكـلة اصل الوجود واستمـرار الحيـاة .**

2 ـ **اعمـال الانسان بين الجـبر والاختيـار .**

3 ـ **مشكـلة الغيب او المجهـول .**

وهذه المشكلات ليست جديدة على الفكر الانساني ، فقد تناولها علماء الفلسفة والـكلام .

ولـكن اذا عرضنا أفكار الشاعر أمام **مقاييس الدين الاسلامي** ، وجدنا حيرته لا اساس لها ، فلكل سؤال ردده الشاعر **جواب مقنع** من تعاليم الاسلام ونصوصه .

فوجود الانسان في الأرض طارئ ومحدث ومن **خلق الله تعالى** .

« يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »(1)

---

(1) سورة البقرة ، آية رقم 21 .

واصـــله من طين :

« وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا الإنْسَـانَ مِن سُـلَالَةٍ مِن طِـينٍ »[1]

ويرجع وجوده الى **آدم وحواء** اللذين تناسلا ذريات من الرجال والنساء :

« يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَـارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنـدَ اللهِ أَتْقَـاكُمْ »[2]

والهدف من وجوده في هذه الحياة عبادة الله وطاعته .

« وَمَـا خَلَـقْتُ الجِـنَّ وَ الإنْـسَ إلَّا لِيَعْبُـدُونِ »[3]

وطريقه العمل فى الحياة ، ومراقبة الله فى كل شيء :

« وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ »[4]

وهو يملك من الارادة ما يتحمل بها مسئولية عمـله :

« مَنْ عَمِـلَ صَـالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَـاءَ فَعلَيْهَـا »[5]

وليس له أن يعرف مقدار حظه من الحياة ، ولا مقدار عمره في الدنيا . والبحث في هذا يعذبه ولا يريحه ، ومن الخير له الا يعلم :

« وَمَا تَدْرِي نَفْسُ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تدْرِي نَفْسُ بِأيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ »[6]

وسواء أمضى الى قدره أم جاءه القدر وهو ينتظر ، فالنتيجة واحدة :

« لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ولا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ »[7]

ومن ثم ، فلا ينبغي ان ننظر الى افكار الشاعر الحائرة على انها مثل عليا نتمثلها ، أو عقائد سليمة نعتنقها ، وانما ننظر اليها على انها قيم فنية جمالية تعكس لنا احساس الشاعر بالحيرة والضياع الذي يعاني منه هو ورفاقه المهجريون نتيجة احساسهم بالغـربة الموحشـة عن الأوطان .

وبهذا يكون الشاعر **صادق الاحساس مع نفسه ، اصيلا فى التعبير عن شعوره ،** وان كانت **افكاره وآراؤه مخالفة لتعاليم الدين الاسلامي .**

---

(1) سورة المؤمنون ، آية رقم 12 . (2) سورة الحجرات ، آية رقم 13 . (3) سورة الذاريات ، آية رقم 56
(4) سورة التوبة ، آية رقم 105 . (5) سورة فُصِّلَتْ ، آية رقم 46 . (6) سورةلقمان ، آية رقم 34 .
(7) سورة الحديد ، آية رقم 23 .

وطريقة عرض الشاعر لأفكاره في النص تختلف عن الطريقة التي عالج بها الفلاسفة هذه الموضوعات ، فهو لا يدعو الى مذهب يناصره بالبرهان ويهدم نقيضه بالدليل على نحو ما يفعل الفلاسفة والمجادلون ، ولكنه تناولها من جانب **الفنان المفكر** الذي **يتأمل ما في الكون والحياة** ، ويرى فيها **امورا يعجز الفكر عن تفسيرها** فيشعر بضعفه .

ويعبر عن ذلك المبدأ بقوله :

حُـرٌّ ومذهبُ كلِّ حُـرٍّ مَذْهَبِي ... ما كنتُ بالغـاوي ولا المتعصِّبِ
وأُحِبُّ كُلَّ مُهَـذَّبٍ ولـو أنَّـهُ ... خَصْمِي ، وأرْحَم كلَّ غَيْرِ مُهَذَّبِ
يأبى فُؤَادِي أن يَمِيلَ إلى الأَذَى ... حُبُّ الأَذِيَّةِ من طِباعِ العَقْـرَبِ

وهذه **النزعة التسامحية** مظهر من مظاهر التجديد في الشعر العربي ظهرت بصورة واضحة في شعر المهجريين .

وقد سبق الى هذا المسلك الفلسفي في الشعر بعض الشعراء العباسيين وفي مقدمتهم « **أبو العلاء المعري** » ، وقد درست بعض نصوصه في العام الماضي .

وافكار النص واضحة فيها اشارة الى موضوعات فلسفية ، وليس فيها تحليل او تعليل لشيء من ذلك ، وهذا ما يلائم طبيعة الشعر وهدف الشاعر من اثارة هذه المشكلة .

دراسة الأسلوب :

لم يعمد الشاعر الى استخدام **المصطلحات العلمية** مع انه تناول مشكلات فلسفية لها مصطلحاتها المعروفة ، ولكنه اشار اليها بعبارة تدل على موضوع المشكلة ، فقوله : « **هل أنا حر طليق أم أسير في قيودي** » ، عنوان لمشكلة الجبر والاختيار .

وقد تعددت **أساليب الاستفهام** في النص ، وتنوعت أدواته ، ولهذه الأساليب دلالة على قدرة الشاعر على الأداء اللغوي ، فهو يريد **التعبير عن الحيرة القاتلة** ، والاحساس بالقلق والضياع الذي يعاني منه ، فلجأ الى أساليب الاستفهام ينشد فيها الافصاح عن شعوره بالحيرة ، كما اتخذ من **الأساليب الخبرية** اداة للتعبير عن حيرته حيث كرر عبارة **لست أدري** .

وعبارات النص واضحة ، **والتعبير** بها **مباشر** لا يعتمد على الصورة أو الخيال ، لأن طبيعة الأفكار التي طرقها الشاعر لا تحتاج الى شيئ من ذلك . والفاظه سهلة فيها عذوبة ونغم .

وقد التزم الشاعر **وحدة التفعيلة** في الوزن العروضي ، وزاد في آخر كل فقرة تفعيلة من نفس النغم ، ولم يلتزم الشاعر **وحدة القافية** ، ولكنه التزم تغييرها كل اربعة أبيات وفي هذا التجديد في **الوزن** والتنويع في **القافية** مظهر من مظاهر التجديد في الشعر العربي الحديث ، وخاصة عند الشعراء المهجريين .

مجمل القول في النص

- النص من الشعر الفلسفي الذي يعبر عن لون خاص في الأدب العربي الحديث ، يتامل الانسان والكون ، ويعكس احساس الشاعر بالضياع والحيرة ، وهو بعيد عن الروح الاسلامية .
- طريقة عرض الشاعر لأفكاره تختلف عن طريقة عرض الفيلسوف ، فقد تناولها من جانب الشاعر المتامل لذاته وللكون من حوله بعاطفة صادقة وأصالة فنية ، ليخدم بها فلسفته الخاصة ، التي تقوم على اساس من ضعف الانسان وحاجته الى أخيه الانسان .
- تميز اسلوب النص بالبعد عن المصطلحات ، وتعددت فيه اساليب الاستفهام المعبرة عن الحيرة المهيمنة على نفسية الشاعر ، وعباراته جيدة لم تعتمد على التصوير ، وقد تعددت فيه القافية وزاد النغم تفعيلة في كل فقرة وبحره العروضي من « مجزوء الرمل » :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

- وفي النص من مظاهر التجديد اختيار الموضوع،وطريقة تناوله،وظهور النزعة التاملية ، ووضوح الفكرة ، وبساطة التعبير ، والتنوع في القافية ، والتجديد في الوزن .

المناقشة :

1 ـ هل تقبل افكار الشاعر ؟ وعلى اي اساس تقبلها أو ترفضها ؟

2 ـ للشاعر فلسفة خاصة في الحياة ، أشرنا اليها في الدراسة ، فماهي ؟ ومارايك فيها ؟

3 ـ يختلف الشاعر والفيلسوف في طريقة تصوير التفكير . اشرح هذه العبارة في ضوء دراستك .

4 ـ ماذا يهدف الشاعر من كثرة تساؤله في هذا النص ؟

5 ـ ما سمات الشعر المهجري كما تبدو من خلال دراستك لهذا النص ؟

6 ـ استخرج من النص محسنين بديعيين وبين نوعهما وسر جمالهما .

7 ـ « **أم كلانا واقف والدهر يجري** » . في هذا البيت صورة بلاغية ، اشرحها وبين ما فيها من جمال .

السؤال الكتابي :

« اذا عرضنا افكار الشاعر على مبادئ الاسلام ونصوصه وجدنا حيرته لا أساس لها من الصحة » .

ـــ ناقش هذه العبارة .

المقال الأدبي :

« كان لهجرة الأدباء العرب الى امريكا تاثير كبير على الأدب العربي الحديث » .

ـــ اكتب مقالا توضح فيه أسباب الهجرة ونتائجها على الأدب العربي .

نمــاذج من شعــره :

ا ـ الطـــــين

نَسَى الطـينُ سـاعةً أنَّه طِـينٌ حقـيرٌ فصـالَ تيهًـا وعـربدْ
وكسى الخَـزُّ جسمَه فتبـاهى وحــوى المـالَ كيسُـهُ فتمرَّدْ
يا أخي لا تَمِـلْ بوَجْهِكَ عني ما أنا فحمـةٌ ولا أنتَ فـرقـدْ
أنتَ لـم تصنـعِ الحـريرَ الـذي تلبـسُ واللـؤلؤَ الـذي تَتَقَـلَّدُ
أنتَ في البُرْدَةِ الموَشَّاةِ مثـلي في كسائي الرديم تَشْقَى وتَسْعَدْ
لك في عـالمِ النهـارِ أمـاني ورؤًى والظـلامُ فَوْقَكَ ممتـد
ولقـلبي كمـا لقلبـكَ أحـلا مُ حِسـانٌ فإنَّـهُ غـيرُ جلمـدْ
أأمــانيَّ كلهــا من تـرابٍ وأمانيـكَ كلهـا من عَسْجَـدْ
وأمـانيَّ كلهــا للتـلاشـي وأمـانيـكَ للخـلودِ المؤَكَّـدْ
لا ، فهـذي وتلكَ تأتي وتمضي كذويهــا ـ وأيُّ شيءٍ يُؤبـد
أنتَ مثـلي مِنَ الـثرى وإليـهِ فلمــاذا ياصاحبي التيهُ والصَّدْ
ألك القَصْرُ دونَه الحرسُ الشـا كي ومنْ حولهِ الجـدارُ المُشَيَّدْ
فامنـعِ الليـلَ أن يمـدَّ رواقا فـوقهُ والضبـابَ أن يتلبَّـدْ
أيهــا الطينُ لستَ أنقى وأسمى من ترابٍ تدوسُ أو تتـوسَّـدْ

ب ـ في الحنـين الى الـوطن

مَرَّتِ الأعـوامُ تَتـلُو بعضهـا لِلوَرى ضِحكي ولي وَحـدي اكتئابي
كُلَّمـا استَولَـدتُ نَفسي أمـلًا مَـدَّتِ الدُّنيـا لـهُ كَفَّ اغتِصـابِ
أُفلتَتْ مني حَـلَاواتُ الـرُّؤى عِنـدَما أَفـلِتَ من كَـفِّي شَـبابي
بِتُّ لا الإلهـامُ بـابٌ مُشرَعٌ لي ولا الاحـلَامُ تَمْشِي في رِكابي
أشتَهي الخَمـرَ وكأسي في يَدِي وأُحِسُّ الـرُّوح تَعـرى في ثِيـابي
رَبِّ هَبـني لِبـلَادي عَـودَةً وَلْيَكُـنْ للغـيرِ في الأُخـرى ثوابي

أيُّهـا السَّـائِلُ عَنِّي مَنْ أنـا		أنـا كالشَّمس الي الشَّرْق انتِسـابي
لُغَـةُ الفُـولاذِ هَـاضَـتْ لُغتي		لا يَعِيشُ الشَّدْو في بحـرِ اصطِخابِ
لَستُ أشكُو إن شَكا غيري النَّوى		غُـربَةُ الأَجْسَـام ليـَسَتْ باغـترابِ
أنا في نيويوركَ بالجِسم وبالرُّو		حِ في الشَّرقِ على تِـلكَ الهِضَـابِ
في ابتِسَام الفجرِ في صَمتِ الدُّجى		في أسى « تِشرينَ » في لَوعَةِ « آب »
أنا في الغُـوطَةِ زَهـرٌ وَنَـدى		أنـا في لُبْـنانَ نَجْـوى وَتَصَـابي
انَّـني أَلمَحُ في أوجُهِـكم		دفْقَـةَ النُّـورِ على تـلكَ الـرَّوابي
وأرى أشـباحَ أيَّـامٍ مَضَـتْ		فـي كِفـاحٍ وَنِضَـالٍ ووِثـابِ
وأرى أطيـافَ عَـصرٍ باهِـرٍ		طالِـعٍ كالشَّمْـسِ من خَلْفِ الحِجابِ
لَيتَنـي يُـسرعُ كي أُبـصِرَهُ		قبْـلَ أن أغـدُو تُرابًـا في تُـرابِ

جـ ــ الحجــــر الصغـــير

سَمِعَ الليـلُ ذو النجـومِ أنيـنا		وهـو يَغْشَى المديـنةَ البيضـاءَ
فانحـنى فوقَهـا كَمُسْتَرِقِ الهمْـس		يطيـلُ السكـوتَ والإصغـاءَ
فـرأى أهلهـا نيـامًـا كأهلِ الـكهْـفِ		لا جلبـةً ولا ضوضـاءَ
ورأَى السـدَّ خلفَهـا محكمَ البنـيانِ		والمـاءَ يشـبهُ الصحـراءَ
كانَ ذاكَ الأنينُ من حَجَـرٍ في السَّدْ		دِ يشـكو المقـادرَ العميـاءَ
أيّ شأنٍ يقـولُ في الـكونِ شأني		لستُ شـيئًا فيـهِ ولسـتُ هبـاءَ
لا رخـامٌ أنـا فأنحـتُ تمثـا		لًا ، ولا صخـرةٌ تكـونُ بنـاءَ
لستُ أرضًـا فأرشـفُ المـاءَ ،		أو مـاءً فأروي الحـدائقَ الغنَّـاءَ
لسـتُ دُرًّا تنـافـسُ الغـادةُ الحـسناءُ ،		فيـهِ المليحـةَ الحسنـاءَ
لا أنـا دَمْعـةٌ ولا أنـا عـينٌ ،		لستُ خـالًا أَوْ وَجْنَـةً حمـراءَ
حَجَـرٌ أغـبرٌ أنـا وحقـيرٌ		لا جمـالًا ، لا حكمةً ، لا مضـاءَ
فلأغـادرْ هـذا الوجـودَ وأمضي		بسـلامٍ ، إنِّي كـرهتُ البقـاءَ
وَهَـوى من مكانِهِ وهو يشكـو		الأرْضَ والشهبَ والدُّجَى والسماءَ
فتَـحَ الفَجْـرُ جفـنَهُ . . . فإذا الطـوفانُ يَغْشَى « المدينةَ البيضـاءَ »



9

الى الطفــــاة

لأبى القــــاسم الشــــابى

(1909 ـ 1934 م — 1327 ـ 1353 هـ)

تعريف وتمهيــد :

((**ابو القاسم الشابي**)) من اعظم الشعراء الذين انجبتهم تونس في العصر الحديث .

ولد فى قرية ((الشابية)) بجنوب تونس ، وتلقى عــلومه الأولى فيها ، ثم التحق بجامعة ((الزيتونة)) وتخرج فيها عــام 1930 م .

وقد رزق ((**الشابي**)) موهبة شعرية مبكرة ، غذاها بقراءاته المتعددة فى عيــون الأدب العــربي القديم ، والآداب الأوربية المترجمة ، والأدب المهجري ، وادب رواد النهضة العربية الحديثة في المشرق العربي ، ومن ثم جاء إنتاجه الشعري جيدا ورصينا وان كان قليلا ، لان الأيام لم تمهــله طويلا ، فقد عصفت به يد المنون ولم يزل في ريعان شبابه ، ففارق الحياة ولم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره اثر مرضه بداء ((تضخم القلب)) .

وبالرغم من احساسه بدنو اجــله فانه كان داعية الى الـكفاح ، قوي الارادة في بعث امته ، صادق العزيمة في مقاومة المستعمرين ، متفائلا بالنصر ، مؤمنا بالتضحية من اجل الحياة الـكريمة .

ومنذ وطئت اقدام المستعمرين الفرنسيين **ارض المغرب العربي** ، واستولوا على **الجزائر** عام 1830 م ، ثم على **تونس** عام 1881 م والثورات تتوالى ، وحــركات الـكفاح لا تهــدأ .

وللأدباء والشعراء دورهم الـكبير فى هذا النضال حملوا مسئوليته بأمانة وشرف وعزم وصبر حتى ظفرت بلادهم بالحرية والاستقلال .

وفي الأبيات التي نقدمها لك **صرخة قوية رادعة** يقذف بها ((**الشابي**)) في وجه المستعمرين ـ وسترى من خلالها صورة صادقة **لاحساسه الوطني العميق** .

النـــص : (*)

(أ)

1 ـ أَلَا أيُّهَا الظَّالِمُ المُسْتَبِدُّ حَبِيبُ الفَنَاءِ عَدُوُّ الحَيَاةْ
2 ـ سَخِرْتَ بِأَنَّاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ وَكَفُّكَ مَخْضُوبَةٌ مِنْ دِمَاه
3 ـ وعِشْتَ تُدَنِّسُ سِحْرَ الوُجُودِ وَتَبْذُرُ شَوْكَ الأسَى في رُبَاهُ

(ب)

4 ـ رُوَيْدَكَ ، لا يَخْدَعَنْكَ الرَّبِيعُ وَصَحْوُ الفَضَاء وَضَوْءُ الصَّبَاحْ
5 ـ فَفِي الأُفُقِ الرَّحْبِ هَوْلُ الظَّلَامِ وَقَصْفُ الرُّعُودِ وَعَصْفُ الرِّيَاحْ
6 ـ ولا تَهْزَأَنْ بِنَوْحِ الضَّعِيفِ فَمَنْ يَبْذُرِ الشَّوْكَ يَجْنِ الجِرَاحْ

(ج)

7 ـ تَأَمَّلْ هُنَالِكَ أنَّى حَصَدْتَ رُؤُوسَ الوَرَى وَزُهُورَ الأمَلْ
8 ـ وَرَوَّيْتَ بالدَّمِ قَلْبَ التُّرَاب وَأشْرَبْتَهُ الدَّمْعَ حتَّى ثَمِلْ

(د)

9 ـ سَيَجْرُفُكَ السَّيْلُ سَيْلُ الدِّمَاءِ وَيَأْكُلُكَ العَاصِفُ المُشْتَعِلْ

شرح وايضـاح :

أ ـ بدأ « **الشابي** » قصيدته بصيحة قوية جريئة لطم بها وجه المستعمر الغاصب وقال له : **إنك ظالم وغاشم** ، **وحقود وطاغية** ، **تكره الحرية** ، **وتعشق العبودية** ، **وليس في قلبك المتحجر رحمة** ولا **شفقة** ولا **انسانية** ، فما زلت تهزأ بآلام الشعوب الضعيفة ، وتسخر من آهاتها وأناتها ، مع انك سبب بلائها وسر شقائها ، فكم سفكت من دماء الأبرياء ، ونهبت من ثروات الشعوب ، والقيت بالأحرار في غياهب السجون . انك بهذا العدوان الصارخ تجعل من الكون مسرحا لجرائمك وآثامك .

ب ـ وبعد هذه الصيحة القوية يتوعد الشاعر المستعمر وينذره قائلا : تمهل ولا تسرف في اجرامك ، ولا تنخدع بمظاهر السكون من حولك ، أو استقرار حياتك بين الشعوب الضعيفة المستعبدة ، فإنّه الهدوء الذي يسبق العاصفة ، وعما قليل ستهب هذه الشعوب من سُباتها ، ويومئذ ستعرف **قوة الصرخات** التي كنت تهزأ بها ، وعليك أن تتحمل أوزار فعلك ، وآثام صنعك ، **فكما تدين تدان** .

(*) **اغاني الحياة** : ابو القاسم الشابي .

3 ـ **تدنس** : وتلوث وتوسخ . 4 ـ **رويدك** : اسم فعل أمر بمعنى تمهل وانتظر . 7 ـ **انى** : كيف 8 ـ **ثمل** : سكر . 9 ـ **يجرفك** : يكتسحك ، ويزيلك من طريقه .

حـ - وفي الوحدة الثالثة ، يذكّر الاستعمار **بآثامه** قائلا : انظر كيف **ازهقت الأرواح البريئة . وفتكتت بالشباب الذي كان امل امته . وكيف سالت دماؤهم البريئة غزيرة تسقي التراب** . فجاشت العيون بالبكاء ، وانهمرت الدموع كالمطر الغزير .

د - وفي **الوحدة** الرابعة ، يوضح الشاعر للاستعمار مصيره المحتوم فيقول : ان انهار الدماء التي أرقتها ظلما وعدوانا سوف تستحيل الى**طوفان عارم يجرفك** في مسيرته ، وان رياح الثورة المشتعلة ستأكلك في عصفها . والموت والدمار مصيرك المحتوم .

دراســة الأفكــار :

موضوع النص من **الشعر السياسي** ، الذي يهدف الى **بعث الروح الوطنية** ، وتقوية **ألنزعات الثورية** والوقوف في وجه الطغاة الظالمين . وقد عرفت ان **هذا الاتجاه جديد في** الشعر العربي ظهر في العصر الحديث .

واستطاع « **الشابي** » ان يكسب القضية التي يدافع عنها صبغة انسانية عالميـة ، فهي وان كانت تهدف الى تجنيد الشعب التونسي ليقاوم الاستعمار الفرنسي ، لكن الشاعر صاغها في افكار يتردد صداها في جميع العقول ، وتتجاوب معها كل الضمائر فالناس في مختلف بقاع الأرض وعلى مر التاريخ يشعـرون بمرارة الظلم والاستعباد ، ويكرهون الغاشم المستبد .

وهذه **النزعة الانسانية** العالمية تمثل مظهرا من مظاهر التجديد في الشعر العربي الحديث ، وان كان لها جذور لدى بعض الشعراء السابقين في مختلف العصور .

فالشاعر المعاصر الجيد هو الذي ينطلق من موقف ذاتي يمس شعوره الشخصي ، فاذا ما انفعل به حاول التعبير عنه من خلال رؤيته الذاتية ، لـكنه لا يرقى الى المستوى الرفيع ، الا اذا استطاع أن يكسب موقفه الذاتي المعبر عن عواطف شعبه وآلامه صبغة انسانية عالمية ، يجد صداها لدى القارئين والسامعين ، بحيث يشعر كل واحد منهم ان الفكرة التي يقرأها أو يسمعها هي تعبير عن مشكلته الذاتية .

وبمقدار ما يلمس الشاعر قلوب العديد من الناس يكون حظه في الرفعة والذيوع والخلـود . وقد نجح **الشابي** في تحقيق هذا الاتجاه في النص الذي بين يديك .

واستعان الشاعر **بمظاهر الطبيعة** المختلفة ليصوغ منها تجربته الشعرية ويبدع في انشاء عمـله الفني . فقد اتخذ من الصباح والظلام والنبات والرياح والمـاء واللهيب لبنات بنائه الأولية ونسيج خيوطه الفنـية .

وامتزاج الشاعر بالطبيعة واستخراجه مادة عمـله منها اتجاه جديد فى الشعر العربي الحديث ، ظهر ونما على أيدي الشعراء المهجريين وحاكاه من تأثر بهم ، مثل : « **على محمود طه** » ، والدكتور « **ناجي** » ، وغيرهم من الشعراء .

وافكار النـص الاساسـية هي :

1 ـ **صيحـة في وجه الظـالم المسـتبد .**

2 ـ **انذار ووعيـد .**

3 ـ **تذكير بالآثام .**

4 ـ **نهـاية الطغيـان .**

وهي افكار مسلسلة شديدة التلاحم تؤدي الى نتيجـة منطقية منسجمة مـع ما سبقها من مقـدمات .

وقد عـاش الشـاعر تجربته من خـلال احداث وطنه الأصغر « **تونس** » ووطنه **العربي الكبير** ، ثم مجتمعه الانساني الاكبر .

وراى في هذا العـالم المضطرب ، صور الظلم والاستبداد ، وفظائع الطغـاة المستعمرين ، وعانى من ويلات الاستعمار ومظاهر العبودية ، وعاش تجربته بصـدق واخلاص ، فعبر عن شعوره **تعبيرا واضحا واصيلا** ، ومن ثم نجح فى نقل احساسـه الى نفوسنا ، وجعلنا نعيش معه في الحالة الشعورية التي يعانيها مع شعبه .

دراسـة الأسـلوب :

استعمان الشاعر كثيرا **بالاساليب غير المباشرة** ، واتخذ من **الصور الفنية** المختلفة وسيلة للتعبير عن أفكاره وتوضيحها .

والصور الفنية في هذا النص ذات تأثير قوي في المعنى ، وهي تدل على قـوة الخيال الذي تنعكس فيه العاطفة ، من ذلك قوله في البيت (2) :

« سَخـرْتَ بأنَّاتِ شَـعْبٍ ضَعِيـفٍ . . . . . » .

فيه **كناية** عن قسوة الاستعمار ووحشيته ، لأن آهات الشعوب الضعيفة المغـلوبة تثير الرحمة والعطف والشفقة ، وكان أحرى بالمستعمر أن يرق لهـؤلاء الضعفاء ، لـكنه بدلا من ذلك استهزأ بهم وسخر منهم .

وقوله في البيت (3) :

« . . . . . وَتَبـذُرُ شَـوْكَ الأسَى في رُبَـاه » .

فيه **تشبيه** الشوك بالأسى الذي يوحي بمدى العذاب الذي يعانيه الشعب المغـلوب على امره ، ويدل على بشاعة موقف الاستعمار منه .

وقـوله في البيت (7) :

« . . . . حَصَـدْتَ رُؤوسَ الـوَرَى . . . . » .

فيه تجسيم لسوء ما يصنعه المستعمر وتضخيم لجرائمه ، فان التعبير بالحصاد يدل على كثيرة الضحايا من الأبرياء .

وقوله في البيت (8) :

« وَرَوَّيتَ بالدَّمِ قَلْبَ التُّرابِ . . . . . » .

فيه تصوير لبشاعة الاستعمار ، وهجوم على جرائمه النكراء ، فان وصول الدماء الى أعماق الأرض يدل على كثرة الدماء المراقة ، والفعل المضعف **« روى »** يوحي بالكثرة ايضا .

ومن **الأساليب الانشائية** في النص قوله في البيت (1) :

« أيُّها الظّالِمُ المُسْتَبِدُ . . . . . . » .

فهذا أسلوب **نداء** فيه صيحة ثائرة وجريئة على الاستعمار تهيب بالشعب أن يواجه الاستعمار بالثورة عليه .

وقوله في البيت (4) :

« رُوَيْدَكَ لا يَخْدَعَنْكَ الرّبيعُ . . . . . » .

امر فيه وعيد وتهديد .

وقوله في البيت (7) :

« تَأَمَّلْ هُنالِكَ . . . . . » .

انكار وسخط على الاستعمار .

ومن **الأساليب الخبرية** في النص قوله في البيت (9) :

« سَيَجْرُفُكَ السَّيلُ سَيلُ الدِّماء . . . . . » .

يدل على تحقيق الوقوع ، والثقة بنجاح الثورة ضد الاستعمار .

ومن **الوان البديع** في النص قوله في البيت (1) :

« حبيب . . . . ، عدو . . . . » .

فيه طباق يوضح مدى التناقض الشديد بين الصفتين .

وقوله في البيت (5) :

« قصف . . . . ، عصف . . . . » . فيه جناس .

والى جانب **جودة العبارة ، وايحاء الكلمة** تشعر فى جو النص **بنغم خفي ثائر** يناسب احساس الشاعر وجو الموضوع ، **ولم يلتزم الشاعر قافية واحدة** ، واختار الوقوف بالسكون في آخر كل حرف من حروف القافية ، وهذا يناسب الحالة الشعورية لموضوع النص وهدف الشاعر منه .

مجمل القول فى النص

- يعتبر هذا النص من « الشعر السياسي التحرري » ، تبدو فيه عاطفة الشاعر قوية ، وتعكس ايمانه بقضية بلاده واخلاصه لها ، وقد ارتقى الشاعر بتجربته الى مستوى الأفكار الانسانية العالمية ، واستعان بمظاهر الطبيعة ، ليصوغ منها تجربته الفنية ، والوحدة العضوية بين الأفكار قوية محكمة .
- افكار القصيدة عميقة واضحة ، تتميز بخصوبة خيالها وجمال صورها وقوة تأثيرها . والعبارات مختارة ، والفاظها موحية ، تسير على النهج العروضي التقليدي ، ولكن القافية متنوعة . وقد صاغه الشاعر على بحر المتقارب ووزنه :

« فعولن فعولن فعولن فعولن » فعولن فعولن فعولن فعولن

- ومن مظاهر التجديد في النص : اختيار الموضوع ، والتحليق بالأفكار في مجال انساني عالمي واللجوء الى الطبيعة ليصوغ منها التجربة الفنية ، والتزام « الوحدة العضوية » بين الأفكار ، والتنوع في القافية .

المناقشة :

1 ـ ما الظروف التي أوحت الى الشاعر بهذا النص ؟

2 ـ رسم الشاعر صورة كريهة للاستعمار ، حدد معالمها .

3 ـ الشاعر واثق من نفسه وشعبه ، متأكد من تحقيق النصر . وضح ذلك من النص .

4 ـ اي ابيات النص أوضح دلالة في تصوير شراسة الاستعمار في نظرك ؟ ولماذا ؟

5 ـ وضح جمال التعبير في مخاطبة الاستعمار بقوله : « لا تهزأن بنوح الضعيف » .

6 ـ وضح الصورة الشعرية في قوله : « وأشربته الدمع حتى ثمل » .

7 ـ ما مظاهر التجديد في النص ؟

المقال الأدبي :

« فمن يبذر الشوك يجني الجراح » .

ـ اكتب مقالا فى هذا المعنى ، مستشهدا بأمثلة من التاريخ القديم والحديث .

السؤال الكتابي .

ـ عبر باسلوبك عن ويلات الظلم الاستعماري التي تحل بالشعوب المستعمرة .

نمـاذج من شعـره : (*)

أ ـ تـونس الجمـيلة

أَنَا يا تُونُـسُ الجَميـلَةُ في لُجِّ … الهَوَى قَدْ سَبَحْـتُ أيَّ سِبَـاحَهْ
شِرْعَتي حُبُّـكِ العَمِيـقُ وَإنّي … قَدْ تَذَوّقْتُ مُـرَّهُ وَقَـــرَاحَهْ
لا أُبالي وَإنْ أُرِيقَـتْ دِمَـائي … فَدِمَـاءُ العُشَّـاقِ دَوْمًا مُبَـاحَهْ
إنّ ذا عَـصْرُ ظُلْمَـةٍ غَـيرَ أنّي … مِنْ وَرَاءِ الظّـلامِ شِمتُ صَبَاحَهْ
ضَيّعَ الدّهْرُ مَجْـدَ شَعبي وَلكِنْ … سَتَرُدُّ الحَيَـاةُ يَوْمًا وِشَـاحَهْ

ب ـ من أغـاني الرعـاة

قالها في وصف الطبيعة ، وقد زار مدينة « عين دراهم » بالشمال التونسي

أقْبَلَ الصُّبْحُ جَمِيلًا ، يَمْلأُ الأُفْقَ بَهَـاهْ … فَتَمَطَّى الزَّهْرُ والطَّيْرُ وَأمْوَاجُ المِيَـاهْ
قَدْ أفَاقَ العَـالَمُ الحَيُّ وَغَنّى للحيـاةْ … فَأفيقي يا خِـرافي واهْرعي يا شيَـاهْ
واقطفي مِنْ كلأ الأرْضِ وَمَرْعَاها الجَدِيدْ … وَاسمَعي شَبّابَتي تَشْدُو بمعسُولِ النَّشيدْ
نَغَمٌ يَصْعَدُ مِنْ قَلْبي كأنفَاسِ الوُرُودْ … ثُمّ يَسْمُو طَائِرًا كالبُلبُلِ الشّادي السّعيد
وَإذا جِئْـنا الى الغَابِ وَغَطَّانا الشّجَرْ … فاقطفي ما شِئتِ مِنْ عُشبٍ وَزهْرٍ وَثَمَرْ
أرْضَعَتْهُ الشّمْسُ بالضّوْءِ وَغذّاهُ القَمَرْ … وَارْتَوَى مِنْ قَطَرَاتِ الطَّلِّ في وَقْتِ السَّحَرْ
لكِ في الغابَاتِ مَرْعَاكِ ومَسْعاكِ الجميل … وَليَ الإنْشَادُ والعَزْفُ إلى وَقْتِ الأصِيلْ
فإذا طَالَتْ ظِلالُ الكَلأ الغَضّ الضّئيل … فَهَلُمِّي نُرْجِعِ المَسْعَى إلى الحَيِّ النّبِيلْ

جـ ـ النـبي المجهـول

أيُّهَا الشّعْبُ ! لَيتَني كنتُ حَطَّـا … بًا ، فأهْوِي على الجُذُوعِ بفأسي !
ليتني كنتُ كالسّيُـولِ إذا سَـا … لَتْ تهدُّ القُبُورَ: رَمسًا برَمْسِ !
ليتني كنتُ كالـرِّيَاحِ فَأطْـوِي … كلَّ مَا يَخْنُقُ الزّهُـورَ بِنَحْسِي !
ليتني كنـتُ كالشّتَـاءِ أُغَـشّي … كُلّ ما أذبَـلَ الخَـرِيفُ بقرْسي
لَيْتَ لي قُوّةَ العَـوَاصِفِ يا شَعْــبِي فَأُلْقِي إلَيْـكَ ثَـوْرَةَ نَفْسِي
لَيْتَ لي قُـوّةَ الأعاصِيرِ إنْ ضَجَّــتْ فَأدْعُـوكَ للحَيَـاةِ بِنَبْشِي !

(*) اغـاني الحيـاة .

لَيْتَ لي قُوَّةَ الأعاصِيرِ . . لَكِنْ أنتَ حَيٌّ يَقضِي الحَيـاةَ برَمسِ !
أنتَ رُوحٌ غَبِـيَّةٌ تَـكرَهُ النُّـو رَ وتَقضِي الدُّهورَ في لَيلٍ مَلسِ
أنتَ لا تدرِكُ الحَقـائِقَ إِنْ طافَـتْ حَـوالَيْكَ دُونَ مَسٍّ وَجَـسٍّ
في صَباحِ الحَياةِ ضَمَّخْتُ أكوا بِي وأتْرَعْتُهـا بِخَمْـرَةِ نَفْـسِي
ثُـمَّ قَـدَّمتُهـا إِلَيـكَ فأهْـرَقْـتَ رَحِيقِي وَدُسْتَ يا شَعْبُ كأسِي
فتألَّمْتُ . . ثـمّ أسـكَتُّ آلا مِي وكَفْكَفْتُ مِنْ شُعُورِي وَحِسِّي
ثُمَّ نَضَّـدْتُ من أزاهِـيرِ قَلبِي باقَـةً لـمْ يَمَسَّهـا أيُّ أنـس
ثُـمَّ قَـدَّمْتُهـا إليـكَ فَمـزَّقْـتَ وُرُودي وَدُستَهـا أيَّ دوسِ !
ثم ألبَسْتَني مِنَ الحُـزْن ثَـوْبًا وَبِشَوْكِ الصخور توّجْتَ رأسِي !

* * *

ها أنا ذاهِبٌ إلى الغَـابِ يا شَعْـبِي لأقضِي الحَياةَ وَحدي بيأسِ
ها أنا ذاهب الى الغَـابِ عَـلِّي في صَميمِ الغَـاباتِ أدْفُنُ بُؤْسي
ثم أنسَاكَ ما استَطَعتُ فَمَـا أنـتَ بِأهْـلٍ لخَمْـرَتي ولِـكَأسِي
سَوْفَ أتـلُو على الطّيُورِ أناشيـدِي وَأُفْضِي لهـا بأحزانِ نفسي
فَهْيَ تَدْرِي مَعنى الحَياةِ وَتَدرِي أنّ مَجْـدَ النّفُوسِ يَقظَةُ حِسٍّ !
ثمّ تحتَ الصّنَوْبَرِ النّـاضِرِ الحُلْـوِ تخُطُّ السّيُولُ حُفْـرةَ رَمْسِي
وَتظَلُّ الطّيُـورُ تلغُو عَـلى قَبْـرِي وَيَشْدُو النّسِيمُ فَوْقي بِهَمْس
وَتظَلُّ الفُصُـولُ تَمشِي حَوالَيّ كَمَـا كُنّ في غَضَـارَةِ أمـسِ

* * *

أيُّها الشّعبُ ! أنتَ طِفلٌ صغـيرٌ لاعِبٌ بالتُّرابِ واللّيْـلُ مُغْسي !
أنْتَ في الـكَوْنِ قُوّةٌ لَمْ تَسُسْهَا فِكـرَةٌ عَبقَـرِيّـةٌ ذاتُ بأس !
أنتَ في الكَـوْنِ قُوّةٌ كَبّلَتْهـا ظلُـماتُ العُصُورِ مِنْ أمْسِ أمْسِي
والشّقيُّ الشّقيُّ مَنْ كانَ مِثْـلي في حَسَـاسِيّتي وَرِقّـةِ نَفْسِي !

د ــ في الغـــزل

أَرَاكِ ، فَتَحـلُو لَـدَي الحيـاةُ ويَمْـلأُ نَفْسِي صَبَـاحُ الأَمَـل
وَتَنْمُـو بِصَدْرِي وُرُودٌ عِـذَابٌ وَتَحْنُـو على قَـلْبي المُشْتَعِـل
وَيُفْتِنُـنِي فِيـكِ فَيْضُ الحيـاة وذاكَ الشبـابُ الوَديعُ الثَّمِـل
فأعْبُـدُ فيـكِ جمـالَ السماء ورِقَّةَ وَرْدِ الـرَّبِيـعِ الخَضِـل

الفصـــل الثالث

نصوص من النثر فى العصر الحديث



10 الاســــــــتبداد

الكـــــواكبى

(1265 ـ 1320 هـ ــ 1849 ـ 1902 م)

تعريف وتمهيـــد :

« **عبد الرحمن احمد الـكواكبي** » مصلح اجتماعي ثائر ، وناقد سياسي حـــر ، ولد بمدينة **حلب** بسورية ، ونشأ فيها ، حيث تعلم العلوم الاسلامية والعربية ودرس الفلك والرياضيات والعـلوم الطبيعية ، واتقن اللغتين العربية والتركية . ومارس أعمالا مختلفة كالتجارة ، والقضاء ، والصحافة .

نظر **الـكواكبي** الى **الأمة الاســلامية** من اقصاها الى ادناها في مشرق الأرض ومغربها ، فوجدها تتخبط في ظلام الجهل والضعف والتخلف ، وكانت البـلاد العربية ــ في ذلك الوقت ــ خاضعة لتركيا ، واصابها ما أصابها من الظلم والتأخر ، بسبب فساد بعض الحكام وطغيانهم ، وخاصة في حكم السلطان التركي « **عبد الحميد** » ، فجرد **الكواكبي** قلمه للدفاع عن الشعوب المستضعفة ، وهاجم السلطة العثمانية في عدة مقالات كتبها فى جريدة « **الشهباء** » ، فأمرت الحكومة العثمانية باغلاقها ، وزجّوا به في السجن ، وجرّدوه من أملاكه .

وبعد الافراج عنه ، قرر أن يجند نفسه لايقــاظ الشعوب الاسلامية ، وأن يقوم بجولات في بلاد المسلمين ينشر أفكاره وآراءه . فقام برحلتين كبيرتين زار فيهما البلاد العربية وشرقي افريقيا وبعض بلاد الهند ، ثم ألقى عصا الترحال في « مصر » اخيرا ، واستقر بها حتى وافته المنية عـام 1902 م .

وقد ادى **الكواكبي** دوره فى**نهضة الأمة الاسلامية** بما بثه من أفكار تضمنتها آثاره القيمة ، مثل : « **ام القرى** » و « **طبائع الاستبداد** » .

وسار في كتبه على منهج خاص ، فوضعها فى شكل روائي ، حلل فيها **الأمــراض الاجتماعية والسياســية** تحليلا دقيقا ، وانتقد أساليب الظلم التي يستخدمها الحكام للتسلط على المحكومين .

ومن كتابه « **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد** » نقدم لك النص التالي ، حول حقيقة الاستبداد وآثاره السيئة في الشعوب المُبتّلاة به :

النـــص :

(أ)

« مَا أَشْبَهَ المُسْتَبِدَّ في نِسْبَتِهِ إلى رَعِيَّتِهِ بالوَصِيّ الخائنِ القويِّ على أيتامٍ أغنياء ، يتصرَّفُ في أموالِهم ، وفي أنفُسِهم كما يَهْوَى ما داموا قاصِرين ، فكما أَنَّهُ ليس من صالح الوصِيِّ أَنْ يَبْلُغَ الأيتامُ رُشْدَهم ، كذلك ليس من غَرَضِ المستبِدِّ أن تَتَنَوَّرَ الرعيَّةُ بالعلمِ .

لا يَخْفَى على المُسْتَبِدِّ ، أَنْ لا استعبادَ ولا اعتسافَ ما لم تَكُن الرعيَّةُ حمقاءَ ، تَخبِطُ في ظلامِ جَهْلٍ وتيهِ عمَاء ، فلو كان المستَبِدُّ طيرًا لكان خُفَّاشًا يَصطادُ هَوَامَّ العَوَامِّ[1] في ظلامِ الجهلِ . ولو كان وَحْشًا لكان ابنَ آوَى[2] يَتلَقَّفُ دَواجنَ[3] الحواضِرِ في غِشَاءِ اللَّيْل » .

(ب)

« العِلْمُ قَبْسَةٌ من نورِ اللهِ ، وَقد خَلَقَ اللهُ النُّورَ كَشَّافًا مُبْصِرًا ، ولَّادًا للحرارةِ والقُوَّةِ ، وجَعَلَ العِلْمَ مِثْلَهُ وضَّاحًا للخيرِ فَضَّاحًا للشرِّ ، يُوَلِّدُ في النُّفُوسِ حرارةً وفي الرؤوسِ شَهَامَةً .

إنَّ الاستِبدَادَ والعِلْمَ ضِدَّانِ مُتَغالِبَانِ ، فَكُلُّ إدارةٍ مُسْتَبِدَّةٍ تَسْعَى جَهْدَها في إطفاءِ نورِ العِلْمِ ، وَحصْرِ الرَّعِيَّةِ في حالِكِ الجَهْل ، وأخْوَفُ ما يَخافُهُ المُسْتَبِدُّون من العِلْمِ ، أَنْ يَعرِفَ النَّاسُ حقيقةَ أنَّ الحُرِّيَّةَ أفضلُ من الحياةِ ، وأَنْ يَعرِفوا النَّفْسَ وعِزَّها ، والشَّرَفَ وَعَظَمَتَهُ ، والحقوقَ وكيف تُحْفَظُ ، والظُّلْمَ وكيف يُرْفَعُ ، والإنسانِيَّةَ وما هي وظائِفُها ، والرَّحْمَةَ وما هي لَذَّاتُها » .

(جـ)

« يعيشُ الإنسانُ في ظِلِّ العدالةِ والحُرِّيَّةِ نَشِيطًا على العَمَلِ بَياضَ نَهارِهِ ، وعلى الفِكْرِ سَوادَ لَيْلِهِ : إنْ طَعِمَ تَلَذَّذَ ، وإنْ تَلَهَّى تَرَوَّحَ وَتَرَيَّضَ ، لأنّه هكذا رأى أبَوَيْهِ

---

1 ـ **الهوام** : جمع هامة وهي نوع من الحشرات السامة .

2 ـ **ابن آوى** : جمعه بنات آوى : وهو نوع من الحيوانات المفترسة ـ في حجم الكلب ، يسطو على الدواجن ليلا فيقتلها .

3 ـ **الدواجن** : جمع داجن وداجنة ، والفعل دجن بمعنى أقام يقال : دجن الحمام وغيره : ألف البيوت واستأنس والمراد هنا : المستضعفين من الرجال والنساء .

وَأَقْرِبَاءَهُ، وهكذا رَأَىقَومَه الذين يعيشُ بينَهم يَراهُم رِجَالًا ونساءً أغنياءَ وفقراءَ كُلَّهم دائبين على الأعمالِ، يَفْتَخِرُ منهم كاسِبُ الدينارِ بكَدِّهِ وجِدِّهِ[4] على مالك «المليار» إرْثًا عن أبيه وَجَدِّهِ، نَعَمْ يعيشُ العاملُ النَّاعِمُ البالِ يَسُرُّه النَّجَاحُ، ولا تَقْبِضُه الخَيْبَةُ، إنَّما يَنْتَقِلُ من عملٍ الى غيرِه، ومن فِـكْرٍ الى آخرَ، فيكونُ سعيدًا بآمالِه إنْ لم يُسارِعْه السَّعْدُ في أعمالِهِ، وكَيْفَمَا كان يَبْلُغُ العُذْرَ عند نَفْسِه وذَوِيهِ بمُجَرَّدِ إيفائِهِ وظيفةَ الحياةِ أَيْ العملَ، ويكونُ فَخُورا، نجحَ أو لم ينجحْ، لأنه بَرِيءٌ من عـارِ العَجْزِ والبطَـالَةِ.

أمَّا أَسِيرُ الاستبدادِ، فيعيشُ خامِلًا، خامِدًا، ضائِعَ القَصْدِ، حائِرًا لا يَدْري كيف يُمِيتُ ساعاتِه وَأَوْقَاتَهُ، وَيَدْرُجُ[5] أيّامَه وأعوامَه كأَنَّهُ حريصٌ على بُـلُوغِ أَجَـلِهِ ليَسْتَـتِرَ تحتَ التُّرابِ..».

شرح وايضـاح :

عَبَّر الكاتب عن رايه فى **طبيعة الاستبداد** وآثاره على المجتمع فى مجموعة من الافـكار :

ففي الفقـرة (أ) : بداها بالحديث عن **علاقة الحاكم الظالم بشعبه**، فقـال : ان الحاكم الظالم حريص على ان يبقى شعبه جاهلا ليقينه بان بقاءه رَهْنٌ ببقاء الجهل فيهم وان قيادة الجهلاء اسهل بكثير من قيادة العلماء، وحتى يستمر الحاكم في ظلمه وجبروته لا تؤرقه دعوات الاصلاح، ولا تنغصه نداءات اليقظة والمقاومة لسوء ما يبديه من أقوال واعمال، فهو يستغل جهلهم لظلمهم كما يستغل الخفاش او الثعلب ظـلام الليل ليصطاد فريسته في غفـلة من ضياء النهـار.

وفي الفقرة (ب) : وضح **العلاقة بين العـلم والثورة**، فالعلم في صنع الثورة كالنور في الحياة، لان النور يكشف ما حجبه الظلام امام العيون من الأشياء، ويولد الطـاقة التي تسري بالقوة فتدفع الى العمل، سواء في الـكائنات الحية او الآلات الجامدة الصماء.

والعلم ينير البصائر والقـلوب، فتميز الطيب من الخبيث، والصالح من الفاسد، وتزن الأمور وتحكم على الأعمـال، وبالعلم يكتسب الانسـان طاقة حيوية على العمل الثوري بما يبعثه في النفوس من كراهية الظلم والاستبداد، لانه متي ادرك الظلم وشعر به فلن يستطيع الوقوف امامه جامدا، ومن ثم كان الصراع دائما بين العلم والاستبداد.

---

4 ـ جِده : اجتهاده.

5 ـ يدرج : ماضيه درج : طوى ولف.

وفى الفقرة(حـ) : أشار الكاتب الى أن الشعوب التي تعيش فى ظل الحرية تنشط فى أعمالها ، وَتَجِدُّ في السعي وراء رزقها آمنة مطمئنة ، يعتز كل انسان فيها بربحه من عرق جبينه ولو كان قليلا ، ويفتخر به على الأثرياء المتعطلين .

أما الذين قتلت ارادتهم العبودية ، فانك تراهم كسالى خاملين ، ليس لهم آمال تنهض عزائمهم ، ولا أهداف عليا تهون عليهم مشاق الكفاح في حياتهم ، فتثقل أيامهم ، ويقتل الفراغ عمرهم . ويقضي كل منهم حياته ميتا على حد قول الشاعر :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ   إنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأحياءِ
إنَّما المَيْتُ مَنْ يَعِيشُ كَئِيبًا   كاسِفًا بالُـه قَلِيلَ الرَّجاءِ

وينتقل من موت الى موت حتى يواريه التراب في مقره الأخير .

دراسة الأفكار :

« **المسئولية** » تكليف لا تشريف ، يستحقها خادم لا مخدوم ، ان أعطاه الشعب نقته أمانة فى عنقه ، وعبئا على كاهله أحسن استعمالها ، ورعى الله فيمن أسلمه قياده وإنْ طَوَتْهُ السلطة تحت مغرياتها الكثيرة ، فقد زلق وضل ، وقاد شعبه الى الهوان والذل .

ومن هذا المبدأ الاسلامي الانساني الديمقراطي ينفخ الكواكبي فى روح الأمة الاسلامية التي رآها تتخبط في دياجير الجهل والتخلف .

وقد عالج الكاتب في هذا النص ثلاث قضايا أساسية ، هي :

1 ـ بيئة الاستبداد ، وموقف الحاكم المستبد من تعليم شعبه .

2 ـ اثر العلم في تربية الشعوب وتكوينها العقلي والنفسي ومقاومة الظلم والاستبداد

3 ـ اثر الحرية أو الاستبداد على الشعوب نفسيا واجتماعيا .

وفيما رأيت من طريقة عرض الكاتب لأفكاره من تحليل منظم ، وتحديد دقيق لأبعاد الموضوع ، وفي هجومه على السلطة الحاكمة مع ما عرفت به من ظلم وجبروت ، وفي وقوفه أمام الطبقية التي كانت سائدة في عصره تدرك أن النص صورة لملامح شخصيته .

وفي النص **قيم اجتماعية وخلقية هامة** ، وضحها الكاتب في بيان أثر العلم على الشعوب ، وفضل العمل وقيمته في الحياة . **والعلم والعمل** هما أساس سعادة الشعوب ورقي الأمم .

وعاطفة الكاتب صادقة وقوية ، تبدو من خلال الصور التي ساقها في النص ، في صورة تهدف الى جلاء الفكرة وتثبيتها في الذهن .

والكاتب مؤمن بدعوته ، جاد في المطالبة بها ، والسير عليها ، وقد أثمرت جهوده **وانتصرت ارادة الشعوب الكادحة في كثير من البلاد الاسلامية** .

دراســة الأســلوب :

لم يعمد الكاتب الى توضيح فكرته بمصطلحات علمية يصوغها في أسلوب موجز بسيط مباشر ، ولم يجنح الى الخيال البعيد يصور فيه أحاسيسه ومشاعره ، وانما عمد الى **توضيح الحقائق الاجتماعية والنفسية** في أسلوب واضح مستعينا **بالصور والخيال** بالقدر الذي **يجلو فكرته** ويزيدها وضوحا وتأثيرا .

ومن هنا فان هذا الأسلوب لا يسمى علميا خالصا ، ولا أدبيا محضا ، ولكنه مزيج من الأمرين ، وهذا ما أطلق عليه بعض النقاد المعاصرين : **« الأسلوب العلمي المتـأدّب »** .

وقد استعان الكاتب **بالصور البسيطة** ، كما استخدم **الصور المركبة** ، مثل : « صورة الحاكم المستبد مع رعيته » فقد شبهه بالوصي الخائن من جوانب عدة تجمع بينهما : كحبهما بقاء الحال على ما هو عليه ، واستنزاف موارد الآخرين ، والعمل على تخلفهم ، والخوف من نضجهم وسريان الوعي بينهم .

ولهذه الصورة **ايحاء** يثير في النفس الاشمئزاز واحتقار الحاكم المستبد متى اقترن في الذهن بالوصي الخائن لأيتام اغنياء ، فاليتم يبعث في النفس دوافع الرحمة والشفقة ، لانه يذكر بالموت وبالعجز ، واولى بالضعيف أن تُرْعَى حقوقه لا أن تُسْرَقَ وتُسْلَبَ .

والكاتب في هذه الصورة يستحضر في اذهان سامعيه وقارئيه من جماهير المسلمين الذين يخاطبهم قوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَموَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا »(٨) .

---

(٨) سورة النساء ، آية رقم 10 .

وفي النص صورة اخرى منها :

« تشبيه المُسْتَبِدّ بالخُفّاشِ احتقارا لعمله ووصفه بالجُبْنِ » .

والاستعــارة في قــوله :

« حَضر الرَّعيــَّـةِ في حالِكِ الجَهْــلِ » .

وعبارات النص واضحة ، والفاظه **موحية** ذات تأثير في المعنى ، ففي قوله :

« وقد خلق الله النور كشافا مبصرا ، ولادا للحــرارة والقوة » .

استخدم الـكاتب كلمــة **« كشافا »** و **« ولادا »** بصيغة المبالغة التي تدل على قوة الـكشف ، وعمق الأثر والفاعلية .

وفي قــوله :

« إنْ طَعِمَ تَـلَذَّذَ وإنْ تَلَهّى تَروَّحَ وتَريَّضَ » .

صاغ الـكاتب أفعالا ـ من اللذة واللهو والراحة ـ على صيغة تفعل ، التي تدل على الامتزاج بالحدث والتفاعل معه .

وفي النص **الوان بديعية** مختلفة ، كالسجع في قوله :

« لا اعتسافَ ما لم تَكُن الرعيَّة حمقاء » ، « تَخْبِطُ في ظلام جَهْل وتِيهِ عَمَاء »

والمقابــلة في قوله :

« لا يسرُّه النجــاح . . . ولا تَقْبِضُه الخَيْـبَة » .

والطبــاق في قــوله :

« بياض نهــاره . . . ســواد ليــله » .

والجنــاس في قــوله :

« جــــده . . . . . . جــــده » .

ولا يخفى عليــك ما في هذه الأساليب وغيرها في النص من جمال في الصيــاغة ووضوح للمعنى .

وفي الأسلوب **نغم خــفي** تحسه وانت تردد كلمات الـكواكبي . وهذا **الجــرس الموسيقي** اثر من آثار **الثقافة الاسلامية** واعظمها تأثيرا فيه أسلوب **القــرآن الـكريم** .

واكثر الفاظ النص صريحة في معانيها ، قوية في دلالتها ، وافية بالغرض من الفكــرة التي يهدف اليها الـكاتب .

مجمل القول فى النص

- النص من الأدب الثـوري القومي الذي يهدف الى نهضة الأمة الاسلامية عن طـريق كشف ما بها من امراض سياسية واجتماعية ، ووضع الحلول النـاجعة لهـا .
- يغلب عليه التوضيح والتقرير والهدوء النفسي في عرض افكاره بوعي وثبات ، ويركز اهتماما على الفكرة والعناية بها ، والاستدلال عليها بالأمثلة الموضحة لهـا .
- والـكاتب ـ كما يبدو من خلال اسلوبه ـ من رواد النهضة الاسلامية الحديثة المعروفين بالجراة في الحق والاخلاص للامة والصدق فى الجهاد .
- اسـلوب النص من قبيل الأسـلوب العلمي المتادب . اعتمد على التصوير الحسي لتقريب الحقائق وتجسيمها ، وعباراته قوية واضحة ، والفـاظه جـزلة موحية .

المنـــاقشـــة :

1 ـ كيف صور الكاتب الحاكم المستبد ؟ وما رايك في هذه الصورة ؟ مع التعليل .

2 ـ عقد الكاتب مقارنة بين العلم والنور فاشرحها تفصيلا ، وبين أثر كل منهما في المـاديات والمعنـويات .

3 ـ للعمل قيمة نفسـية خلقية اجتماعية . كيف عرض الكاتب لهذه القيمة ؟

4 ـ ما رايك في المبـادئ التي نادى بها الـكواكبي ؟ وهل تحققت ؟ والى أي مدى ؟

5 ـ ما الفرق بين الصور البيانية المركبة والبسـيطة كما فهمتها من هذا النـص ؟

6 ـ الفـاظ الـكاتب موحية ، عين بعضها ، وبين ما فيها من ايحاء .

7 ـ الكواكبي ثائر على الأوضاع الاجتماعية والسـياسـية والثقافية في عصره . وضح هذه الحقيقة من النـص .

المقـــال الأدبى

« الاستبداد يقتل المواهب الفردية ويؤدي بالامة الى التدهور والانحطاط » .

ـــ اكتب في هـذا المعنى ، مستعينا بأفكار النـص .

للمطالعة

الحياة عقيدة وجهاد

سيد قطب (*)

عِنْدَمَا نعيشُ لِذَاتِنا فَحَسْبُ ، تَبْدُو لنا الحياةُ قصيرةً ضَئِيلَةً ، تَبْدَأُ من حَيْثُ بدأنا نَعِي ، وتنتهي بانتهاء عُمْرِنا المحدودِ ! . .

أمَّا عندما نعيش لفكرةٍ ، فإنَّ الحياةَ تبدُو طويلةً عميقةً ، تبدأ من حيث بدأت الإنسانيةُ وتمتد بعد مفارقتِنا لوَجْهِ هذه الأرضِ ! . .

إنَّنا نربح اضعافَ عُمْرِنا الفَرْدِيِّ في هذه الحالةِ ، نربَحُها حقيقةً لا وَهْمًا ، فَتَصَوُّر الحياةِ على هذا النَّحْوِ ، يضاعِفُ شعورَنا بأيَّامِنا وساعاتِنا ولحظاتِنا . وليست الحياةُ بِعَدِّ السنينَ ، ولكنَّها بِعِدَادِ المشاعرِ . وما يُسَمِّيه « **الواقعيّون** » في هذه الحالةِ « **وَهْمًا** » هو في « **الواقع** » ، « **حقيقة** » أصَحُّ من كلِّ حقائِقِهم ! . . لأنَّ الحياة ليست شيئًا آخر غَيْرَ شعورِ الإنسانِ بالحياةِ . جَرِّدْ أيَّ إنسانٍ من الشعور بحياته تُجَرِّدْهُ من الحياة ذاتِها في معناها الحقيقيّ ! ومتى أحسَّ الإنسان شعورًا مُضَاعَفًا بحياتِه ، فقد عاش حياةً مضاعَفةً فِعْلًا . . .

إنَّنا نعيش لأنفُسِنا حياةً مضاعفَةً ، حينما نعيش للآخرين ، وبِقَدْر ما نُضاعف إحساسَنا بالآخرين ، نُضاعف إحساسَنا بحياتِنا ، ونُضاعف هذه الحياةَ ذاتَها في النّهاية .

بِذْرَةُ الشر تَهِيجُ ، ولكنَّ بِذْرَةَ الخَيْرِ تُثْمِرُ ، إنَّ الأولى تَرْتَفِع في الفضاء سريعًا ولكِنَّ جُذُورَها في التُرْبة قريبة ، حتى لَتَحْجُبَ عَنْ شَجَرَةِ الْخَيْرِ النُّورَ والهواءَ ولكنَّ شجرةَ الخيرِ تظلُّ في نموِّها البطيءِ ، لأن عُمْقَ جُذُورِها في التربةِ يُعَوِّضُها عن الدفءِ والهواءِ . ! .

مع أنَّنا حين نَتَجَاوَزُ المظهرَ المزَوَّرَ البَرَّاقَ لشجرةِ الشرِّ ، ونفحص عن قُوَّتِها الحقيقيةِ وصلابتِها ، تبدو لنا واهِنَةً هَشَّةً نافشةً في غير صلابةٍ حقيقيةٍ . . . على حين تصبرُ شجرةُ الخيرِ على البلاءِ ، وتَتَماسَكُ لِلْعَاصِفَةِ ، وتظَلُّ في نموِّها الهادئِ البطيءِ ، لا تَحْفِلُ بما تُرْجِمُها به شَجَرَةُ الشرِّ من اقذاءٍ واشواكٍ . . .

(*) اديب مصري معاصر ، بدأ حياته التعليمية في المعاهد الازهرية ، وتخرج في دار العلوم ثم تابع دراسته في امريكا وبعد عودته الى مصر اشتغل بالتدريس ، وبعض الاعمال الادارية ، وكتب في الصحف والمجلات ، وعمل رئيسا لتحرير جريدة « **الاخوان المسلمون** » واشتهر بكتاباته الدينية والسياسية والادبية والنقدية ، ومن أهم آثاره : في ظلال القرآن هذا الدين ، خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، الاسلام ومشكلات الحضارة ، النقد الادبي اصوله ومناهجه ، مهمة الشاعر في الحياة ، وتوفي عام 1965 م .

عندما تنمو فى نفوسنا بذورُ الحُبِّ والعطف والخير نُعْفِي انْفُسَنا من اعباءَ ومشقّاتٍ كثيرةٍ . . إنّنا لن نكونَ فى حاجة الى ان نَتَمَلَّقَ الآخرين لأننا سنكون يومئذ صادقين مخلصين إذ نُزْجِي إليهم الثناءَ . إننا سنكشف فى نفوسهم عن كنوزٍ من الخير وسنجد لهم مزايا طيبةً نُثني عليها حين نُثني ونحن صادقون ، ولن يعدمَ انسان ناحية خيّرةً او مَزِيّةً حسَنَةً تؤهِّلُه لكلمة طيبة . . ولكننا لا نطلع عليها ولا نراها إلا حين تنمو فى نفوسنا بذورَ الحب . . .

كذلك لن نكونَ فى حاجة لأن نُحَمِّلَ انفسَنا مَؤُونةَ التّضايُق منهم ولا حتى مؤونة الصبرِ على اخطائهم وحماقاتِهم لأنّنا سنعطف على مواضع الضّعْفِ والنّقص ولن نُفَتِّشَ عليها لنراها يوم تنمو فى نفوسنا بذرةُ العطف . وبطبيعة الحال لن نُجَشِّمَ انفسَنا عناءَ الحقدِ عليهم او عبءَ الحذرِ منهم فإنّما نحقِد على الآخرين لأن بذرةَ الخيرِ لم تَنْمُ فى نفوسِنا نموًّا كافيا ونتخوّف منهم لأنّ عُنْصُرَ الثقةِ فى الخير يَنْقُصُنا .

حين نعتزل الناسَ لأنّنَا نُحسُّ أنّنَا اطهرُ منهم رُوحًا ، اواطيبُ منهم قَلْبًا ، او ارحبُ منهم نَفْسًا او اذكي منهم عقلا لا نكون قد صنعنا شيئا كبيرا . . . لقد اخترنا لأنفسنا ايسرَ السُّبُلِ واقلَّها مؤونةً .

إنّ العظمةَ الحقيقيةَ : انّ نخالِطَ هؤلاء الناس مُشبّعِين بروح السماحةِ والعطفِ على ضعفهم ونَقْصِهم وخطئِهم وروح الرّغْبَة الحقيقية فى تطهيرِهم وتثقيفهم ورفعهم الى مستوانا بقدر ما نستطيع .

انّه ليس معنى هذا ان نَتَخَلّى عن آفاقِنا العُلْيا ومُثُلِنَا السّامية او ان نتملّق هؤلاء الناس ونُثْنِي على رذائلهم او أن نُشْعِرَهُم انّنَا اعلى منهم أُفُقًا . . ان التوفيق بين هذه المتناقضات وسعة الصدر لما يتطلبه هذا التوفيق من جُهْدٍ : هو العَظَمَةُ .

إنّ الرّوّادَ كانوا دائما . وسيكونون هم أصحابُ الطاقاتِ الرُّوحِيةِ الفائقةِ هؤلاء هم الذين يحملُون الشُّعْلَةَ المقدّسَةَ التي تنصهر فى حرارتها كلُّ ذَرّاتِ المعارفِ . وتنكشفُ فى ضوئها طريقُ الرحلة ، مزوّدةً بكل هذه الجزئيات ، قويةً بهذا الزّادِ ، وهي تجدُّ السّيْرَ نَحْوَ الهَدَفِ السّامي البعيدِ . .

هؤلاء الروّادُ هم الذين يُدْرِكُون بِبَصِيرَتِهِمْ تِلْكَ الْوَحْدَةَ الشّامِلَةَ ، الْمُتَعَدِّدَةَ الْمَظَاهِرِ فى : العلِمِ ، والفنِّ ، والعقيدةِ ، والعمِلِ ، فلا يَحْقِرُونَ واحدًا منها ولا يَرْفَعُونه فوق مُسْتواه .

الصّغارُ وَحْدَهُم ، هم الذين يَعْتَقِدُونَ أنّ هُناكَ تعارُضا بين هذه القوى المتنوعةِ المظاهرِ ، فيحاربون العِلْمَ باسم الدِّينِ ، او الدِّينَ باسمِ العلمِ . .

وَيَحْتَقِرُونَ الفَنَّ باسم العملِ ، أو الحيويّةَ الدافِعَةَ باسم العقيدةِ المتصوِّفَةِ ! . . ذلك انهم يدركون كلَّ قوة من هذه القوى ، مُنْعَزِلَةً عن مجموعة القوى الأخرى الصادرةِ كلِّها من النّبْعِ الواحدِ ، من تلك القوة الكبرى المسيطرةِ على هذا الوجود . . ولكن الرّوّادَ الكبارَ يدركونَ تلك الوحدةَ ، لأنهم متصلون بذلك الأصْلِ ، ومنه يَسْتَمِدُّونَ . .

إنَّهم قليلُونَ .. قليلُونَ في تاريخ البشريَّة .. بل نادِرُون ! ولكنَّ فيهم الكِفايَةَ .. فالقوَّةُ المُشرِقَةُ على هذا الكَوْنِ ، هي التي تَصُوغُهم ، وتبعث بهم في الوقت المُقدَّر المطلوب ! .

الإستسلامُ المُطْلَقُ للاعتقاد في الخوارِقِ والقُوى المَجْهولة خطرٌ ، لانه يقود الى الخُرافةِ .. وَيُحَوِّلُ الحياةَ إلى وَهْم كبيرٍ ! ..

ولكنَّ التنكُّرَ المطلقَ لهذا الاعتقادِ ليس أقلَّ خطرًا : لانَّه يُغْلِقُ منافذَ المجهولِ كُلِّهِ ، وينكر كلَّ قوَّةٍ غيرَ مَنظُورَةٍ لا لشيء الا لانَّها اكْبَرُ من إدراكِنا البَشَريِّ في فترة من فتراتِ حياتِنا ! وبذلك يُصْغِرُ من هذا الوجودِ ـ مساحةً وطاقةً ، وقيمةً كذلك ، وَيُحِدُّهُ بحدودِ المعلومِ وهو إلى هذه اللَّحْظَةِ حين يقاسُ إلَى عَظَمَةِ الكَونِ ـ ضئيلٌ .. جِدُّ ضئيلٍ ! ..

إنَّ حياةَ الإنسانِ على هذه الارضِ . سِلْسلةٌ من العَجْزِ عن إدرَاكِ القُوَى الكَوْنيَّةِ او سلسلةٌ من القدرة على إدراك هذه القُوَى ، كلما شَبَّ عن الطَوْقِ وخطا خُطْوَةً إلى الأمام في طريقــه الطويلِ .

إنَّ قُدْرَةَ الإنسانِ في وقت بعد وقت على إدراك إحدى قُوَى الكَوْنِ التي كانت مجهولةً له منذ لحظةٍ وكانت فوق إدراكِه في وقت ما .. لكفيلةٌ بان تَفْتَحَ بَصِيْرَتَه على أَنَّ هناك قوى اخرى لم يُدرِكْهَا بَعْدُ لانَّه في دَوْرِ التَّجْرِيبِ ! .

من النَّاس في هذا الزمانِ مَنْ يَرَى في الاعترافِ بعظمةِ اللهِ المطلقةِ غَضًّا من قيمة الإنسان وإصْغارًا لِشَأنِهِ في الوجُودِ : كانَّما اللهُ والإنسانُ نِدَّانِ يتنافَسَانِ على العظمةِ والقوّةِ في هذا الوجودِ ! .

انا احسُّ انه كلما ازددنا شُعُورا بعظمةِ اللَّه المطلقةِ زِدْنَا نحن انفسنا عظمةً لاننا من صُنْعِ إلهٍ عظيــمٍ ! .

إن هؤلاءِ الذين يَحْسَبُون انَّهم يَرْفَعُونَ انْفُسَهم حين يُخْفِضُونَ في وَهْمِهِم إلَهَهُم او يُنْكِرُونَهُ إنَّما المَحْدُودُونَ الذين لا يستطيعون أن يَرَوْا الا الأُفُقَ الواطئَ القريبَ ! .

إنَّهم يظنُّونَ أنَّ الإنسان إنَّما لجا الى الله إبَّانَ ضَعْفِهِ وعَجْزِهِ فامَّا الآنَ فهو من القوَّةِ بحيث لا يحتاجُ إلى إلهٍ ! كانَّما الضَّعْفُ يفتح البصِيرةَ والقدرةُ تَطْمِسُها ! .

إنَّ الانسان لجَدِيرٌ بان يزيد إحساسًا بعظمة الله المُطْلَقَةِ كلَّما نَمَتْ قُوَّتُهُ لانَّهُ جديرٌ بان يُدْرِكَ مصدرَ هذه القوةِ كلَّما زادت طاقتُه على الإدراكِ ...

احيانا تَتَخفَّى العُبُودِيَّةُ في ثيابِ الحرِّيَّةِ فتبدو انطلاقا من جميع القيودِ انطلاقًا من العُرْفِ والتقاليدِ ، انطلاقا من تكاليفِ الانسانيةِ في هذا الوجودِ ! .

إن هناك فارقا أساسيا بين الانطلاق من قيود الذُّلِ والضَّغْطِ والضَّعْفِ ، والانطلاق من قيود الإنسانية وَتَبِعَاتِها . إنَّ الأولى معناها التحرُّرُ الحقيقيُّ اما الثانيةُ فمعناها التخلِّي عن المقوِّمات التي جعلت من الانسان إنسانا واطلقته من قيود الحيوانِيَّةِ الثقيلةِ !

إنّها حرية مُقَنَّعَةٌ لأنّها في حقيقتها خُضُوعٌ وعبوديةٌ للميول الحيوانيّةِ ، تلك الميول التي قَضَتْ البشرية عُمْرَهَا الطويلَ وهي تكافح لتتخلصَ من قيودها الخانقةِ الى جَوِّ الحريةِ الإنسانيةِ الطليقةِ . . .

لَسْتُ مِمَّنْ يؤمنون بحكايةِ المبادئ المُجَرَّدةِ عن الأشخاص لأنّهُ ما المبدأُ بغيرِ عقيدةٍ حارةٍ دافعةٍ ؟ وكيف تُوجَدُ العقيدةُ الحارّةُ الدافعة في غير قلبِ إنسانٍ ؟ .

إن المبادئ والافكار في ذاتِها ـ بلا عقيدةٍ دافعةٍ ـ مُجَرَّدُ كلماتٍ خاويةٍ أو على الأكْثَرِ معانٍ ميّتةٍ ! والذي يَمْنَحُها الحياةَ هي حرارةُ الإيمان المُشِعَّةُ من قلبِ إنسانٍ ! لن يؤمن الآخرون بمبدأ أو فكرة تَنْبُتُ في ذهن بارد لا في قلب مُشِعٍّ .

آمِنْ أَنْتَ اوّلاًبفكرتِكَ،آمِنْ بها الى حَدِّ الاعتقاد الحارِّ ! عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون ! ! وإلَّا فستبقى مجردَ صياغةٍ لفظيةٍ خاليةٍ من الروحِ والحياةِ ! . .

لا حياةَ لفكرةٍ لم تَتَقَمَّصْ رُوحَ إنسانٍ ، ولم تُصْبِحْ كائِنًا حَيًّا دَبَّ على وَجْهِ الأرض في صورة بَشَرٍ ! . . كذلك لا وجُودَ لشخصٍ ـ في هذا المجال ـ لا تَعْمُرُ قَلْبَهُ فكرةٌ يؤمن بها في حرارة واخلاص . . .

إن التفريقَ بين الفكرةِ والشّخْصِ كالتفريق بين الرُّوحِ والجسدِ أو المعنى واللفظ عمليةٌ في بعضِ الأحيانِ مستحيلةٌ وفي بعض الاحيانِ تَحْمِلُ معنى التّحَلُّلِ والفَنَاءِ ! . .

كلُّ فكرة عاشَتْ قد اقْتَاتَتْ قَلْبَ إنسانٍ ! اماالافكار التي لم تُطْعَمْ هذا الغِذَاءَ المقَدَّسَ فقد وُلِدَتْ مَيِّتَةً ولم تَدْفَعْ بالبشريّةِ شِبْرًا واحِدًا إلى الأمَامِ ! .

من الصعبِ عليّ أنْ أتَصَوَّرَ كَيْفَ يُمْكِنُ انْ نَصِلَ الى غَايةٍ نبيلةٍ باستخدامِ وسيلةٍ خسيسةٍ ! ؟ إنَّ الغايةَ النبيلةَ لا تَحْيَا إلّا في قَلْبٍ نبيلٍ : فكيف يمكن لذلك القلب أنْ يُطِيقَ استخدامَ وسيلةٍ خَسِيسَةٍ ، بلْ كيف يهتدِي الى استخدامِ هذه الوسيلةِ ؟ ! حين نَخُوضُ الى الشطِّ المُمَرَّغِ بِبِرْكَةِ من الوَحْلِ لا بُدَّ انْ نَصِلَ الى الشطِّ مُلَوَّثِينَ . . .

إنَّ اوْحالَ الطَّرِيقِ ستترك آثارَها على أقدامِنا وعلى مواضِع هذه الاقـدامِ كذلك الحال حين نستخدم وسيلة خسيسة : ان الدَّنَسَ سَيَعْلَقُ بأرْواحِنا ، وسيترك آثارَه في هذه الأرواح ، وفي الغاية التي وَصَلْنا إليها !

ان الوسيلةَ في حساب الرُّوحِ جُزْءٌ من الغاية . ففي عالم الروح لا تُوجَدُ هذه الفوارقُ والتقسيماتُ ! الشعورُ الإنساني وَحْدَةٌ إذا أحَسَّ غايَةً نبيلةً فلن يُطِيقَ استخدامَ وسيلةٍ خسيسةٍ . . بل لن يهتدِيَ إلى استخدامها بطبيعته ! « الغايةُ تُبَرِّرُ الوسِيلَةَ ! ؟ » : تلك هي حِكْمَةُ الغَرْبِ الكُبْرَى ! ! لأنَّ الغَرْبَ يَحْيَا بِذِهْنِهِ وفي الذِّهْنِ يمكن أن توجدَ التقسيماتُ والفوارقُ بين الوسائلِ والغاياتِ .

11	## اللغــة والأمــة مصطفى صــادق الــرافعي

(1298 ـ 1356 هـ — 1880 ـ 1937 مـ)

تعريف وتمهيـد :

استمد « **الرافعيُّ** » نَزْعتَه الفكريّةَ ، واتّجاهَه الأدبيَّ من أُسرتِه الدينيةِ ، فقد حَفِظَ « **القرآن الـكريم** » على يدِ والدِه الذي كان مُوظَّفاً بالمحاكمِ الشرعيّةِ ، ثم تابع دِراستَه في إحدى المدارسِ الابتدائيةِ بقريةِ « **بهتيم** » في **مصرَ** . وهي القريةُ التي شَهِدتْ مسقطَ رأسِه عام 1880 م .

وقد نشأ « **الرافعيُّ** » فقيراً ، فلجأ الى وظيفةٍ صغيرةٍ تُعينُه على الحياةِ ، وظلَّ يعاني من الفقرِ طولَ عُمرِه ، ثم أُصيبَ بمرضٍ أفقدهُ سمعَه في رَيّعانِ شبابِه . وبالرغم من الفقرِ والصمَمِ وَاصلَ الـكاتبُ رسالتَه الفكريّةَ بأمانة وصدق ، فانكبَّ على دراسةِ العـلومِ العربيةِ والإسلاميةِ حتى استوَى عُودُه ، ونَضِجَ فكرُه ، واصبحَ كاتِبًا كبيرًا ، **دافعَ عن الإسلام والعروبة** ، وقضَى مُعظمَ حَياته موظّفاً في مدينة « **طنطا** » حتى وافاه الأجَلُ عامَ 1937 مـ .

وللرّافعيّ آثارٌ في الشعرِ والنثرِ ، من اشهرِها « **إعجازُ القرآنِ** » و « **البـلاغةُ النبويةُ** » و « **السحاب الاحمر** » و « **اوراق الورد** » و « **وَحْيُ القلمِ** »(*) الذي اخترنا لك منــه هــذا النص .

وقد عَاصَرَ الـكاتبُ أحداثاً عظيمةً كان من أهمِّها مِحْنَةُ الوطنِ العربيّ ، **وَأدْرَكَ** نوايا المستعمرين واهدافَهم الراميةَ الى **تمزيق وَحدة العرب** بشتَّى الأساليبِ ، ومن بينها القضاءُ على اللغةِ العربيةِ وإحلالُ اللغـاتِ الأجنبيةِ محلها .

ولـكنَّ يقَظَةَ الشعورِ الإسلاميِ العربيّ ، وإخلاصَ المفكرينَ والأدباءِ لِلُغَتِهم وقوميتِهم حالَ دون ذلك .

والرافعيُّ من هؤلاء الـكتابِ الذين دافعوا عن لُغَتِهم . وسترَى كيف عالَج هذه القضيّةَ في النـصِ التالي :

(*) **وحي القـلم** : مجموعة من المقالات الادبية والنقدية وبعض القصص القصيرة ، نشرت في المجـلات والصحف ما بين عام 1934 ، 1937 مـ ، وتم جمعها في ثلاثة اجزاء ، ومعظمها يدور حول قضـايا اسلامية وعربية .

النـــص :

(أ)

« . . أَمَّا اللُّغَـةُ فَهِيَ صورةُ وجودِ الأُمَّةِ بأفكارِها ومَعانِيها وحقائِقِ نُفُوسِها ، وُجُودًا مُتَمَيِّزًا قائمًا بِخَصَائِصِه : فهي قومِيَّةُ الفِكْرِ ، تَتَّحِدُ بها الأُمَّةُ في صُوَرِ التفكيرِ وأساليبِ أَخْذِ المعْنَى من المـادَّةِ ، والدِّقَّةُ في تركيبِ اللُّغَـةِ دليلٌ على دِقَّةِ المَلَكَاتِ في أهْلِها ، وعُمْقُها هو عمقُ الرُّوحِ ودليلُ الحِسِّ على مَيْلِ الأُمَّةِ الى التفكيرِ والبحث في الأسبابِ والعِلَلِ ، وَكَثْرَةُ مُشْتَقَّاتِها بُرْهَانٌ على نَزْعَةِ الحُرِّيةِ وطِماحِها(1) . فإنَّ رُوحَ الاستعبادِ ضَيِّقٌ لا يَتَّسِعُ ، وَدأْبُهُ لُزُومُ الـكلمةِ والـكلماتِ القليـلةِ .

وإذا كانتِ اللغةُ بهذه المنزلةِ ، وكانتْ أُمَّتُها حَرِيصةً عليها ، ناهِضَةً بها ، مُتَّسِعَةً فيها ، مُكْبِرَةً شَأْنَها ، فما يأتِي ذلك إلَّا مِن رُوحِ التَّسَلُّطِ في شَعْبِها والمطابَقةِ بين طبيعتِه وعملِ طبيعتِه ، وكونِه سَيِّدَ أَمْرِهِ ، وَمُحَقِّقَ وُجودِهِ ، وَمُستَعْمِلَ قُوَّتِهِ ، والآخِذَ بِحَقِّهِ . فأمَّا إذا كان منه التَّراخِي والإهمالُ وَتَرْكُ اللغةِ الطَّبِيعِيَّةِ السُّوقيَّةِ وإصغارُ أمرِها وَتهْوِينُ خَطَرِها ، وإيثارُ غيرِها بالحبِّ والإكبارِ ، فهذا شَعْبٌ خادِمٌ لا مخدومٌ ، تابعٌ لا متبوعٌ ، ضعيفٌ من تكاليفِ السيادةِ ، لا يطِيقُ أَنْ يَحْمِلَ عَظَمَـةَ مـيراثِه ، مُجْتَزِئٌ(2) بِبَعْضِ حَقِّـهِ ، مُكْتَفٍ بِضَروراتِ العَيْشِ ، يوضَعُ لحُكْمِه القانونُ الذي أَكْثَرُهُ الحِرْمانُ وَأَقَـلُّه للفائِدَةِ التي هي كالحِرمانِ » .

(ب)

« لا جَرَمَ(3) كانت لغةُ الأمةِ هي الهدفَ الأَوَّلَ للمستعمِرين ، فلن يتحوَّلَ الشعبُ أوَّلَ ما يَتَحَوَّلُ إلّا من لغتِه ، إذْ يكونُ مَنْشَأُ التَّحَوُّلِ من أفكارِه وعواطفِه وآمالِه ، وهو إذا انقطعَ من نَسَبِ لُغَتِه انقطعَ من نَسَبِ ماضِيهِ ، وَرَجَعَتْ قَوْمِيَّتُـه صُـورَةً محفوظةً في التاريخ . لا صورةً مُحَقَّقَةً في وُجُودِهِ ، فليس كاللغةِ نَسَبٌ للعـاطفةِ والفكرِ ، حتى إنَّ أبناءَ الأبِ الواحدِ لو اختلفت ألسِنَتُهم فَنَشَأَ منهم ناشئٌ على لغةٍ ، ونشأ الثاني على أُخْرَى والثالثُ على لغةٍ ثالثةٍ ، لَكانُوا في العاطفةِ كأبناءِ ثلاثةِ آباءٍ .

وما ذَلَّتْ لغةُ شعبٍ إلّا ذَلَّ ، ولا انْحطَّتْ إلَّا كان أمْرُهُ في ذَهابٍ وإدْبارٍ . ومن هذا يَفْرِضُ الأجنبيُّ المستعمِرُ لغتَه فَرْضًا على الأُمَّةِ المُسْتَعْمَرَةِ ، وَيَرْكَبُهُم بِها ، ويُشْعِرُهم عَظَمَتَهُ فيها ، وَيَسْتَلْحِقُهم(4) من ناحِيَتِها ، فَيَحْكُم عليهم أحْكَامًا ثلاثةً في عَمَلٍ واحدٍ :

---

1 ـ طماحها : طمح بصره الى الشيء : ارتفع ، ومصدره طموح ، وطماح بالكسرة .2 ـ مجتزىء : مكتف
3 ـ لا جرم : لا بد ، أو لا محالة أو حقا ، وقد تحول الى معنى القسم . لافعلن . 4 ـ يستلحقهم :

أمّا الأوّلُ ، فَحَبْسُ لُغَتِهم في لغتِهِ سجنًا مُؤَبَّدًا . وأما الثاني ، فالحُكْمُ على ماضِيهم بالقتلِ مَحْوًا ونِسْيانًا . وأما الثالثُ فَتَقْيِيدُ مُسْتَقْبَلِهم في الأغلالِ[5] التي يصنَعُها ، فأمْرُهم من بعدِها لأمْرِهِ تَبَعٌ » .

(حـ)

« والذين يتعلّقون اللغاتِ الأجنبيةَ يَنْزِعُون إلى أهلِها بطبيعةِ هذا التَّعَلُّقِ ، إنْ لم تَكُنْ عَصَبِيَّتُهم لِلُغَتِهم قَوِيَّةً مستحكمةً من قِبَلِ الدِّينِ أو القَوْمِيّةِ ، فَتَراهُم إذا وَهَنَتْ فيهم هذه العصبيةُ يَخْجَلون من قَوْميتِهم ويتبرَّأونَ من سَلَفِهم ، وينسلِخون من تاريخِهم ، وتقُومُ بأنفسِهم الكراهةُ للغتِهم وآدابِ لغتِهم ، ولقَوْمِهم وأشياءِ قَوْمِهم فلا يستطيعُ وطنُهم أنْ يُوحِيَ إليهم أسْرارَ رُوحِهِ ، إذْ لا يُوافِقُ منهم استجابةً في الطبيعةِ ، وَيَنْقادُون بالحبِّ لغيرِهِ ، فَيَتَجاوَزُونَه وَهُم فيه ، وَيَرِثُونَ دِماءَهم من أهْلِهم ثم تكونُ العواطفُ في هذه الدماءِ للأجنبيِّ ، ومن ثَمَّ تُصْبِحُ قِيمَةُ الأشياءِ بمَصْدَرِها لا بنفسِها ، وبالخَيالِ المتوَهَّمِ فيها ، لا بالحقيقةِ التي تَحْمِلُها ، فيكونُ شيءُ الأجنبيِّ في مَذْهبِهم أجْمَلَ وأثْمَنَ ، لأنَّ إليه الميلَ وفيه الإكبارُ والإعظامُ ، وقد يكونُ الوطنيُّ مِثْلَه أوأجْمَلَ منه ، بَيْدَ[6] أنَّه فَقَدَ الميْلَ ، فَضَعُفَت صِلتُه بالنفسِ فعادتْ كلُّ مُمَيِّزاتِهِ لا تُمَيِّزُه » .

(د)

« فاللغاتُ تَتَنازَعُ القوميةَ ، ولَهِيَ واللهِ احتلالٌ عَقْلِيٌّ في الشعوب التي ضَعُفَتْ عَصَبِيَّتُها ، وإذا هَانَتْ اللغةُ القوميةُ على أهلِها أثَّرَتِ اللغةُ الأجنبيَّةُ في الخُلُقِ القوميِّ ما يُؤَثِّرُ الجَوُّ الأجنبيُّ في الجسمِ الذي انتقلَ إليه وأقامَ فيهِ .

أمّا إذا قَوِيَتِ العصبيَّةُ ، وَعَزَّتِ اللغةُ وثارَتْ لها الحَمِيَّةُ[7] ، فلن تكونَ اللغاتُ الأجنبيةُ إلا خادِمَةً يُرْتَفَقُ بها . وَيَرْجِعُ شِبْرُ الأجنبيِّ شبرًا لا مترًا . . وتكون تلك العصبيةُ للغةِ القوميةِ مادةً وعَوْنًا لكلِّ ما هو قومي ، فَيُصْبِحُ كلُّ شيءٍ أجنبي قد خضع لقوةٍ قاهرةٍ غالبةٍ هي قوةُ الإيمانِ بالمجدِ الوطنيِّ واستقلالِ الوطنِ ، ومتى تَعَيَّنَ الأوّلُ أنه الأوّلُ ، فكلُّ قُوَى الوجودِ لا تجعلُ الذي بعدَه شيئًا إلا أنَّه الثاني » .

استلحقه : أعاده ونسبه الى نفسه . والمراد هنا : يجعلهم تابعين له . 5 ــ **الاغلال** : جمع غل : قيد من حديد في العنق . 6 ــ **بيد** : كغير ، وزنا ومعنى ، يقال : هو كثير المال بيد أنه بخيل . وهو اسم ملازم للاضافة الى ان ومعموليها ، الا أنه لا يقع مرفوعا ولا مجرورا بل منصوبا ، ولا يقع صفة ولا استثناء متصلا ، وانما يستثنى به منقطعا . 7 ــ **الحمية** : الاباء والانفة .

أ ــ يرى الـكاتب أن وحدة اللغة في الأمة **عنوان وحدتها الفكرية والروحية** ، وصفات اللغــة **انعكاس لصفات الأمة** . فدقة التعبير اللغوي **دليل على قوة الملكات والمواهب** ، وعمق اللغة دليل على **عمق روح الأمة** ، وحبها للتأمل والبحث والتدقيق ، وكثرة مشتقات اللغة ووفرة كلماتها وتنوع عباراتها عنوان على **نزوع الأمة الى الحرية والانطلاق** .

واذا حرص الشعب على لغته وخصائصها السامية ، فذلك يعني حرية الشعب الذي يتحدث بها ، لأنه يعرف قدراته وطاقاته ، ومن ثم يوجه هذه الطاقات الى الأعمال التي تلائمها ، فيحقق وجوده في الحياة ، ويأخذ حقوقه كاملة ، ويصبح سيد نفسه . اما الذين يهملون لغتهم ، ويفضلون عليها لغة غيرهم **فهم كالعبــيد لا يقــدرون على الاستقلال بانفسهم** ، ولا يستفيدون من ما ضيهم المجيد **ليتخلصوا من حاضرهم الشقي** ولا ينالون من الحياة الا المذلة والهوان .

ب ــ ولهذا فان أول ما يهدف اليه المستعمر هو **القضاء على لغة الشعوب** التي يحكمها ، لأنه يدرك ــ تماما ــ ان **زوال لغتهم فيه زوال لقوميتهم** ، وطمس لمعالم تاريخهم ، وتمزيق لنفوسهم ، **وتبديدهم في المجتمع الانساني** الذي يعيشون فيه ، فلا يعرفون لهم أصلا ينتمون اليه . ومن ثم يصبح وجود المستعمر بينهم أمرا عاديا لا **تنغصه الحركات الوطنية او الثورات الشعبية** .

ويدرك المستعمر أن فرض لغته على الشعوب المغـلوبة يؤثر عليهم تأثيرا قويا ، فهو يشعرهم بذلتهم ، وعظمته ، ويحكم على ماضيهم بالموت ، وعلى مستقبلهم بالتقييد التـام له ، وعلى حاضرهم بالجمود والسجن المؤبد .

ح ــ ويشرح الـكاتب **خطورة التعلق باللغات الأجنبية** ، فانه **يقطع الصلة بين الفرد واصله** ، **فينسلخ من تاريخه** ، ولا يوحي اليه وطنه بأسراره ، لأنه **فقد دواعي الاستجابة** الى مثل هذا الايحاء ، ويتحول الأمر الى لغة المستعمر ، فيصبح كل ما هو اجنبي من ماديات وادبيات اكمل واجمل وان كان في الحقيقة أقل شأنا مما لديه **في وطنه** ، **بسبب تعاطفه مع لغة المستعمر** ، وتأثره بها **وانقطاع الصلة الروحية بينه وبين وطنه** .

د ــ ثم يؤكد الـكاتب اهمية تأثير اللغة الأجنبية في القومية ، ويشبهه بتأثير المنـاخ الأجنبي على الجسم . ويدعو الـكاتب الى **التمسك باللغة القومية** ، لأنه متى قويت العصبية لها أصبحت اللغة الأجنبية تابعة وخادمة ، ويصبح كل ما هو أجنبي **خاضعا لقوة الايمان** بالمجد الوطني .

دراســة الأفكــار :

تناول هذا النص **مشكلة اجتماعية وثيقة الصلة بالسياسة** . فحديث الـكاتب عن **اللغة** باعتبارها وسيلة للتعامل والتعارف بين الأفراد ، ودلالتها على طبيعة الشعوب يدخل في نطاق **الأدب الاجتماعي** .

وحديثه عن **اللغة** ــ باعتبارها ميدان صراع بين المستعمر الذي يريد القضاء على اللغة القومية ، وبين الشعوب المستعمرة التي تريد المحافظة على شخصيتها ومقوماتها الذاتية ولغتها ــ هذا الحديث يدخل في نطاق **الأدب السياسي التحرري** .

ومع أن الـكاتب استوحى موضوعه من بيئته الخاصة ومجتمعه المصري المحدود ، لـكنه استطاع أن يحلق بأفكاره في **آفاق عالمية انسانية** تناشد فكر كل انسـان فتؤثر فيه . ويجد لها صدى في نفسـه ، ويتجاوب معها .

ومصر ـ موطن الـكاتب ـ كغيرها من **البلاد العربية والاسلامية** كانت مطمعـا للاستعمار الأوربي البغيض ، وقد حاول الانجليز أن يفرضـوا لغتهم على المصريين ، فجعلوها لغة الدواوين الرسمية والمدارس والثقافة والعـلوم . لـكن صيحات الكاتب وامثاله من الدعاة المخلصين لعروبتهم واسلامهم حالت دون تحقيق مطامع الأعداء .

وكل من احس وطأة الاستعمار ، وموقفه من اللغة القومية يشعر بأن الـكاتب يخاطبه مباشرة ، ويتحدث فى مشكلته الذاتية ، وربما يشعر المستعمرون ـ أيضا على اختلاف صورهم ـ بأن الـكاتب يكشف خططهم ، ويعري أهدافهم ، وكأنه يلمس فكـرهم ، ويعيش مع عقولهم .

وافكار النص الأساسـية هي :

1 ـ عـلاقة اللغـة بالأمة وافصـاحها عن طبيعة الشعوب .
2 ـ موقف المستعمر من لغتـه ولغـة الشعـوب المغـلوبة .
3 ـ اخطـار التعـلق بلغـة الاجنبي .
4 ـ ضرورة التمسـك باللغـة القـومية .

وهي أفكار **عميقة وغزيرة** ، تعكس قدرة الكاتب على **ابتكار المعاني وتوليدها** ، اذ يتبع الفكرة بأفكار من جنسها تعمقها وتوضحها . يشتق من المعنى معاني تزيده قوة وبيانا . ويمكنك ملاحظة هذه الظاهرة من الفقرة الثانية في النص .

دراســة الأسـلوب :

يتميز اسـلوب الكاتب بتوضيح المعنى ، لا عن طريق تكرار العبارة أو الـكلمة ، وانما **باشتقاق معنى جديد** ـ بأسلوب مغاير ـ من المعنى السـابق ، وان كان لا ينتقل الى معنى آخر أو فكرة جديدة ، لـكنه يعمق المعنى الأول ، ويزيده تفسيرا كما تراه في قوله :

« فتراهم اذا وهنت فيهم هذه العصبية يخجلون من قومهم ، ويتبرؤون من سلفهم ، وينسلخـون من تاريخهم ، وتقـوم بأنفسهم الـكراهة للغتهم وآداب لغتهم ، ولقومهم وأشياء قومهم » .

فانت ترى هنا مجموعة من العبارات حملت مجموعة من المعـاني تدور حول **فكرة واحدة** هي أثر التعلق بلغة الأجنبي .

ومن خصائص أسلوب النص : **قوة الأداء اللغوي** ، فعباراته قوية النسج محكمة التعبير رصينة البناء ، والفاظه **منتقاة** تدل على تمكن الـكاتب وسيطرته التامة على اداة تعبيره اللغوي ، وتطويعها لفكره ، وهو فكر عميق فيه ابتكار ، لذا بدا اسـلوبه صعبا ـ خاصة ـ على من لم يتعود قراءته كثيرا .

وقد استعان الكاتب **بالصور البلاغية** المختلفة **كالتشبيه** في قوله :

« حتى أن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء » .

وقوله :

« أثرت اللغة الأجنبية في الخلق القومي ما يؤثر الجو الأجنبي في الجسم الذي انتقل اليه » .

والكناية في قوله : « يركبهم بها » .

فهي توحي بالذلة والهوان ، وتبعث في النفس النفور من المستعمر ولغته .

والاستعارة في قوله : « لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه » .

فهي تشير إلى قيمة العظمة ومسئوليتها الضخمة ، وعبئها الثقيل .

والاستعارة ايضا في قوله :

« وتقيد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها » .

وقوله : « الحكم على ماضيهم بالقتل » .

وفي النص **صور بلاغية** اخرى يسهل عليك الوقوف عليها ومعرفة دلالتها .

وقد اعتمد الكاتب على **الاساليب الخبرية** التي تلائم موضوعه . فهي توضح حقائق اجتماعية وتفلسف مشكلات قومية تحتاج الى التحليل والتقرير . والأسلوب الخبري أقدر على التعبير عن هذه الأمور كلها .

وفي قوله :

« ولهي والله احتلال عقلي في الشعوب التي ضعفت عصبيتها » .

اسلوب انشائي يؤكد المعنى ويزيده وضوحا .

ومن الوان **البديع** في النص **السجع** غير المتكلف في قوله :

«اصغار أمرها ، وتهوين خطرها ، وايثار غيرها » .

والطباق في قوله : « بالخيال المتوهم لا بالحقيقة التي تحملها » .

وفي النص **محسنات** اخرى يمكنك ادراكها .

مجمـل القـول

- يعتبر هذا النـص من الأدب السياسي الاجتماعي التحرري ، الذي يعالج مشكلة انسانية عالمية ، تنطبق على اي شعب في أي زمان واي مكان .
- يهدف النص الى غاية نبـيلة ، هي ايقاظ الشعوب وتحذيرها مما يبيته لها الاستعمار من الفساد .
- يمتاز النص بغزارة الافكار ، وابتكار المعاني وتوليدها وتلاحم اجزائه .
- يعكس هذا النـص ثقافة الكاتب وخصائص اسـلوبه من قوة اللفظ ، وجزالة الأسـلوب وشيوع الروح الدينية والقومية ، وقد اعتمد الـكاتب على الأساليب الخبرية لملاءمتها الهدف الذي ينشده وهو تقرير الحقيقة وتوضيحها ، وفيه من الصور البيانية والألوان البديعية ما يزيد المعنى وضوحا ، ويكسب الأسـلوب جمالا .

وقد يشعر القارئ بصعوبة في اسلوبه . وذلك راجع إلى غزارة الفكرة وعمق المعنى ، ومحاولة التعبير عنها بدقة .

المنــــاقشــة :

1 ـ كيف دخل هـذا النـص في نطـاق الأدب العـالمي ؟
2 ـ ربط الكاتب بين الأمة واللغة . فما العلاقات التي جمعت بينهما ؟ وما رايك فيها ؟
3 ـ للاستعمار موقف من لغته ولغة الشعوب التي يحتلها . وضحه ، مبينا الدوافع لهذا الموقف كما شرحها الـكاتب .
4 ـ في التعـلق بلغة الأجانب خطورة على الدين والقومية . ناقش هذه الفكرة .
5 ـ للأدب دور فى تحرير الأمم لا يقل عن دور المدفع والصاروخ . وضح ذلك .
6 ـ ما خصائص أسـلوب الـكاتب كما تبدو من خلال دراستك للنص ؟
7 ـ هات من النص صورة بيانية لم ترد فى التعليق . وضحها مبينا سر جمالها .
8 ـ استخرج من النص محسنا يتعلق بالمعنى ، واشرحه .
9 ـ ما البواعث التي أوحت الى الـكاتب بهذا المقال ؟ وما مدى توفيقه في التعبير عن ذلك ؟

تـدريب تطبـيقي

المـــقال الادبي

ــ ما دور اللغة العربية فى محافظة الشعب الجزائري على مقومـات شخصيتـه وانتصاره فى ثورته التحريرية الكبرى ؟

السـؤال الـكتابي :

ــ وضح العبـارة التالية مستعينا بافكار النـص :
« اللغـة تعبير صادق عن حيـاة الأمة » .

نمـاذج من ادبه :

الـــدين والعـــادات *

١ ــ الـــدين

« . . والدِّينُ هو حقيقةُ الخُلُقِ الاجتماعي في الأُمَّةِ ، وهو الذي يجعل القـلوبَ كلَّها طبقةً واحدةً على اختلافِ المظاهرِ الاجتماعيةِ عاليةً ونازلةً وما بينهما ؛ فهو بذلك الضميرُ القانوني للشعبِ ، وبه لا بغيرِه ثَباتُ الأمَّةِ على فضائِلها النَّفْسيةِ ، وفيـه لا في سِوَاهُ مَعْنَى إنسانيةِ القَلْبِ .

ولهذا كان الدِّينُ من أَقْوَى الوسائل التي يُعَوَّلُ عليها في إيقاظِ ضَميرِ الأُمَّـةِ وتنبيه رُوحِها واهْتِياجِ خَيالِها ، إذْ فيه أعظمُ السلطةِ التي لها وحدَها قُوَّةُ الغَلَبَةِ على المـاديات ، فسلطانُ الدِّينِ هو سلطانُ كلِّ فردٍ على ذاتِه وطبيعتِه ، ومتى قَوِيَ هذا السلطانُ في شعب ، كان حَمِيا أبِيًّا ، لا تُرْغِمُهُ قوةٌ ، ولا يَعْنُو للقَهْـرِ .

ولولا التديُّنُ بالشريعة ، لمـا استقامَتِ الطاعةُ للقانون في النَّفْسِ ، ولولا الطاعةُ النفسيةُ للقوانين ، لمـا انْتَظَمَتْ أُمَّةٌ ، فليس عملُ الدِّينِ إلَّا تحديدَ مَكان الحيِّ في فضائل الحياة ، وتعيينَ تَبِعَتِهِ في حقوقها وواجباتِها ، وجَعْلَ ذلك كله نظاما مستَقِرًّا فيه لا يتغير ، وَدَفْعَ الإنسانِ بهذا النظام نحو الأكملِ ودائما نَحْوَ الأكملِ .

وكلُّ أُمَّةٍ ضَعُفَ الدِّينُ فيها اختلَّتْ هندستُها الاجتماعيةُ وَمَاجَ بعضُها في بعضٍ ، فإنَّ من دقيقِ الحِكْمَةِ في هذا الدِّينِ أنَّه لم يجعل الغايةَ الأخيرةَ من الحياة غايةً في هذه الأرض ، وذلك لتنتظمَ الغاياتُ الأرضيةُ في النَّاسِ فلا يأكلُ بَعْضُهم بَعْضًا ، فَيَغْتَنِي الغَنِيُّ وهو آمنٌ ، ويفتقر الفقيرُ وهو قانعٌ ، ويكون ثوابُ الأعْلَى في أن يعودَ على الأسْفَلِ بالمبرة ، وثواب الأسفل في أن يصبر على تَرْكِ الأعلى في منزلتِهِ ، ثم ينصرف الجميع بفضائلهم الى تحقيق الغـايةِ الإلهيةِ الواحدةِ ، التي لا يكبر عليها الكبيرُ ، ولا يصغر عنها الصغيرُ ، وهي الحقُّ ، والصَّلاحُ ، والخَـيْرُ ، والتعـاونُ على الـبِرِّ والتَقْوَى .

وما دام عملُ الدِّينِ هو تكوينُ الخُلُقِ الثابتِ الدائبِ في عملِه ، المعتزِّ بِقُوَّتِهِ ،

(*) قدمنا لك في النص السابق المقوم الاول من مقومات استقلال الامة في نظر الكاتب ، وهو اللغة . ونقدم لك المقومين الآخرين وهما الدين والعادات : من مقال « اللغة والدين والعادات » باعتبارهما من مقومات الاستقلال ، [وحي القلم ، ج 3] .

المطمئنِّ إلى صَبْرِه ، النَّافِرِ من الضَّعْفِ ، الأبيِّ على الذُّلِّ ، الكافِرِ بالاستعبادِ ، المؤمنِ بالموتِ في المدافعةِ عن حَوْزَتِهِ ، المجزيِّ بتسامِيه وَبذْلِه وعطفه وإيثارِه ومُفَادَاتِه ، العاملِ في مصلحة الجماعة ، المقيَّدِ في منافِعِه بواجباتِه نَحْوَ النَّاسِ ــ ما دام عمــلُ الدين هو تكوينُ هذا الخُلُقِ ــ فيكون الدِّينُ في حقيقتِهِ هو جَعْلُ الحِسِّ بالشريعة أقوى من الحِسِّ بالمــادةِ ، ولعمْــرِي ما يَجِدُ الاستقلالُ قوةً هي أقوى له وأرَدُّ عليه من هذا المعنى اذا تَقَرَّرَ في نفوسِ الأمةِ وانطبعتْ عليهِ .

وهذه الأمة الدينيةُ التي يكون واجبُها أن تشرفَ وتسودَ وتعتزَّ ، يكون واجبُ هذا الواجبِ فيها ألَّا تسقطَ ولا تخضعَ ولا تَذِلَّ .

وبتلك الأصولِ العظيمةِ التي ينشئها الدِّينُ الصحيحُ القَوِيُّ في النَّفْسِ ، يتهيأ النجاحُ السياسيُّ للشعبِ المحافظِ عليه المنتصرِ له ؛ إذ يكون مــن الخلال الطبيعية في زعمائه ورجاله الثباتُ على النزعة السياسيةِ ، والصَّلابةُ في الحقِّ ، والإيمانُ بمجد العملِ ، وتغليبُ ذلك على الأحوال المــاديةِ التي تعترِضُ ذا الرأيِ لتفْتِنَهُ عن رأيِهِ ومذهبِهِ : من مالٍ ، أو جاهٍ ، أو منصبٍ ، أو موافقةِ الهوى ، أو خشْيةِ النِّقْمَةِ ، أو خَوْفِ الوعيدِ ، إلى غيرها من كلِّ ما يستميلُ به الباطلُ أو يرهبُ به الظلمُ .

ولا يذهبَنَّ عنك أنَّ الرجلَ المؤمنَ القويَّ الإيمانِ الممتلىء ثقةً ويقينًا ووفاءً وصدقًا وَعَزْمًا وإصرارًا على فضيلتِه وثباتًا على ما يَلْقَى في سبيلِها ــ لا يكونُ رجلًا كالناسِ ، بل هو رجلُ الاستقلالِ الذي واجبُهُ جزءٌ من طبيعتِهِ وغايتُهُ السَّامِيةُ لا تَنْفَصِلُ عَنْهُ ، هو رجلُ صَدِقُ المبدأِ ، وصَدِقُ الكلمةِ ، وصَدِقُ الأملِ ، وصَدِقُ النزعَةِ ، وهو الرجل الذي ينفَجِرُ في التاريخ كلما احتاجتْ الحياةُ الوطنيةُ إلى إطلاقِ قنابلِها للنصرِ » .

ب ــ العــــادات

« . . والعاداتُ هي المــاضي الذي يعيشُ في الحاضرِ ، وهي وَحْدَةٌ تاريخيةٌ في الشعبِ ، تجمعُهُ كما يجمعُهُ الأصلُ الواحدُ ، ثم هي كالدين في قيامها على أساس أدبي في النفس ، وفي اشتمالها على التحريمِ والتحليلِ ، وتكاد عاداتُ الشعبِ تكونُ دينا ضَيِّقًا خاصًّا بهِ ، يحصرُهُ في قبيلِهِ ووطنِهِ ، ويحقِّقُ في أفرادِهِ الأُلْفَةَ والتشابكَ ، ويأخذُهُمْ جميعا بمذهبٍ واحدٍ ، هو إجلالُ المــاضِي .

وإجلالُ المــاضِي في كل شعب تاريخي هو الوسيلةُ الرُّوحِيَّةُ التي يَسْتَوْحِي بها الشعبُ أبطــالَهُ ، وفلاسفَتَهُ ، وعلماءَهُ ، وأدباءَهُ ، وأهْلَ الفنِّ منهُ ، فيوحُــونَ إليه

وحيِّ عظمائِهم التي لم يغلبْها الموتُ ، وبهذا تكون صورُهم العظيمةُ حيَّةً في تاريخِهِ ، وحيةً في آمالِهِ وأعصابِهِ .

والعاداتُ هي وحدَها التي تجعلُ الوطنَ شيئًا نفسيًا حقيقيًا ، حتى ليَشعرُ الإنسانُ أن لأرضِهِ أمومةَ الأمِّ التي ولدتْهُ ، ولقومِهِ أبُوَّةُ الأبِ الذي جاء به إلى الحياةِ ، وليس يعرفُ هذا إلَّا مَنْ اغتربَ عن وطنِهِ ، وخالطَ غيرَ قومِهِ ، واستوحشَ من غيرِ عاداتِهِ ، فهناك ، هناك يثبت الوطن نفسه بعظمة وجبَرُوتٍ كأنَّهُ وحدَهُ هو الدنيا .

وهذه الطبيعةُ الناشئةُ في النَّفْسِ من أثرِ العاداتِ هي التي تنبِّهُ في الوطنيِّ روحَ التميُّزِ عن الأجنبيِّ ، وَتُوحِشُ نَفْسَهُ منه كأنَّها حاسةُ الأرضِ تنبه أهلَها وتُنْذِرُهُمْ الخَطَرَ .

ومتى صدقَتْ الوطنيةُ الناشئةُ في النَّفْسِ أقَرَّتْ كُلَّ شيءٍ أجنبيٍّ في حقيقته الأجنبيةِ ، فكان هذا هو أولُّ مظاهرِ الاستقلالِ ، وكان أقوى الذرائِعِ الى المجد الوطني .

وباللغةِ والدينِ والعاداتِ ، ينحصر الشعبُ في ذاته الساميةِ بخصائِصِها ومقوماتها ، فلا يَسْهُلُ انتزاعُهُ منها ولا انسلاخُهُ من تاريخِهِ ، واذا أُلجِيءَ الى حالٍ من القَهْــر لم ينخذِلْ ولم يتضَعْضَعْ ، واستمرَّ يعملُ ما تعمــلُه الشوكةُ الحادةُ : إن لم تَتْرُكْ لنفْسِها ، لم تُعْطِ من نَفْسِها الّا الوَخْزَ . . » .

جـ ــ فى اللهب ولاتحـــــترق (*)

« فتاةٌ جميلةٌ ، أضطرَّتْها ظروفُ الحياةِ إلى أن تكونَ راقصةً فى أحدِ الملاهِي .. كانت ترقُصُ ، وحين تعودُ إلى بيتها كانت تُصلِّي . ولم تستطع وحُولُ الرَّذِيلَةِ أن تُدنِّسَ فيها جَوْهَرَ الفضيــلَةِ .

أفي المُمْكِنِ هــذا ؟ !

فتاةٌ ، مفاكِهةٌ مداعِبةٌ ، تُحْيِى ليلَها راقصةً مغنيةً ، حتى اذا اعتدل الليلُ ليمضِيَ ، واتبهَ الفَجْرُ ليقبلَــ انكفأتْ إلى دارِها ، فَخَرَجَتْ من زينتِها ، وَخَلَعَتْ رُوحًا ولبستْ رُوحًا ، وقالت : اللَّهُمَ إليك ، ولَبَّيْكَ اللَّهَمَ لُبَّيْكَ ! ثم ذَهَبَتْ فتوضَّأَتْ وأفاضَتْ النُّورَ عليها ، وقامتْ بين يدَي رَبِّها تُصَلِّي .

ولما رأيتُها شَهدَ قلبي لها بأنَّ على وجهها مع نورِ الجمالِ نُورَ الوضُوءِ ، وأنَّها متحررةٌ ممتَنِعةٌ فى حصن من قلبها المؤمنِ ، يبسطُ الأمنَ والسلامةَ على ظاهِرِها .

(*) وحي القلم ج 1 .

وعندِي أن المرأةَ اذا كان لها رأيٌ دينيٌّ ترجعُ اليه وكان أمرُها مجتمعا في هــذا الرأيِ وكانت أخلاقُها محشودةً له متحفلةً به ــ فتلك هي الياقوتةُ التي تُرْمَى في اللّهبِ ولا تحترقُ . .

ولمــا سألتُها عن حالِها قالتْ الياقوتةُ ، أعْني الراقصةَ :

ــ أخذني أبي من عهدِ الطفولةِ بالصلاةِ ، وأثْبَتَ في نَفْسِي أنَّ الصلاةَ لا تَصِحُّ بالأعضاء إنْ لم يكنْ الفكرُ نَفْسُهُ طاهرًا يُصَلِّي للهِ مع الجسمِ ، فإنْ كانَتْ الصَّلاةُ بالجسمِ وحدَهُ لم يَزْدَدْ المرءُ من رُوحِ الصّلاةِ إلَّا بُعْدًا ، وَقَرَ هذا في نَفْسِي واعتدْتُهُ: اذ كُنتَ أتَعَبَّدُ وأستحضرُ النّيّةَ في قلبي، وأنحصرُ بِكُلّيِّ في هذا الجزءِ الطاهرِ قبل أن أقولَ : «اللهُ أكبرُ» ، وبذلك أصبحَ فكرِي قادرًا على أنْ يخلعَ الدُّنْيا متى شاء ويلبسُها ، وأن يخرجَ منها ثم يعودُ إليها، ونشأتْ فيه القوةُ المصَمِّمَةُ التي تجعلُهُ قادرا على أنْ ينصرفَ بي عَمَّا يُفْسِدُ روحَ الصَّلاةِ في نَفْسِي ، وهي سِرُّ الــدينِ وعمادِهِ .

ورأيتُ أبي يُصَلِّي ، وكذلك رأيتُ أمِّي ، فلا تكادُ تلمْ بي فكرةٌ آثمــةٌ الا انتصبَا أمامي ، فأكرهُ أن أستلئم اليهما فأكونُ الفاسدةَ وهما الصالحانِ ، واللئيمةَ وهما الــكريمانِ ، فدمي نَفْسُهُ ــ بِبَرَكَةِ الدِّينِ ــ يحرسُنِي كما تَرَى .

قلت : وهــذا الرّقــصُ . . ؟

قالت : نَعَمْ ، إنه قُضِي علي أن أكونَ راقصةً ، وأن ألتمسَ العيشَ من أسْهلِ ثلاثِ طُرُقٍ وألينِها وأبعدِها عن الفساد ، وان كان الفسادُ ظاهِرَهَا ، أريدُ الرَّقْصَ ، أو الخدمةَ في بيتٍ أو العملِ في السوقِ . وأنا مطيقةٌ لحريتي في الأولى ، ولكنّي لن أملكَها في الأخيرتينِ ما دامَ على هذا الميسمِ من الحسنِ ، وكمْ من امرأةٍ متحجبةٍ وهي عاريةُ الرُّوحِ ، وكم من سافرة ورُوحها متحجِّبةٌ ، إنْ كُنْتَ لا تعلمُ هذا فاعلمْهُ ، ليس السؤالُ ما سألتَ ، بل يجبُ أن يكونَ وضعُهُ هكذا : هل ما تَرَى هو في ثيابي فقط ؟ أوهــو في ثيابي ونَفسِي ؟

ها أنْتَ ذا تغلغلُ نظرَتَكَ في عينِي الى المعانِي البعيدةِ ، فهل عيني راقصةٌ ؟

قلتُ : لا واللهِ ، ما أرى عينَي راقصةٍ ، ولكن عيني مجاهدٍ في سبيلِ اللهِ ! . .
فاستضحكتْ وقالت : بل قل : عيني مجاهدٍ يهزمُ كلَّ يومٍ شيطانا أو شياطينَ ! . .

د ـ أحلام في الشارع(*)

المنظر : طفل متشرّد كان هو وأخته نائمين على عتبة « البنك » .

« على عتبة البنك نام الغلامُ وأختُه يفترشان الرُّخامَ البارد ، ويلتحفان جوًّا رُخاميًا في بَرْدِه وصلابته على جسميْهما .

الطفل متكَبْكِبٌ في ثوبه كأنه جسم قُطِّعَ ورُكِمَتْ أعضاؤه بعضُها على بعض ، وسُجِّيَتْ بِثَوْبٍ ، ورُمِيَ الرأسُ من فوقها ، فمال على خَدِّه .

والفتاة كأنها من الهزال رسْمٌ مخطَّطٌ لامرأةٍ بدأها المصور ثم أغفلها إذْ لم تعجبه! كتب الفقْر عليها للأعْيُنِ ما يكتُبُ الذُّبولِ على الزَّهْرةِ : أنَّها صارَتْ قشًّا . .

نائمةٌ في صورة ميِّتةٍ ، أو كميِّتةٍ في صورة نائمةٍ . وقد انْسَكَبَ ضوءُ القمر على وجهها ، وبقي وَجْهُ أخيها في الظل . كأنَّ في السماء ملكا وَجَّهَ المصباحَ إليها وحدَها ، اذْ عرف أن الطفل ليس في وجهه علامة همّ وأن في وجْهها هي كل هَمِّها وهَمِّ أخِيها .

وكان رأسُ الطفل إلى صدرِ أختِه . وقد نام مطمئِنًا إلى هذا الوجودِ النّسَوِيّ ، الذي لا بد منه لكل طفل مثله ما دام الطفلُ إذا خرج من بطنِ أمّه خَرَجَ إلى الدنيا وإلى صدرِها معًا !

ونامت هي ويدُها مرسلة على أخيها كيد الأم على طفلها . يا الهي نامت ويدها مستيقظة ! .

أَهُما طفلان ؟ أم كلاهما تِمثَال للانسَانيّة التي شَقِيَتْ بالسُّعَداء فعوَّضها الله من رحمته ألاَّ تجد شَقِيًا مثلها ألا تضاعفت سعادتُها به ؟

تمثالانِ يُصوِّرانِ كيْف يَسْرِي قلبُ أحدِ الحبيبينِ في الجسم الآخر فيجعَلُ له وجودا فوقَ الدنيا لا تَصِلُ الدنيا إليه بفقرها وغِنَاها ولا سعادتِها وشقَائِها لأنَّه وجود الحبّ لا وجود العُمْر ، وجودٌ سحْرِي ليس فيه معنى للكلمات ، فلا فرق بيْن المال والتّراب ، والأمير والصعلوك ، إذ اللغة هناك احْسَاس الدَّم ، واذا المعنى ليس في أشياء المادة ، ولكن في أشياء الارادة .

تحت يد الأخت الممدودة ينام الطفل المسكين ، ومن شعوره بهذه اليد ، خفَّ ثقلُ الدُّنيا على قلبه .

(*) وحي القلم ج 1 .

لم يُبَالِ أَنْ نَبَذَهُ العالَمُ كلُّهُ ما دام يجد في أخته عالَمَ قَلْبه الصغير ، وكأنَّه فــرخٌ من فراخ الطــيْر في عُشِّه المُعَــلّق ، وقد جمع لحمَهُ الغضَّ الأحمرَ تحتْ جناح أمه فأحسَّ أهنأ السعادة حين ضيَّق في نَفْسه الكونَ العظيم ، وجعله وجودا من الرِّيش .

وكذلك يسعد كل من يملك قوة تَغْيير الحقائق وتَبْدِيلها ، وفي هذا تفعل الطفولة في نَشْأَةِ عُمْرِها ما لا تفْعلُ بعضَه معجزاتُ الفلسفةِ العُلْيا في جمْــلة أعمارِ الفلاسفة .

وما صَنَعَ الذِين جُنُّوا بالذَّهَب ، ولا الذين فُتِنُوا بالسُّلطة ولا الذين هَلَكُوا بالحُبّ ولا الذين تَحَطَّمُوا بالشَّهوات ـ إلا أنهم حاولوا عبثا أن يَرْشُوا رحمةَ الله لِتُعْطِيَهُم فى الذَّهَب والسُّلْطَةِ والحب والشهوات ـ ما نَوَّلَتْهُ هذا الطفل المسكين النائم في أشعَّةِ الكَوَاكِب تحت ذِرَاعِ كَوْكَبِ رُوحِهِ الأرْضِي .

إلاّ أنَّ أعظَمَ المُـلُوك لنْ يَستَطِيع بِكلّ مُلْكِهِ أنْ يَشْتَرِيَ الطَّرِيقَة الهَنِيئَة التِّي يَنْبِضُ بِها السَّاعَةَ قَلْبُ هذا الطفل » .

هـ ـ أمَــراء للبيــع (*)

قال أحدُ تلاميذ « عِزّ الدِّين بن عبد السلام » : ما رأيت مثلَ شيخي سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام[1] فلقد كان الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر شيئا تصنعه طبيعتُه كما يصنع جسمه الحياة ، فلا يُبَالِي هَلَكَ فيه أوْ عاش ، إذْ هو في الدَّم كالقلْب لا تنالُه يدُ صاحبِه ولا يدُ غيرِه ، ولم يتعلَّقْ بمالٍ ولا جاهٍ ولا ترفٍ ولا نعيمٍ ، فكان تجرده من أوهام القوة لا يُغَلَبُ ، وانتزع خوفَ الدنيا من قلبه فعمرته الروحُ السماويةُ التي تُخِيفُ كُلَّ شيءٍ وَلَا تَخَافُ ، وكان بهذه الروح كأنه تَحْوِيلٌ وتَبْدِيلٌ فِي طِباَعِ النَّاسِ ، حتى قال الملكُ الظاهر بيبرس وقد رأى كثرةَ الخلْقِ فى جِنَازَتِهِ حين مرّت تحت القلعة : الآن استقرَّ أَمْرِي فى المُلْكِ ، فلو أنّ هذا الشيخَ دعا الناس إلى الْخُرُوج علَيّ لا نْتزَعَ منّي الملــكةَ !

وكان سلطانُه في دمشقَ الصالحُ اسماعيلُ ، فاسْتَنْجَدَ بالإفرنج على الملكِ نجمِ الدينِ أيوبِ سلطانِ مصرَ ، فغضِبَ الشَّيْخُ وأَسْقطَ اسْمَ الصَّالِح من الخُطبة وخرج مهاجرا ، فأتْبَعَهُ الصَّالحُ بعضَ خَوَاصِه يَتَلَطَّفُ بِهِ ويقولُ لَهُ : مَا بَيْنَكَ وبَيْنَ أنْ تَعُودَ إلى مَنَاصِبِكَ ومَا كُنْتَ عليه وأكثرَ ممّا كنت عليه إلاّ أن تَنْخَشِعَ للسُّلْطَانِ وتُقَبِّلَ يَدَهُ ! فقال له الشيخُ : يامسكينُ ! أنا لا أرضَى أن يُقَبِّلَ السُّلْطَانُ يَدِي ! أَنْتُمْ فِي وَادٍ وأَنَا فِي وادٍ .

1 ـ هو الامام العظيم شيخ الاسلام عبد العزيز بن عبد السلام ولد فى دمشق توفي فى مصر عام 660 هـ .

(*) وحي القلم ج 3

ثم قَدِمَ إلى مصر فى سنة 639 هـ ، فأقبل عليه السلطانُ نجمُ الدّينِ أيوبُ وتحفّى به وولاه خطابة مصرَ وقضاءَها . وكان أيوبُ ملكًا شديدَ البأسِ ، لا يجسر أحدٌ أن يُخَاطبَهُ إلا مُجِيبًا . ولا يتكلّم أحدٌ بحضرته ابتِدَاءً، وقد جمع من المماليك التركِ ما لم يجتمعْ مِثْلُه لغيْرِه من أهلِ بَيْتِهِ ، حتى كان أكثرُ أمراءِ عسكرِه منهم . وهم معروفون بالخُشُونَةِ والبأسِ والفظاظةِ والاستهانةِ بكلِّ أَمْرٍ ، فلمَّا كان يومُ العيد صَعِدَ إليه الشيخُ وهو يَعرِضُ الجندَ ويُظْهِرُ مُلْكَهُ وسَطْوَتَهُ والأُمَرَاءُ يُقَبِّلُونَ الأرضَ بين يديه : فناداه الشيخُ بأعلى صوتِهِ ليسمع هذا الملأ العظيم . يا أيوبُ ثم أمره بابطال منكرٍ أنتهى إلى علمِه فى حانةٍ تُباعُ فيها الخمرُ ، فرسم السلطانُ لوقته بابطالِ الحانةِ واعتذرَ إليه .

فحدَّثني الباجِي قال : سألت الشيخَ بعد رجوعه من القلعة وقد شاع الخبرُ ، فقلت : ياسيدي ! كيف كانت الحال ؟

قال : يابني، رأيته فى تلك العظمة فخشِيت على نفسِه أن يدخلَها الغرورُ فتبطره فكان ما بَادَيْتُهُ به . قلت أَمَا خِفْتَهُ ؟

قال يابني ، استحضرتُ هيبةَ الله تعالى فكان السلطانُ أمامي كالقط(*) ولو أن حاجةً من الدنيا فى نفسي لرأيته الدنيا كلها : بيد أني نظرت بالآخرة فامتدَّت عيني فيه إلى غير المنظورِ للناس ، فلا عظمةَ ولا سلطانَ ولا بقاءَ ولا دُنْيا ، بل هو لا شيء فى صورة شيء .

نحن ياولدي مع هؤلاء كالمعنى الذي يُصَحِّحُ معنًى آخرَ ، فإذا أَمَرْنَاهُم فالذي يأمرهم فينا هو الشرعُ لا الإِنْسَانُ ، وهم قوم يَرَوْنَ لأنفسهم الحـقَّ فى إسْـكاتِ الكلمةِ الصحيحةِ أو طمسِها أو تحريفِها ، فما بُدّ أن يقابلوا من العلماء والصالحين ممن يرون لأنفسهم الحقَّ فى إنطاق هذه الكلمة وبيانها وتوضيحها ، فاذا كان ذلك فههنا المعنى بازاء المعنى ، فلا خوفَ ولا مبالاةَ ولا شأنَ للحياةِ والموتِ .

وانما الشرُّ كلُّ الشرِ أن يتقدمَ اليهم العالمُ لحظوظِ نفسِه ومنافِعِها ، فيكون باطلا مزورا فى صورة الحق ، وههنا تكون الذاتُ مع الذاتِ ، فيخشع الضعفُ أمام القوة ، ويذل الفقرُ بين يدي الغني ، وترجو الحياةُ لنفسها وتخشى على نفسها ، فاذا العالمُ من السُّلطانِ كالخشبةِ الباليةِ النَّخِرَةِ حاولت أن تقارِعَ السَّيْفَ !

(*) هذه كلمات الشيخ بحروفها .

كلاّ ياولدي ! إن السلطانَ والحكامَ أدواتٌ يجب تعيينُ عملِها قبل إقامتها ، فاذا تَفَكَّكَتْ واحْتَاجَتْ إلى مساميرَ دُقَّتْ فيها المساميرُ واذا انفتق الثوب فمن أين للابرة أن تسلك بالخيط الذي فيها إذا هي لم تَخِزه ؟

إِن العالِم الحقَّ كالمسمارِ ، إذا أوْجَدَ المسمارَ لذاتِهِ دون عَمَلِهِ كَفَرَتْ به كلُّ خشبةٍ .

قال الامامُ تقيُّ الدينِ : وطَغَى الأُمراءُ من المماليكِ وثَقُلَتْ وطأتُهم على النّاسِ ، وحيثما وُجِدَت القوةُ المسلطةُ المستبدةُ جعلت طغيانَها واستبدادَها أدبًا وشريعةً ، إلا أن تقومَ بِإِزائِها قوةٌ مَعْنَوِيّةٌ أقوى مِنْها ، ففكَّر شيخُنا فى هؤلاء الأُمراءِ وقال : إن خِداعَ القوّةِ الكاذبةِ لشعورِ الناسِ بابٌ من الفسادِ ، اذ يحسِبُون كلَّ حسن منها هو الحسن ، وإن كان قبيحًا فى ذاته ولا أقبح منه . ويَرَوْنَ كلَّ قبيح عندها هو القبيح . وإن كان حسنا ولا أحسن منه .

وقال : ما معنى الامارةوالأمراء ؟ وانما قوّة الكل الكبير هي عماد الفرد الكبير فلكل جزء من هذا الكل حقه وعمله ، وكان ينبغي أن تكون هذه الامارة أعمالا نابغة قد كبرت ، وعظمت فاستحقت هذا اللّقَبَ بطبيعةٍ فيها كطبيعة : أن العشرة أكثرُ من الواحد ، لا أهواء وشهوات ورذائل ومفاسد تتخذ لقبها فى الضعفاء بطبيعة كطبيعة أن الوحشَ مفترسٌ .

وفكر الشيخ فهداه تفكيرُه إلى أن هؤلاء الامراءَ مماليكُ ، فحكم الرق مستصحب عليهم لبيت مالِ المسلمين ، ويجب شرعا بيعهم كما يباع الرقيق !

بلغهم ذلك فجزعوا له وعظم فيه الخطبُ عليهم ، ثم احتدم الامرُ وأيقنوا أنهم بازاء الشرع لا بازاء القاضي ابنِ عبدِ السلام .

وأفتى الشيخُ أنه لا يصح لهم بيعٌ ولا شراءٌ ولا زواجٌ ولا طلاقٌ ولا معاملةٌ ، وأنه لا يُصَحِّحُ لهم شيئًا من هذا حتى يُبَاعوا ويحصلَ عتقُهم بطريقٍ شرعيٍّ ! .

ثم جعلوا يَتَسَبَّبُونَ إلى رضاه ، ويتحمَّلُون عليه بالشَّفَاعات ، وهو مُصِرٌّ لا يعبأ بجلالة أخطارهم ، ولا يخشى اتِّسامَه بعداوتهم ، فرفعوا الأمرَ إلى السلطانِ ، فأرسل إليه فلم يتحوّل عن رأيِهِ وحُكْمِهِ .

واستَشْنَعَ السلطانُ فعلَه وحَنِقَ عليه وأنكر منه دخولَه فيما لا يعنيه ، وقبح عمله وسياسته وما تطاول اليه ، وهو رجل ليس له إلا نفسه وما تكاد تصل يدُه إلى ما يقيمُه ، وهم وافرون وفى أيديهم القوةُ ولهم الأمرُ والنَّهيُ .

وانتهى ذلك إلى الشيخ الامامِ فغضِب ولم يُبَالِ بالسلطان ولاكَبُر عليه إعراضُه ، وأزمع الهجرةَ من مصرَ ، فاكترى حميرا أركَب أهلَهُ وولَدَهُ عليها ومشى هو خلفهم يريد الخروجَ إلى الشام ، فلم يبعد الا قليلا نحو نصف بريد حتى طار الخبرُ فى القاهرة ففزع الناسُ وتبعوه لا يتخلَّفُ منهم رجلٌ ولا امرأةٌ ولا صَبِيٌّ ، وصار فيهم العلماءُ والصلحاءُ والتجارُ والمحترفونَ كأن خروجَه خروجُ نبيٍّ مـن المؤمنين بـه ، واستعلنت قوة الشرع فى مظاهرِ الحاكم الآمر من هذه الجماهير ، فقيل للسلطان ان ذهب هذا الرجلُ ذهب ملكُك !

فارتاع السلطانُ فركب بنفسه ولحق بالشيخ يترضَّاه ويستدفع به غضبَ الأمة ، وأطلق له يأمر بما شاء ، وقد أيقن أنه ليس رجلَ الدينارِ والدرهم والعيشِ والجاهِ وليس طيلسانَ العلماء كما يلصق الريش على حجر فى صورة الطائر .

ورجع الشيخُ وأمر أن يُعْقَدَ المجلِسُ ويُجْمَعَ الأمراءُ ويُنَادَي عليهم للمساومة فى بيعهم ، وضرب لذلك أجلا بعد أن يكون الأمرُ قد تعالمه كلُّ القاهرة ليتهيأ من يتهيأ للشِّراء والسَّوْم فى هذا الرقيقِ الغالي !

وكان من الأمراء المماليك نائبُ السلطنة ، فبعث إلى الشيخ يلاطفه ويسترضيه ، فلم يعبأ الشيخ به ، فهاج هائجه وقال : كيف يبيعنا هذا الشيخُ وينادي علينا ويُنزلنا منزلةَ العبيد ويفسد محلنا من الناس ويبتذل أقدارنا ونحن ملوكُ الأرضِ ؟ وما الذي يفقد هذا الشيخ من الدنيا فيدرك ما نحن فيه ؟ انه يفقد ما لا يملك ويفقد غير الموجود ، فلا جرم لا يبالي ولا يرجع عن رأيه ما دام هذا الرأي لا يمر فى منافعه ولا شهواته ولا فى أطماعه ، كالذين نراهم من الدنيا ، أما والله لأضربنه بسيفي هذا ، فما يموت رَأْيُهُ وهو حي .

ثم ركب النائبُ فى عسكره وجاء إلى دار الشيخ واستلّ سيفَه وطرق البابَ فخرج ابنُه عبدُ اللطيف ورأى ما رأى ، فانقلب إلى أبيه وقال له : انج بنفسك انه الموت ، وانه السيف وانه . . . وانه .

فما اكْتَرَثَ الشيخُ لذلك ولا جزع ولا تغيّر ، بل قال له ، يا ولدي ! أبوكَ أقلُّ من أن يقتلَ فى سبيلِ اللّهِ !

وخرج لا يعرف الحياة ولا الموت . فليس فيه الانساني بل الإلهي ، ونظر إلى نائب السلطنة وفى يده السيفُ ، فانطلقت أشعةُ عَيْنَيهِ فى أعصاب هذه اليدِ فيبست و وقع السيفُ منهـا .

وتناوله بروحه القويةِ . فاضطرب الرجلُ وتزلزل وكأنما تكسر من أعصابه فهو يرعد ولا يستقر ولا يهدأ .

وأخذ النائبُ يبكي ويسأل الشيخَ أن يدعوَ له، ثم قال : ياسيدي ! ما تصنع بنا ؟ قال الشيخ : أنادي عليكم وأبيعكم !

ــ وفيما تصرف ثمننا ؟

ــ فى مصالح المسلمين ،

ــ ومن يقبضه ؟

ــ أنا .

وكان الشرع هو الذي يقول (أنا) فتمّ للشيخ ما أراد ، ونادى على الأمراء واحدا واحدا ، واشتط فى ثمنهم ولا يبيع الواحد منهم حتى يبلغ الثمن آخر ما يبلغ ، وكان كل أمير قد أعد من شيعته جماعة يستامونه ليشتروه . . . .

ودُمِغ الظلمُ والنفاقُ والطغيانُ والتكبرُّ والاستطالةُ على الناس بهذه الكلمة التي أعلنها الشرعُ .

أمراء للبيـــع . . . ! أمراء للبيع . . .

للمطالعة

طريـــق التقـــدم

شهد النصف الأول من القرن العشرين تحولا ملحوظا فى أسلوب الاستعمار فلم يعد يعتمد على القهر بقوة السلاح بصورة سافرة كما كان من قبل لأنه ادرك أنّ هذا الأسلوب لم يعد ملائما ، لتيقظ الشعوب ، وقيام كتل ومنظمات دولية تحول دون ذلك . فلجأ الى اساليب متعددة من اهمها : الاستعمار الثقافي ، وهو الذي يوجه الفكر ويخضعه لمبادئ المستعمرين .

ومع ان معظم الشعوب العربية تحررت من الاستعمار ، فإنها ما تزال تتعلق ببعض آثاره ، تمجد أعماله وتشيد بصناعاته ، وتفضلها على صناعاتها الوطنية !

والذي لا شك فيه أن الدول الاستعمارية قد قطعت شوطا طويلا فى ميدان التقدم الفكري والتطور الصناعي والتقني ، وليس ذلك راجعا ـ بالطبع ـ الى فضل فى لغتها أو دينها . وليس تأخر الشعوب العربية عن الوصول الى ما وصلت اليه تلك الدول ناتجا عن تمسكها بلغتها ودينها . انما يكمن ذلك فى عدة أمور :

أولا : ان تاريخ الأمم والشعوب لا يثبت على حالة واحدة من الضعف أو القوة . والأمة الاسلامية ـ كأمة عريقة ـ مرت بها أطوار : سادت العالم فترة من الزمن ، واستذلها الأعداء حينما تخلت عن أسباب قوتها المتمثلة فى دينها ولغتها .

ثانيا : ان التقدم الفكري والتقني الذي صاحب أوربا فى نهضتها المعاصرة يرجع الى أساس من تراثنا الاسلامي العربي الذي أهملناه فترة طويلة من الزمان . ولما كان الزمن والتطور لا يقفان عند فترات الضعف فقد سارت عجلة الحياة والتطور بمن امسك زمامها ، وقد واصل الأوربيون مسيرة الحياة بتطويرهم للمبادئ والأفكار والأسس التي استمدوها من التراث الاسلامي العربي فى شتى الميادين ، وساعدهم على ذلك ما استغلوه من ثروة مالية وبشرية خلال فترة الاستعمار البغيض .

ثالثا : كان لموجة الاستعمار الأوربي أثر بالغ السوء فى نفوس العرب أجمعين ، فقد استطاع هذا الاستعمار ان يحاصرهم داخل نفوسهم وان يشككهم فى قدراتهم وثرواتهم ، وأن يَحُول دون تقدمهم بمختلف الأساليب ، مما جعل الهُوَّةَ سحيقة بين تقدُّمِه وتخلُّفهم .

تلك هي الحقائق التي ادت بنا الى التخلف عن غيرنا من الدول المتقدمة فى العصر الحديث . واصبح لزاما علينا ان نعرف هذه الحقائق ، وأن نَعِيَها جيِّدا حتى نستطيع أن نضع خطتنا فى النهوض على أسس واعية سليمة .

فما دامت امتنا سادت العالم عندما تمسَّكتْ بدستورها العظيم المتمثل فى القرآن والسنة ، وانتكستْ عندما طرحَتْ العملَ بهذا الدستور وراء ظهرها ، فان الرجوع اليه هو طريق التقدم المنشود .

وما دام لنا ماض عريق قامت عليه النهضة الأوربية الحديثة ، واستفادت منه نظريا وتطبيقيا فى شتى الميادين ، وحققت به تقدما ملحوظا ، فان تَمثُّلَ هذا الماضي العظيم فى نفوسنا سيدفعُنَا الى إحيائه وبعْثه ويكون لنا هادِيا فى طريق التقدم .

وما دمنا قد عرفْنا أهداف المستعمرين منا ـ على اختلاف أساليبهم ومراميهم ـ فعلينا أن نقاومهم بالسلاح الذي يهاجموننا به عسكريا او اقتصاديا او ثقافيا او نفسيا .

وان أمة لها من عراقة الماضي ما لأمَّتِنا الاسلامية العربية ، ولها من وعْيها بالحاضر ما يَشُدُّها الى التطلع إلى ماضيها العظيم ، لا بدَّ وانْ تحرِزَ النجاح فى وقتٌ سريع .



12

عَبْقَـــرِيّ

للعقـــاد

(1889 ـ 1964 م — 1307 ـ 1384 هـ)

تعريف وتمهيـــد :

« **عباس محمود العقاد** » مفكر حر ، واديب كبير ، جدد فى النثر والشعر . وعاش حياة فكرية خصبة الف فيها نحو مائة كتاب ، وآلاف المقالات فى الأدب والسياسة والتاريخ والدين .

ولد فى مدينة « **أسْوَان** » **بصعيد مصر** ، وتلقى علومه الأولى فى إحدى مدارسها الابتدائية ، ثم انقطع عن التعليم ، ولكنه واصل قراءاته الواسعة فى مختلف العلوم والفنون باللغتين العربية والانجليزية .

وقد اشتغل فى بعض الوظائف الحكومية والأهلية ثم تركها ليتفرغ للصحافة والتأليف ويساهم فى المجالات العلمية المتعددة حتى وافاه الأجل **بالقاهرة** فى عام 1964 م ودفن بمدينة « أســوان » .

وابرز سِمَاتِ العقاد التي تمثل حياته وفكره هي حبه للحرية وإيمانه العميق بأن **الإسلام** هو دِينُ الحرية وانها أساس لسعادة الفــرد ، وصلاح المجتمع !

وقد عاصر الكاتب حملة مسعورة على الاسلام شَنَّهَا بعض المتعصبين الأوربيين ، ثم أذكى نارها المُلْحِدُون الشيوعيون ، فتَصَدَّى لهم بقلمه ، ودافع عن دِينِهِ دفاعا يعتمد على الفكر الحر والمنطق المجرد ، والنقد الموضوعي .

وقد كتب « **العقاد** » سلسلة من العبقريات : « **عبقرية محمد** » ـ صلى الله عليه وسلم ـ و « **أبي بكر** » و « **عمر** » و « **خالد** » ـ رضي الله عنهم ـ وغيرهم من عظماء المسلمين . ومن كتابه « **عبقرية عمر** » نقدم لك النص التالي ، وسترى من خلاله كيف صور العقاد جانبا من جوانب العظمة فى شخصية عمر ، وكيف **كان ظهور هذه العظمة مرتبطا بظهور الاســلام وانتشــاره .**

النـــص :

« . . لم أرَ عبْقـرِيًّا (1) يفْـرِي (2) فـرْيَه . . »

(أ)

«كَلِمَةٌ قالها النَّبِيُّ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلامِ ـ في عُمَرَ رضيَ اللهُ عنه ؛ وهي كلمةٌ لا يقولُها إلاَّ عَظِيمُ عُظمَـاء ، خُلِقَ لِسِيَاسَةِ الأُمَمِ وقِيَادَةِ الرِّجَال .

(ب)

فَمِنْ عَـلاَمَاتِ العَظَمَةِ الَّتِي تُحْيِي مَوَاتَ الأُمَمِ أَنْ تَخْتَصَّ بِقُدْرَتَيْنِ لاَ تُعْهَدَانِ (3) في غَيْرِها :

أُولاَهُمَا : أَنْ تَبْتَعِثَ كَوَامِنَ الحَيَاةِ وَدَوَافِعَ العَمَلِ فِي الأُمَّةِ بِأَسْرِهَا (4) وَفِي رِجَالِهَا الصَّالِحِين لِخِدْمَتِهَا ؛

والأُخْـرَى : أَنْ تَنْفُذَ بِبَصِيرَتِهَا إلى أَعْمَاقِ النُّفُوسِ فَتَعْرِفَ بِالبَدِيهَةِ الصَّائِبَة وَالوَحْيِ الصَّادِق فِيمَ تَكُونُ عَظَمَةُ العَظِيمِ ، وَلأَيِّ المَوَاقِفِ يَصْلُحُ ، وبِأَيِّ الأَعْمَالِ يَضْطَلِعُ (5) وَمَتَى يَحِينُ أَوَانُهُ وَتَجِبُ نُدْبَتُهُ ، وَمَتَى يَنْبَغِي التَّرَيُّثُ (6) فِي أَمْرِهِ إلى حِين.

(ح)

كِلْتَا القُـدْرَتَيْنِ كَانَ لَهُمَا الحَظُّ الوَافِرُ فِي سِيرَةِ « عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ » .

فَأَيْنَ ـ لَوْلاَ الدَّعْوَةُ المُحَمَّدِيَّةِ الَّتِي بَعَثَتْ كَوَامِنَ العَظَمَةِ فِي أُمَّةِ العَرَبِ ـ كُنَّا نَسْمَعُ « بابْنِ الخَطَّابِ » ؟ ، وَأَيُّ مَوْضِعٍ لَهُ كَانَ مِنْ مَوَاضِعِ هَذَا التَّارِيخِ العَالَمِي الَّذِي يَزْخَرُ بِكِبَارِ الأَسْمَاءِ ؟

إِنَّهُ الآنَ اسْمٌ يَقْتَرِنُ بِدَوْلَةِ الإِسْلاَم ، وَدَوْلَةِ الفُرْسِ ، وَدَوْلَةِ الرُّوم ، وَكُلِّ دَوْلَةٍ لَهَا نَصِيبٌ فِي التَّارِيخِ ؛ فَأَيْنَ كُنَّا نَسْمَعُ بِاسْمِ « عُمَرَ » لَوْلاَ البَعْثَة المُحَمَّدِيَّة ؟

(د)

لَقَدْ كَانَ وَلاَ رَيْبَ (7) خَلِيقًا (8) أَنْ يَسْتَوِي عَلَى مَكَانِ الزَّعَامَةِ بَيْنَ بَنِي عدِيٍّ ، آلِـهِ الأَقْرَبِين ، أَوْ بَيْنَ قُرَيْشٍ ، قَبِيـلَتِهِ الكُبْرَى ، ثُمَّ يَنْتَهِي شَأْنُهُ هُنَاكَ كَمَا انْتَهَى

---

1 ـ **العبقري** : نسبة إلى وادي عَبْقَر ، وهو وادٍ يسكنه الجن ـ كما تزعم العرب ـ في الجزيرة العربية ، وينسب اليه كل عظيم فريد في نوعه ، والمقصود هنا أنه يملك قوة الابداع والابتكار في تصريف الأمور .
2 ـ **يفري** : يقطع . 3 ـ تُعهد : تعرف . 4 ـ **باسرها** : بأكملها . 5 ـ **يضطلع بالامر** : يقوم به .
6 ـ **التريث** : الانتظار . 7 ـ **لا ريب** : لا شك . 8 ـ **خليق** : جدير .

شأنُ زعماءَ آخرين لمْ نَسْمَعْ لهمْ بخبرٍ ، لأنّهمْ عظمُوا أوْ لمْ يَعظُموا يُعطُونَ البيئةَ كِفاءَ ما تَطْلُبُ منْ جهْدٍ ودِرايَةٍ ، وهي تَطْلُبُ منْهُم ما يُذكَرُون بهِ في بيئتهم ، ولكنّها لا تَطْلُبُ منهم ما يُذكَرُون بهِ في أقْطَارِ العالَم البَعِيد .

وقدْ كانَ « عُمَـرُ » قويَّ النفْسِ بالغًا في القوة النفْسيّة ، ولكنّه على قوّته البَالِغَة لمْ يكنْ من أصْحَابِ الطّمَعِ والاقْتِحَام ، ولمْ يكُنْ مِمّنْ يَنْدَفِعُون إلى الغَلَبَـةِ والتّوسُّعِ في الجَاهِ والسُّلْطَانِ بغيْرِ دَافِعٍ يَحْفِزُه إليه وهو كَارِه ، لأنّه كانَ مفْطُـورًا عَلَى العدْلِ(٩) وإعْطَاءِ الحُقُوقِ ، والْتِزَامِ الحُرُمَاتِ ما الْتَزَمَها النّاسِ منْ حوْله ، وكانَ من الجَائِزِ أنْ يُهَيّجَهُ خَطَرٌ عَلَى قَبِيلَتِه أوْ عَلَى الحِجَازِ ومَحَارِمِه المقدّسَةِ في الجَاهِليّةِ ، فيَنبَرِي(١٠) لِدَفْعِه ، ويُبْلِي في ذَلِكَ بَلاءً يَتَسَامَعُ بهِ العَرَبُ في جِيلِه وبَعْدَ جيـلِه ، ولكنّه لا يعْدُو ذلك النّطَاقَ(١١) ولا هو يُبالي أن يُمْعِنَ(١٢) في بَلائِه حتّى يَعْدُوَه(١٣) . بل كان من الجائزِ غيرُ هذا وعلى نَقِيضِه .

كان من الجائز أن تَفْسُدَ تلك القُوّةُ بمُعَاقَرَةِ الخَمْرِ والانْحِرَاف ، فإنّه كانَ في الجاهلية ـ كما قال ـ صاحبَ خَمْرٍ يشربها ويحبُّها ، وهي مُوبِقَةٌ(١٤) لا تُؤْمَنَ حتى على الأقوياءِ إذا أدْمَنُوها ولم يَجِدُوا من زَوَاجِرِ(١٥) الدّين أو الحَوادِث ما يَصْرِفُهُم عنها ، ويَكُفُّهُمْ عن الإفْرَاطِ في مُعَاطَاتِها .

فعُمَرُ بن الخطاب الّذي عَرَفَهُ تَارِيخُ العَالَمِ ـ وَلِيدُ الدّعْوَةِ المُحَمّدِيّةِ دُونَ سِوَاها ـ بهـا عُرِف ، وبغيْرِها لمْ يَكُنْ لِيُعْرَفَ في غيْرِ الحِجَازِ أوْ الجَزيرة العربيّة » .

شرح وإيضـاح :

(أ) استهل العقاد حديثه عن **عظمة عمر** بما قاله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شأن عمر من انه رجل عظيم يضع الحل الحازم الصريح الواضح المحدد لكل مشكلة تعترضه ، وقد بلغ فى هذه القدرة مبلغا لم يصل اليها غيره من الرجال ذوي العبقريات المعروفة ، وكفى بشهادة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ برهانا على ذلك فهو أعظم العظماء فى السياسة الحكيمة والقيادة الرشيدة .

(ب) ويرى العقاد ان بعث أمة من الأمم يحتاج الى عبقرية عظيمة مثل عبقرية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلامات العظمة تظهر فى قدرتين :

---

9 ـ **مفطور على العدل** : كان له ميل طبيعي اليه . 10 ـ **ينبري** : يتصدى . 11 ـ **لا يعدو النطاق** : النطاق ما يشد به الوسط ، والمقصود هنا انه لايتجاوز الحدود . 12 ـ **يمعن** : يستمر . 13 ـ **يعدوه** : يتجاوزه . 14 ـ **موبقة** : مهلكة . 15 ـ **زواجر** : جمع زاجر ، وهو الوازع الذي يحول بين الشيء وإتيـانه .

اولاهما : القدرة على البعث الشامل والتغيير الجذري ، واستنهاض عزيمة كل فرد من افراد الأمة وخاصة رجالها الموهوبين حتى تتحول بنفسها الى طاقة حيّة نشيطة .

وثانيهما : أن يكون العبقري العظيم ذا موهبة وقدرة على فهم الناس وادراك طبائعهم وقدراتهم فيجعل كل انسان فى الموضع الذي يصلح له ، وينتج فيه ، **ويختار الوقت الملائم** لاسناد المهمات له ليضطلع بها على احسن وجه واكمله

(حـ) وقد توافر الشرطان فى **تاريخ عمر بن الخطاب إذْ** كان البعث المحمدي شاملا للأمة وكانت العبقرية المحمدية تجعل كل ذي موهبة وصاحب قدرة فى الموضع المناسب له .

ومن هنا ظهرت **عبقرية عمر** . فهي مدينة لظهور **الدعوة المحمدية** أوّلاً واخيرا . ولولاها ما سمع التاريخ بعمر مقترنا بدولة الاسلام ودولة الفرس والروم وكل دولة عرفها التاريخ .

(د) لقد كان لعمر ــ حقا ــ مواهب شخصية ربما رشحته ليتولى زعامة قومه أو زعامة قريش كلها ، لكنه لا يبلغ ما بلغ إليه من بُعْدِ الصيت لولا الدعوة المحمدية التي جعلت منه شخصية عالمية .

وقد كان عمر قوي النفس ، ولكنه لم يكن من أصحاب الطموح ، ولم يكن ليندفع الى التوسع ما لم تكن هناك ضرورة تدفعه الى ذلك ، كأن يغار على قبيلته فيدفع المغيرين عنها ، ويحقق انتصارا عليهم يَتَسَامَعُ به الناس فى زمانه أو بعد زمانه ، لكنه لا يصبح حاكما على **الحجاز والشام ومصر والعراق ، ومؤسس دولة اسلامية اقترن ظهورها الحقيقي فى التاريخ بالفاروق ((عمر بن الخطاب))** .

وكان عمر فى جاهليته ممن يشربون الخمر ، وكان من الممكن ان يُعطّل ادمانُ شربها تلك القوة النفسية التي عُرف بها ، فإن الخمر كثيرا ما تهلك مُدْمِنِيها .

فعبقرية عمر بلا شك ، وليدة الدعوة المحمدية ، بدونها ما كان له ذكر خارج الحجاز أو الجزيرة العربية .

دراســة الأفكــار :

التزم العقاد فى دراسته لـ ((**عبقرية عمر**)) منهجا خاصا أساسه ابراز جوانب العظمة فى شخصية عمر مع التزام الصدق فى كل ما يصدره عليها من احكام ، أو ما يثبته لها من صفات ، غير مسئول عما سوى ذلك من الجوانب الأخرى .

وقد نجح الكاتب فى تطبيق هذا المبدأ كما يبدو لك من استهلال النص بشهادة عظيم العظماء ((**محمد**)) ــ عليه الصلاة والسلام ــ لعمر بالعبقرية الفذّة .

والنص من أدب التراجم والسير الذي يرمي الى احياء التاريخ الاسلامي المجيد بتكريم رجاله ، ونشر أفكارهم ، وتوضيح عظمتهم ، حتى تكون أقوالهم واعمالهم

مَثَلاً **يقتدي به** الشباب المسلم ، وحِصْنًا يحتمي فيه من خطر تيارات الالحاد والاباحيّة والزيف والضلال **فينهضون بامتهم بعد كبوتها ، ويصلون ما انقطع من امجاد ماضيها بحاضرها وغدها .**

وعاطفة الكاتب صادقة . يتضح ذلك من **الالحاح** على ابراز الفكرة ، ومناقشة ابعادها : فعمر ذو شخصية قوية لكن هذه الشخصية القوية وان رشحته لمنصب قد لا يتجاوز حدود عشيرته أو اقليمه فإنها لا تعطيه من الفرصة مثل ما اعطته الدولة الاسلامية ، وربّما كانت هذه القوة سببا فى انحرافه واختفائه كغيره من الكثيرين الذين عاقروا الخمر فأهلكتهم . وهكذا يستمر « العقاد » فى تأملاته الفكرية حتى يجلوها ، ويوضحها أقوى توضيح .

وافكار النص الأساسية تتلخص فيما يلي :

1 ـ **وصف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعبقرية عمر .**

2 ـ **علامات العظمة التي يقوم عليها بناء الأمم .**

3 ـ **سيرة عمر وحظها من الدعوة المحمدية .**

4 ـ **عبقرية عمر وليدة ظهور الدعوة المحمدية .**

وهي كما ترى **افكار وثيقة الترابط** فالقضية التي بدأ بها الكاتب تسلمنا الى نتيجة حتمية منطقية فى جو من **الحوار** الوجداني يرضي العقل والشعور .

وهي تتميز بالوضوح والعمق الذي يحتاج إلى صبر وتأمل لادراك معانيها القريبة والبعيدة .

دراسة الأسلوب :

العقاد من كتاب المعنى الذين يهتمون **بالفكرة** أولا ، ولكنه لا يهمل الأسلوب . فهو يستخدم الألفاظ القوية والجمل المحكمة دون افراط فى المقدمات ، أو لجوء الى التكرار ، أو توكيد بالكلمة أو الجملة ، ويكفيه من الكلمة ما **يعبر عن المعنى** ، ويفصح عن الشعور ، فاذا ما اتبعها بكلمة أخرى فليس ذلك لاحداث نغم موسيقي فى الجملة وانما **لتعميق المعنى واثراء الفكرة** (1) .

ولم يلجأ الكاتب فى هذا النص الى اسخدام **الصور البيانية من تشبيه أو استعارة او كناية** ، لأن اهتمامه بالفكرة وتعميقها وطبيعة الموضوع الذي يتحدث عنه والهدف الذي يريد الوصول اليه لا يحتاج الى مثل هذه الصور ، وانما يحتاج الى **التعبير المباشر المحكم** الذي اتبعه الكاتب فى هذا النص .

وقد تنوع أسلوبه بين « الخبر والانشاء » .

و « أساليبه الخبرية » تشبه قرار القاضي بعد الاستماع الى كل الآراء المتعارضة ليفصل فى القضية بالحكم القاطع .

(1) تطور الأدب الحديث فى مصر منذ بداية القرن التاسع عشر حتى قيام الحرب العظمى الثانية د. احمد هيكل

من ذلك قـولـه :

« فعمر بن الخطاب الذي عرفه تاريخ العالم وليد الدعوة المحمدية دون سواها بها عرف وبغيرها لم يكن ليعرف فى غير الحجاز او الجـزيرة العـربية . »

و « أساليبه الانشائية » تهدف إلى تقرير الحكم وتقويته . فَكُلُّ هَمِّ الكاتب موجَّهٌ الى خدمة الفكرة التي يعرضها . من ذلك « الاستفهام » فى قوله :

« فاين ــ لولا الدعوة المحمدية التي بعثت كوامن العظمة فى امة العرب ــ كنا نسمع بابن الخطاب ؟ وأي موضع له كان من مواضع هذا التاريخ العالمي الذي يزخر بكبار الأسماء ؟ »

« فاين كنا نسمع باسم عمر لولا البعثة المحمدية ؟ »

وعبارات النص قوية السبك ، ألفاظها مختارة ، فيها جُهْد ، وليس فيها تَكَلُّفٌ مَعيب .

وقد تبدو فى أسلوبه صعوبة ، وليس مردّها الى غموض فى الفكرة ، أو قلق فى التعبير عنها ، وانما يرجع الى عمق الأفكار ودقة صياغتها .

وكَانَ العقاد يقول عن هذه الظاهرة فى اسلوبه : **« أنَا لنْ اكون مَرْوَحَةً لِلكَسَالىَ النَّائمِـين »** .

مجمل القول فى النص

- **النص من ادب التراجم والسير ، الذي يهدف الى احياء التراث التاريخي والديني بتصوير نماذج بطولية ، تبعث عظمة ماضيه ويستمد بها بنـاء حاضره ومستقبـله .**
- **افكار النـص عميقة واضحة مترابطة ، أَوْلَاهَا الـكاتب جهداً يَنِمُّ عن مذهبه في الاهتمـام بالمعنى .**
- **اسـلوب النص محكم ، ليس فيه ايجاز مخل ، أو طول ممل ، ويتميز بالاقناع الفكري ، والالحاح على الفكرة ، وميله الى التعبير المباشر ، ليقرر الحقيقة التي يريد اثباتها ، وقد تبدو فيه صعوبة بسبب عمق المعنى ودقة الصيـاغة**

المنـــاقشـــة :

1 ــ أين تكمن عظمة الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ كما وضحها الكاتب ؟

2 ــ ما معنى « لم أر عبقـريا يفري فرية » ؟

3 ــ كيف برهن العقاد على دعواه بأن عبقرية عمر وليدة الدعوة المحمدية ؟

4 ـ لماذا لم يعتمد الكاتب في هذا النص ـ كثيرا ـ على الصور البيانية في التعبير عما يريد ؟

5 ـ ما خصائص أسلوب العقاد على ضوء دراستك لهذا النص ؟

6 ـ هل تشعر بصعوبة في فهم أسلوب الكاتب ؟ وما مصدرها ؟

7 ـ استخرج من النص اسلوب قصر ووضحه .

8 ـ تخير أسلوبا انشائيا ، وبين اداته ، ونوعه ، والغرض منه ، واثره في المعنى .

المقال الأدبي :

« في حياة الفاروق عمر بن الخطاب مواقف بطولية عظيمة » .

ـ تخير موقفا ، وصوره بأسلوبك مستعينا بمعلوماتك التاريخية .

نموذجان من أدبه :

أ ـ منهج الكواكبى فى الاصلاح كما يراه العقاد (*)

فكر « **الكواكبي** » كثيرا واطال التفكير فى جميع المسائل التي بنى عليها « دعوته الى الاصلاح » ، وهي دعوة محيطة بشئون الشرق الاسلامي فى زمنه على الاجمال ، وشئون الشرق العربي على التخصيص ، وليست من الدعوات التي تتجه الى ناحية واحدة ، أو تنحصر فى جزء من أجزاء الحياة العامة التي تتفرق العناية بها بين اشتات من المصلحين .

وقد نهج فى دعوته « منهج العلم التجريبي » أو « الفلسفة العملية » ، فنظر فى جميع العلل ، وقدر جميع الوجوه . واعتمد البحث فى تلك العلل من ناحية النفيْ وناحية الاثبات ، فلا يزال بالعلّة المقدّرة يتتبّع اغراضها ويستقصي آثارها ، ويرىَ اينَ مكان الصوّاب من تطبيقها على الواقع وتفسيرها بالرأي ، واين مكان النقص الذي تقصر فيه عن تفسير الواقع وموافقة الأحوال !

ويبدو لنا منهجه فى التفكير والمراجعة من اسلوب كتابيْه اللّذيْن عرض فيهما آراءه فى علل الضعف وشفعهما بما يقترحه لعلاج ذلك الضعف والوقوف به عند حده واستئصال أسبابه ودواعيه !

فهو فى كتاب « **امّ القُرَى** » يختار أسلوب المساجلة بين طائفة من أصحاب الآراء ، ليعرض على لسان كل منهم وجهة نظر يشرحها من جانبه ويتلقى الرد عليها من مخالفيه ومنهم من يعلل الضعف بالجهل ، ومن يعلله بالفقر ، أو يعلله بالاستبداد ، أو يعلله بالخوف والجبن وفساد الاخلاق ، أو يعلله بالتواكل والتسليم للمقادير ، ومنهم من يلقي

(*) الرحالة عبد الرحمن الكواكبي : عباس العقاد .

التبعة فيه على الأمراء أو العلماء أو الخاصة دون العامة ، أو على العامة دون الخاصة . ويعود باللائمة تارة على المسلمين ، وتارة على أعداء الاسلام . ثم يتراءى للقارئ من بيْن مَطارِح الأفكار ومذاهِب الحوَار مبلغ كل علة من الاثر ومبلغ كل اثر من الأصالة فى الضرر ومبلغ الاشتراك بينهما فى التأثير ، وايهما احق بالابتداء او احق بالارجاء .

وانما يطَّلعُ القارئ فى الواقع على رَأْيِ مفكّر واحد يذهَبُ بالنّظر فى شتىّ مذاهبه ، ويراجع نفسه فيما يعنّ له من خواطره التي طَرات له فامتحنها وثبت عليها أو عدل عنها

اما أسلوبه فى كتاب « **طبائع الاستبداد** » فهو أسلوب التقسيم واستيفاء الكلام على كل موضوع من الموضوعات أخذا وردا وشرحا واستدراكا وتقليبا للفكرة على وجوهها كما تطورت فى ذهن صاحبها وتقدمت بين بدايتها ونهاية التفكير فيها ، وكل موضوع من موضوعات الكتاب عن الدين او المجد أو العلم أو المال او السياسة بحث مفروغ منه بين جوانب المناقشة وخواطر الظن والاستدراك وادلة التشكيك والتنفيد مما ينم عن بحث طويل فى ذلك الموضوع لم يقف عند سوانحه الأولى من الظن العاجل والراي الفطير .

فمن اليسير ــ من أجل هذا ــ أن نسمي دعوة « **الكواكبي** » فلسفة اجتماعية ، او نسميها مذهبا فلسفيا . . ولكننا لم نشأ أنْ نسميها بشيءٍ من ذلك لأنّ الدعوة هنا عمل يزيد عن التفكير . . .

فالدعوة التي تسمى فلسفة تدور على البحث والنظر ، ثم تَترُكُ العمل على قواعدها لمن يؤمنُ بها ويقدِر على تطبيقها ، وقد يكون البحث فيها مطلقا غير محدد بزمن من الازمنة أو بلد من البلدان ، ولكنه يُرْسَلُ على اطلاقه كما ترسل القوانين الرياضية لمن يخترع لها ادواتها ويوفق بينها وبين مطالبها . فهي فكرة معلقة على زمن مجهول غير محدود .

ولا نحسب اننا نسمي دعوة « **الكواكبي** » باسمها الصحيح اذا سَمّيْنَاها مذْهَباً فلسفيا . ! **فصاحب « ام القرى » لا يعرض لنا فكرة معلقة على مجال ولا يعرض لنا مذهبا نقابله بمذهب يعقب عليه ، ولكنه يعرض لنا برنامجا يتبعه عمل وقرار تنتهي إليه مذاهب الخلاف .**

ب ــ فلسفة الصوم (*)

من العبادات القديمة فى تاريخ التدين عبادة **الصوم** بانواعه الكثيرة ...

ومن المرجح دائما ان العقائد التي تلازم النفوس زمنا طويلا لا ترجع فى نشأتها الى اصل واحد ولا علة واحدة ، والصيام احد هذه العقائد التي تحصى لها اصول كثيرة **فى علم الأجناس البشرية وعلم المقابلة بين الأديان ...**

(*) على الاثير : عباس العقاد .

فهو فى بعض مظاهره ضَرْبٌ من عبادة الموتى أوعبادة الأرواح ...

فكان بعض الناس يجوعون باختيارهم حُزْناً على موتاهم ، ثم تطور هذا الصوم فأصبح مفروضا على الأحياء ترضية لأرواح الموتى ، لكيلا تغضب هذه الأرواح اذا تمتّع الأحياء بالطعام وبالشراب وهي محرومة منه .

وبعض الصيام يرجع إلى ارضاء ارباب القبيلة ولا سِيَّما الأرباب التي تتكفل لها بالنصر فى ميادين القتال . وهناك أسباب أخرى تقترن بنشأة الصوم فى القبائل الهمجية الأولى .

وقد تعَدّدَتْ حِكَمُ الصَّوْمِ فى رَأْيِ رِجَالِ الدِّين من المسلمين وغير المسلمين ، فحكمة الصوم عند بعضهم أنه تعليم للأغنياء ليشعروا بحاجة الفقراء ، وحكمته عند بعضهم أنه تكفير عن الخطايا بعقاب الأجساد التي تعاني ما تعانيه من الجوع والظمأ ، وعند بعضهم أنه تطهير للجسم وتنزيه عن الحاجات الحيوانية الى الطعام والشراب . واحسن الحكم موقعا من العقل والنفس ان **الصوم تدريب للعزيمة والخلق وتغليب لقوة الروح** . وهو شرف انساني لا يزهد فيه الأغنياء ولا الفقراء . وكل من هؤلاء وهؤلاء مفروض عايه الصيام .

كذلك تنزيه الجسد عن المطالب الحيوانية لا يمنع الانسان أن يشعر على كل حال بأنه محتاج الى الطعام والشراب ، ولا مصلحة له فى نسيان هذه الحقيقة ما دام يذكرها دائما بعد ذلك النسيان .

فأحسن ما يقال فى حكمة الصوم كما فرضته الأديان الكتابية انه **رياضة نفسية وانه تدريب للخلق والارادة .**

والذين ينكرون الأديان ويذكرن للصوم أضرارا جسدية يغفلون عن الواقع الذي كان فى وسعهم أن يتنبهوا إليه . لأن التمرينات العسكرية كثيرا ما تقوم على فرض الشدائد الجسدية على الجنود تصحيحا لأجسامهم وتعويدا لهم على مقاومة الطوارىء التي يستهدفون لها من قِبَلِ الحرّ والبرْد ، واختلاف الطعام والشراب . كثيرا ما يفرض الأطباء نوعا من الصيام على بعض المرضى فيستفيدون منه ، ولا يمنعهم من تحقيق فائدته انهم يغيرون عادات التغذية أو مواعيدها بضعة أيام أو بضعة أسابيع .

أما الذين يأخذون على الصيام انه انكار للذات وبقية من بقايا تعذيب الجسد فى شريعة الهنود الأقدمين ـــ فهؤلاء يعكسون معنى الصيام من النقيض الى النقيض ، لأن **الصيام اثبات للارادة وتقرير للعزيمة . ومن اثبت ارادته وقرر عزيمته فهو فى الواقع يعزز نفسه ولا ينفيها أو ينكرها** ، وعلى نقيض ذلك من سخر نفسه لشهواته واستسلم للمغريات التي تحيط به ، فانه فى الواقع ضائع النفس منكر الذات ، متقلب بين العوامل الحسية كما تتقلب الريشة فى مهاب الرياح ، وليس أثبت نفسا ولا أبعد من فناء الذات ممن يعرف له نفسا مستقلة عن اغراء المطامع والشهوات أو يسيطر بارادته على معيشته فى الزم الأشياء لجسده ، وهما الطعام والشراب .

فالصيام رياضة معقولة ، ورياضة قَوِيّة ، وليستْ هي رياضة الأمم التي تَعافُ الحياة وتزهد فى نصيبها من الدنيا ، بل هي رياضة الأمم السيِّدة المطاعَة ، لأن **الارادة أول شرط من شروط السيادة** ، وليس اظهر من قوة الارادة فى اداء فريضة الصــيام ...

ونعتقد ان **طريقة الصيام فى الاسلام هي أنفع الطرق فى تربية الارادة واستقلالها عن العادة** التي تشبه الأوامر الآلية فى بعض الأحيان . لأن العزيمة تتجدد بالصيام الاسلامي كل يوم ، اذْ يتحوَّل الصائم كل يوم من اباحة المطاعم والمناعم فى ساعات الليل الى تحريمها فى ساعات النهار ، وهذه مزية للطريقة الاسلامية تجعل العزيمة أمرا متجددا ما بين الصباح والمساء ، ولا تلحقها بحكم العادة التي يستمر عليها الصائم ثم يألفها بالاستمرار فلا يحتاج إلى القوة النفسية التي يحتاج اليها فى أوائل الصيام . ومن استطاع فى كل يوم ان يعقد عزمه على الصوم شهرا كاملا فتلك استطاعة باقية لا تخذله بقية أيام السنة ، ولا تحتاج إلى مرانة أطول من هذه المرانة فى كل عــام .

ولا يحسب على الصيام ما يقع فيه بعض الناس من الشطط والاسراف ، أو من سرعة الانتقال بين الحرمان المطلق قبل غروب الشمس الى المتاع المطلق بعد الغروب . فكل رياضة من الرياضات هي عرضة لمثل ذلك الشطط وذلك الاسراف ، ومن تجاوز الحد فى السباحة أو فى العدو أو فى حمل الأثقال فانما اللوم عليه فيما يصيبه وليس على فنون الرياضة التي يقصدها الرياضيون .

على أن الصيام قد أصبحت له فى العالم الاسلامي اليوم مزية غير مزية الرياضة الروحية والفريضة الدينية ، لأنه أصبح موسما اجتماعيا تتغير به مظاهر الحياة البيتية والاجتماعية فى بلاد المسلمين . ولا نظير لهذا **الموسم الاجتماعي** بين أبناء الأديان الأخرى على اختلاف مذاهبها فى الصيام ، لأن الزائر الغريب قلما يشعر بفرق ظاهر بين الحياة العامة التي يحياها أبناء تلك الأديان فى أيام الصيام ، وفى غير أيامه ، ولكنه يشعر بهذا الفرق فى كل مكان حيثما نزل بأمة من الأمم الاسلامية ، لأن ليالي رمضان بسهراتها وزياراتها وافراح الأطفال فيها هي موسم نادر المثال بين مواسم السَّنَةِ وفصولها ، وهي الفرصة التي تُتَاح فيها **الأُلْفَة** بين الناس أشد ما تتاح بين جموع تتكون من الملايين وعشرات الملايين ، فموسم رمضان هو موسم **أسرة واحدة** تأكل فى موعد واحد وتسهر على نمط واحد وتصلي وتتلو الدعاء فى أوقات معلومة لكل فرد من افرادها وتتزاور وتتشاور ، وتعمل ما وسعها لبسط السلام ومنع الخصام ، وهذه الأسرة الواحدة هي أمم الاسلام .

للمطالعة

التعـريب بين الامس واليـوم

اللغة كائن اجتماعي ينبض بالحياة ، ويتأثر بالمناخ الذي يعيش فيه ، فهي تزدهر وتنشط في ظل الانتفاضات السياسية والاجتماعية والفكرية ، وتمضي مُسايرة لحركة الحياة من حولها ، وَيَعْتَرِيها من الصفات ما يجعلها خليقة بذلك ، فتثرى مفرداتها بسبب ما يضاف اليها من مصطلحات ومفاهيم علمية وادبية ، وتسهل قواعدُها نتيجة لجهود العلماء الذين يتوفرون لخدمتها والاشتغال بها ، وتقترب الهوّة بين الفصحى والعاميّة ؛ اثرًا من آثار تقارب الفكر بين عامة الناس والجماعة المثقفة من العلماء والادباء ، وتنتشر في الارض بسبب إقبال كثير من الناس على تعلمها اخذا بأسباب الرُّقيّ .

امّا اذا تردّتْ الامة في دركات الضعف ، سَفَّتْ لغتها ، وتقوْقعتْ داخل حدود مُعيَّنة ، وانصرف الناس عنها إلى غيرها ، حتى ابناؤها المتطلعون إلى السمو والتقدم .

وتاريخ البشرية سِجِلٌ حافل بترديد هذه الحقيقة ، ويكفي أنْ نُلقِي نظرة على تاريخ امتنا الاسلامية لنستخلص منه أكثر من شاهد ودليل :

ففي بداية عصر النهضة الاسلامية (*) امتدّتْ حدود الخلافة الاسلامية من بلاد السِّنْد والصِّين في الشرق إلى جبال البرانس في أوربا غربًا ، وردد الناس في هذه البلاد لغة القرآن الكريم التي لم تقف عند حد التعبير عن المتطلبات الروحية فحسب بل استحوزت على جميع جوانب مطالب الانسان المادية والعلمية في ذلك الوقت ، وكان عامل التعريب من بين العوامل الهامة التي أُكْتسِبْتُها تلك المميزات .

فقد شهد القرن الثاني للهجرة طوفانا من بحور التعريب تدفّقت من حضارات اليونان والرومان والهند والفرس ، وشملت علوم الطب والهندسة والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق والأدب والفنون .

وكان لحركة التعريب أثر كبير في كيان الأمة الاسلامية من الناحيتين المادية والروحية فحينما أثمرت حركة التعريب في تلقيح الفكر العربي غدت اللغة العربية

(*) اواخر حكم الخلافة الاموية ومستهل حكم الخلافة العباسية في القرن الثاني للهجرة .

مقصدا لطلاب المعرفة من شتى بقاع الأرض يفدون على الجامعات العربية زرافات ووحدانا واستقبلت جامعات قرطبة بالأندلس العديد من الوافدين اليها من الطلاب الأوربيين .

ولم يكن تفوق المسلمين فى ميدان الفنون الحربية على أعدائهم فى تلك الحقبة من التاريخ - بمنفصل عن كيان التقدم العلمي والتقني الذي حوته لغتهم العربية . فبعلم « الكيمياء » العربية استطاع أحد العلماء أن يصنع نوعا من القنابل الحارقة اذهلت الصليبيين ودمرت حصونهم المنيعة فى مدينة « عكا » وسقطت على أيدي جيوش الناصر صلاح الدين الأيوبي فى 8 جويليه 1181 م .

ولقد أدركت أوربا ما تحتويه لغة العرب من حضارة فجدت فى نقلها الى لغاتها المتعددة قبيل نهضتها المعاصرة التي أخذت فى النمو ابتداء من أوائل القرن الخامس عشر الميلادي .

وفى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي اتجه العرب الى التعريب من جديد واخذوا ينقلون الى اللغة العربية ثقافات الأمم المتقدمة فى العصر الحديث وما زالت هذه الحركة موضع اهتمام كبير فى جميع البلاد العربية .

وهذا المفهوم السابق للتعريب شيء آخر يختلف عن مفهوم قضية التعريب التي تمر بها الجزائر فى هذه الفترة الراهنة من تاريخنا ، فليس التعريب هو الترجمة أو نقل التراث الحضاري من اللغات الأجنبية الى لغتنا العربية وانما التعريب عندنا هو : عودة الشخصية الجزائرية الى كيانها الأصلي والحقيقي بعد أن كادت تمزقها يد الاستعمار البغيض (*) .

انه بهذا المعنى مطلب مادي وروحي معا ... مطلب مادي ، لأنه يحدد ابعاد شخصيتنا ويرسم معالم كياننا ووجودنا فى هذه الحياة ... ومطلب روحي لأنه يرتبط بديننا وعقيدتنا ، فالجزائر أمة مسلمة ، واللغة العربية هي ترجمان الاسلام ، بها سُطِّرَ دستوره الخالد المتمثل فى القرآن الكريم والسنة الشريفة (ومن حاول اصلاح أمة اسلامية بغير دينها فقد عرض وحدتها للانحلال وجسمها للتلاشي ، وصار هادما لعرشها بنيّة تشْييده ، ومن أعرض عن اللغة العربية فقد أعرض عن ذكر ربه) (**) !

(*) حرص الاستعمار خلال الحقبة الطويلة التي جسم فيها على صدر البلاد بكل قوة ان يمحو الشخصية الجزائرية ، فجند كل طاقاته لذلك . واصدر فى عام 1904 م قانونا يمنع التعليم باللغة العربية الا برخصة تحدد نشاطه ووُفِّقَ شروط اهمّها : اقتصار التعليم على تحفيظ القرآن الكريم لا غير ، عدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعو الى التحرر من الظلم والاستبداد ، استبعاد دراسة التاريخ العربي والاسلامي والتاريخ المحلي ، استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه . والى جانب ذلك فقد عمد الاستعمار الى فرنسة الادارة والاقتصاد والتعليم وحارب العقيدة الاسلامية وجعل من مساجدها كنائس وثكنات بل واتخذ منها احيانا اصطبلات . (التعريب فى الجزائر ، المؤتمر الثاني - ديسمبر 1973 ، ص 4) .

(**) من كلمات الشيخ مبارك الميلي ، الفكر والثقافة فى شمال افريقيا - انور الجندي - ص 301

وإذا كانت ارادة شعبنا التي تستمد قوتها من ارادة الله وقفت ـ في صلابة ـ أمام أطماع المستعمرين ، وحققت انتصارات عسكرية وسياسية واقتصادية ، وردت للجزائر وجهها الأصيل ، واستعادت بذلك شخصيتها الحقيقية ، فان معالم هذا الوجه وتلك الشخصية تظل شوهاء ما لم يكتمل لها جانبها الثقافي . وأول مقومات استقلالنا الثقافي هو استرداد شخصيتنا العربية وتخليصها من شوائب اللقاح الأجنبي الدخيل ولن يكتمل استقلالنا الثقافي الا بعودة اللسان العربي المعبر عن الفكر والمترجم عن الاحساس القومي والديني ، فاللغة هي المظهر الخارجي للشخصية :

« وإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَـانُ عَلَى الفُؤَادِ دَلِيـلا » .

والتعريب الذي يكمل استقلالنا ليس هو التعريب اللغوي فحسب فإن هذا التعريب وحده لا يكفي ، وانما التعريب الذي تنشده امتنا هو القيمة الرُّوحيَّة والقدرة النفسية والملكة الذِّهْنيّة التي تنْعكس على التفكير والتعبير ، وتظهر في السلوك والعادات والتقاليد ، فهو كما يوضحه الدكتور عبد الله الركيبي بقوله :

« ان من يقرأ بالعربية أو يكتبها قد يلتقي مع أيِّ أجنبي يحسن العربية ، يلتقي مع المستشرق الذي يتقن العربية قبل أصحابها ، ويلتقي مع من يتعلم لغة اجنبية بغرض التعامل مع أصحابها ، في حين أن التفكير هو المهم في الموضوع فربما وجدنا مواطنا لا يحسن العربية ، ومع هذا يدافع عن العربية والعروبة أكثر من بعض الذين يتقنون العربية فالذين ينظرون إلى التعريب نظرة لغوية يحرفونه عن مضمونه ويسعون في الوقت نفسه إلى تكريس الاقليمية ويعملون على استمرار التجزئة وابقاء الأمة العربية جسدا بلا روح ، فالوحدة لا تتم مع الاقليمية ، ولا مع التعريب اللغوي وانما تتم مع التجانس الفكري ، مع تعريب التفكير » (*) .

ان الدعوة الجادة الى التعريب لا تحمل من قريب أو بعيد انغلاقا على العالم المتمدين أو الجهل باللغات الحية ، أو تَقَوْقُعنا داخل حدود معارف لغتنا وحدَها . انَّ الذي يعتز بشخصيته ، يعتز بلغته ، والذي يعتز بلغته يعتز بفكره ، ومن ثَمَّ يكون حريصا على دوام امداده بالزاد ، عن طريق معرفة اللغات الأخرى ونَقْل ما تحمله من تيَّارات وآراء وحضارة تناسب طبيعتناودينِنا وعاداتنا وتقاليدنا ، ثم صبّه في بَوْتَقَة لغتنا ، لِينْصَهِر بروحنا ويصبِحَ غذاء ناضجا سهل الهضم لذيذ المذاق .

(*) مجلة الاصالة عدد 17 ، 18 ـ ديسمبر 1973 جانفي .

ومع ان قضية التعريب مطلب جماهيري إلّا انّها ككل مطالب الشعوب تحتاج إلى جهود فى سبيل تحقيق غاياتها ، وإلى قوة تتغلب بها على اجْتِياز العقبات التي تعْترضُ طريقها ، لكنّها تبقى ـ دائما ـ عوائق هشّة وموْقُوتة ، لا تلبثُ ان تزول امام تيّار ارادة الأمة الواعية ، وهذا ما تُبدو آثاره فى مختلف المجالات الرسمية والشعبية فى بلادنا فقد خطت الوزارات والمصالح الحكومية تدْفُعها ارادة الجماهير خطوات هامة فى طريق التعريب .

ففي مجال التعليم ،َتمّ تعريب المرحلة الابتدائية ، وفتحتْ مدارس ثانوية كاملة التعريب بقسميها الأدبي والعلمي ، وشهدت الجامعات انطلاقة واسعة سواء فى مجال الدراسات الانسانية أو كليات العلوم .

وظهر العديد من الصحف والمجلات العربية كصحيفة الشعب والنصر ومجلة الثقافة ومجلة الوان ، ومجلة الأثير .

ونسبة البرامج المعربة المذاعة عن طريق المذياع او التلفزة فى نُمُوٍّ مطرد وقامت وزارة التعليم الأصلي وَالشؤون الدينية بإنشاء المعاهد الدينية ، واستضافت عددا من الطلاب الأفارقة المسلمين ، وفتحت الجامعة الشعبية .

ونجحت وزارة العدل فى أن تجْعل من اللغة العربية لغة القضاء فى جميع مؤسساتها القضائية .

وفى شتى الوزارات جهود تختلف قوة وضعفا نتيجة لما يُتاَح لها من امكانيات وظروف . وان ما أفسده الاستعمار فى قرنٍ وثلث من الزمان سوف نُعيد إصلاحه بمشيئة الله فى بضع سنوات بمزيد من العزم والارادة المنبثقة عن الاقتناع والايمان ، كُلّ انسانٍ من خلال تحمّله مسئوليته فى بناء وتشييد صرح أمتنا المجيدة .

13

فروســـية



المـــــازني

(1308 - 1369 هـ) — (1890 - 1949 م)

تعريف وتمهيـــد :

ولد الكاتب الساخر « **ابراهيم عبد القادر المازني** » فى مدينة القاهرة ، وتعلم فى مدارسها الابتدائية والثانوية والعالية ، وبعد تخرجه من مدرسة « **المعلمين العليا** » اشتغل بالتدريس فى المدارس الحكومية ، ثم تركه وتنقل ما بين العمل بالتدريس فى المدارس الحرة والصحافة ، حتى وافته المنية عام 1949 م .

والمازني **ناقد وناثر وشاعر ومترجم** ، أجاد اللغتين العربية والانجليزية وجدد فى الأدب العربي الحديث . وله كتب فى الأدب والنقد منها : « **حصـــاد الهشيم** » ، « **قبض الريـــح** » ، « **خيـــوط العنبوت** » ، « **من النافذة** » ، « **ثلاثة رجال وامراة** » ، « **صندوق الدنيا** » ، « **ابراهيم الكاتب** » و « **الديوان** » (*) .

وتجمعت عوامل مختلفة جعلت من المازني **كاتبا ساخرا** ، فقد كان قصيرا ، ضئيل الحجم ، شديد الذكاء والحساسية ، ألمت به محن كثيرة فى حياته : من يتم فى صباه ، الى قسوة المنون عليه فى اختطاف زوجه الأولى والثانية ، ثم ابنته الوحيدة ، واصيب بكسر فى ساقه لازمه حتى الموت .فنظر الى الحياة نظرة الساخر . وانعكس ذلك على أسلوبه حتى **اصبحت السخرية طابعا مميزا له** بين كتاب العصر الحديث .

وكان المازني **شغوفا بالقصة والاقصوصة** يترجم ما راق له من عيون الأدب الأوربي ، ويؤلف **باسلوبه القصصي** فى شتى الأغراض والموضوعات والنص الذي نقدمه لك من كتابه « **صندوق الدنيا** » ، الذي ضمنه مجموعة من الأقاصيص ، واخترنا لك واحدة منها ، لتتعرف من خلالها على **فن الفكاهة** فى الأدب العربي الحديث ، وطبيعة السخرية التي امتاز بها المازني .

النــــص :

« دُعِيَنا أَنا وطَائفةٌ مِنَ الْإِخْوَانِ إِلَى قَضَاءِ يَوْمَيْنِ فِي ضَيْعَةِ أَحَدِهِمْ ، وكَانَتْ قَرِيَبةً من إِحْدَى الضَّوَاحِي ، فَرَكِبْنَا الْقِطَارَ إِلى . . . وهُنَاكَ وَجَدْنَا طَائفةً شَتَّى مِنَ الخيلِ والْبِغَالِ والْحَمِيرِ ، فتَوَهَّمْتُ فِي أَوّلِ الْأَمْرِ أنَّ هُنَاكَ سُوقًا لِلدَّوَابِّ ، أَوْ مَعْرِضًا لهَا . ثُمَّ عَلِمْتُ أَنَّهَا لِرُكُوبِنَا ، فاخْتَرْتُ مِن بَيْنِهَا حِمَارًا صَغِيرًا ، وهَمَمْتُ بِامْتِطَائِهِ ، ولَـكِنَّ

*) **الديـوان** : كتاب فى النقد الفه المازني بالاشتراك مع العقاد وطبع لأول مرة عام 1921 م .

صَاحِبَ الضَّيْعَةِ وَدَاعِينَا عَزَّ عَلَيْهِ أَنْ يَرْكَبَ الْمَازِنِي حِمَارًا ، وَجَاءَنِي بِجَوَادٍ أَصِيلٍ وَأَقْسَمَ عَلَيَّ لَأَرْكَبَنَّهُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَقُولَ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ رُكُوبَهُ وَإِنَّهُ لَا عَهْدَ لِي بِالْخَيْلِ وَدَنَوْتُ مِنْ بَعْضِ الْخَدَمِ وَهَمَسْتُ فِي أُذُنِهِ هَذَا السُّؤَالَ :

قُلْ لِي : كَيْفَ تَرْكَبُ هَـذَا الْحِصَانَ ؟

فَتَأَمَّلَنِي مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ وَعَلَى فَمِهِ طَيْفُ ابْتِسَامَةٍ : عَلَى ذَيْـلِهِ !

قُلْتُ : عَلَى مَاذَا ؟

قَالَ عَلَى ذَيْـلِهِ ، وَأَشَاحَ عَنِّي بِوَجْهِهِ .

فَذَهَبْتُ إِلَى الْجَوَادِ وَأَدَرْتُ عَيْنِي فِي ذَيْلِهِ ، ثُمَّ هَزَزْتُ رَأْسِي وَعُدْتُ إِلَى الْخَادِمِ أَسْأَلُـه :

أَلَا تَظُنُّ يَا صَاحِبِي أَنَّ الْأَحْزَمَ أَنْ أَمْتَطِيَهُ قَرِيبًا مِنَ الْعُنُقِ لِأَسْتَطِيعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ أَنْ أُطَوِّقَهُ بِذِرَاعَيَّ ؟

فَلَمْ يَزِدِ الرَّجُلُ عَلَى أَنْ قَالَ : رُبَّمَا ! وَانْصَرَفَ عَنِّي إِلَى سِوَايَ ؛

وَكُنَّا جَمِيعًا فِي هَرْجٍ وَمَرْجٍ ، نَصِيحُ وَنَضْحَكُ ، وَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ أَفْعَلَ شَيْـئًا ؛ فَنَادَيْتُ مُضِيفَنَا وَقُلْتُ لَهُ : أُرِيـدُ سُلَّماً .

قَالَ فِي دَهْشَةٍ : سُلَّمَـا ! مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ ؟

قُلْتُ : حَاجَتِي إِلَيْهِ أَنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْعَدَ ظَهْرَ هَذَا الْمُجَلِّي يَاصَاحِبِي !

فَضَحِكَ وَقَالَ : أَنَا أُسَاعِدُكَ ! وَدَفَعَنِي عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ دَفْعَـةً خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهَا سَتُلْقِينِي عَلَى الْأَرْضِ مِـنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْـرَى .

وَسِرْنَا مَسَافَةً عَلَى مَهَلٍ ، ثُمَّ وَخَزَ أَحَدُنَا دَابَّتَهُ فَمَضَتْ تَعْدُو ، وَاسْتَحَثَّ آخَـرُ مَطِيَّتَهُ وَانْطَلَقَ بِهَا وَرَاءَهُ ، وَاقْتَرَبَ مِنِّي ثَالِثٌ وَأَهْوَى عَلَى جَوَادِي بِعَصًا مَعَهُ فَوَثَبَ الْجَوَادُ وَرَاحَ يُسَابِقُ الرِّيحَ أَوْ هَكَذَا خُيِّلَ إِلَيَّ وَأَنَا أَعْـلُو وَأَهْبِطُ فَوْقَهُ ، ثُمَّ أَحْسَسْتُ أَنَّ أَمْعَائِي سَتَنْقَطِعُ ، وَأَتَلَمَّسُ بِيَدِي شَيْئًا أُمْسِكُهُ وَأَتَعَلَّقُ بِهِ ، فَيُفْلِتُ مِنْ قَبْضَتِي كُلُّ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ ، فَارْتَمَيْتُ عَلَى عُنُقِهِ وَطَوَّقْتُهُ وَجَعَلْتُ أُنَادِي مَنْ حَوْلِي وَأُنَاشِدُهُم الذِّمَّةَ

والضَّمِيرَ والْمُرُوءَةَ أَنْ يُوقِفُوا هَذَا الشَّيْطَانَ ، وأَدْرَكَ أَحَدَ إِخْوَانِي الْعَطْفُ عَلَيَّ فَصَاحَ بِي : وَلَكِنْ كَيْفَ نُوقِفُهُ ونَحْنُ رَاكِبُونَ ؟ فَغَاظَنِي مِنْهُ هَذَا الْبَلَهُ ، وَلَمْ يَفُتْنِي مَا فِي الموقِفِ مِنْ فُكَاهَةٍ عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الأَلَمِ الَّذِي أُعَانِيه ، ومِمَّا أَتَوَقَّعُهُ إِذَا ظَلَّ الْجَـوادُ يَرْكُضُ بِي ، فَقُلْتُ لَهُ : يا أَبْلَهُ ، انْزِلْ واقْبِضْ عَلَى ذَيْلِ حصَانِي وشُدَّهُ !

وكَانَ أَحَدُ الْخَدَمِ قَدْ أَدْرَكَنِي ، وأَمْسَكَ بِاللِّجَـامِ ، وَرَدَّ الْجَـوَادَ . فَمَا أَسْرَعَ مَا انْحَدَرْتُ عَنْهُ ، وكَأَنَّمَا أَعْجَبَتْنِي جِلْسَتِي عَلَى الأَرْضِ ، فَأَخْرَجْتُ سِيجَارَةً وأَشْعَلْتُهَا وذَهَبْتُ أُدَخِّنُ . وجَاءَنِي مُضِيفُنَا عَلَى أَتَانِهِ ، فَسَأَلَنِي : أَتنوِي أَنْ تَقْعُدَ هُنا إِلَى الأَبَدِ؟ فَأَغْضَيْتُ عَلَى سُؤَالِهِ فَقُلْتُ : إِنَّ بِي حَاجَةً إِلى الشُّعُورِ بِثَبَاتِ الأَرْضِ بَعْدَ كُلِّ هَذَا التَّقَلْقُلِ وتِلْكَ الزَّعْزَعَةِ ! . قَالَ : ولَكِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تظَلَّ جَالِسًا هَكَذَا ، إِنَّ أَمَامَنَا سَيْرَ سَاعَةٍ ! قلتُ : سَأَلْحَقُ بِكُمْ إِذًا أَوْ أَرْجِعُ إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ رُكُوبِ هَذَا الزِّلْزَالِ ! قَالَ : ولَـكِنْ لاَ يَلِيقُ أَنْ تَرْكَبَ حِمَارًا ! قُلْتُ ، وَقَدْ صَارَ فِي وُسْعِي أَنْ أَضحَكَ : فِي وُسْعِكَ أَنْ تُعَلِّقَ وَرَقَةً تَكْتُبُ فِيهَا « انَّهُ جَوَادٌ مُطَهَّمٌ » ! قَالَ : لاَ تَمْزَحْ ، قُم ارْكَبْ حِمَارِي هَذَا ! قُلْتُ : إِذَا كَانَ الْحِمَارُ عَالِياً فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الْجَوَادِ ؟

قَالَ بِلَهْجَةِ الْيَائِسِ أَو الْمُنْتَقِمِ : إِذًا خُذْ هَذَا ! وأَشَارَ إِلَى جَحْشٍ قَمِيءٍ مَهِينٍ يَرْكَبُهُ خَادِمٌ ، لا سَرْجَ عَلَيْهِ وَلاَ لِجَامَ لَهُ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ وامْتَطَيْتُهُ بِوَثْبَةٍ وَاحِدَةٍ وبِلا مُعِينٍ ، واعْتَرَضَتْنَا قَنَاةٌ عَرِيضَةٌ عَلَيْهَا أَلْوَاحٌ مثبتةٌ تَقُومُ مقَامَ الْجِسْرِ ، وبَيْنَ الأَلْوَاحِ المَـاءُ تَحْتَهَا مِتْرٌ عَلَى الأَقَلِّ ، فَلَمَّا تَوَسَّطَهَا الْجَحْشُ بَدَا لَهُ أَنْ يَقِفَ ، وَرَاقَهُ مَنْظَرُ الْمَـاءِ فَأَجَالَ فِيه عَيْنَيْهِ بُرْهَةً ثُمَّ خَطَا إِلَى حَافَّةِ الْجِسْرِ ـ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَاجِزٌ ـ ومَدَّ عُنُقَهُ إِلَى الْمَـاءِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَصِيرُ النَّظَرِ ، وأَنَّهُ يَفْعَلُ ذلِكَ لِيكُونَ أَقْدَرَ عَلَى رُؤْيَةِ خَيَالِهِ فِي الْمَـاءِ واجْتِلاَءِ طَلْعَتِه الْبَهِيَّةِ فِي صِقَالِهِ ، ولكِنَّهُمْ قَالُوا لِي : إِنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَشْرَبَ ، فَنَزَلْتُ عَنْهُ وقُلْتُ لَهُ : يا عَزِيزِي إِنَّ مِنْ دَوَاعِي أَسَفِي أَنِّي مُضطرٌ أَنْ أَتْرُكَكَ إِلَى الْمَـاءِ وَحْدَكَ فَإِنَّ ثِيَابِي يُفْسِدُهَا المَـاءُ ، وهي غَالِيةٌ إِذَا كَانَتْ حَيَاتِي رَخِيصَةً .

ولَـكِنَّهُ بَعْدَ أَنْ فَكَّرَ قَلِيلاً غَيَّرَ رَأْيَهُ ، إِمَّا لأَنَّ الصُّورَةَ الَّتِي طَالَعَتْهُ فِي الْمَـاءِ كَانَتْ مُضطرِبَةً مُشَوَّهَةً ، وعَجَزَ المَـاءُ عَنْ أَدَاءِ ما فِيهَا مِنْ جَمال وَرَوْعَةٍ ، أَوْ لاِعْتِبَـارَاتٍ حِمَارِيَّةٍ أُخْرَى لَمْ يُكَاشِفْنِي بِها . فَأَدَارَ وَجْهَهُ ومَضَى غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَيَّ ، غَيْرَ أَنِّي لَحِقْتُ بِهِ بَعْدَ أَنْ اجْتَازَ الْجِسْرَ ، وقُلْتُ لَهُ : تَعالَ ، لاَ تَهْرُبْ مِنِّي يَاصَاحِبِي ، وكُنْتُ عَلَى ظَهْرِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِن الاعْتِرَاضِ أَو الاحْتِجَاجِ أَوِ الإِفْلاَتِ .

وَيطُولُ بِنَا الْكَلَامُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصِفَ كُلَّ مَا أَمْتَعَنِي بِهِ مِنَ الْفَكَاهَاتِ الْعِلْمِيَّةِ . فَقَدْ كَانَ فِيه عِنَادٌ وَصَلَفٌ ، وكَانَ يَأْبَى أَنْ يَتوسَّطَ الطَّرِيقَ ، ولا يُرْضِيهِ إِلَّا أَنْ يَحُكَّ جَنْبَهُ فِي كُلِّ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرَةٍ أَوْ عَرَبَةٍ أَوْ حَائِطٍ . وَكَانَ رُبَّما وَقَفَ وَغَرَسَ رِجْلَيْهِ فِي الْأَرْضِ وَنَامَ ، وتَعَوَّدْتُ مِنه ذَلِكَ ، وفَطِنْتُ إِلى أَنَّهُ ذُو مِزَاجٍ مُسْتَقِلٍّ ، فَكُنْتُ أَتْرُكُهُ وَاقِفًا حَتَّى يَنْتَبِهَ مِنْ هَذِهِ الإِغْفَاءَاتِ أَوْ يَعُودَ من سبحاتِ عَقْلِهِ السُّقْرَاطِيَّةِ فَيَسْتَأْنِفَ السَّيْرَ .

وَحَسْبِي وحَسْبُ الْقُرَّاءِ أَنْ أَقُولَ لَهُم : إِنِّي أَسِفْتُ عَلَى فِرَاقِهِ لَمَّا انْتَهتِ الرِّحَلَةُ وَتَمَنَّيْتُ لو أَنَّ صُحْبَتَنَا كَانَتْ أَطْوَلَ .

دراســة الأفكــار :

القالب الذي صاغ فيه الكاتب تجربته الفنية ينتمي الى **جنس ادبي** يسمى « **الاقصوصة** » .

والغرض الذي ينتمي اليه موضوع الاقصوصة هو « **الفكاهة** » وقالب الاقصوصة بمفاهيمه المحددة فى النقد الحديث جديد على الأدب العربي . اما موضوع الفكاهة فليس جديدا ، وان ظهر فى الأدب الحديث بصفة تختلف عن الصبغة القديمة .

وافكار الاقصوصة بسيطة **ليس فيها ابتكار** او عمق او تحليل لظواهر نفسية او اجتماعية ، والكاتب لا يهدف الى شيء أكثر من التظرف فى الحديث والامتاع الفكري

وموضوع الاقصوصة **وصف رحلة** شارك فيها الكاتب مع بعض اصدقائه لزيارة صديق ثري فى مزرعته ، وقد استخدموا الخيول والحمير فى الوصول الى المزرعة . ويفيض الكاتب فى وصف ما حدث له عندما ركب الحصان ، فأزعجه لسرعته ، ثم استبدله بحمار ضعيف له مزاج خاص .

ولكن الجديد فى الاقصوصة ، والطريف : هو عرض هذه الاحداث فى **اسلوب قصصي** فيه سخرية وجاذبية وامتاع .

والاقصوصة بزمانها ومكانها واحداثها تعتبر من « **الأدب المحلي** » الذي يمثل البيئة والمجتمع المصري فى عصر الكاتب .

واوضح مظاهره « **الاقطاع** » المتمثل فى الضيعة وصاحبها وما عنده من دواب وخـدم .

اما **احداث القصة** فهي قليلة ولكنها واضحة مفصلة وثيقة الترابط والترتيب تتابع فى نمو حتى تكون الازمة أو « **العقدة** » وهي تتجلى فى هذه الاقصوصة عند الموقف الذي يجلس فيه الكاتب على الأرض ويرفض استمرار ركوبه الحصان ويعرض على صديقه فكرة الرجوع وعدم اتمام الرحلة .

وبعدها ياتي « **الحل** » عندما يمتطي حمارا ضعيفا لا يخشى من ركوبه خطرا وهذا الحل يتفق ورغبة البطل ويشعر معه بالسعادة والراحة فيعكس ذلك على قارئيــه .

اما شخصيات الاقصوصة فاهمها البطل وهو الكاتب وقد أبدع فى وصف مشاعره وخوالج نفسه وهو بحق بارع فى التعبير عن ذاته . ينسج من روحه**اسلوبا شفافا** فلا يكتم فى داخله شيئا ، بل يكشف عن جميع خطراته وهواجسه وكل ما يدور براسه من تصورات وأفكار .

وقد رسم الكاتب صورة البطل منسجمة تماما فى اقوالها وافعالها مع الملامح العامة التي أعطاها لها . وبقية شخصيات القصة ثانوية استعان بها الكاتب فى **تنوع الأسلوب** وتنقله بين الوصف والحوار .

والاقصوصة بعناصرها **الفنية** مظهر من مظاهر تاثير الحضارة الاوربية فى الأدب العربي الحديث .

دراســة الأســلوب :

لم يستعن الكاتب بالأساليب البيانية فى النص بل عمد الى التعبير المباشر المطول محاولا تجسيم الصورة ووضعها امام القارئ .

وقد اكسب الحوار اسلوبه حيوية تدفع الملل ، فتعددت فيه « الأساليب الانشائية » المختلفة الأغراض الى جانب « الأساليب الخبرية » .

ولا يخفى عليك الوقوف على هذه الأساليب وادراك معانيها . واسلوبه المباشر ينساب دون كلفة بعيدا عن « المحسنات اللفظية » المصطنعة وان جاء ببعض المحسنات فهي قليلة وطبيعية . من ذلك « الجناس » فى قوله :

« هــرج ومــرج »

والطباق فى قــوله :

« خيل الي وانا اعلــو واهبط »

والمقــابلة فى قوله :

«ثيابي غالية اذا كانت حياتي رخيصة »

ويمكن أن نلاحظ على الأسلوب بصورة عامة ميله الى البساطة والسهولة وان جنح فى بعض الأحيان الى استخدام كلمات جزلة قوية مثل كلمتي « **المجلي** » ، « **المطهم** » وغيرهما فى بعض جمل الأقصوصة ، ولكن ذلك لا يؤثر فى وضوح الفكرة ومتابعتها فى يسر .

كما تلاحظ على أسلوبه الاستطراد فى الوصف والعناية بالتفاصيل والمبالغة فى تصوير الأحداث سواء أكان الكاتب جادا أم هازلا .

وتتضح لك المبالغة فى قوله :

« دفعني على ظهر الجواد دفعة خيل الى انها ستلقيني على الارض من النـاحية الأخرى » .

وأوضح سمات أسلوبـه السخرية وهي روح الكـاتب فى أدبـه تشمـله موضعا وعاطفة وفكرة واسلوبا .

مجمـل القـول

- **النص اقصوصة فكاهية ، موضوعها بسيط فيه جاذبية وامتاع واثارة وتسلية . والاقصوصة بزمانها ومكانها من الأدب المحلي ، الذي يمثل البيئة المصرية في عصر الـكاتب .**
- **اسلوب النص سهل واضح يتنوع بين الوصف والحوار وفيه استطراد وعناية بالتفاصيل ، ويعتمد على التعبير المباشر ، والمبالغة في الوصف . وتشيع فيه روح السخرية .**

المنـــاقشـــة :

1 ـ الى اي جنس ادبي ينتمي هذا النص ؟ وما مقوماته الفنية ؟
2 ـ ماذا تعرف عن أدب الفكاهة العربية قديما وحديثا ؟ أشر الى نماذج من ذلك .
3 ـ ما رأيك في موضوع القصة وقيمته ؟
4 ـ « المـازني » كاتب ساخر دفعته ظروفه الى هذا اللون من الكتابة . ناقش هذه العبـارة .
5 ـ هل نجح الـكاتب في تصوير شخصية البطل ؟ وكيف ؟
6 ـ عرف أسلوب الكاتب بالمبالغة في وصف الأحـداث ، والاستطـراد والعنـاية بالتفاصيل . وضح هذه الخصائص من الأقصوصة من غير ما ورد في الدراسة .
7 ـ تخـير من الأقصوصـة أسلوبا انشائيا ووضحه .
8 ـ اي عبارات القصـة أثارت ضحكك ؟ وأي أحداثها أهاج سرورك وامتاعك ؟ ولماذا ؟

المقـــال الأبي :

ــ للأقصوصة العربية المعاصرة جذور فى الأدب العربي القديم ، ولكنها بصورتها الفنية الكاملة اثر من احتكاك الأدب العربي بالأدب الغربي . وضح ذلك .

الجمال في نظر المرأة

يَسْتَغْرِبُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ رَأْيَ الْمَرْأَةِ فِي الْجَمَالِ ، ومَا يَبْدُو أَحْيَانًا مِن شُذُوذِهَا فِي ذلكَ عَمَّا أَلِفَهُ الرِّجَالُ شُذُوذًا لا مَجَالَ لِلشَّكِّ فِيهِ . ويُحِيلُونَ أَكْثَرَ مَا يُلَاحِظُونَه من هذا عَلَى الزَّيْغِ فِي الْفِطْرَةِ أو السُّقْمِ في الذَّوْقِ أَوْ نَقْصٍ فِي التَّهْذِيبِ ، أَوْ غَيْرِ هَـذَا وذلِكَ ، ممَّا يَرْجِعُ إِلَى نَشْأَةِ المَرْأَةِ والأَوْسَاطِ الَّتِي عَاشَتْ فِي ظِلِّهَا . ولا رَيْبَ فِي أَنَّ لِهذَا تَأْثِيرَه إِلَى حَدٍّ مَا . ولَكِن هَذَا لَا يَحُلّ الْمُعْضِلَةَ . وما أَسْهَلَ أَنْ نَنْفُضَ الْأَكُفَّ من كلِّ مَسْأَلَةٍ بِأَنْ نُحِيلَ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَذْوَاقِ والْفِطَرِ صِحَّةً وسُقْمًا . إِذن لَمَا بَقِي شَيْءٌ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وتَفكِيرٍ .

ولَوْ أَنَّ الْمَرْأَةَ لَهَا مِثْلُ حَظِّ الرَّجُلِ مِن الْقُوَّةِ والْعَقْلِ والْقُدْرَةِ عَلَى التَّفْكِيرِ والتَّقَصِّي والتَّرْتِيبِ لَعَرَفْنا رَأْيَهَا فِي الْجَمَالِ مِثْلَ مَا عَرَفْنَا رَأْيَ الرَّجُلِ ، ولَأَرَاحَنا ذَلِكَ مِن إِجْهَادِ النَّفْسِ لِلْإِلْمَامِ بِوِجْهَةِ نَظَرِهَا الَّتِي لَمْ تَكْشِفْ عَنْهَا . ولكنَّ طَبِيعَةَ الْحَيَاةِ شَاءَتْ غَيْرَ ذَلِكَ إِلَى الْآن . وأَبَتْ أَنْ تَجْعَلَ الرَّجُلَ والمرأةَ سَواءً . وحَسْبُنَا مِنَ الْفَرْقِ مَا بَيْنَهُمَا مِن الاخْتِلَافِ فِي تَكْوِينِ الْجِسْمِ ، ومَا لَا بُدَّ أَنْ يَنْتُجَ عَن هَذَا التَّكْوِينِ الْمُخْتَلِفِ من الاسْتِعْدَادَاتِ والْكَفَاءَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ . ومَهْمَا قِيلَ عَنْ تَسَاوِي الْمَرْأَةِ والرَّجُلِ ، وعَلَى كَثْرَةِ ما يَلْهَجُ بِه الْبَعْضُ مِن أَنَّهُمَا لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ أَنْ يَكُونَ للمرأةِ مثلُ حُقُوقِ الرَّجُلِ ـــ نقولُ : إِنَّ بَيْنَهُمَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ وَسِوَاهُ تَبَايُنًا جَوْهَرِيًّا . فَلَيْسَ لِلرَّجُلِ أَثْدَاءٌ تَدِرُّ اللَّبَنَ ، وَلَا مَا يُحَوِّلُ الْغِذَاءَ إِلَى لَبَنٍ يَرْضَعُهُ الطِّفْلُ ويَتَغَذَّى بِه ، وهو لا يَحْمِلِ الْأَجِنَّةَ فِي جَوْفِهِ ، ولا فِي جَوْفِه مكانٌ مُعَدٌّ لِذلِكَ . وكَفَى بهذَا اخْتِلافًا كبيرًا يُحِيلُهَما مَخْلُوقَيْنِ ويَجْعَلُهُمَا جِنْسَيْنِ . ونَحْنُ لَمْ نَأْتِ مِنْ وُجُوهِ الاخْتِلَافِ فِي التَّكْوِينِ الَّا عَلَى بَعْضِهَا وإِلَّا عَلَى ما يَحْتَمِلُ المقَامُ ذِكْرَهُ مِنْهَا . ولَيْسَ يَعْجِزُ الْقَارِىءُ أَنْ يَتَصَوَّرَ النَّوْعَيْنِ ، وأَنْ يَمْضِيَ فِي المقَابَلةِ إِلَى نِهَايَتِهَا .

وقَدْ شَاءَتِ الطَّبِيعَةُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ أَكْثَرَ تَمْثِيلًا فِي حَيَاتِهِ لِلْفَرْدِيَّةِ مِنْهُ لِلنَّوْعِيَّةِ ، فَكَتَبَتْ عَلَيْهِ ـــ أَوْ عَلَى الْأَصَحِّ اسْتَوْحَتْ قُوَّتَهُ مِنْهُ ـــ أَنْ يَتَوَلَّى هُو مُكَافَحَةَ الطبيعةِ بما فيهَا مِنْ قُوًى وَكائِنَاتٍ مِنْ جِنْسِهِ وغَيْرِ جِنْسِهِ ، وأَنْ يَتَكَلَّفَ بِالسَّعْيِ . والسَّعْيُ يُعَرِّضُ لِلأَخْطَارِ ، فَلَا مَنْدُوحَةَ لَهُ عن الاحْتِيَالِ لِدَفْعِهَا بِالْقُوَّةِ إِذَا تَهَيَّأَ لَهُ ذلك وبالمكرِ والتَّدْبِيرِ ، وحُسْنِ التَّصَرُّفِ ومَا إِلَى ذَلِكَ . ولمَّا لَمْ تَكُنِ الْحَيَاةُ لُقْمَةً

سَائِغَةً فقد احْتَاجَ إِلَى مُغَالَبَةِ الصِّعَابِ وَمُعَالَجَةِ تَذْلِيلِهَا ، وهو فِي كُلِّ خُطْوَةٍ يَخطوهُ يُصَادِفُ ما يُنَبِّهُ غريزةَ حِفْظِ الذَّاتِ أو صِيَانَةِ النَّفْسِ ، ومِنْ أَجْلِ هذا صَارَتْ هـذه الغريزةُ أَقْوَى وأَنْضَجَ وأَسْرَعَ تَنَبُّهًا وأَكْثَرَ عَمَلاً ، لِأَنَّ حَيَاتَهُ تَجْعَلُ أَعْمَالَهُ مُتَّصِلَةً بِهَا أكثرَ من اتِّصَالِها بغَرِيزَةِ حِفْظِ النَّوْعِ . وهو لِذَلِكَ أَحَسُّ بِهَا وأَسْرَعُ تَأْثِيرًا من نَاحِيَتِهَا. ومِنْ هُنَا كَانَت الأنانيةُ فِي الرَّجُلِ أظهرَ وأَقْوَى . والعـامَّةُ يُلاحِظُونَ ذلك ويَفْطِنُونَ إِلَيْهِ ويَذْهَبُونَ فِيمَا وَضَعُوهُ من أمْثَالِهم إِلَى أَنَّ الأُمَّ أَحْنَى عَلَى طِفْلِهَا مِن أَبِيهِ . وقد ترى الرَّجُلَ يُدَاعِبُ طِفْلَهُ بُرْهَةً أو سَاعَة ، ولكِنَّكَ قَلَّ أَنْ تَجِدَ رَجُلاً يَقْوَى عَلَى مَا تَقْوَى عَلَيْهِ المرْأَةُ مِنْ مُلازَمَةِ الطِّفْلِ ، والمثَابَرَةِ عَلَى مُدَاعَبَتِهِ ، والصَّبْرِ عَلَى التَّحَـدُّثِ إِلَيْهِ ، ومِنْ تَوَهُّمِ مَا لَعَلَّهُ يَرْتَسِمُ عَلَى صَفْحَةِ وَجْهِهِ مِن الْحَرَكَاتِ أَوْ يَنِدُّ عَنْهُ مِنَ الأَصْوَاتِ واحْتِمَالِ ذَلِكَ وَما هُوَ أَشَقُّ مِنه ساعةً بَعْد أخرَى ويَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَشَهْرًا تِلْوَ شَهْرٍ وحَوْلاً عِقْبَ حَوْلٍ .

ولاحِظْ غَيرَ ذَلك . أَيُّ الاثْنَيْنِ أَصْلَحُ لِلتَّمْرِيضِ ؟ المرأَةُ بِلاَ نِزَاعٍ ، لِأَنَّ المرضَ يَرُدُّ المرءَ إِلَى مِثْلِ عَجْزِ الطُّفُولَةِ وحَاجَتِهَا ، ومَا عَسَى صَبرُ الرَّجُلِ عَلَى الطفولةِ ومَا يُضَاهِيهَا ؟ والمرأةُ أَقْسَى مِنَ الرَّجُلِ وأَغْلَظُ كَبِدًا مِنه ــ عَلَى رَأْيِ فيننجر ــ وإِلاَّ لَمَا احْتَمَلَت أَوْجَاعَ الْمَرْضَى عَلَى نَحْوِ مَا تَرَى ، وَفَرَّ الرجلُ مِنْها . أَوْ هِي تَسْتَغْرِقُهَـا الغريزةُ النَّوْعِيَّةُ بِكُلِّ مَا تَنْطوِي عَلَيْهِ وتِلْكَ حِكْمَةٌ مِنَ اللهِ بَالِغَةٌ ، ولَوْلاَ ذَلِكَ لَمَـا استطاعَتِ المرْأَةُ أن تَقُومَ بِوَظِيفَتِهَا الْجِنْسِيَّةِ وَمَا يَنْطوِي تَحْتَهَا مِنَ الْمَشَاقِّ التِي لاَ قِبَلَ لِلرَّجُلِ بِهَا . وَلاَ شكَّ أَنَّ بَقَاءَ النَّوْعِ رَهْنٌ بِالْمرأَةِ عَلى الأَكْثَرِ ، وَهي فِي ذَلِكَ مِثَـالُ التَّضْحِيةِ التَّامةِ . وحَسْبُكَ دَلِيلاً ما تَتَعَرَّضُ لهُ من أَخْطارِ الْحَمْلِ والوَضْعِ . وهِي عَلَى عِلْمِهَا بهذَا الْخَطَرِ الْحَيَوِيِّ وفَزَعِهَا مِنْهُ ، واسْتِهْوَالِهَا لَهُ ، لَوْ خُيِّرَتْ لاخْتَارَتْ أَنْ تَسْتَهْدِفَ لَهُ ، وهي فيما عَدَا ذَلِكَ لَيْسَ عَلَيْهَا أَنْ تُجَاهِدَ جِهَادَ الرَّجُلِ وَلاَ أَنْ تُعالِجَ ما يُعَالِجُهُ مِن الكفاحِ والتَّدْبِيرِ ودَرْءِ الأَخْطَارِ وتَذْلِيلِ المصَاعِبِ ، ولِهذَا كَانَتِ الْمرْأَةُ أَسْرَعَ تَأَثُّرًا عَلَى الْعُمُومِ بِكُلِّ مَا لَهُ عَلاقَةٌ بِالْجِنْسِ والأُمُومَةِ ، لأنَّ وَظِيفَتَهَا دَائِرَةٌ عَلَى مِحْوَرِهِمَا ، وهي لِفَرْطِ إِحْسَاسِهَا بِالأُمُومَةِ تُحِبُّ كُلَّ رَقِيقٍ لَطِيفٍ ــ أَيْ مَا هُـو كَالأَطْفَالِ بِالْقِيَاسِ إِلَى الْكِبَارِ ــ وتُعَانِقُهُ وتُقَبِّلُهُ وَلَوْ كَانَ جَمَادًا لا يُجِيبُ ولا يُحِسُّ لا العناقَ ولا التَّقْبِيلَ ، ولا يُجَازِي لَثْمًا بِلَثْمٍ . وإِذْ كَانَت الْغَرِيزَةُ النَّوْعِيَّةُ فِيهَا أكثرَ عَمَلاً وأَقْوَى فِعْلاً فهي أَحَسُّ بالْجَمَالِ مِنَ الرَّجُلِ وإِنْ كَانت أَضْيَقَ فَهْمًا لَهُ .

[من كتاب « حصاد الهشيم »]
للمازني



14 الرســـول في صبـــاه

طـــه حســـين

(1307 ـ 1393 هـ) ـــ (1889 ـ 1973 م)

تعريف وتمهيـــد :

الدكتور ((**طه حسين**)) **عميد الأدب العربي الحديث** ، ولد سنة 1307 هـ ، 1889م بقرية فى صعيد مصر (*) وتعلم فى كتاب القرية حتى حفظ القرآن الكريم ، وبالرغم من فقده البصر فى طفولته ـ اثر مرض أصابه فى عينيه ـ فقد تابع دراسته فى الأزهر ثم اتجه الى الجامعة الأهلية المصرية ونال منها درجة الدكتوراه فى دراسة **لأبي العلاء المعري** وبعد ذلك أوفدته الحكومة المصرية فى بعثة دراسية الى فرنسا فحصل من جامعتها على درجة دكتوراه الدولة فى اطروحة كتبها عن **ابن خلدون** ، ولما عاد الى مصر اشتغل بالتدريس فى الجامعة ، وظل يترقى فى مناصب ادارية وسياسية حتى **أصبح وزيرا للتعليـــم** .

ولم تشغله مناصبه الادارية والسياسية عن مواصلة كتاباته ، فألف ما يزيد على ثمانين كتابا من أشهرها : ((**الأيام**)) ، ((**حديث الأربعاء**)) ، ((**على هامش السيرة**)) ((**الفتنة الكبرى**)) و ((**مع ابي العلاء المعري فى سجنه**)) وكتب العديد من المقالات فى الأدب والسياسية والنقد والتاريخ والديانات فى مختلف الصحف والمجلات .

والنص الذي نقدمه لك يصور جانبا من **ســـيرة الرســـول** ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو من الدراسات التي تهدف الى احياء التراث التاريخي والديني الذي يعرض صورا من حياة الأبطال وسيرهم لتكون قدوة للأجيال المعاصرة واللاحقة ، وفى هذا النص يعرض الكاتب مرحلة من حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووصفا لأخلاقه الكريمة فى صباه ، تتضح لك فيما يلي :

النـــص :

(1)

كان فقيراً لا يكادُ يملِكُ شيئا ، وكان يكْتَسِبُ قُوتَهُ من رَعْيِ الغَنَمِ ، ولكنه فتيً من قريش ، ومن أشرفها ، وَرَعْيُ الغَنَمِ قد يَليقُ بالصَّبْيَةِ وبأمثالِهم من الذين لم يَتَقَدَّمْ بهِم الشبابُ . فأما اذا شَبّوا واسْتَتَمّوا قُوَّتَهُم فليس لهم بُدٌّ من أن يسْلُكوا طُرقا أخرى

(*) قرية عزبة الكيلو بمدينة مغاغة تبعد حوالي 170 كلم جنوبي القاهرة .

الى الرّزق ، وعمّه صاحبُ تجارةٍ ، وقد مات أبوه تاجرا ، وجدّه كان صاحبَ تجارةٍ أيضا ، فما يَمْنَعُه أن يَسْلُكَ الطريقَ التي أَلِفَتْ قريشٌ سُلوكها ؟ .

(ب)

وقد أَقْبَلَ عليه عَمُّه ذاتَ يوم فأنباَهُ بأَنَّ « خديجةَ بنتَ خُوَيْلِدٍ » امرأةٌ غَنيةٌ من أكثرِ قُريشٍ مالا وأَوْسَطِهِمْ نَسَباً قد جَهَّزَتْ تجارةً ضَخْمَةً الى الشامِ ، ونَصَحَ له بأن يكونَ رسولَها بتجارتها تِلكَ ، وأنباه بأنه يستطيعُ أن يَسْعَى في ذلك عند « خديجةَ » إنْ صَحَّ عزمُه على السَّفَرِ . فَقَبِلَ الفتى ، ورَضِيَتْ خديجةُ . ورأتْه مكةُ ذاتَ يومٍ خارجاً في قافلتِها الى الشامِ يَصْحَبُهُ غلامٌ لخديجةَ يقالُ له : « مَيْسَرَةَ » . وقد بلَغ الشامَ فباع واشترى ، وعاد مع القافلة فأدَّى الى خديجةَ تجارتَها وأدّى اليها مع هذه التجارة رِبْحاً لم يُتَحْ لها في تجارةٍ قطّ ، وكأنَّ اللهَ لم يجعل هذه التجارةَ إلا وسيــلةً لشيء آخَرَ وراءَها ، فقد وقع الفتَى من قلبِ خديجةَ ، واذا هي تُرسِلُ اليه مُغْرِيَةً له بخِطْبتها ، وإذا هو يَخْطُبُها ثم يصبح لها زوجاً ، وهي تكْبُرُهُ بخمسَ عَشْرَةَ سـنةً ــ فيما يقول الرواة .

ومُنذُ ذلك اليومِ عاش في مكةَ عيشةَ الموفُورِينَ ، لا يَشْكو حاجةً ولا يجدُ ضَيْقاً كما قال الله عز وجل في سورة الضحى : « ووجدك عائلا فأغنى » .

(حـ)

وقد أُتيحَ لَهُ من خديجةَ الولدُ ، وأُتيحَ له معها الأَمْنُ والدعةُ . ولكنّه في ذلك الطَّوْرِ من أطوار حياتِه ظهرت فيه خِصَالٌ لم تكن مألوفةً في شبابِ قريشٍ ، فهو شديدُ النّفرةِ من اللّهوِ ، وشديدُ النّفرةِ من اللّغو أيضاً ، وهو أبعــدُ الناسِ عن التكَلُّفِ وأقربُهِمْ الى الإسماحِ واليُسْرِ ، وهو أبغضُ الناسِ لهذه الأوثانِ التي كان قومُه يعبدونها مُخلصِينَ ، أو مُتكلِّفِينَ ، وهو أصدقُ النّاسِ إذا تكلّم ، وأَوْفاهُمْ إذا عامَلَ ، وأبعدُهُمْ من كُلِّ ما يُزْرِي بالرّجلِ الكريم ، وهو بعد ذلِكَ أوصَلُ الناسِ لِلرّحِمِ ، وأرعاهم للحقِّ ، وأشدُّهم إيثاراً للبِرِّ ، فهو يجدُ عمَّه الذي كفَلَهُ صبيّا ويافِعاً قد كثُرَ ولدُه ، وقَلّ مالُه ، ويريدُ أَنْ يُعينَهُ دونَ أن يُؤْذِيَهُ ، فيأخذ منه صَبِيَّهُ « علياً » ويَرُدّ عليه من العِنايةِ واللّطفِ والبِرِّ بعضَ ما أدّى اليهِ أبوه حين كان صبيّا يتيماً ، وقد شاعَتْ عنه هذه الأخلاقُ ، وعُرِفَ بهذه الخِصَالِ حتّى أحَبّتْهُ قريشٌ ، وسَمّتْه « الأمينَ » وعاملته على أنّه الأمينُ حقاً .

دراســة الأســلوب :

امتاز الكاتب باحساس قوي نحو المواقف التاريخية ، وله قدرة بارعة على هضمها وصياغتها فى **قالَبٍ قَصَصِيٍّ جَذَّابٍ** ، حتى يُخَيَّل اليك ان ما يَرويه من احداث كان مجهولا بالنسبة اليك وان كان لك سابق معرفة به .

وقد اعتمد الكاتب على الأسلوب المباشر فى سرد احداث موضوعه ولم يكن بحاجة الى الاستعانة بالأساليب البيانية التي تعتمد على الخيال والصورة .

والفاظ النص عذبة ، غاية فى العذوبة فيها صفاء ونقاء ، والعبارة تنحدر سلسة سهلة لها نغم موسيقي تأنس له الأذن ، ويتفتح له القلب ، والجمل أميل الى القصر ، ولكن العبارة أطول من المعنى ، فمثلا ((**عَمُّه صاحبُ تجارةٍ ، وقد مات ابوه تاجرا ، وجده كان صاحبَ تجارةٍ ايضا**)) كل هذه الجمل يمكن التعبير عنها بقولنا كان ابوه وعمه وجده تجارا ، ولكن هذا الطول فى العبارة لا يبعث الملل فى الأسلوب وانما يجعله منسابا سهلا يستطيع القارئ متابعته بيسر .

وفى النص تكرار لبعض العبارات مثل :

قوله : ((**لا يشْكو حاجَةً ولا يَجِدُ ضِيقًا**))

وقوله : ((**شاعَتْ عنه هذه الأخلاقُ ، وعُرِفَ بِهذِه الصِّفاتِ**))

وتظهر ثقافة الكاتب الاسلامية فى اسلوبه فهو يستشهد « بالقرآن الكريم » من ذلك قوله :

((**ومُنْذُ ذلكَ اليومِ عاش فى مكَّةَ ... كما قال تعالى : ((وَوَجَدَكَ عائِلاً فأغنَى))**
والأسلوب طلق مسترسل فيه بعض « المحسنات البديعية » التي تزيده عذوبة وجمالا « كالجناس » فى قوله :

((**شديدُ النَّفْرةِ من اللَّهْوِ ومن اللَّغْـو**))

و «الطِّباق » فى قوله :

((**أبعَدَ النّاسِ عن الكُلَفِ واقربهم الى اليُسْرِ**))

وقوله : ((**كَثُرَ وَلَـدُه وقَلَّ مالُه**)) .

وفي النص بعض **المُحَسِّنَاتِ** التي يمكن معرفتها وادراك ما فيها من جمال .

مجمل القول

- النص من « ادب السيرة » الذي يَهْدِفُ الى إِحْيَاءِ التراث التاريخي الاسلامي ليكون قدوةً أمامَ الاجيالِ المعاصِرَةِ واللاّحِقَةِ ؛
- اسلوب النص قَصَصِيٌّ جَذّابٌ ، يميلُ الى التّعبيرِ المباشِرِ ، بالفاظٍ عذْبةٍ ، وجُمَلٍ قصيرةٍ ، وعباراتٍ أطْولَ من المعنَى ، فيها تَكرارٌ وسُهُولة وبَسَاطَة .

المناقشة :

1 ـ رسم الكاتب صورة لحياة فتيان قريش قبل البعثة المحمدية . وضحها على ضوء ما فهمت من النص .

2 ـ لماذا قبل الرسول ـ عليه السلام ـ زواجه من خديجة ؟ وكيف تم ذلك الزواج ؟ وما آثاره على حياة الرسول عليه السلام ؟

3 ـ كانت نفسية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صباه مهيئة لتقبل الوحي . اشرح هذه العبارة .

4 ـ ما الأفكار الرئيسية التي تعرض لها الكاتب في هذا النص ؟

5 ـ بم تصف اسلوب الكاتب ، مستعينا بقراءتك لهذا النص ؟ وهل يعجبك ؟ ولماذا ؟

6 ـ اخرج من النص اسلوبا انشائيا وبينه .

7 ـ لم يعتمد الكاتب في هذا النص على الصور البلاغية . فلماذا ؟

8 ـ وضح « محسنا بديعيا » من النص مبينا اثره في الأسلوب .

9 ـ درست نصا « للعقاد » . فهل تلاحظ اختلافا في الأسلوب بين الكاتبين وما هو ؟

المقال الأدبي :

كان للسيدة خديجة دور فعال فى حياة الرسول عليه السلام جعله يقول ـ في مقام المفاضلة بين نسائه ـ « **ما أَبْدَلَنِي اللهُ خيراً منها** » .

ــ وضح هذا الدور مبينا أثره على الدعوة الاسلامية .

السؤال الكتابي :

ــ اكتب ـ باسلوبك ـ الخصال التي عرف بها الرسول ـ عليه السلام ـ مستعينا بما ورد فى النص .

نمـــاذج من ادبـه :

٢- الأدب الانشـــائى والأدب الــوصفى

« . . وهنا أَعُودُ الى ما قُلتَه في غير هذا الموضوع من أَنَّ الأدبَ أدبان ، أحدُهُما « أدبٌ إِنْشائيٌّ » ، والآخرُ « أدبٌ وَصْفِيٌّ » . فأمّا الأدبُ الانشائيُّ فهو هذا الكلامُ نظْماً ونثْراً ، وهو هذِه القصيدةِ التي يُنْشِدُهَا الشاعرُ ، والرسالةُ التي يُنْشِئُها الكاتبُ ، هو هذِهِ الآثارُ التي يُحْدِثُها صاحِبُها لا يريد منها إلاّ الجمالَ الفنيَّ في نفسِهِ ، لا يريدُ بها إلاّ أن يَصِفَ شُعوراً وَجَدَهُ ، أَوْ إحساساً أَحَسَّهُ ، أَوْ خاطراً خَطَرَ في لَفْظٍ يَمْلأهُ رِقَّةً ولِيناً وعُذُوبةً وَرَوْعَةً ، أَوْ عُنفاً وخُشُونَةً . هو هذِهِ الآثارُ التي تَصْدُرُ عن صاحبِها كما يصْدُرُ التغريدُ عن الطائرِ الغَرِد ، وكما ينْبعِثُ العُرْفُ من الزَّهرةِ الأَرِجَةِ ، وكما ينبعِثُ الضوءُ عن الشمسِ المُضيئةِ . هو هذه الآثارُ الطبيعيَّةُ التي تُمَثِّلُ نحْواً من أَنْحَاءِ الحياةِ الانسانيةِ . هو هذا النَّحْوُ الفنيُّ حينَ يتّخِذُ طريقَ الكلامِ ، مَثَلُهُ كمثلِ التصويرِ والغناءِ وغيرِهِما من هذِهِ الفنونِ التي تُمَثِّلُ ناحيةَ الجمالِ في نفوسِنَا .

هذا « الأدبُ الانشائيُّ » هو الأدبُ حقّاً ، هو الأدبُ بمعنى الكَلِمَةِ الصّحيحِ ، هو الأدبُ الذي يَنْحَلُّ الى شِعْرٍ ونَثْرٍ ، والذي يُنْتِجُهُ الكُتّابُ والشعراءُ لا لِأنّهم يُريدونَ أن يُنْتِجُوا ، بَلْ لِأنّهم مُضْطَرّونَ إلى إنتاجِهِ اضطراراً في أولِ الأمرِ بِحُكْمِ هذِهِ الكلماتِ الفنيةِ التي فَطَرَهُمُ اللهُ عليها ، وهذا الأدبُ الانشائيُّ خاضِعٌ لِكُلِّ ما تخْضَعُ له الآثارُ الفنيةُ من تَأثُّرٍ بالبيئةِ والجماعةِ والزمانِ وما الى ذلك من المؤثِّراتِ الأُخْرَى ومن تَأْثيرٍ في هذه المؤثراتِ أيضاً : هو مِرآةٌ لنفسِ صاحِبِه ، وهو مرآةٌ لعصرِه وبِيئَتِهِ كلّما عَظُمَ حَظُّهُ من الجَوْدَةِ والإتقانِ ، وهو بِحُكْمِ هذا مُتَغَيِّرٌ مُتَطَوِّرٌ قابل للتجديدِ . وإذَنْ فنستطيعُ أَنْ نَفْهَمَ في سُهُولَةٍ أَنْ يكونَ فيه قديمٌ وجديدٌ ، وأن يكــونَ بَيْنَ أصحابِهِ أَنْصارُ القديمِ وأنصارُ الجديدِ ، يأتي ذلك من أنّه مُتَّصِلٌ بِمِزاجِ الأديبِ أو من أنه مَظْهَرٌ لمزاجِ الأديبِ ، ونحْنُ نعلمُ أنَّ الناسَ كانوا وسَيَظَلّون أبداً مُنْقَسِمِـينَ فى حياتِهِم وشُعُورِهِم الى مُحافِظِينَ ومُتَطَرِّفِينَ ومُعْتَدِلِينَ ، أولئكَ يُقَلِّدُونَ القدماءَ ، وهؤلاءِ يَجَدِّدُونَ ، والآخَرُونَ يَتَوَسَّطونَ بَيْنَ أولئك وهَؤلاءِ .

وهذا الأدبُ مُتفاوتٌ بِطَبْعِهِ في الحَظِّ من الجَوْدَةِ والرَّداءَةِ ، وفي الحَظِّ من الاتّصالِ بنفسِ صاحبِه والبُعْدِ عنها .

هذا الشاعرُ صادقٌ قويُّ الشَّخْصِيَّةِ ، قليلُ الحفلِ بِرِضَى الناسِ عنه أو سُخْطِهِم عليه ، فشِعْرُه خَليقٌ أن يكونَ قِطْعةً مِنْ نفسِه .

وهذا الشاعرُ مُحِبٌّ لإِرْضَاءِ النّاسِ ، كارِهٌ لِسُخْطِهِمْ ، حَرِيصٌ على أَنْ يَفْنَى فيهِم لا على أن يَفنَوْا فيهِ فشِعْرُهُ يُمَثِّلُ لنا الناسَ أكْثَرَ مِمَّا يُمَثِّلُهُ هو ، أو قُلْ شِعْرُه يُمَثِّلُ الناسَ ولا يُمَثِّلُ منه هُوَ إلاّ هذِهِ الناحِيَةَ التي أَشَرْنا اليها ، فأمَّا عواطِفُهُ الخاصَّةُ وآراؤُهُ الخاصَّةَ فلا تكادُ تَظْهَرُ فيه . وعلى هذا النَّحْوِ يَخْضَعُ الأدبُ الانشائيُّ لكُلِّ هـذِه المُؤَثِّراتِ الّتي أشرْنا اليها ولمؤثّراتٍ أُخْرى لا نستطيعُ الآنَ أَنْ نُلِمَّ بها .

وهنا يظهرُ الأدبُ الثّاني أو ما سَمَّيْنَاهُ : « الأدبَ الوصفيَّ » ، هذا الأدبُ الوصفيُّ لا يتناولُ الأشياءَ من حَيْثُ هي ، لا يتناولُ الطبيعــةَ وجمالَها ، لا يتناولُ العاطفــةَ وحرارَتَها ، لا يتناولُ الرِّضا والسُّخْطَ ، لا يتناولُ الفَرَحَ ولا الحُزْنَ ؛ وإنّما يَتَنَاوَلُ « الأدبَ الانشائيَّ » الذي يُمَثِّلُ هذهِ الأشياءَ تمثيلاً مُباشِراً ــ كما يقولون ــ وهو يتناولُ هذا الأدبَ الانشائيَّ مُفَسِّراً حيناً ، ومُؤَرِّخاً حِيناً آخَرَ ، وهو يتناولُ هذا الأدبَ الانشائيَّ بما اتّفَقَ الناسُ على أَنْ يُسَمُّوهُ « نَقْداً » .

فأمّا الأدبُ الانشائيُّ فهو ــ كما قدَّمنا ــ الأدبُ حَقّاً ، وأَمّا الأدبُ الوصفيُّ فهو ما اتّفقَ المحَدِّثونَ على أن يُسَمُّوهُ « تاريخَ الأدبِ » .

نظرات في الأدب والنقد

حقيقة النقد الأدبي :

الناسُ يَفهمون النقدَ فَهمين مُتناقضين تَناقُضاً شديداً وكِلاهما خاطِئُ الأثرِ ، فمنهم من يفهم النقدَ حَمْداً خالصا وثَناءً طيّبا وتقريظاً من غير تَحَفُّظٍ . والنقدُ عند هؤلاءِ ضَرْبٌ من المدْحِ يُقصَدُ منه ترويجُ الكتابِ وإذاعةُ امرِه من المدحِ بيْنَ الناسِ .

ومنهم من يَفهَمُ النقدَ على أنَّهُ طَعْنٌ وقَدْحٌ وتَجْريحٌ ودَلالة على السّيئاتِ . فهو يكرهه ويكره اصحابه ويكره تاليف الكتبِ حتى لا يتعرّضَ لألسنتهم واقلامِهم ، فان اضطرَّته حياتُه وصناعتُه الى التاليف فهو يَتَوَسَّلُ الى الناقدين الا يَعرِضوا لكتابه بخير ولا بشر وأنْ يُخَلّوا بينه وبين القراء يقرؤونه فيرضَوْنَ عنه او يَسْخَطُونَ عليه ..

وفى الحق أنَّ الصِّلةَ بين النُّقادِ والمؤلفين دقيقةٌ بطبعها لا تخلو من الحَرَج . كلنا يحب الثناءَ ويعتقد انه مُستحَقٌّ له ، وكلنا يكْرَهُ الذَّم ويعتقد انه خَليقٌ ألاّ يَتَعَرَّضَ له ، ولكنّ شيئا يَنقصُنا مع هذا وهو أن نُقدِّرَ العلمَ قَدْرَه ونؤمنَ بأن لا قِوام للعلم بغير النقد . ولا اكاد افهم أنَّ رجلا يستحِقّ أنْ يُوصَفَ بانه عالم او اديب او من طلاب العلم والادب اذا لم يكن يُقدِّرُ النقدَ وحاجةَ العلمِ والأدبِ اليه .

النقدُ إذاً حاجةٌ طبيعيةٌ لكل حركةٍ علمية او ادبية او فنية ، ولكن النقد لا خير فيه ولا نفع منه اذا لم يكن حرا من كل قيد من هذه القيود المُنكَرة التي تَحُولُ بين النقاد وبين اداءِ واجبهم على وجهِه .

وظيفة الناقد الادبي :

إنَّ الأديبَ مهما يَكُنْ امرُه كائنٌ اجتماعيٌّ لا يستطيعُ أنْ ينفردَ ولا ان يَستقِلَّ بحياته الأدبيةِ ، ولا يستقيم له امرٌ الا اذا اشتدّتِ الصِّلةُ بينه وبين الناس ، فكان صدىً لحياتهم وكانوا صدًى لإنتاجِه ، وكان مِرآةً لما يُذيعُ فيهم من راي وخاطِرٍ وما يَغذُوهُم به من هذه الآثارِ الأدبيةِ على اختلافِ الوانِها . وهو فى حاجةٍ الى أن يَشْعُرَ بهذه الصِّلةِ والى ان يراها قويةً متينةً مُترددةً بينه وبينهم كما يترَدَّدُ الرسولُ بين المحبينِ ، ذلك يدفعه الى العمل ويُنَشِّطُه للانتاجِ ويَغذُو نفسَه بالمعاني ، ويُثيرُ فيه الخواطرَ والآراءَ ويُشيعُ فى لغتِه القوةَ والجِدَّةَ والنشاطَ ويلائم بين هذه اللغةِ وبين قلوب الذين يقرؤونه على اختلاف طبقاتِهم ومنازِلِهم فى جمهور الناسِ . ومن هنا ينشأ لوْنٌ من الأدبِ الذي يُحقق الصِّلةَ بين المُنتِجِ والمُستَهلِكِ وتُحققها على أتمِّ وجْهٍ واقواه وانفعه لانه يقوم مَقامَ الرسولِ بين هذين العاشقين اللذين يَختصِمان حينا ويأتلفانِ حينا آخر . وهما الأديبُ والجمهورُ . وهذا اللّونُ الجديدُ من الأدبِ هو النقدُ الذي يُبَلِّغُ الى الناس رسالةَ الأديبِ فيدعوهم اليها ويُرَغِّبُهُم فيها ، أوْ يَصْرِفُهُم عنها ويُزَهِّدُهُم فيها .

الضمير الأدبي :

الضميرُ الأدبيّ الصحيحُ صُلْبٌ لا يعرف المرونَةَ ماضٍ لا يعرف التردُّدَ، قاسٍ لا يعرفُ ليناً . ترى الاديب يتلوّن فى اشياءَ كثيرةٍ ، ولكنه لا يتلون فى الادب . تراه يُفَرِّطُ فى اشياءَ كثيرةٍ ولكنه لا يُفَرِّطُ فى الادب . انظرْ الى هذا الشاعر قد اتخذ لنفسه هذا المذهب فى الشعر أوْ فرَضَ هذا المذهَبَ على نفسه فَرْضاً ، وتُلِمُّ به المُلِمَّاتُ ويُمْتَحَنُ فى حياته ما شاءَ اللهُ من ضُروب الامتحانِ ، ولكنّه لن يُغَيِّرَ مذهبَه فى الشعرِ . فاما ان يَبيعَ مذهبَهُ بمذهبٍ آخرَ لأنّ الناسَ يريدونه على ذلك ، فهذا شيءٌ لا سبيلَ اليه لأن الأديبَ الخَليقَ بهذا الاسم لا يفكر فى الناس ولا يحفل بهم ولا يقف عند ما يريدون وما لا يريدون وانما يفكر فى الادب وحده ويَحْفِلُ بالأدب وحدهِ ويقف عند ما يريد الأدب وحده . والاديبُ هو اصدقُ صورةٍ للرجلِ المُجْبَر الذي لا رَأْيَ له ولا إرادةَ ولا اختيارَ فيما يُنتجُ من الآثارِ الأدبيةِ الخالصةِ ، هو اشبه شيءٍ بالأداة التي تُوَجَّهُ ، وهي لا تعرِفُ كيف تُوَجَّه . وأشْبَهُ شيء بالمرآة التي تتلقىّ الصّورَ وهي لا تَعْرِفُ كَيْفَ تَتَلَقَّاهَا ، واشبه شيء بالرجل الملهم الذي ياتيه الوحي وهو لا يعرف كيف ولا من اين ياتيه . هذا هو الضمير الأدبي الذي يتيح لأصحابه البقاء ويتيح لهم ان يكونوا ائمة للناس وقادة للحضارة . فأما هذه الضمائرُ الضعيفةُ الفاترةُ التي لا تعرف ثباتا ، ولا تَقْدِرُ على مُقاومةٍ ، ولا تُحِسُّ استقراراً ، ولا استمراراً ، فلستُ أدري ما هي ، ولكني اعلم حقّ العِلمِ انها ليستْ ضمائرَ أدبيةٍ وانما هي ضمائرُ تستطيعُ ان تُسَمِّيَها بما شئتَ من الأسماءِ وأنْ تَصِفها بما أحْبَبْتَ من الأوصافِ .

صورة الأدب :

فصورةُ الأدبِ ومادّتُهُ شيئان لا يفترقان او هما شيءٌ واحدٌ اذا شِئتَ ، وَأَضِفْ اليهما عُنْصراً ثالثاً انْ صَحّ انْ يُسْتَعْمَلَ العددُ فى مثل هذا الموضعِ . وهذا العُنصرُ يَلْزَمُهما لزوما لا فَكَاكَ منه وهو عنصرُ الجمالِ ، فالناس يتحدثون بالألفاظ التي تدل على المعاني ، وهم يتبادلون ما يدورُ فى رؤوسهم من الخواطر ويُحَقِّقونَ بهذه الألفاظِ ذواتِ المعاني وما يحتاجون اليه من الاغراض والآدابِ ، ولكنهم فى أحاديثهم وقَضاءِ اغراضِهم وآدابهم لا يُنْشِئونَ ادباً الا ان يتعمدوا ويَسْتَأنُوْا به ويقصِدوا اليه حين يكتب احدُهم الى صاحبه رِسالةً يضعُ فيها خُلاصةَ نفسِهِ فى هذه الصورةِ الجميلةِ الرائِعةِ التي نُسَمِّيها ادباً . وحين يكتبُ احدهم لخاصّةِ الناسِ او عامتِهم رسالة يتهيَّأ لها ويتأنّقُ فيها ويريد أنْ تَبْلُغَ قلوبَهُم وأنْ تُثيرَ فيها ما يُريد أن يُثيرَ من العواطفِ والشعورِ .

مميزات للأدب العربي :

فى تاريخ ادبنا العربيِّ ظاهِرةٌ لعلّه أنْ يُشارِكه فيها غَيْرَه من الآدابِ الكبرى قديمها وحديثها ، ولكنها تَسْتَبين فيه على نحوٍ أوْضَحَ واجْلى مما تَسْتَبين فى غيره من الآداب . فقد عَمَرَ الأدبُ اليوناني القديمُ قروناً طِوالا ثم القى بينه وبين الناس سِتاراً ، فلمّا استأنفت الأمة اليونانية الحديثة حياتَها المعاصِرَةَ انشأت لنفسِها ادباً مهما تكن الصلةُ

بيْنَهُ وبين الادبِ القديمِ فهو ليسَ جُزْءاً منه ولا استمراراً له . فالادبُ اليونانيُّ القَديمُ اذَنْ حَيٌّ بنفسه ، اريد انه لا يَسْتَمِدُّ حياتَه من امةٍ حيّةٍ ، تُنَمّيهِ وتُقويه وتُضيف اليه ، وإنّما يَسْتَمِدُّ حياتَه من هذه الشخصيةِ القويةِ التي وهبها له اليونانُ القدماءُ . فنحن حين نقرأُ آثارَ هُوميرُوسَ أوْ بندار او افلاطونَ لا نفكر في الامة اليونانية المعاصِرة ولا نَصِلُ هذه الآثارَ القديمةَ الخالدةَ بما تُنْتِجهُ من الشعر والنثر ، وانما نقرأ هذه الآثارَ وغيرَّها ونُفكرُ في الامة اليونانية القديمة التي انتجتها ، ونُوشِكُ أنْ نعتقدَ انَّ الصلةَ بيننا وبين هذا الادبِ القديمِ والاجيالِ التي ابدعته ليست أضْعَفَ من الصِّلة بين الامة اليونانية المعاصرة وبين ذلك الادب وتلك الاجيال . وربما كان من المُحَقّقِ انَّ بَعْضَ البيئاتِ الأدبيةِ والفنيةِ في غَرْبِ اوربا وفي فرنسا خاصّةً أشَدُّ اتّصالا بالامةِ اليونانية القديمة وتُراثِها الادبي والفني والفلسفي من الامة اليونانية المعاصِرةِ نفسِها . فلستُ اعرفُ مثلا انَّ الامةَ اليونانيةَ الحديثةَ قد اهدت الى العالم الحديث شاعراً كراسِينَ او كاتبا كجيرودُو او شاعرا كاتبا كبول فاليري وكل هؤلاء وغيرُهم من ادباءِ الغربِ الحديث يعيشون مع الامة اليونانية القديمة ويذوقون ادبها وفنها وفلسفتها ، ويَحْيَوْنَ هذا الادبَ والفنَّ وهذه الفلسفةَ على نحوٍ لم تصل اليه الامةُ اليونانية الحديثة بعد . ومثلِ هذا يمكن انْ يُقالَ بالقياس الى الادبُ اللاتيني . فهذان الادبان العظيمان يَسْتَمِدّان حياتَهما الخالدة من قُوتهما الذاتيةِ ، لِئنْ صَحَّ هذا التعبيرُ ، وهذه الخَصْلة هي التي تُميزُهما بينَ الآدابِ التي استطاعت ان تَقْهَرَ الدّهرَ وتَكْفُلَ لنفسِها الخلودَ .

أمّا ادبُنا العربيُّ فقد عَمّرَ بِضْعَةَ عَشَرَ قَرنا الى الآن ، واختلفت عليه في اثناء هذه القرونِ خطوبٌ كثيرة متباينة وجهته الوانا من التوجيه واخضعته لضروبٍ من التّطور ، ولكنّه مازال حيّاً قوياً يستمد حياتَه وقوتَه من شخصيته العظيمةِ ، ويستمد حياته وقوته من هذه الاجيال التي لا تزال حيةً مُحتفظةً بِفَضْلٍ من قُوّةٍ ، والتي لا تزال ترعاه وتكلؤه وتنفُخ فيه من رُوحها كما تستمد منه قوةً وتَأْيِيداً فهي تمنحه وتأخذ منه ، وهي تعيش عليه وتعيش له وتعيش به ، شَأنُها معه كشأنها مع ما يُقَوِّمُ حياتَها المادية من الارض والجبال والأنهار . فالحياة الزمنية للأدب العربي لم تنقطع ، ويظهر انها لن تنقطـع .

فالظاهرةُ التي يمتاز بها ادبُنا والتّي تُمكّننا من درسِه وتتبعِ أطْواره ، هي انه قديمٌ جِدّاً وحديثٌ جدا قد اتصل قديمُه بحديثه اتصالا مستقيما لا انقطاع فيه ولا الْتِواءَ . ففيه خصائصُ الآدابِ القديمةِ ، وفيه خصائصُ الآدابِ الحديثةِ ، وفيه ما يُمكننا من استخلاصِ حديثِهِ من قديمِه ، وما يُغْنينا عن كثيرٍ من الفُروضِ . ادبنا العربي كائنٌ حيٌّ ، أشبهُ شيء بالشجرة العظيمة ، التي ثبتت جذورُها وامتدت في أعماق الأرض ، والتي ارتفعت غُصونها وانتشرت في أجواء السماء ، والتي مضت عليها القرون والقرون ومازال ماءُ الحياةِ فيها غزيراً يجري في أصلِها الثابتِ في الأرض وفي فروعها الشاهقةِ في الســماء .

تطــور خطير في الأدب العــربي الحديث :

على أنَّ هناك تَطوّراً آخَرَ لأدبنا الحديثِ أعظمُ خَطَراً وابعدُ أثرًا من كلِّ ما قدّمتُ وهو الذي سَيوّجه الادبَ في المستقبل القريبِ إلى غاياته التي لا يستطيع منها تحوّلاً او انصرافا فيما اعتقد . ولهذا التطور الخطير وجهان : احدهما يتّصل باشخاص الأدباء ، والآخرُ يتّصل بالموضوعات التي يَطْرقُها الأدباءُ . فاما الوجه الأول فنستطيع أنْ نتبيّنَهُ في سُهولة ويُسْر وإذا نَظَرْنا إلى حافظ وشوقي والمنفلوطي من جهة ، والى العقاد والمازني وهيكل من جهة اخرى ، فقد كان الأدباء الثلاثة الأولون لا يعيشون لادبهم وانما يعيشون بادبهم ، اريد انهم كانوا يتخذون الادبَ وسيلةً الى الحياة والى حياة لا تمتاز بالاستقلال ، اما الثلاثة الآخرون فثائرون على هذا النوع من الحياة ، ومُبْغِضُونَ لهذا النوع من الأدب ، يُكبِرون انفسَهم انْ يَحْمِيَهُمْ هذا العظيمُ او ذاك ويُكبرون ادبَهم ان يرعاه هذا القويُّ او ذاك . هم يعيشون أوّ لاً ويعيشون احرارا ، ثم يُنتجون او لا وينتجون احرارا . وهم يَأبَوْن ان يؤدوا عن انتاجهم الأدبي حِسابا لهذا او ذاك . هم مُستقلون في إنتاجهم الأدبي بأدق معاني هذه الكلمة واكرمِها . وقد تقول انهم يُنتجون للجمهور ، فهم مَدينُونَ للجمهور بحياتهم الادبية ، ولكن الجمهور هذا شيء شائع مجهول لا يستطيع ان يَعْبَثَ بحرية الأديب ولا انْ يُعَرِّضَ كرامتَه للايحب . وكل إنسان في بيئة متحضرة إنما يعيش للجمهور وبالجمهور ، كما أنَّ الجمهورَ نفسَه يعيش لكل انسان وبكل انسان . فالظاهرةِ الخطيرة في أدبنا الحديث هي هذه الكرامة التي كسبَها الأدباءُ لانفسهم ولادبهم والتي مَكّنتهم من أن يكونوا احرارا فيما يأتون وفيما يدَعُون . اما الوجه الثاني لهذا التطور فهو أنّ هذه الحريةَ نفسَها قد فتحت للأدباء ابوابا لم تكن تفتحُ لهم حين كان الأدب خاضِعا للسادة والعظماء . وقد أثّرت ظروفُ التطور الانساني في توجيه هذه الحريةِ . فقد كان الأدباء القدماء يُؤْثِرُونَ السادةَ والعظماءَ بما يُنتِجون ، فأصبح الأدباءُ المُحْدَثون يُؤْثِرُون انفسَهُم ويؤثرون الفن ويؤثرون الشعب بما ينتجون . وكذلك عكَفَ الأدباءُ على انفسِهم فحللوها وعَرَضُوها ، واستخرجوا من هذا التحليل عِلْماً كثيراً ومَتاعاً عظيماً . وكذلك فَرَغ الادباء لفنهم فجوّدوه كما يريدون وكما يستطيعون وكما يريدُ الفنّ ، لا كما يريدُ هذا السيدُ أو ذاك . وكذلك عكَفَ الأدباءُ على الشعب ، فجعلوا يدْرُسونه ويتعمّقونَ درسَه ، ويَعْرِضُون نتائجَ هذا الدرس ويُظهرون الشعبَ على نفسِه فيما ينتجون له من الآثارِ . وهذا كلّه قد رَفَعَهُ إلَى الصِّدْقِ والدّقة ، وجعله انسانيا فرديا ، ووضعه حيثُ وَضَعَتِ الآدابُ الحيةُ الكبرى نفسَها بِحُكمِ التطورِ الذي دفعتها اليه ظروفُ الحياةِ الحديثةِ .

للمطالعة

ادب الحياة وادب الشعب

توفيق الحكيم

ادب الحياة :

الاتجاهُ الغالب المُميّز للأدب الجديد هو ــ ولاَ شكَّ ــ أدبُ الحياةِ . وأوَدُّ قبلَ كل شيء ان أسمِّيَهُ « ادبَ الحياةِ » ، لأنَّ عِبارةَ : « الأدبُ في سبيلِ الحياةِ » قد اثارت لَبْسًا وغُموضاً في الأذهان وجَعلتْ الكثيرين يقولون : إنَّ كلَّ ادب حتى المأخوذُ من بطونِ الكُتُبِ القديمةِ في السِّيَرِ والحِكَمِ والبَلاَغةِ انما هو في سبيلِ الحياةِ وتجميلِها وتهذيبِها وهذا صحيحٌ . وَلكنّ ليسَ هذا ما يَقصِدُه الادبُ الجديدُ ولا شكَّ . فَشبابُ الأدبِ الجديدِ يُريدونَ من « ادب الحياة » أن يكونَ شيئًا آخرَ غيرَ « ادب الكتب » . واذا كنتُ قد فهمتُ غرضَهم جيّدًا فَهُمْ يريدون ان يقومَ الأدبُ على التجربةِ الحيةِ لانسانٍ او عصرٍ او شعبٍ ، وأن تكونَ هذه التجربةُ صادقةً ــ ومن هنا جاء اهتمامُهم بالواقعيةِ ــ فلا تزييفَ ولا تهويلَ حتى لا تَفسُدَ الصُّوَرُ وتُحجبَ الحقائقُ ، تلك الحقائقُ التي هي وسيلةُ العصرِ الحديثِ لفهم نفسِه وَوَعْيِ مُشْكِلَتِهِ ، وإدراكِ مدى قدرتِهِ على حلِّها ، والكفاح من أجلِ التطوُّرِ بمصيرِه وبذلك يخرجُ الأدبُ من وظيفةِ الحِليةِ البديعةِ الساكنةِ فوق الصدورِ ، إلى وظيفةِ النُّورِ البرّاقِ المتحركِ الذي يفتح الأبصارَ ، ويُثيرُ ما في داخلِ النفسِ البشريةِ ، ويُبرزُ ما في الأذهانِ من أفكارٍ معاصرةٍ .

هذه النظرةُ إلى الأدبِ عند شبابنا صائبةٌ لأنَّها وليدةُ الصِّدْقِ .. لانها نتيجةٌ طَبيعيَّةٌ.. انها ردُّ فعلٍ طبيعيٍ على عصرِ « ادب الكتب » الذي طغى طُغياناً جارِفًا على أدبنا العربيّ طَوالَ سنواتٍ عَديدةٍ خَلَتْ ، بل طِوَالَ قرونٍ . فقدْ كان مجرى حياةِ الأديبِ في تلكَ العُصورِ هو أنْ يَنْبَعُ من كُتُبٍ ويَصُبَّ في كتبٍ . أما تَجربتُهُ الخاصةُ في الحياةِ ، واتصالُهُ الشخصيّ بمُجتمعه وعصرِه وآراءِ ذلك العصرِ ، والأفكارِ التي يضطربُ فيها العالَمُ المحيطُ بِهِ أما كلُّ هذا فلم يكُنّ له في اغلب ما يُنتجُ من حساب . ولو أنَّ الباحثَ الجادَّ يستطيعُ أن يَجدَ نماذجَ حقيقيةً لأدبِ الحياةِ في بعضِ انتاج الأجيالِ السابقةِ فَهُوَ إذاً ليسَ بالشيء الجديدِ كلياً .

ولكنَّ شبابَنا مَعَ ذلك على حقٍ ، لأنَّ « ادب الحياة » هو ردُّ الفعلِ الطبيعيّ على « ادب الكتب » في جُملةِ الأمرِ . وإن لم يكن شبابُ اليومِ هم اولُ السائرينَ في هذا الاتجاهِ

كذلك هُم على حق عندما ارادوا البَحْثَ في مَقَاييسَ أُخرىٰ للجمالِ الفني ، ومن حيثُ الاسلوبُ والمضمونُ ، تَتَّفِقُ مع نظرتهم تلك . فَمِن حقهم ان يُفتَح امامَهم بابُ الاجتهادِ ، كما فَتَحهُ مَنْ سَبَقَهُمْ .

كلُّ هذا مِن حقهم ، ولكنَّ الذي ليس من حقِهم هو أنْ يَسْتَهينوا بادبِ الحياةِ

وَيظُنُّوا أنَّهُ تَسْجيلٌ سريعٌ لما تُصادِفُهُ العينُ القاصِرةُ على سُطوحِ الأشياءِ ، دُونَ حاجةٍ الى ثقافةٍ واسعةٍ واطلاعٍ عميقٍ ، وتكوينٍ متينٍ للمَلَكَاتِ الادبيةِ والفنّيّةِ .

ان المتشائمين ـ وارجو أن يكونوا مخطئينَ ـ يخشَونَ على ادباءِ الجيلِ الجديدِ من ضَعْفِ البُنْيةِ الثّقافِيَّةِ .

ان أدَبَ الحياةِ في بلادِنا لن يكونَ عميقاً إلاّ إذاً كان الأديبُ نفسُه عميقاً في اطِّلاَعِهِ وفكرِه وفنِه ، كما كان « تُولِسْتُوْيْ » او « غُورْكِي » أو « بِرْنَارْدْشُو » .

« ادبُ الحياةِ » أصعبُ من « ادبِ الكتبِ » ، لأنَّه اكثرُ اتّساعاً وغوراً ، لأنَّه يَشْمَلُ الكُتُبَ والحياةَ معاً ...

بل ان اهمالَ التكوينِ الثقافيِّ ، وعَدَمَ الإحاطَةِ بالمعرفةِ ، من منابعِها الأُولى إلى آخرِ ما وَصَلَتْ إليهِ ، كلُّ هذا قد ادّى الى شيءٍ كثيرٍ من التخبُّطِ والخَلْطِ وسُوءِ التَّطبيقِ لهذا الأدبِ الجديدِ « ادبِ الحياةِ » ، مما نَتَجَ عَنْهُ قِيامُ صَيْحاتِ الاستخفافِ او الارتيابِ او التجريحِ ، مناهِضَةً هذا الاتجاهَ والداعين اليه فكادت تضيعُ قَضِيَّتُهم .

اذا ارادوا إذاً انتصاراً فعليهم ان يَتَجنَّبُوا الخفَّةَ والتَّسرُّعَ ، وان يَتَمسَّكُوا بالصَّبرِ والجَلَدِ ، وان يَشيدُوا على العَمَلِ والجُهدِ واطلاعٍ على ما كان ويكونُ ، ليُبرزوا لنا « الحياةَ » في عُمقِها واتّساعِها وَشُمولِها للفكرِ والمعرفةِ والتجربةِ ، لأنَّ تلك هي الحياةُ : تجربةٌ وفِكْرٌ ومَعْرِفةٌ .

ادب الشعب :

من العباراتِ التي تُطلَق كثيرًا في مُخْتلَفِ الآدابِ بل في كلِ مَكَانٍ في هذه العصورِ والأيامِ قولُهم : ان الأدبَ للشّعبِ .

وكان الضروريُّ والطبيعيُّ حقاً ، ان تجريَ هذه العِبارةُ على الألسنةِ وان تُصبِحَ لها قوةُ العَقِيدةِ ، لأن الشعبَ في عصورِنا الحديثةِ أصبحَ هو مصدرَ السُلُطاتِ ، به وله يَتِمُّ كلُّ أمرٍ من امورِ المجتمعِ والحياةِ ، فَمِنَ المنطِقِ أن يَكونَ الأدبُ من بين تلك الأمورِ التي تتم به وله .

ولقد قيل إنَّ القلمَ كالسِّياسةِ يتبعُ الحاكمَ ، ويومَ كان الحاكمُ فرداً أو طبقةً ارستقراطيةً كان الأدبُ يُصوِّر هذه الطبقةَ ويُعنى بما يَهُمُّها وما يروقُ لها من المسائلِ والمشاعرِ ، فكانتِ الموضوعاتُ تدورُ حولَ شؤونِ الملِكِ ، وانتصاراتِ الحروبِ وبطولةِ المعاركِ والفروسيةِ ، والفخرِ والمجدِ والحُبِّ في مُختلَفِ ألوانهِ وغيرِ ذلك مما يَشْغَلُ حياةً طبقيةً بِعينِها ، وكلُّ ذلك في أسَاليبَ مُترَفَةٍ مُتَحَذْلِقَةٍ عاليةٍ يطربُ لها قومٌ نشؤوا في قصورِهم على أيدي جهابذةِ المربِّينَ .

أمَا وَقد أصبَحَ الحاكمُ هو الشعبُ نفسُه فكلُّ هذا يَجبُ ان يَتَغيَرَ . هذا قولٌ مُعقولٌ .

ولٰكنَّ الآراءَ التي تَجْرِي مَجْرَى العَقِيدةِ هي دائماً اصعبُ الآراءِ تفسيراً ، لأنَّهُ ما مِن احدٍ يَخْطرُ له ان يَقلبَهَا على وجهِهَا ، او يُحاول بَحثَها او فَحْصَها . إنه يَتلقَّاهَا وكِفى أنَّ الشمسَ تصنعُ النهارَ . هل هذا امرٌ يَحتاجُ الى مُناقشةٍ ؟

ولٰكنْ يجبُ ان نتعوَّدَ مناقشةَ الحقائقِ التي تبدو واضِحةً اولَ وَهْلةٍ ، ان هذا قد يَكشِفُ لنَا عن اشياءَ قد تكونُ فى بعضِ الأحيانِ اهمَّ لادراكِنا من الحقائقِ نفسِها .

مما يَلفِتُ النظرَ مثلا ان شاعِرًا مثلَ « هُومِيرُوسَ » كان يَروي أساطيرَ ملوكٍ ، وحُبٍ وبطولةٍ فى ملاحِمِه المشهورةِ ، فَمَن الذي انتفعَ بهذا الشعرِ وطرِبَ له وأُعجِبَ به ؟ ... أهُمُ الملوكُ وحدَهم ؟ ... اهي الطبقةُ الارُستقراطيةُ وحدَها ؟ .. العجيبُ انَّ الذي انتفعَ بهوميروسَ هو الشعبُ .. هي الشُّعوبُ فى مختلفِ العصور .

فهل نسمي ادب « هوميروسَ » ادباً للشعبِ اذاً ؟ ..

اوَ يجبُ ان نُخرجَه من هذا الوصفِ ؟ ...

كذٰلك الحالُ مع « سوفوكليسَ » مَثَلاً ، ان مآسِيَهُ كانت تدورُ حولَ الانسانِ والآلهةِ ، والانسانُ عنده كان صورةَ مَلِكٍ او اسرةً مَلَكيةً فى كثيرٍ مِنَ الأحيانِ ، ولكنَّ هذه المآسيَ كانت تُعرَضُ فى الساحاتِ ويَحضُرُها الشعبُ ويُعجَبُ بها وينتفعُ بما فيها ويتعلمُ من دروسِها ويتهذبُ ويرقى ...

فماذا نُسمِّي تراجيدياتِ « سوفوكليسَ » وامثالِه ؟ .. أهي ادبُ للشعبِ الذي انتفعَ بها فِعلاً ؟ .. ام نَحرِمُها من هذه الصفةِ ؟ ...

فإذَا تَركْنَا العُصورَ القديمةَ ، وجِئْنَا إلى العصورِ الحديثةِ التي بَزَغَ فيها فَجرُ الديمقراطيةِ الجَديدةِ ، ونَظرْنَا الى كاتبٍ مثلِ « ابسن » قَضَى حياتَه يُؤلفُ المسرحياتِ الاجتماعيةَ ، التي يُعلِن فيها الثورةَ الجامحةَ العنيفةَ على الآراءِ العتيقةِ والأوضاعِ الرجعيةِ .

هذا الأديبُ الاجتماعيُ الحديثُ ، اذا بَحَثْنَا عن أثرِه لم نَجدْه الا فى نطاقٍ ضيقٍ من دراساتِ الطبقةِ المثقفةِ ، اما موضِعُ مسرحياتِه من اعجابِ الشعبِ فلا يكادُ يُذكَرُ . إنه اديبٌ مثقفٌ ثائرٌ يُعالِجُ شؤونَ المجتمعِ العصري ولكنَّ الشعبَ لا يعرِفُ عَمَلَه ولا ينتفعُ به ، وان شعوبَ اوربا الحديثةَ كلَّها تعرفُ اوبريت « الأرملةِ الطروب » « لفرانز ليهار » اكثرَ مِمَّا تعرفُ مسرحيَّات « ابسن » التي لا يُمكنُ ان تُمثَّلَ فى عاصمةٍ اوربيةٍ متحضرةٍ ، اكثرَ من حفلاتٍ معدوداتٍ على مدى اعوامٍ ، يُشاهدُها جمهورٌ مُعيَّنٌ من طبقةٍ معينةٍ من ارستقراطيةِ الفكرِ .

هل يمكنُ أنْ نُسَمِّيَ إذاً أدَبَ « ابسن » أدَبًا للشعبِ ، أمْ نُخْرِجُه مِنْ هذا الوَصْفِ ؟ وإذا أخْرَجْنَاهُ فَتَحْتَ أيِّ عنوان نَضَعُه وهو ليس مِمَّنْ يُصَوِّرُونَ الملوكَ الأمراءَ ؟ ...

كذلك الحال مع « برناردشو » هل هو أديبٌ للشعب ؟ ... ام هو أديبٌ لِطَبَقَةٍ مُثَقَّفَةٍ يُمْكِنِ أنْ نُسَمِّيَهَا طَبَقَةَ الارستقراطية الذِّهْنِيَّةِ ، وهِيَ الَّتِي تَسْتَطِيعُ أنْ تُتَابِعَ حِوَارَ « برناردشو » المُتَلَأْلِئِ بِأضْوَاءِ الذَّكَاء الرَّفِيعِ والسُّخْرِيَةِ الفِكْرِيَّةِ ؟ ..

نَخْلُصُ من هذا الى ســؤال :

هل أدَبُ الشَّعْبِ هو الأدبُ الذي يَنْتَفِعُ به الشعبُ ، حتى إنْ تَنَاوَلَ مَوْضُوعَاتٍ بَعِيدَةً عَنِ الشَّعْبِ ؟ أمْ أنَّ أدَبَ الشَّعبِ هو الأدَبُ الذي يَتَنَاوَلُ مَوْضُوعَاتٍ تَمَسُّ المُجْتَمَعَ وَشُؤُونَ الشَّعْبِ ، دُونَ أنْ يَصِلَ إلَى إمْتَاعِ الشعبِ أو نَفْعِهِ ؟ ...

بعبارة أخرَى : هل أدَبُ الشعبِ هو الأدب الذي يُكْتَبُ عَنِ الشعب وإنْ لم يَفْهَمْهُ ، ام هو الذي يُكتَبُ لِيَفْهَمَهُ الشعبُ وإنْ لم يَكُنْ عَنْهُ ؟ ...

المسألةُ إذاً سهلة كما كانت تَبْدُو أوَّلَ وَهْلَةٍ ومع ذلك قد تَقَدَّمَ أحَدُنَا بالجواب قائلاً :

لِمَ لَا يكونَ أدبُ الشعب هو الأدبَ الذي يُكْتَبُ عن الشعب ويَفْهَمُهُ الشعب ويَنْتَفِعُ بِــهِ ؟ ...

هذا جوابٌ مُقْنِعٌ ولا شَكَّ . ولكنَّ المُهِمَّ ليس الجَوَابَ ، المُهِمُّ هو وُجُودُ هذا الأدبِ بالفِعْلِ هل هو موجودٌ ؟ .. هل في الدنيا اليومَ أديبٌ عالَمِيٌّ في مَكَانَةِ « هوميروس » أو « سوفوكليس » أو « ابسن » أو « برناردشو » استطاعَ أن يَكْتُبَ عَنِ الشعب أدَبًا ذَا قِيمَةٍ وأنْ يَصِلَ بهذا الأدب إلَى صَمِيمِ الشعبِ في مُخْتَلِفِ طَبَقَاتِهِ الوَاسِعَةِ لا في بَلَدٍ وَاحِدٍ ، بل في بلاد العَالَمِ . ربما كان كتاب « ألف ليلة وليلة » يَنْطَبِقُ عليه الوَصْفُ ، ولكنَّ شَرْطاً يَنْقُصُهُ ، هو انه لا يُعَالِجُ شُؤُونَ الشعب بالطريقةِ التي نريدُها اليومَ .

مهما يكنْ من أمرٍ فقد نَتَفَاءَلُ بوُجُودِ هذا الأدب الذي يُكْتَبُ عَنِ الشعبِ ، ويُمْتِعُ الشعبَ ، ويَنْفَعُ الشعبَ .

ولكن دُونَ وُجُودِهِ صُعُوبَات وعَقَبَات لأنّ هذه الشُرُوطَ مُجْتَمِعَةً شَاقَّةٌ عَسِيرَةٌ .

فقد نَجِدُ الأديبَ الذي يُمْتِعُ ولا ينفَع . وهذا ادب ساقِط .

وقد نجد الأديب الذي ينفَع ولا يُمْتِعُ ،وهذا ادب مَحْدُودٌ .

وقد نجد الأديب الذي يمتع وينفع ولكنَّهُ لا يَتَّخِذُ من الشعب مَوْضُوعَه ، وهذا ادبٌ قد يُوصَفُ بِأنَّهُ غَيْرُ شَعْبِيٍّ .

وقد يَكُونُ شَعْبِيَّ الموضوعِ ونافِعاً ومُمْتِعاً ، ولَكِنَّهُ لِعُلُوِّ مُسْتَوَاهُ الأَدَبِيّ بَطِيءُ النُّفُوذِ في الجَمَاهير ..

قد يَسأَلُ سَائِلٌ يُرِيدُ التَّيْسِيرَ : هل مِنَ الضَّرُورِيّ للأدب مِنْ أَجْلِ الشعب أَنْ يَتَّخِذَ مَوْضُوعَه دَائِماً الشَّعْبَ نَفْسَه ؟... لماذا لا يُعَدُّ كلُّ ادب يُمْتِعُ الشعبَ ويَنْفَعُه ويَنْفُذُ إِلَيْهِ أَدَباً من أجل الشعب حتى إِنْ لَمْ يُكْتَبْ عَنْه أَنَّهُ لَهُ،مَادَامَ يَنْفَعُه ويُغَيِّرُهُ ويُطَوِّرُهُ ؟

إِنِّي في الحَقِيقَةِ أَمِيلُ الى الأَخْذِ بهذا الرَّأْيِ ...

حَقّاً لِمَ لا ؟.. .

أَلاَ تُفِيدُنِي إلا إذا تَحَدَّثْتَ عَنِّي ؟

أَلاَ يُمْكِنُ أَنْ أَنْتَفِعَ مِنْ أَيِّ حَدِيثٍ بطريقٍ غيرِ مُبَاشِرٍ ؟

إِنَّ مُشْكِلَاتِي قد تَتَّضِحُ لِعَيْنِي ، وانتَ تُعَالِجُ مشكلاتِ الآخَرِين .. إِنِّي قد أَعْرِفُ نَفْسِي مِنْ خِلَالِ تَصْوِيرِكَ لِغَيْرِي ، وأَفْهَمُ تَجَارِبِي إذا عَرَفْتُ تَجَارِبَ غيري ، كلُّ هذا جَائِزٌ .

المهمُّ ليس قَوْلَنَا نحن الأدباءَ إِنّ « الادب للشعب » إنما المهمُّ هو أَنْ يَجِدَ الشعب نَفْسُه الأدبَ الذي يُنَاسِبُه ، ويَنْفَعُه ، ويُمْتِعُه ، ويَرْفَعُه ، ويُغَيِّرُه ، ويُطَوِّرُه ، ويقول : « هَا هُوَ ذَا أَدَبِي الذي أُرِيدُ،قَدْ وَجَدْتُه ! »

وهو لا يقول ذلك عادةً في صُورَةِ إِقْبَالٍ عَظِيمٍ عَلَى ذلك الغِذَاءِ المُمْتِعِ النَّافِعِ عِنْدَمَا يُوجَدُ ، بِقَدْرِ مَا يَقُولُه في صُورَةِ انْتِعَاشٍ شَامِلٍ ، مِنْ تَأْثِيرِ القَوِيّ عَلَى بِنْيَتِهِ الفِكْرِيَّةِ كَمَا تَنْتَعِشُ الشَّجَرَةُ كُلُّهَا ، وَيَخْضَرُّ وَرَقُهَا عِنْدَمَا تَجِدُ الغِذَاءَ الطَّيِّبَ المُفِيدَ (*) .

(*) من ادب الحياة ــ توفيق الحكيم .



15 تاريخ المرأة استشهاد طويل

مي زيـــــادة

(1886 - 1941 م — 1304 - 1360 هـ)

تعريف وتمهيـد :

وُلِدَتِ الكاتبةُ الأديبة « **ماري اليـاس** » المعروفةُ باسم « **مَيّ زيادة** » في مدينـة « **الناصرة** » **بفلسطين** ، من اسرة لبنانية الأصل ، وتَلقّتْ علومَها في مدرسة « الراهبات اليوسفية » ، فأجادت اللغة الفرنسية في طفولتها ، وتأثرت بالنزعة **الرومانتيكية في** الأدب الفرنسي .

ثم هاجرت مع والدها الى **مصر** ، واتجهت الى دراسة الآداب العربية فأجادتها ، كما اتقنت عدة لغات مَكّنَتْهَا من الاطلاع على الآداب العالمية .

تَزَوَّدَتِ الكاتبة من هذه الثقافة الواسعة ، فأعانتها على فَهْمِ الحياة والتعبير عن شؤونها ، فكَتَبَتْ مجموعةً من المقالات ، في بعض الصحف المصرية ، أثارت إعجاب كبار الكتاب والأدباء المعاصرين لها فضَمّوها الى صفوفهم ، وجعلوها مَوْضِعَ تكـريم وتقدير ، وما لَبِثُوا ان تَرَدَّدُوا على « **نَدَوَتِهَا الادبيّة** » التي كانت تقيمها اسبوعيا بدارها، وكانوا يتناقشون حول مُخْتَلِفِ الموضوعات ، ويَخْتَصِمُون فيما بينهم لأسباب عديدة ، ومهما كانت الأسباب التي تدفعهم الى الاختصام ، فإنّ لذلك آثاره الجَيِّدَةَ على الأدب العـربي الحـديث .

عُرِفَتْ « **مي** » بِرِقَّةِ الإحساس ورَهَافَةِ الشعور وجَيَشَانِ العاطفة ، وكانت على حظّ وافر من الجمال الرُّوحِيّ ، فَتَعَلّق بحبها بعض الكتاب والشعراء من امثال : « **جبران خليل جبران** ، **والرافعي** ، **والعقاد** » ، وتبادلت معهم رسائل ، تُعَدُّ عيوناً في الأدب العربي الحديث ، وخاصة رسائلها الى **جبران** .

ولعلّ أَخْصَبَ فتراتِ عُمْرِها إنتاجًا واكثَرَهَا استقراراً ، تلك الفترة التي قضتها في **مصر** في العِقْدِ الثالثِ من القرن العشرين .

ثم تَوَالَتْ على الكاتبة احداثٌ نَفْسِيَّة ادّت بها الى العزلة والانطِوَاء ، وتَنَقَّلَتْ ما بين **مصر** ، **والشام** ، **واوربا** طلباً لِلإستِشْفَاء ، ولكن حالتها النفسية كانت تزداد سوءا يوما بعد يوم حتى وَافَتْهَا المَنِيَّة في مصر عـام 1941 م .

ومن اشهر آثارها « **باحثة البادية** ، **والمساواة** ، **وكلمات واشارات** » ، ومعظم كتبها تتناوَل موضوعاتٍ سياسيةً واجتماعيةً .

وقد مَرّ بك : ان **قضية تحرير المرأة**(*) كانت من اهم قضايا الفكر والأدب في العصر الذي عاشت فيه الكاتبة .

وفي النص الذي نقدمه لك صورة صادقة **لمرحلة الصراع الفكري حول قضية المرأة** ، تسهم فيه واحدة من بنات حواء لتدافع عن جنسها ، وتطالب بانصافهن واعطائهن حقوقهن كاملة في البيت والمجتمع .

النص :

(أ)

« سَلْ عَنْهَا الدُّهُورَ الْمُتَدَحْرِجَةَ فِي هَاوِيَةِ الزَّمَانِ ، لَوْكَانَ لِلدُّهُورِ لِسَانٌ لَأَنْبَأَتْكَ بِمَا يُدْمِي الْفُؤَادَ ، الْمَرْأَةُ ! لَقَدْ جَعَلَتْهَا الْهَمَجِيَّةُ حَيَوَانًا بَيْتِيًّا ، وَحَبَسَهَا الْجَهْلُ مَتَاعًا مُمْتَلَكًا لِلرَّجُلِ ، يَسْتَعْمِلُهُ كَيْفَمَا شَاءَ ، وَيَهْجُرُهُ إِذَا أَرَادَ ، وَيُحَطِّمُهُ إِذَا خَطَرَ لَهُ فِي تَحْطِيمِهِ خَاطِرٌ ، كَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ عَبْدَةً شَقِيَّةً وَأَسِيرَةً ذَلِيلَةً ، ثُمَّ ارْتَقَتْ مَعَ مُرُورِ الأَجْيَالِ إِلَى دَرَجَةِ طِفْلَةٍ قَاصِرَةٍ ، إِلَى لُعْبَةٍ يَلْهُو بِهَا السَّيِّدُ فِي سَاعَاتِ الْفَرَاغِ ، إِلَى تِمْثَالٍ بَهْرَجَةٍ تَتَرَاكَمُ عَلَيْهِ الأَثْوَابُ الْحَرِيرِيَّةُ وَالْجَوَاهِرُ الثَّمِينَةُ ، وَمَنْ مِنَّا يَدْرِي بِمَا كَانَتْ تَسْتُرُهُ الأَثْوَابُ الْحَرِيرِيَّةُ وَالْجَوَاهِرُ الثَّمِينَةُ ، مِنْ قُرُوحِ الْقَلْبِ الدَّامِيَةِ الَّتِي لَمْ يُضَمِّدْهَا بَشَرٌ ؟

(ب)

تَارِيخُ الْمَرْأَةِ اسْتِشْهَادٌ طَوِيلٌ أَلِيمٌ ، وَمِنْ أَغْرَبِ الْغَرَائِبِ أَنَّهَا لَمْ تَجِدْ لَهَا فِي الْقِدَمِ صَدِيقًا وَلَا نَصِيرًا ، كَانَتْ عَامَّةُ الشَّعْبِ تَكْرَهُهَا وَتَحْتَقِرُهَا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ عَلَى قَوْمٍ جَاهِلِينَ ، تَحَجَّرَتْ مِنْهُمُ الْقُلُوبُ ، وَصُمَّتِ الأَفْهَامُ ، فَهُمْ لَا يُدْرِكُونَ شَيْئًا مِمَّا يَتَجَاوَزُ دَائِرَتَهُمُ الصَّغِيرَةَ .

(حـ)

لَكِنِّي أَرَى الأَمْرَ عَجِيبًا ، بَلْ فَظِيعًا ، مِنْ رِجَالٍ نَحْسَبُهُمْ نَوَابِغَ زَمَانِهِمْ وَقَادَةَ أَفْكَارِ الْعَالَمِ ، لَمْ يَذْكُرْ شُعَرَاءُ اللَّاتِينِ مِنَ الْمَرْأَةِ إِلَّا جَمَالَ جَسَدِهَا ، وَلَيْسَ فِي قَصَائِدِهِمْ مَا يَدُلُّ عَلَى تَلَمُّسِ آثَارِ النَّفْسِ وَرَاءَ ظَوَاهِرِ الْجَسَدِ ، وَجَمِيعُهُمْ مُتَّفِقٌ عَلَى تَسْمِيَتِهَا « الشَّيْطَانُ الْجَمِيلُ » ، أَوْ « يَنْبُوعُ الْمَسَرَّاتِ السَّامَّةِ » .

(د)

وَشُعَرَاءُ الْيُونَانِ : « سخيلوس » و « أوريبيدس » وَغَيْرُهُمَا يُسَمُّونَهَا ــ بِبَسَاطَةٍ كُلِّيَّةٍ ــ « بَلِيَّةُ الْعَالَمِ » . أَمَّا الْفَلَاسِفَةُ ، فَأَكْتَفِي بِأَنْ أَذْكُرَ هُنَا كَبِيرَهُمْ « أفلاطونَ » ، أفلاطونَ الإِلَهِيَّ ، الَّذِي يَعْتَبِرُهُ تَارِيخُ الْفِكْرِ أُمَّةً بِأَسْرِهَا ، أفلاطونَ ذَا الأَحْلَامِ الْغَامِضَةِ

(*) راجع قصيدة حافظ ابراهيم من الشعر الاجتماعي .

وَالمَبَادِىءِ السَّامِيَةِ الَّذِي لَمْ يَتْرُكْ مَوْضُوعَ إِصْلَاحٍ سِيَاسِيٍّ أَوْ أَدَبِيٍّ إِلَّا عَالَجَهُ رَغْبَةً فِي إِسْعَادِ العَالَمِ ــ أفلاطونُ لَمْ يُفَكِّرْ قَطُّ فِي تَحْسِينِ حَالَةِ المَرْأَةِ وَلَمْ يَهْتَمَّ بِدَرْسِ أَخْلَاقِهَا وَاسْتِكْشَافِ دَرَجَتِهَا العَقْلِيَّةِ وَالِاسْتِعْدَادِيَّةِ، مَاذَا أَقُولُ ؟

إِنَّ أفلاطونَ هَذَا قَضَى حَيَاتَهُ آسِفاً لِأَنَّهُ ابْنُ امْرَأَةٍ، وَكَانَ يُصَرِّحُ بِازْدِرَائِهِ أُمَّهُ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ مَنْ كَانَ جَبَاناً مِنَ الرِّجَالِ فِي هَذَا العَالَمِ فَعِنْدَ وِلَادَتِهِ مَرَّةً أُخْرَى تَتَقَمَّصُ رُوحُهُ فِي جَسَدِ حَيَوَانٍ أَوْ فِي جَسَدِ امْرَأَةٍ . .

(هـ)

وَمَا عَلِمَ « أفلاطونُ » أَنَّ امْرَأَةً سَتُعَلِّمُ الفَلْسَفَةَ الأفلاطونيَّةَ الجَدِيدَةَ فِي مَدْرَسَةِ « الإِسْكَنْدَرِيَّةِ » ، وَأَنَّ تِلْكَ المَرْأَةَ لَا يَمْنَعُهَا شَبَابُهَا الغَضُّ وَجَمَالُهَا الرَّائِعُ أَنْ تَكُونَ أَعْلَمَ عُلَمَاءِ عَصْرِهَا ، تِلْكَ هِيَ الفَتَاةُ « هِيبَاتْيَا » ابْنَةُ « أَثْيُونْيُوسَ » الرِّيَاضِيِّ الشَّهِيرِ الَّتِي قُتِلَتْ رَجْماً فِي شَوَارِعِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي أَوَائِلِ القَرْنِ الرَّابِعِ ، فَذَهَبَتْ شَهِيدَةَ عِلْمِهَا وَإِخْلَاصِهَا وَرَغْبَتِهَا فِي إِشْهَارِ التَّعَالِيمِ الأَفلاطونيَّةِ الجَدِيدَةِ .

المنــــاقشـــة :

1 ــ ما رايك في نظــرة افــلاطون الى المراة وموقف الــكاتبة منه ؟
2 ــ بماذا فَسَّرَتِ الــكاتبة موقِفَ الرجال من المراة خلال عصور التاريخ الــسابقة ؟
3 ــ كيف كانت نظرة الشـعراء اليونانيين واللاتينيين الى المراة كما وَضَّحَتْهَا الكاتبة ؟
4 ــ لَخِّصِ الافكارَ الاساسـية في النص وضَعْ لــكل فكرة عنوانا مناسبا .
5 ــ من النص تدرك السـمات العامة لاسلوب الكاتبة ، أشِرْ الى خصائص اسلوبها مع التمثيــل .
6 ــ تبــدو الاصالة والصــدق والالتزام في اختيــار موضوع النص : وضح ذلك على ضوء الأحداث الاجتماعية التي عاصرتها الكاتبة .
7 ــ استخرج من النص صورة بَيَانِيَّةً واشْرَحْهَا .
8 ــ عَيِّنْ أسْلوباً إنشائياً في النص ثم فَصِّــلْهُ وَبَيِّنْ اثَرَه في المعنَى .
9 ــ هاتِ من النص مُحَسِّناً بديعياً وَبَيِّنْ سِرَّ جَمَــالِه .
10 ــ اين تَفَتَّحَتْ مواهب الكاتبة ؟ ومتى كان ذلك ؟ وما اشهر آثارها الادبية ؟
11 ــ هل كانت الكاتبة اوّل اديبة عربية اقامت ندوة ادبية تستقبل فيها ادباء عصرها ؟ وضح ذلك ، مسـتعينا بدراساتك السـابقة .

المقـــــال الادبي :

سَجَّلَ تاريخُنا العربيّ قديمُه وحَديثُه صفحاتٍ مُشَرِّفَةً للمراة العربية في الميادين السياسية ، والاجتماعية ، والادبية .

ناقِــش هــذا الموضــوع مع الاستشـهاد .

نمـوذجان مـن ادبهـا :

(أ)

العيـــــون

تلك الأحداق القائمة في الوجوه كتَعَاوِيذَ(1) من حلك ولُجَيْنٍ .

تلك المياه الجائلة بين الأشفار(2) والأهداب كبحيرات تنطقن بالشاطىء وأشجار الحـور .

العيـون ! ألا تدهشـك العيـون ؟

العيـون الرَّمَادِيَّةُ بأَحْـلامِهَا .

والعيـون الـزرقاء بتَنَوُّعِهـا .

والعيـون العَسَلِيَّةُ بحـلاوتها .

والعيـون البُـنِّيَّةُ بجاذِبِيَّتِهَـا .

والعيـون القَـاتِمَةُ بما يَتَنَاوَبُهَـا من قوة وعُـذوبة .

جميـع العيـون .

تلك التي تُذَكِّـرُك بصفـاء السمـاء .

وتلك التي تُرِيكَ مَفَاوِزَ الصحـراء وسَرَابَهَا .

وتلك التي تُعَـرِّجُ بخيالك في مَلَكُوتٍ أثِيرِيٍّ كُـلُّهُ بَهَـاءٌ .

وتلك التي تَمُـرُّ فيهـا سحائب مبرقة مهضبة .

وتلك التي لا يتحول عنها بَصَرُكَ إلا ليبحث عن شَامَةٍ في الوَجْنَةِ .

العيـون الضَّيِّقَـة المستديرة ، والعيون اللَّوْزِيَّةُ المستطيـلة .

وتلك الرحيبة اللواحظ البطيئة الحركات .

وتلك التي تَطْفُو عليها الأجفان العُلْيَا بِهُدُوءٍ كما تُرَفْرِفُ أَسْرَابُ الطيور البيضاءِ على بُحَـيْرَاتِ الشمال .

وتلك الأخرى ذاتُ اللَّهِيبِ الأخضر التي تَلْـوِي شُعَاعَهَا كَعُقَّـافَةِ كُلَّابٍ على القلب فَتَحْتَجِنُه(3) وغَيْرُهَا ، وغيرها ، وغيرها .

1 ــ تعاويذ : ج. تعويذة : الرقية . 2 ــ الأشفار : ج. شفر : حرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر .
3 ــ احتجن الشيء : احتواه وضمه إلى نفسه

وأنتَ ما لَوْنُ عَيْنَيْكَ ، وما مَعْنَاهُمَا ، والى أيِّ نقطة بَيْنَ المَرْئِيَّاتِ أو وَرَاءَهَا تَرْمِيَانِ ؟

قُمْ الى مِرْآتِكَ !

وانظر الى طَلْسَمَيْكَ السِّحْرِيَّيْنِ ، هل دَرَسْتَهُمَا قبل اليوم ؟

تَفَرَّسْ في عُمْقِ أعماقهما ، تَتَبَيَّنِ الذَّاتَ العَلِيمَةَ التي تَرْصُد حَرَكَاتِ الأنامِ وتُسَايِرُ دَوْرَةَ الأَفْـلَاكِ والأَزْمِنَةِ .

في عمق أعماقهما تَرَى كلَّ مَشْهَدٍ ، وكلَّ وَجْهٍ ، وكل شيء .

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَنِي ، أنا المجهولةَ ، تَفَرَّسْ في حَدَقَتَيْكَ يَجِدْنِي نَظَرُكَ في نَظَرِكَ على رغمٍ مِنْـكَ .

من أدب الرسائل

(ب)

الى باحثــة البــادية

بَعَثَتِ الـكاتبة رسالة الى صديقتها باحثة البادية « مَلَك حِفْنِي ناصِف »(*) تُحَيِّيهَا وتَحُثُّهَا على مواصلة الـكِفَاحِ من أجل تحريرِ المراة والنهوض بها .

وفيمـا يلي نقـدم لك جُـزْءاً من هـذه الرسـالة :

« تَرَنَّمْتُ باسْمِكِ قَبْلَ أَنْ أَعْـرِفَكِ ، وَاتَّخَـذْتُ ذِكْرَكِ عُنْوَاناً لِنَهْضَةِ المَـرْأَةِ المِصْرِيَّةِ قَبْلَ أَنْ أُطَالِـعَ مَقَالَاتِكِ ، لِأَنَّ أَصْوَاتَ الجُمْهُورِ قد اتَّفَقَتْ في الثَّـنَاءِ على فَضْلِكِ ، غَيْرَ أَنِّي عَثَرْتُ بالأمسِ على مجموعة كِتَابَاتِكِ النَّفِيسَةِ ، فَانْحَنَيْتُ عليهـا ساعاتٍ طِوَالًا خُيِّلَ إِلَيَّ فيها أَنِّي أُقَلِّبُ صَفَحَاتِ نَفْسِكِ المُتَفَكِّرَةِ المُتَوَجِّعَةِ .

بالأمسِ لَمَسْتُ نَفْسَكِ وقرأتُ أفكارَكِ فَعَثَرْتُ عَلَى جِـرَاحٍ بَلِيغَةٍ وَدِدْتُ تَقْبِيلَهَا بِشَفَتَيَّ وَرُوحِي وَمَا أَطْبَقْتُ الـكِتَابَ إِلَّا وَأَنَا أَلْثِمُ بَنَانِي على غيرِ هُدًى ، ولم يَكُنْ ذلك إِلَّا إِجْلَالًا لِصَفَحَاتٍ قَلَّبْتُهَا وحُبًّا لِنَفْسٍ اسْتَجْوَبْتُهَا فَعَرَفْتُهَا . فَيَا مَنِ ارْتَفَعَ قَلْبُهَا إِلى فِكْـرِهَا وَانْحَنَى فِكْرُهَا عَلَى قَلْبِهَا . أَيَّتُهَا البَاحِثَةُ لِمَ تَصْمُتِينَ ؟ ! » (1)

(*) رائدة من رواد النهضة النسائية ، ولدت بمصر عام 1886 م ، ونشات بها وكتبت عدة مقالات وتوفيت عام 1918 م . انظر : دراسات ادبية ج 1 عمر الدسوقي .

(1) مجـلة الهـلال ، ص 16 ـ نوفمبر 1968 م .

16

حمار الحكيم والزّواج



رضا حوحو

(1911 ـ 1956 م ـ 1330 ـ 1376 هـ)

تعريف وتمهيد :

ولد ((**احمد رضا حوحو**)) ببلدة « سيدي عقبة » من ولاية الأوراس وفى بلدته حفظ القرآن الكريم ، وتلقى مبادئ العلوم العربية والفرنسية . ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره توجه الى « سكيكدة » ليتابع دراسته فى « الكوليج » وبعد أربع سنوات من دراسته فيها عاد الى بلدته ليعمل موظفا فى البريد .

وفى عام 1934 م هاجر مع اسرته الى « المدينة المنورة » فنهل من نبعها العربي الأصيل ، ونال الشهادة العليا عام 1938 م من مدرسة العلوم الشرعية ، واشتغل بعد تخرجه أستاذا فيها .

وفى أثناء اقامته بالحجاز شارك فى تحرير مجلة « المنهل » المكية ونشر فيها بعضا من قصصه ومقالاته وترجماته من الأدب الفرنسي وكان يكتب فى مجلة «الرابطة العربية» التي يصدرها أمين سعيد بمصر . وفى عام 1946 م قرر العودة الى الجزائر ، وفى طريق عودته مر بمصر وقضى فيها شهرا . وإثر رجوعه الى الوطن استقر بمدينة « قسنطينة » وانضم الى « جمعية العلماء المسلمين » ، وعمل مديرا لمدرسة « التربية والتعليم » ، وعندما فتح « معهد ابن باديس » ابوابه عام 1947 م عين أمينا عاما لادارته.

وفى سنة 1949 م أصدر مع فئة من شباب العلماء بقسنطينة جريدة شعبية أسبوعية للنقد والكفاح سميت « الشعلة » واسندت اليه رئاسة تحريرها فكان يحرر باب « المسامير » يدقها فى ظهر الاستعمار واذنابه المارقين عن الوطن والدين (*) .

وللكاتب نشاط فني فى المسرح والتمثيل ، فقد أسس « جمعية المزهر القسنطينية» عام 1947 م وله آثار ادبية منها ((**غادة ام القرى**)) ، ((**مع حمار الحكيم**)) ، ((**نماذج بشرية**))، ((، **صاحبة الوحي**)) .

وقد أتيح له أن يقوم برحلات متعددة زار خلالها روسيا وفرنسا وايطاليا وتشيكوسلوفاكيا ، وكان لهذه الرحلات اثر فى ادبه وفكره !

وظل الكاتب يمارس نشاطه الأدبي والفني والاصلاحي من أجل نهضة بلاده حتى استشهد عام 1956 م .

ومن أهم الظواهر الاجتماعية التي أثارت اهتمام الكاتب هي ((**مشكلة الزواج بالأجنبيات**)) . وبطريقة الحوار والرمز والسخرية عالج هذا الموضوع الاجتماعي الهام ، ومن خلاله تناول بعض القضايا الاجتماعية والنفسية المختلفة ، كما ستراه فى دراستك للنص التالي :

(*) من مقال للاستاذ عبد الرحمن شيبان نشر فى جريدة الصباح التونسية فى شهر افريل عام 1957 .

النــــص :

جاءني حمارُ الحكيم مُبَكِّرا هذا الصباحَ على خلاف عادته كلَّ يوم ، فتعجبتُ من ذلك ، لأني أعرفه دقيقَ المحافظةِ على النظام والمَـواقِيتِ ، وهــو لا يتخـلف دقيقةً واحدة عن الوقتِ المحدَّدِ ولا يتقدم عنه . فأوجستُ خِيفة[1] من هذا التبكير وعرفتُ أن في الأمر جَديدًا عن أَعْمَالِنا المعتادَةِ . وما كاد يجلس حتى ابتدرتُه[2] :

خيرًا إن شاء اللــهُ ، هذه الزيارةُ المبكِّــرة ؟

قال : جئـتُك في مسألــة خاصة .

قلت : لو لم أعرفك حمارا ، لقلت انك أتيتَ تستدينمِنِّي بعضَ النُّقُود .

قال : وهل لك نقودٌ حتى يطمعَ الناسُ في الاستِدانَة منك ، فإن كلَّ ثروتِك هذه القصاصاتُ من الوَرق التي تنفع لإيقاد النـــار .؟!

ــ فكَّــرتُ قليلا في قوله ، ثم قلت له :

حَقًّا ما تقول . . فلا تنفع عصارةُ هذه الأفكارِ إلا لإِيقاد النارِ ، وهي مع ذلك كُلُّ ثروتي وعَزائي .

ــ ثم قلت : دعنا من هــذا ، وقل ما سبب هذه الزيارة المبكــرة ؟

قال : جئتُ أستشيرك في أمر مُهم .

قلت : هل هو عمل جديد ؟

قال : لا . . لم أعثُر حتى الآن على عمل يشرفني .

قلت : اذن ماذا ؟

قال : ما رأيك في الزواج ؟

قلت : رأيي في الزواج هو رأي « برنارد شو » ، فهو كالجَمعية السرية ، الخارجُ عنها يجهل عنها كلَّ شيء ، والمنخرطُ فيها لا يستطيع أن يقولَ عنها شيئًا .

قال : لم أَعْنِ هذا ، وانما أقْصدُ زواجي ، ما رأيك في زواجي أنا ؟ فقد خطر ببالي أن لا أبقى عازبا ، فان ذلك يجر علي الشبهاتِ ، ويَحُطُّ من قيمتي كحمــار اجتماعِيٍّ ! ثم لا بد من خَلَفٍ صالح يخلُفُني ! .

---

1 ــ اوجست خيفة : احسست خوفا . 2 ــ ابتدرته : ابتدر القوم امرا : بادر بعضهم بعضا وتسابقوا اليه ، والمراد هنا : اسرعت اليه بقولي .

ـــ مكثتُ بُرْهَةً مَشدوها[1] ولم أدرِ بماذا أجيب ، لأني لم أعالج ولو مرة زواجا من زواج أبناء آدم حتى أعطي رأيي السديد في زواج حمار من أتانٍ[2] .

قلت : لا أستطيع أن أُفيدَك برأيٍ في هذه المسألة ، لأني لم يستقِرَّ لي رأيٌ حتى الآن عن أيِّهما أحسنُ : الزواجُ أم العزوبةُ ؟ فاذا ذهبتَ الى العُزَّاب وجدتَهم يتَمَنَّوْن الحياةَ الزوجيةَ وَيَتَلَهَّفُونَ عليها ، واذا باحثتَ المتزوجين في هذا الشأن وجدتَهم يَنْحُون على الزواج باللآئِمَةِ ويقولون إنه شر لا بد منه ، وإني لا أدري أيَّ الفريقين على حق وأيَّ الرأيَيْنِ أصوبُ .

قال : هذا عندكم يا أستاذُ . . أنتم البشرِ ، لأن أغلبَكُم يجهل الرسالةَ التي خُلِق من أجلها ، فقد تغلبت عليكم الأنانيةُ وحبُّ الذاتِ ، الرجلُ والمرأةُ على السواء . أما نحن فلا يجهل أيٌّ منا أنه حمارٌ ابنُ حمارٍ ، خُلِقَ للعمل الشاقِّ ، والعيشِ البسيطِ ، فانك لا تجد في فصيلَتِنا من تحدثه نفسُه بأنه أفضلُ من الحِصانِ لو لم ينكره الزمن ، وانك لا تجد في فصيلتي من يتمنى عَلَفاً من القمح ، ولا تجد من يلوم الدهرَ أو يَتَبَرَّمُ[3] من الحياة أو يشتكي من الدنيا ، فكلنا راضٍ عن حياته قانعٌ بها . وعليه ، فشأننا غيرُ شأنِكم ويمكنك أن تعالجَ مسألةَ زواجي دون أن تخشى أن تعترضَكَ أيَّةُ مُشكِلةٍ .

قلت : أَلاَ يمكنك تأجيلُ هذه المسألةَ الى فرصة أخرى ، فان لدينا مسائلَ هامةً تتطلب البحثَ المستعجلَ ؟

قال : لا يمكنني ذلك . . فان مسألة زواجي أَهَمُّ من كل مُهِم .

قلت : كنتَ تَتَّهِمُنَا نحن البشرَ بالأنانية وحب الذات ، واذا بك غارقٌ فيها لأذنيك الطويلتين ! .

قال : أبدا ، ليس هذا الأمرُ من الأنانيةِ في شيءٍ ، فأنا لم أوثر نفسي ، وإنما أردت أن أكون كجميع أبناءِ الفصيلةِ ، ومعظم ما هنالك أني أحسَسْتُ بنقص في شخصيتي أحببت إتمامَهُ .

قلت : دعنا من هذا الجدل البيزنطي ، وقل لي : هل وقع اختيارُك على صاحبةِ الحسب والنسبِ ؟

---

1 ـــ مشدوها : مدهوشا . 2 ـــ اتان : أنثى الحمار . 3 ـــ يتبرم : يضجر .

قال : إِنك تعرفُني أجنبيا في هذه الديار ، لا أَعْرِفُ فيها حمارًا ولا أتانا .

قلت : ومن قال لك اني اشتغلتُ مُكارِيًا[1] أو خفيرَ اصطبلاتٍ حتى أعرفَ فصائلَ الحميرِ وأفرق بين الخبيث منها والطيب ؟ .

قال : لا تغضب يا أستاذ . . واشملني بحِلْمِك . . فاني لم أقصد شيئا مما ذكرتَ !

قلت : ـ في حـدة ـ اذن ماذا ؟

قال : أريد استشارتك في نوع شريكة العُمُـر .

قلت : خذ لك أيةَ آتانٍ تَعْثُرُ عليها والسلام .

قال : لا تنس أني لستُ كبقية الحمير ، فأنا أتمتع ببعض الثقـافة !

قلت : فاسـلُكْ إِذن مَسلَكَ المثقفين .

قال : ماذا تعني ؟

قلت : أعني أن تتزوج بأتان أجنبـية !

قال : ما هذا الهـذيان ؟ .. أَأُصِبْتَ فِي عَقْـلِكَ ؟ . .

قلت : أبدا ، فان الشائع في هذه الأيام هو زواج المثقفين بأجنبيات ، وَأَيُّ مانع في أن يتزوج حمارُنا المثقف بأتانٍ أجنبـيةٍ تَلِيق بمقامه المحترم ؟ !

قال : انك لا تَعِي ما تقـول !

قلت : لمـاذا ؟

قال : أما يكفي هذا الانحلالُ الاجتماعِيُّ والخُلُقِيُّ الذي جـره زواجُ بعضِ رجالِكُم من الأجنبيات حتى أضيفَ اليه انحلالا آخرَ في فصيلة الحمير ؟

قلت : كيف ذلك ؟

قال : زواجي من أتان أجنبية تخالفني في الجنس والعادات والتفكير ، فيه خطورةٌ كبيرة على أخلاقي وعاداتي وتفكيري .

قلت : يبدو لي أنك تُهَوِّلُ الأمرَ . . ولا تنس أنك أنت الذي سَتَتزَوَّجُهَا ، وعليه ، فأنت الذي ستفرضُ عليها عاداتِك وأخلاقَكَ وتَصُبُّها في قالَبِك .

---

1 ــ مكاريا : مكري الدواب ، ويغلب على الحمير والبغال .

قال : إني لم أرَ حتى الآن حمارا شرقيا تزوج بأتان غربية ، ولكنني أعرف كثيرا من الرجال الشرقيين تزوجوا من نساء أجنبيات ، ولم أر بينهم من استطاع أن يعرب زوجَتَهُ الغربية ، وقليلون جدا الذين لم تُفَرْنِجْهُمْ أزواجُهم !

— فكرتُ مَلياًّ ثم قلت : هذا صحيح . ولكن ما هي الأسبابُ يَاتُرَى حتى أُعْطِيَ رأيي السديدَ في زواج حمار من أتان ؟ ! .

قال : هناك أسبابٌ تتعلق بأَخْلَاقِ المرأة من حيثُ هي امرأةٌ ، وأسباب خاصة تضاف إِلى أخلاق المرأة الأجنبية .

قلت : انك ستتورط في فلسفة عقيمة !

قال : الأمر بسيط جدا واليك بيانه .

قلت : هـات . . .

قال : المرأة على وجه العموم تَهِيمُ بحب التسلط على الرجل ، وهي تبذل ما في وُسْعِها لذلك ، لا تعرف الملل ولا الكلل ، وهي على وجه العموم أيضا عديمة الثقة بأقواله وأفعاله ، فهي تنفر من الامتثال لأوامره وتعاليمه ونصائحه الا اذا اضْطَرَّتْ الى ذلك رَغْبَةً فيه أو رَهْبَةً منه ، وذلك لأن جُرثومَ الأنانيةِ في المرأة أقوى منه في الرجل ، فهي تحب التسلطَ عليه ، والتحكمَ فيه ، وترغب في انقياده لها ، وفي نفس الوقت تكره الخاضعَ لسلطانها ، وتبغضُ الراضي بحكمها ، وتحب الثائرَ عليها المتمردَ عنها .

قلت : ما هذه المتناقضاتُ في الجنس اللطيف ؟

قال : نعم ، إِنه لَجنسٌ غريب ، ثم استرسل في تحليله فقال :

— ان المرأة مع أنانيتها تشعر بضَعْف طبيعي غريزي فيها ، فهي من الناحية النفسانية ترتاح الى الرجل القوي الذي يبسطُ عليها سلطانَه العارِمَ ويتسلَّطُ عليها ، فتستكين اليه لأنها تشعر بحمايَتِهِ ورعايته ، فهي تريده ضعيفا وتَبْغُضُ ضَعْفَه ، فهي تجد مُتْعَةً فى التغلب عليه لكنها تجد حسرةً فى استسلامه اليها ،

لأنه بهذا الاستسلامِ ينهارُ في قلبِها ذلك الحصنُ الذي كانت تتمتع بحمايتِهِ وترتاحُ الى قوته وجبروتِهِ .

قلت : ثم ما ذا ؟

قال : هذه الأسباب العامة ، وهي تتعلق بأخلاق المرأة من حيث هِيَ ، ويضاف اليها بالنسبة للأجنبية أنها ترى نفسها أرقَى منه عنصرا وأسمى حضارةً ، ترى نفسها ابنةَ حاكمٍ وهو ابنُ محكومٍ ، سيدةً وهو مسودٌ ، ترى في زواجها منه تنازلا منها لطبقته ، فهي اذن تَمُنُّ(1) وتتدال ، وما عليه الا أن يرضى وَيَتَذلَّلَ ، والا حدث الخلافُ وساد الشقاقُ وكان بعد الزواج الطلاقُ .

قلت : ان كلامَك حَقٌّ ، لكني لا أتحمــل مسؤوليتَهُ .

قال : دعنا من هــذا ولنعــد للموضوع !

قلت : نصيحتي لك أن تصرفَ فكرَكَ عن الزواج ، فأنت حمار وديع ، وإني أخشى عليك من تسلط الأنثى وسيطرتها عليك فيخيرُك المجتمعُ الذي أخذ يُعْجَبُ بِك وبآرائك السديدةِ .

قال : صــدقتَ ، يجب أن نعيش **للمجتمع** ومع المجتمع .

دراســة الأفكــار :

اتخذ الـكاتب من **قلمه سلاحا يجاهد به في سبيل تحريربلاده** من الاستعمــار وآثاره البغيضة في المجتمع ، ومن بينها ظاهرة الزواج بأجنبيات .

والكاتب لم يعالج هذه الظاهرة من جانب تحسين النسل ، ولا من جانب الظروف التي دفعت الى وجودها في المجتمع الجزائري وغيره من المجتمعات العربية ، وانما يعالجها باعتبارها ظاهرة اجتماعية لها خطورتها على مقومات الشخصية ، وهو بذلك لا يلوم من دفعتهم ظروف الهجرة أو غيرها الى الزواج بأجنبيات ، وانما يلوم فريقا من الناس دفعهم احساسهم بالنقص في نفوسهم وفي بنات وطنهم ، فحسبوا أنهم يكملون نقائصهم عندما تقبل الزواج بهم واحدة من بنات المستعمرين الأجانب .

والـكاتب في هذا النص يعالج هذه الظاهرة بطريقة تهكمية لاذعة ، ومما لا شك فيه أن لهذا الزواج **آثاره السيئة** على الوحدة الوطنية في المجتمع الجزائري ، فاختلاف الشخصية داخل الأسرة الواحدة **يؤدي الى تمزق المجتمع كله** ، ومن جهة اخرى قد

---

(1) **تمن** : من عليه بما صنع : ذكر وعدد له فعله من الخير ، وهو تكدير تنكسر فيه القلوب .

يكــون هذا الزواج **سببا في بوار المسلمات الجزائريات ، فيسقطن وينحرفن** . ومتى كان للمستعمرين **كيان** في الأسرة الجزائرية أصبح لهم **أقدام ثابتة في الوطن باسره** .

وموقف الـكاتب من هذه المشكلة ليس جديدا على الفكـر الاسلامي ، ولا على المجتمعات العربية الحديثة ، فقد ندد بهذه الظاهرة كثير من المصلحين في مختلف المجتمعات الاسلامية والعربية ، من أمثال « **قاسم أمين** » و « **باحثة البادية** » وغيرهما .

وقد تناول الـكاتب في هذا النص ـ الى جانب موضوعه الأساسي ، وهو الزواج بالأجنبيات ـ مجموعة من القضايا الاجتماعية والنفسية من بينها :

(أ) **ظاهرة التناقض عند المرأة** ، وابرز معــالمها تذبذبها بين الرغبة في تملك الرجل وفرض سيطرتها عليه ، وبين راحتها التامة في الخضوع له والاستسـلام اقوته .

وقد اكد هذه الظاهرة كثير من الباحثين المهتمين بدراسة المراة من امثال « **شوبنهور** »(*) الفيلسوف الألماني ، و « **سيمون دي بفوار** » ، و « **العقــاد** » وغيرهم من الدارسين .

(ب) **ظاهرة الأنانية في الطبيعة البشرية** .

(حـ) **تعلق الانســان بالمــاديات** .

(د) **قلق الانسان وتبرمه من الحياة** بصورة عامة ، واضطراب موقفه من الزواج بصفة خاصة ، فالمتزوج يرى فيه **قدرا محتوما** ، والعزب **يبحث عن قدره** . وكلاهما يندب حظه في الحياة .

وليس فيما تناوله الـكاتب من مشكلات اجتماعية أو ظواهر نفسية جديد يذكر لا في اكتشاف الظاهرة ولا في فلسفتها ولا في علاجها .

ولـكن الجديد بحق ـ هو عرض الـكاتب لافكاره ، وتصويره لتلك الظواهر ، فهو ينفذ ببصيرة ثاقبة الى عيوب المجتمع ، ويقدر على تحديدها تحديدا واضحا ، ثم لا يهدمها بالطريقة المباشرة التي تعتمد على النصح أو التحذير ، وانما يشير الى **ضرورة علاجها** عن طريق تجسيم العيوب وتضخيمها وابرازها ، **بوضعها في الصورة** التي تثير في النفس التهكم والسخرية . **أشبه ما يكون بالرسام الذي يتخذ لنفسه أرضية قاتمة سوداء ، ثم يحدد اطارها بالوان زاهية بيضاء ، فتتجمع داخل الأرضية أبعاد الصورة محددة المعــالم .**

(*) « **شوبنهــور** » ترجمة عبد الرحمن .

ومن تصوير الـكاتب لمجتمعه تدرك انه كاتب ملتزم يصور بصدق **طبيعة مجتمعه الغيور على مقومات شخصيته** ، فالهدف من الزواج ــ كما وضحه النص في حوار الكاتب مع حماره ــ اتقاء الشبهات ، وكسب قيمة اجتماعية ترفع مكانته بين الناس . واختيار الزوجة يتركز حول الحسب والنسب .

وافكار النص واضحة تبدو فيها لمسات الفنان المخلص لعمله ، المؤمن بقيمة فنه في تحرير مجتمعه .

دراسة الأسلوب :

النص نوع من المقال القصصي ، يستعير من القصة لغة الحوار ، وحواره يمتاز بالسرعة ، فالجمل التي يجريها على لسان أحد المتكلمين قصيرة الفواصل ، قليلة الـكلمات . كما تراه في قوله :

« قال : جئت أستشيرك في أمر مهم » .

« قلت : هل هو عمل جديد ؟ » .

« قال : لا ، لم أعثر حتى الآن على عمل يشرفني » .

« قلت : اذن ماذا ؟ » .

« قال : ما رأيك في الزواج ؟ » .

وتشيع في أسلوب الـكاتب **ظاهرة السخرية** ، ويمكنك ملاحظتها بوضوح في هذا النص ــ من ذلك قوله :

« ولو لم أعرفك حمارا لقلت انك أتيت تستدين مني بعض النقود » .

وقوله على لسان حماره :

« لم أحصل حتى الآن على عمل يشرفني » .

وقوله :

« لم أر حتى الآن حمارا شرقيا تزوج بأتان غربية » .

وقوله :

« وأي مانع في أن يتزوج حمارنا المثقف بأتان أجنبية تليق بمكانه الرفيع » .

وهي **سخرية هادفة** ، استوحاها الـكاتب من ظروف حياته الخاصة ، وظروف مجتمعه الجزائري الذي كانت تسوده ــ في عصر الـكاتب ــ قيم وافكار ونظم معينة حول **المرأة والدين والسياسة** ، ومن هنا فان **السخرية** في ادب **« حوحو »** تختلف عن سخرية غيره من الأدباء الساخرين الذين يهدفون أول ما يهدفون الى الامتاع والترويح .

وقد أقحم الكاتب عدة موضوعات ثانوية على موضوعه الأصلي ، فبينما يعالج قضية الزواج بأجنبيات يتعرض لمجموعة قضايا منها :

1 ـ رغبة الانسان في الاقتراض .

2 ـ وصف المفكرين بالفقر المادي .

3 ـ السخرية من معظم الأعمال التي يقوم بها الانسان .

ولم يستطع الكاتب ان يربط هذه الموضوعات بموضوعه الأصلي مما اضعف التئام عناصر موضوعه .

ويبدو ان **اهتمام الكاتب باهدافه الوطنية** ، وانشغاله**باصلاح بعض الأوضاع الاجتماعية** ، كان أهم لديه من عنايته بالنواحي الفنية .

واتخذ الكاتب من أسلوب الحوار سبيلا لتحقيق أهدافه الاصلاحية في معالجة بعض القضايا الاجتماعية والظواهر النفسية .

ولما كان **الحوار** هو الطابع الذي يميز أسلوب النص ، فقد تعددت **الأساليب الانشائية** المختلفة الأنواع والأغراض .

وعبارات النص سهلة واضحة تلائم الموضوع والأفكار والقالب الفني ، والأغراض التي يهدف الكاتب الى تحقيقها .

واسلوبه **مباشر** ، لم يعتمد كثيرا على **الصور البيانية** ، وان وردت فهي قليلة ، من ذلك قوله :

« تتهمنا نحن البشر بالأنانية ، واذا بك غارق فيها لأذنيك » .

فهذا التعبير فيه استعارة تدل على المبالغة في الأنانية وشدة التمسك بها .

ومن **الوان البديع** في النص : **الطباق** في قوله :

« وأفرق بين الخبيث منها والطيب » .

والجناس في قوله :

« لا نعرف الملل ولا الكلل » .

والسجع في قوله :

« فهي اذن تمن وتتدلل ، وما عليه الا أن يرضى ويتذلل » .

وهي **محسنات** فى موضوعها غير متكلفة ، تزيد الأسلوب عذوبة وجمالا .

مجمل القول

- **النص من الادب الاجتماعيّ الذي يعالج مشكلاتٍ اجتماعية ، صَاغَهُ الكاتبُ في قالَبٍ يعتمد على الحِوار ، وعالجَ فيه قضيةَ الزواجِ باجنبيات ، ووضحَ خطورةَ هذا الزواجِ ، وحلل بعضَ جوانِبِ المراة بصفة خاصة ، والانسان بصفة عـامة .**

- **افكار النص سهلة وليست جديدة ، وغير متناسقة . واسلوبه سهل يميل الى السخرية ، ويعتمد على التعبير المباشر ، وفيه العديدُ من الأساليب الانشائية التي تلائم الحوارَ ، وفيه من المحسنات البدِيعية ما يزيده رونَقا وجمـالا .**

المنــــاقشــة :

1 ـ ما أهم الموضوعات التي تعرض لهـا الـكاتب في هذا النص ؟

2 ـ ما الأسبـاب التي دفعت الـكاتب الى مهاجمة الزواج بالأجنبيات ؟

3 ـ كيف فلسـف الـكاتب تناقض المرأة ؟ وما رأيك فيه ؟

4 ـ قارن بين أسـلوب السخرية عند « المـازني » و « رضا حوحو » من خـلال دراستك لبعض نصوصهما .

5 ـ استخرج من النص صورة بيانية ومحسـنا بديعيا واشرحهما .

6 ـ قام الـكاتب بعدة رحلات في بلدان مختلفة النزعات والاتجاهات .

تحدث عن رحلاته مشـيرا الى بعض التناقضات في المجتمعـات التي زارها .

الســؤال الـكتابي :

للكاتب راي في الزواج بالاجنبيات ، وللاسلام موقفه من هذه المشكلة .

ــ ناقش راي الـكاتب في ضـوء ما قـرره الاسـلام . موضحا رايك .

نماذج من ادبه :

١ ــ صديقي الشاعر (*)

عرفتُه تلميذًا في المدرسة ، وكان طفلا صغيرا قَمِيءَ القامة ضعيفَ البِنْيَةِ نحيلَ العضلات ، لكنَّهُ يتوقَّد ذكاءً وفِطْنَةً متَّصِفًا بشيء غيرِ قليلٍ من الشذوذ عن بقية زملائِهِ ، ينظر إليهم بعين الإزْدِرَاء والاحتقارِ وهُمْ يمارسون ألعابهم الصِّبيانيَّة لأنّه كان لا يلعب ولا يشارك زملاءَه ألعابَهُمْ بل تَجِدَهُ دائما متأبِّطًا كتابا أو غارقا في المطالعة أو محتَدًّا في المناقشة مع كبار الطلبةِ ، فالُمرَكَّب النَقْصِيّ في جسمه خلق فيه قوة فكرية استعملها لِيُتِمَّ بها هذا النقص ، فهو يكره ذوي الأجسام الضخمة وكثيرا ما تجده يترنَّمُ بالشعر الذي قيل في هَجْو الضّخام ويحفظ منه الشيءَ الكثيرَ .

كان ثائرا على أنظمة مدرسته بَرِمًا بها ، يقترح طُرُقًّا شَتَّى لإصلاحها ، بينما كان بقيةُ زملائِهِ لا يفرّقُون بين الغَثِّ والسَّمين من برامج دراستِهم ، وكان كذلك متمرِّدًا ناقِمًا على ذَوِي الجاهِ والسَّطْوَةِ ، تَوَّاقا الى الحريةِ يتمنَّاها في فَوْضَى .

اهتَمَمْتُ بِهِ ولاحظْتُهُ عن كَثَب ، وإذا به يقرض الشعر ، ويستعمله في الذَّوْد عن نفسه والانتقام من أعدائه فيهجم عليهم بهجوه اللاذع كما يمنح أصدقاءه من مديحه واطرائِهِ ، فعلِمْتُ حينئذ أنه وُهِبَ مواهبَ الشَّاعرِ الفَنَّانِ من طفولته ، وأنَّه خُلِقَ ليكونَ شاعرًا ، وقد كان بالفعل يحب الشعر ويُعْنَيَ به إلى حدٍّ بعيد .

عرفْتُهُ في أيَّامِهِ الأولى فتمنَّيْتُ له مستقبلا فنيا مَجِيدًا وإنْ كنت في الوقت نفسه أعطف عليه ، وأرأف به من هذا المستقبلِ البائسِ ، مستقبل الفنِّ ، فكنت مشفقا على جسمه النحيلِ وكتفيه الهزيلتين من حَمْلِ عبءِ رسالة الأدب الثقيلةِ ، كنت أخْشَى أن لا يقوى على متاعبها وقساوتها في هذه الأيام التي تَخِرُّ فيه العمالقةُ تحت حِمْلِ الأدب الثقيل الشاق .

يريد صديقي أن يُضِيءَ لكنَّه يعيش في بيئةٍ حالكةِ الظُّلْمَةِ لا يبدِّدُ ظُلْمَتَهَا نورُهُ الضئيلُ ، فكنت أخشى عليه من الاحتراقِ ، ولكنه خُلِق ليؤدِّيَ هذه الرسالة في الحياة فلا بُدَّ من التضحية في سبيلِها ، وها هو يضحي ، وهو يَسْعَى كالفراشةِ الى اللَّهَبِ .

(*) صاحبة الوحي : أحمد رضا حوحو .

ومرّتْ سنوات ، وَبَدَتْ له بعض الآثارِ في الصُّحُفِ ، فتساءل الناسُ وذهبوا يبحثون عنه حتى اذا ما بدا لهم بسنِّهِ الصغير وجسمِهِ النحيلِ وقامتِهِ القصيرةِ ، ولّوْا عنه هاربين ، وزال اعجابُهم بشِعْرِهِ وفَنِّهِ ، كأنَّ الفَنَّ بالأجْسَامِ الغليظةِ الضخْمَةِ والقاماتِ الفارعةِ الطولِ .

ومضى صديقي الشاعر يَشُقُّ طريقه الشائِكَ الى الأمام رغم العقبات التي كانت تعترض سبيله ، عقبات شَتَّى جديرَةٌ كلُّها بأن تَصُدَّ أيَّ شخصٍ آخرَ مهما كان قويا عن هِمَّتِهِ ، ولكنَّها كانت بالنسبة إليه موادُّ خِصْبَةٌ يستلهمها قريضه ويستوحيها معانيه.

حَرَّضَتْهُ هذه النكباتُ على التعلُّقِ بالشعر والتمسك به ، فقد وجد فيه سَلْوَتَه إلى أن قطع اليومَ هذا الشوطَ الشاسع في طريقه الى خمائل الشعر الفينانةِ ، وقد تقدَّمتْ به السنون بعض الشيء واكتسب من تجاربها وإحَنِها الشيءَ الكثيرَ .

اطلعت على بعض منتجاته بعد مرور سنين لم أره خلالها ولم أسمع عنه مدتها شيئا ، فوجدتها ماثلة الى النضوج تدل بجلاء على روحه الشاعرية القوية ، ونزعته الوثّابة الى السمو ورغبته الملحة في اقتفاء أثر المجيدين من شعراء العصر ، وهي مع كل ذلك سلسة الأسلوب رائعة المعاني ، لا يظهر عليها طابع التكلف ، وانما يبدو عليها طابع الملكة الشعرية المفطور عليها .

واجتمعت بصديقي الشاعر بعد فراق سنين فوجدته خامل السمعة مغمور الحقوق تَنَكَّرَ له زمانُهُ ، وهو لا يزال في مرحلته الأولى من حياته الأدبية ، أنكره قومه فلفظوا شعره ولم يستمعوا اليه ، (وكان هو ضنينا عليهم بِبَناتِ أفكاره) فقد تَعَوَّدَ قومه أن يسمعوا الشعر من أفواه المشايخ الطوال العراض ذوي العمائم الكبيرة واللِّحي الطويلةِ ، فكيف يقبلونه اليوم من هذا الشاب القميءِ النحيلِ الذي لا يقوى رأسُه الصغيرُ على حَمْلِ عمامة ولا تصلح ذقْنُهُ الجَدْباءُ لإنبات لحية كَثَّة فلم يَكُنْ الذنب ذنبه .

حاول صديقي أكثر من مرة مزاحمة مشايخ الشعر — كما يسمِّيهم — الذين فرضوا أنفسهم ضريبة على الشعر وأوقفوه على أنفسهم ، فنظم شعرا يمتاز بمعانيه الرائعةِ القويةِ ، ونغمته الموسيقية العذبةِ وأسلوبهِ السَّلِسِ لم يَعْهَدْهُ قومه من قبل فأنكروه ، ونظم غيره كلاما أجْوَفَ فقبلوه وصفقوا له ، ولم يحط هذا من

عزيمته ولم يوهن من نشاطه ، بل اكتفى بأن مطّ شفتيه هُزءًا وسخرية وغدا يزوي بعيدا عنهم في عالمه الفني الجميل .

لم يصب صديقي الشاعرَ بَعْدُ داءُ الشُّهْرةِ ، ولعلّه يعيش طيلةَ حياتِه بَعيدًا عن هذا الداءِ فيعيشُ مخلصا لفنّهِ مُكرّسا حياتَهُ له ، فهو لا يحسن الإعلانَ عن نفسه ، يجهل النفاق ولا يعرف المَلَقَ اللذيْن يُقرّبانِهِ من ذوي الشأن والجاه فيمهدون له مكانة في المجتمع تختلف بالنسبة لمكانة غيره من الشعراء بقدر ما يقوم به من النفاق وما يبذله من الملق لا بقدر مكانته الفنية ، وما تفيض به نفسه من الشعر الرائع القوي ، فقد تحكمت المادة في كل شيء حتى في الشعرِ والأدبِ اللذين هما أبعدُ شيء عن المادة وأوْضارِها ، لكنَّ شاعرَنا أبعدُ الناسِ عن هذه الطبقة ولعلّه أيضا أشدُّ الناس مَقْتاً لها وأكثرُهُمْ سُخْرِيَةً بها ، ولا يمكن أن يكون شاعر مطبوع الا كذلك فهو يعيش في دنيا قريضِهِ ، دنيا لا تمت اليهم بصلة قريبة ولا بعيدةٍ حيث يؤدي ضريبةَ حياتِه الفنيةِ : الآلامَ والجحودَ والحرمانَ كما يؤدّيها غيرُهُ مِمَّنْ أصابَهُمْ القَدَرُ بمِحْنَةِ هذه اليراعةِ ومتاعب هذا الفكرِ .

ب ـ مع حمــار الحــكيم (*)

انتهَيْتُ من مطالعةٍ لذيذةٍ لكتاب « **حماري قال لي** » **لتوفيق الحكيم** ، واستلقيت في مقعد مريح بعض الشيء ، مريح بالنسبة الي ، انا الذي قضيت ثلاثين حِجّة من حياتي بين مقاعد الدراسة ومقاعد العمل ، وكلها لا تَمُتُّ إلى الراحة واللّين بصلة قريبةٍ ولا بعيدةٍ .

ثم استغرقت في تفكير عميق محاولا هَضْمَ ما قراتُ ، وما هي الا دقائقُ حتى اغْفَتْ عيناي والقى عليّ الكرى رداءً اسود خفيفا ، ورايت فيما يرى النائمُ اليقِظُ حمارا صغيرا لطيفا تبدو عليه علاماتُ الذكاءِ والفِطْنَةِ ، يطل علي براسه من وراء مقعدي فعرفته على الفور دون اشكال أو عناء فقد كان حمار توفيق الحكيم براسه ورِجْلِهِ .

فقلت له : انت حمارُ الحكيمِ ؟ ... فقد عرفْتُكَ ! فافترّتْ شفتاه الغليظتانِ عن ابتسامةٍ عريضةٍ وقال :

ـ عرفتني هكذا بسهولة دون اشكالٍ ؟

قلت : ـ نعم فإنَّ معالِمَكَ لم تَخْفَ عليّ .

قال : ـ فأنا مشهور اذنْ في بلادِكم ؟

قلت : ـ دونَ شكٍّ ... ومن يجهل حمارا فيلسوفا مثل حضرتك . حَرَّكَ الحمار الفيلسوف اذنيه الطويلتينِ ثم قال :

(*) مع حمار الحكيم : أحمد رضا حوحو .

ــ إنَّكَ لم تخطئ ، فقد لاحظت كثيرا من الحمير يَتمتَّعُون بشهرة كبيرة في هذه البلاد .

قلت : ــ وما سببُ هذه الزيارة يا تُرى ؟

قال : ــ استُدْعِيتُ خِصِّيصًا لاغنِّي في محطّة الإذاعة الجزائريّة .

قلت : ــ تغني في الاذاعة ؟ يا للعجب !

قال : ــ وما وجه العجب ؟ فإنَّ صوتي جميلٌ . فهل تريد انْ أُسمِعَكَ شيئا ، مجانا دون مقابل ؟

قلت ــ لا .. لا .. لا عَدِمْتُ بِرَّكَ واحْسَانَكَ ، ولكن اليس صَوْتُك هو الذي ذكره الله في القرآن فكَشَّر الحمار المطربُ عن أسنانه ضاحكا ثم قال :

ــ سوف يتبين لك أن صوتي احسن من كثير من الأصوات التي اعتدت سماعها كل يوم ! ثم اردف قائلا :

ــ سوف لا تخسر شيئا ، فإنْ لم يعجبْكَ صوتي وَفَنِّي فما عليك إلَّا ان تدير لَوْلَبَ الجهاز بعنف كما اعتدت أن تفعل .

واردت ان أُغَيِّرَ مجرى الحديث خوفا من ان يذهب به الحماس الى رفع عَقِيرته بالغناء ، فقلت له :

ــ كيف فارَقْتَ صاحبك ؟

قال : ــ من تَعْنِي ؟ توفيق الحكيم ؟ فقد ضِقْتُ ذَرْعًا بهذا الرجل ، لانِّي كلما وضعت برنامجا إصلاحيا إلَّا وقام بإفساده عليّ .

قلت : ــ رغم سداد آرائك فإنَّك لن تجد من يهضمها غيره .

ــ وهل حقيقة اعْجَبَتْكَ آرائي ؟

ــ نعم وجدتُها سديدةً .

ــ هل تريد ان أُوحِيَ اليك بشيء من فلسفتي ؟

قلت له : ــ انت حمار أفكارك جريئة ، والحال عندنا غير الحال عندكم وإنِّي اخْشَى الا تقوى معدتنا المكدودة على هضمها .

قال الحمار الفيلسوف :

ــ لا .. لا .. إنَّك تُبالغ ، وما عليك الا انْ تشرحَ لي ايَّةَ مشكلةٍ من مشاكلكم وسافيدك برايي السديد فيها .

قلت : ــإنَّ مشاكلَنا كثيرةٌ وحياتَنا معقدةٌ ، ولكن لا بأسَ ، اي موضوع تريد انْ نبحثَ ؟

ــ اقترحْ انتَ الموضوعَ .

لا !.. اقترح انت .

قال بخبث : ــ إنّك تحترِسُ كثيرا .!. فلنتكلمْ في السياسةِ .

قلت : ــ دعني من السياسة ، أيها الحمار السياسي ، انها لم تَنْضَجْ بعد فى بلادنا ولا زالت تعتمد على المصالح الشخصية والحَزازاتِ الفردية ، اكثر من اعتمادها على المبادئ والأفكار والمصلحة العامة ، وانا لا اريد انْ الطِّخَ نَفْسِي بأوْحَالِها .

حَكَّ الحمار قَذَالَه بِرِجْلِهِ وقال :

ــ هل تريد ان نَطْرُقَ موضوعَ المرْاة ؟

ــ كُنْ مُرْتاحًا من هذه الناحية فلا وجود للمراة فى بلادنا .

ــ عجبا اتعيشون بدون نساء ؟ وكيف تتناسلون ؟

قلت : ــ لدينا آلاتٌ للنسل نحتفظ بها فى بيوتنا .

قال : ــ هذه مشكلة عَوِيِّصَةٌ دعنا منها ، فلنبحث فى الفقه فإنَّ لي آراء جديدةً فيه لا تَخْلُو من فائدة.

ــ ارى ان تحتفظ بها لتحدِّثَ بها فقهاءنا علَّهم يستفيدون منك شيئا جديدا .

ــ لنتكلم اذن فى الدين .

ــ دينُ مَــنْ ؟

ــ الدِّين الاســلامي .

ــ أعلم ذلك ، لكن دين الحكومة أم دين الشعب ، الدين الرسمي أم الدين الحُرِّ ؟

ــ عجبا !.. وهل لكم اديان عديدة ؟

ــ دينانِ فقط .!. دين رسمي تشرف عليه الحكومة ويحرسه رجالها من موظفي المساجد والطرق ودين حر يعتقده الشعب ويتزعَّمُهُ رجال الإصلاح فيه .

قال : ــ والتعليم ؟

قلت : ــ هناك التعليم الرسمي وهو فنِّي على قاعدة فلسفية عميقة وغامضة فى نفس الوقت ، وهي تَعَلَّمْ لتَجْهَل ...

قال : ــ عجبا !.. يتعلم ماذا ؟ ويجهل ماذا ؟ فإنِّي لا اكاد افهم شيئا .

قلت متضجّرا : ــ وانَّى لك ان تفهم فلسفتنا العميقة . ثم اردَفْتُ قائلا : وامَّا التعليم الحر فإنَّ له لجنة عليا ، تستطيع أن تتصل بها لتقدم لها آراءك ومقترحاتك .

قال : ــ وهل يروقك حديث الأدب والفنون ؟

ــ لا ادب لدينا ولا فنون ولا صحافة ولا هم يحزنون، فضحك بملء فيه وقال :

ــ إنَّك لرجُلٌ متشائِمْ ، لكن لا بد من طَرْقِ أي موضوع ، فلنتكلم فى الاقتصاد !

قلت : ــ اما رجال المال والتجارة فانهم لا يضيعون.اوقاتهم المادية الثمينة فى قراءة مهاتراتنا ، واما القراء فإنّهم لا يملكون ما يشترون به ما يريدون مطالعته ، وهم فى غِنىً عن خبرتِكَ الاقتصاديةِ.

قال : ــ لقد اعياني البحث اقترح انت موضوعا شيِّقًا نتباحَثُ فيه مليًّا .

قلت : ـ اختر بين موضوعين : الفقر والجهل .

قال مشمئزا : ـ إنَّ فلسفة الحمير فلسفةٌ راقيةٌ لا تتنازل الى هذه الأشياء الحقيرة ، ثم القى نظرة خاطفة على ساعته الرِّجْلِيةِ وصاح :

ـ لقد حان وقتي ولم نصلْ إلى نتيجة ، فاستودعك الله والى اللقاء .

واستيقظت من غَفْوَتِي وبحركة آلية فتحت جهاز الراديو ، واذا بصوت مزعج ينطلق منه ، وسمعت ابني يقهقه على مقربة منِّي وهو يردد :

ـ اما حمار عجيب .

قلت : ـ من ؟ حمار الحكيم ... هل هو يغني ؟

قال متعجبا : حمار يغني ؟ ما لك ، اعني حمار توفيق الحكيم ، واراني كتاب « **حماري قال لي** » الذي كان يطالعه .

جـ ــ ابن البحيرة (*)

— 1 —

كان يومُ الأحد أوَّلَ يوم من فصلِ الربيع ، وكانت جميعُ هذه المخلوقاتِ التي تعمر هذه الأرياف من جبال ووديان واشجار وازهار وحيوانات من وحوش وطيور كلها تنتظر بفارغ صبرها طلوعَ الشمس من مخبئها ، وتتطلَّعُ باشتياق إلى انكشافها من ستائرها ، ليتمتعوا بحرارتها النافعةِ ويحتفلوا باشعتها الجميلةِ بعد ما احتجبتْ عليهم طوال فصل الشتاء كلِّهِ ، وَحَلَّتْ محلها تلك السُّحُبُ الكثيفةُ والغيومُ الثقيلةُ وَكَمْ رَمَتْ الطبيعةُ ، وتحسَّنَتْ مناظرُها عندما بزغَتْ الشمسُ وظهرَ لاولِ مرَّةٍ منذ اشهر طوال ، أوَّلُ شُعَاعِها يلمع كأنَّهُ قضيبٌ ذهبيٌ مرصَّعٌ بلآلئ دُرِّيةٍ ، فازدهرت الأزهار واخذتِ العصافير تغني أجمل الحانها وخرجت الوحوش من أدغالها لتشاهد هذا المنظر الفَذَّ البديعَ ، او لتحتفل بهذا البشيرِ الذي جاء يُبَشِّرُهم بدخولِ فصلِ الربيعِ الزاهرِ الذي هو غرامُهم الوحيد وشوقُهم الفريد ، ولم تكن هذه الحيواناتُ وهذه النباتاتُ وهذه الجماداتُ وحدها محتفِلةً بهذا اليوم الجميل ، بل كان بينهم من النوع الانساني من يشاركُهم في أفراحهم ، وهو « علي » الشاب الريفيّ الذي كان جالسا على هَضَبَةٍ يشاهد من بعيد غَنَمَهُ تَرْعى وهو يعزف بكل قواه على مزماره فتردد له الجبال من وراء البحيرة صدى المزمار فتزيده طربا وسرورا ، وفي تلك اللحظة نفسها بدا شَخْصٌ من بعيد يسعى بخُطواتٍ سريعةٍ قاصدًا البحيرة ، ثم صار يقرب شيئا فشيئا الى ان تَجَلَّى ، فظهر انه امرأة في العقد الثالث من عمرها تحمل بين يديها طفلا صغيرا ، وهي مُصْفَرَّةُ الوَجْهِ مضطربة الفكر باكيةُ العين فتتأمَّلُ تارةً طِفْلَها وتلتفت اخرى وراءها كأنَّ احدًا يراقِبُ حركاتِها وسكناتِها من بعيد .

(*) من ادب رضا حوحو القصصي اخترنا لك هذه القصة وهي مأساة اجتماعية نشرها بمجلة المنهل أيام اقامته بالحجاز .

ولا شكَّ أنَّ عليًّا ، راعِيَ الغنم شاهدها حيث وضع مزماره وطَفَقَ يلاحظ هذه المرأة من دون ان تراه ، ويتعجب من الباعث الذي اتى بها فى هذا الصباحِ الباكرِ ، ولا شك أنها مشت جزءا كبيرا من الليل حتى وصلت هذا الموضع النائي فى هذه الساعة المتقدمة من النهار ، والمرأة حَضَرِيَّة على ما يبدو من لباسها وهيئتها ، واقرب مدينة الى هذا الريف لا تقل مسافتها عن ثلاث ساعات بالعَدْوِ السريع ، وما هي الا بُرْهَةٌ قصيرة حتى وصلت المرأة الى ضفاف البحيرة ووضعت حِمْلَها على الرَّمْلَةِ الناعمةِ ، وهو ولدٌ صغيرٌ (لا يتجاوز عمْرُهُ بضعةَ اشهر) جميلُ الصورةِ ، اخذ يشاهد جمالَ الطبيعة الساحر بعينيه السوداوين ، ويبتسم لهذه الحياة كأنَّها كلَّها سعادةٌ وسرورٌ غير شاعر بما تحمله من متاعبِ واكدار وبؤس وشقاء وحزن والم ، واخذت هذه الأم العجيبة تتأمله آنا ، والبحيرةَ اخرى ، كأنها تريد أن تقارن ما بين جماليهما الباهر ثم انحنَتْ على الطفل وطبعت على خديه قُبلتينِ حارتين وعيناها تَسُحَّان بالعَبَرَات ثم انتصبت قائمة ، وبعد ما القت عليه نظرة اخيرة كلها عطف وحنان خاطبته قائلة :

ــ الوداعَ يا عزيزيٍ ! انت فى كنف الله يابني ورعايته ! فابتسم هو لها ظاناًّ أنَّها تداعبه ثم قَفَلَتْ راجعةً من حيث اتَتْ ، وقلبها يَقْطُرُ دما ، ولكن عليا الذي كان يشاهد من أعلى الهضبة هذا الحادث المؤلم قفز من مكانه منطلقا كالبَرْق يريد ادراك هذه المرأة الغريبة الأطوار التي تركت صغيرها فى هذه البادية الخالية وبمجرد ما احست به خرجت عن شعورها والتفتت نحوه صارخة فى وجهه :

ــ دعني ! ، اتركني ! ، خذوه ان شئتم ، واعطفوا عليه انه بريء لا ذنب له . واخذت تلطم وجهها وتصيح الى ان خَرَّت مَغْشِيًّا عليها ، واسرع الى كوخه (الذي يبعد عن هذا المكان بقدر نصف ميل) ليستنجد بأمه العجوز واخيه الصغيرِ لإسعاف هذه المرأة المصابة ، واخذ معه الطفل لأنه لم يأمن عليه اغتيال الوحوش الضَّوارِي ، وفى تلك الساعة سمع رجل من بعيد صراخ المرأة فأسرع نحوها مستبشرا مبتسما وهو يردد هذه العبارة : ــ رمته والله وقد تحقق الأمل ! غير انه لما راى « عليا » تراجع واختفى ما بين الأشجار الملتفة ولما بدا له « علي » من بعيد ، يعدو ، قاصدا منزله اسرع نحو المرأة وافاقها بعُقَار كان معه وَفَرَّ بها . وَكَمْ عَظُمَ اندهاشُ عليٍّ حين رجع ووجد المرأة التي تركها مَغْشِيا عليها قد اختفتْ ، تاركةً ولدَها عند هذه الأسرةِ الريفيةِ المفطورةِ على الرحمةِ والإنسانيةِ .

— 2 —

بينما كانت سلْمَى العجوزُ امُّ عليٍّ ، تُرْضِعُ الطفل من البان غَنَمِها ، وولداها الريفيانِ الغليظانِ يفيض قلبهُما رأفةً وحنانا على هذا الطفل الغريب الطاهر البريء كانت امُّهُ (نَجَاةُ) منطلقة بها سيارة تَنْهَبُ الارض نَهْباً وبجوارها رجل يهددها بمسدس قائلا :

ــ قولي حالا ! ايتها الخبيثة ، والا قتلتك !! هل حقا قتلتيه ؟ ... فأجابته وهي تحاول اخفاء الحقيقة بعبارات مُقَطَّعَةٍ بالبكاء :

ــ اجل . اجل . قتلتُهُ . رَمَيْتُهُ في البحيرة حسب امرك . ولما اطمأن الرجل ادخل سلاحَه وكفَّ عن تهديدها وانتقل من تلك الحالة الشديدة الى حالة لطف ورفق ، وتحول ذلك الشيطان ملكا واخذ يشجعها واعدًا إيَّاها بالسعادة الدائمة بجواره .

وَسَكَنَتْ نجاةُ من رَوْعَتِها ، واطْمَأَنَّ خاطِرُها قليلا على ابنها وانزوت في ركن السيارة واخذت تصغي لذاكرتها وهي تُمْلِي عليها جميع ادوار حياتها ، حادثةً حادثةً وشرعت تطوراتُ حياتِها المنصرمةِ تمرُّ بين عينيها مُفَصَّلَةً كأنَّها على شريط سينمائي ، فتبتسم تارة وتَعْبَسُ اخرى ، وتذكَّرَتْ ايام الصِّبا وكيف كانت في زمن الطفولة مَكْسُوَّةً بعطف ابيها وَحِنوِّ امها ودلال جميع افراد اسرتها الى ان شَبَّتْ وتزوجتْ بابنِ عمِّها الذي كان مُتَيَّماً بحبها ، وقد كان شابا جميلا ثريًّا ، إلاّ انَّهُ كان هادئا خَمُولا ، لا يتكلم الا عند الحاجة : ولهذا كان قلبُ نجاةِ مشغولا عنه بحُبِّ رجلٍ آخرَ وهو « عَزَّةُ » الشاب المرحُ الطروبُ .

وكانت نَجاةُ قد تَعَرَّفَتْ به قبل اقترانِها بابنِ عمِّها وأَحَبَّتْهُ الى حَدِّ الإفْرَاطِ ، لكن هل يُجْدِي حبُّها شيئا ويجني ثمارا مع اوامر ابيها الصارمة الذي قرر أن تتزوج بابن عمها ويجب ان يطاع ، وكانت تظن هي انها ستستطيع ان تضحي بألف غرام في سبيل ارضاء ابيها وانَّها تقدر على التَغَلُّبِ على حُبِّها ، ولكن عبثا حاولت اخماد نار قلبها ، ففي كل لحظة تتصور عَزَّةَ وابتسامَته العذبةَ ، وكلما طردتْ خيالاتِها عن افكارها تكاثرت هذه وتعاظمت وقد كان عَزَّةُ لا يجهل عاطفة نجاة نحوه بل كان هو الآخر يقاسمُها من بعد لحبِّها وآلامها .

وفوجئت نجاة ذات يوم بوفاة ابويها فازدادت آلاما على آلامها ، وشجونا على شجونها ، فبكتهما وبكت غرامها معهما ولكن ما يسعُها الا الصبرُ والكتمانُ ولا سيما انها ستصبح والدةً بعد أيام قلائل ، ولاحظ زوج نجاة تأثُّرَهَا واضطرابها والآلامَ الشديدةَ التي كانت تحاول اخفاءها وكتمانها ، وكان يعلل ذلك بفراق أبويها (اللذين كانت تتفانى في حبهما) وَثِقَلِ حَمْلِها ، آملا انَّها سوف تضع حملها وتتسلَّى بطفلها عن احزانها وسوف ترجع تلك الابتسامة العذبة التي كانت لا تَفْتَرُّ أن تعلو شفتيها والتي فقدتها منذ زمان غير قصير .

— 3 —

بعدما انتهى رشاد زوج نجاة من التجوال في مزارعه الفسيحةِ ، جلس على هضبة صغيرة ، وطفق يتأمل الشمس التي اخذت تستتر رويدا رويدا وراء هذه الجبالِ الشامخةِ قاصدةً مقرَّها ليحل محل انوارها المشرقةِ ظلامٌ دامسٌ ، وليأتي بدل حرارتها الممتعة بردٌ قارسٌ ، وكم كان منظرها خَلاَّبًا حين غروبها ، وقد كان جديرا بأن يفتن قلب رشاد الذي يعشق الجمال ويتصوره في كل شيء ، ولكنه كان مشغول البال بما تكابده زوجه من آلام الحمل ، ولذا لم يُعِر هذا المنظر ادنى التفاتةٍ ، وانما عندما غربت الشمس واختفى قرصُها ارتعدت فرائصُ رشاد واحسَّ بحزنٍ شديد يستولى عليه ، وسارت رجفة باطنية في سائر اعضائِه لم يستطع تحليلَها وبينما هو

كذلك اذ رأى من بعيد خادمَهُ يُهَرْوِلُ قاصدا نحوه فقفز رشاد من مكانه وتلقّاهُ مستفسرا وهو مضطرب محتار من هذه الهواجس التي تنذره بكارثة عظيمة ولكن سرعان ما اطمأنّ قلبُهُ المحتار وهدأت نفسه الثائرة حيث رأى علاماتِ الاستبشارِ والسرورِ تلوحُ على وجه الخادمِ ، ولم تخن رشاد فراستُه فالخادم يحمل بين جنبيه خَبَرَ المولودِ الجديدِ استبشر رشاد ونسي ما يختلج في ضميره من الخواطر المظلمة فامتطى لفوره صَهْوَةَ جوادِهِ وانطلق مسرعا قاصدا بيته ليرى ابْنَهُ وَيُقبِّلَ زوجتَه وهو يبني صُرُوحًا من الأحلام والآمال ، ولم يشعر بالشخص الذي كان مختفيا وراء الشجرة القريبة مُصَوِّبا نحوه مسدسَه ، ولم يترك رشاد آماله وأحلامه الكاذبة الا حين ما سقط تحت طلقات المسدس العديدة التي أخذت تمطر عليه من يد عدوه المجهول الذي اختفى فيما بين الأشجار الكثيفة كأنه شيطان رجيم ، تاركا رشاد يتخبّط في دمائه ، ولم يرحم شبابه ، ولا الطفلَ الصغير الذي ينبغي أن يعيش لأجله ، ولم يُمْهِلْه على الأقل حتى يُقبِّلَ طفلَه ويهنئ زوجَهُ ...

وكان الحاطِبُ العمُّ احمدُ قد سمع من داخل كوخه الذي لا يبعد كثيرا عن مكان الحادثة الطلقات النارية تَعْقُبُهَا صيحاتُ رجل أخذت تضعف شيئا فشيئا واسرع يستطلع الخبر ، وكم عظم اندهاشُه وثار عجبُه عندما رأى رشادا ذلك الرجل الهادئ المحبوب عند الجميع ، وذلك الرجل الذي يفيض قلبه عطفا وحنانا على الضعفاء والمساكين ، وكم غمر العم نفسه بكرمه ، متخبطا في مصرعه ، مُضَرَّجًا بدمائه ، ودنا الحاطب من القتيل ، وكم سُرَّ لما وجده لا يزال حيًّا .

ـ لا بأسَ عليك يا بُنَيّ لا بأس !..

ـ آه !.. لم ادرِ يا عم احمد ايُّ يدٍ هذه الظالمة المجرمة التي فتكت بي في هذه الساعة التي كنت اظن انني اسعد البشر فيها آه ... ما اظلمك أيها الانسان . لم يستطع الحاطب المسكين حَبْسَ عَبَرَاتِهِ التي اخذت تهطل على لحيته الكثيفة كأنها مطر غزير . عندما سمع هذه الجملة بكى لها قلبه دما قبل عينيه ولكنَّه رَغْمَ هذا كله لم ييأس من روح الله بل اخذ يُشَجِّعُ الشاب بعبارات مُتَقَطِّعَةٍ بالبكاءِ الذي يُخْفِيه ما بين لحظة وأخرى ، ولكن رشادا الذي كان لا يشك في مصيره ولا يرتاب في أمره قاطعه قائلا :

ـ لا اظن يا عم احمد اني سأعيش الى الغد ، وإنما أرجوك أن تحملني الى كوخك لأُسْلِمَ هناك الرُّوحَ الى بارئها بهدوء ، وتذهب انت الى الشرطة تخبرها بالأمر . وبعد ما حمل الحاطب الصريع الى كوخه ووضعه على فراشه المكوّن من اوراق الشجر اليابسة ، قصد المدينة ليوصل الخبر ، وبعد ما بعد الحاطب ـ وكان الليل قد ارخى سُدُولَه ـ وبقي رشاد وحده خطر بباله ان يخط كلمة لزوجه قبل أن يفارق هذه الحياة وبرغم ضعفه الشديد أخرج من جيبه دفتر مذكراته وبعد ما أشعل مصباحه الكهربائي الصغير أخذ على نوره الضئيل يسجل خواطره الأخيرة .

« نجاة العزيزة !

« اللهُ وحدَه يعلم كم احْبَبْتُكَ يا نَجاةُ ! هو وحده يعلم مقدارَ عظمةِ هذا الحبِّ ، فهل تبادليني الحب يا تُرَى ولو بمقدار ذَرَّةٍ منه ؟ فإنْ كان كذلك فإنّي سابقى إذن حَيًّا سعيدا ما دام ذلك الجزء البسيط من عطفك يشملني ، ولا يهمني هذا الذي يُسَمِّيه الناس موتا ، فمماتي يا نجاةُ هو اذا لم يبق لي في قلبك ذكرى ..

« نجاتي العزيزة !

« جاءني نبأُ وَضْعِكِ وانا في مزارعي ، فاسْرَعْتُ نَحْوَكِ لأُقَبِّلَكِ وأُقَبِّلَ طِفْلَنا العزيز وكانت ساعتئذ خواطر حزينة تختلج في ضميري ، وكم اكدت لي بانني لن اراكما ابدا ولم اعتبر غُرَاب البَيْن الذي كان ينعِقُ فَوْقَ راسي ، بل اسْرَعْتُ نَحْوَكُما يا عزيزتي ، ولكن المَنِيَّة ابَتْ إلاَّ انْ تختطفني قبل وصولي اليكما . ولم اشعر الا والسماء تُمْطِرُ علي رِصَاصًا.

« أشياءُ كثيرةٌ يا نجاةُ أُرِيد ان اقولَها لك غير انّي احسستُ بيدِي تَثْقُلَتْ ، وقوتي خارَتْ . والذي اوصيك به في هذه اللحظة الاخيرة هو ان لا تَضِنِّي عليّ بزيارتِكِ قَبْرِي !

« وفي الختام أُصَرِّح بانّي لا اتهم احدا ، وامّا العمُّ احمدُ فلم ينقلني من مصرعي الا بِمَحْضِ رغبتي ، فالوداع ! الوداع . ـ أيها العزيزانِ ، والله هو المنتقم » .

رشـــاد

وما كاد رشاد يختم خطابه حتى احسَّ بسهام الموتِ تخترِقُ قَلْبَهُ ، وما هي الا لحظة حتى فارق هذه الحياة الدُّنْيا واسلم الرُّوحَ الى بارئها ...

— 4 —

بَكَتْ نَجاةُ زوجها وَنَدبَتْ طِفْلَها الذي اصبح يتيما ، وكان الحُزْن الفَتَّاك يستولي عليها ويذهب بها لولا ان عَزَّةَ عشيقَها الاوّلَ الذي لم تَنْسَهُ رغم هذه الكارثةِ العظيمةِ ادركها بنصحه وتشجيعه ونفخ في قلبها فاثار حُبَّها الكَمِين، وبُعِثَتْ فيها روح جديدة ، بل ابدلت تلك المراة الارْمَلة المنكوبة بِفُقْدان زوجها المصابة بيتم ابنها ، فتاة في زهرة شبابها تبتسم لها الحياة ، فتاة تبني في كلِّ آنٍ قصورا شامخة من احلام الحب وتغرس في كل لحظة رياضا زاهرة من آمال الغرام وما هي الا ايام قلائل حتى اصبح فقيدُها نَسْيا وحل محله عزة الذي تزوجته نجاة واسلمته عِنَانَ قلبها ، فاصبح يتصرف في احوالها حسب مشيئته وإرادته .

ولم يَكْفِ عَزَّةَ هذا التَّصَرُّفُ الذي يراه إلى أَجَل مُسَمًّى ولم يقنع بهذه السيطرة التي يعتقد انها سوف تُنْتَزَعُ منه متى ما كبر الولد واذا رزق هو اولادا افيعيشون فقراء كما عاش هو جُلَّ حياته ؟ كلا !.. لا يريد هذا النعيم الزائل ولا يبني صَرْحَ حياته على هذه السعادة المؤقتة ، بل ينبغي أن يلحق الطفل بابيه ويترك الميدان واسعا لغيره ومن حين ما اختلجت هذه الافكار في نفس عزة اصبح يفكر صباحَ مساءَ في كيفية تنفيذها واخيرا اهتدى ، اليست نَجَاةُ تتفانى في حُبِّه وتُضَحِّي بكلِّ غَالٍ في سبيل مَرْضَاتِه ؟ فلماذا لا يستعمل هذا الحل في تنفيذ خطته ؟ وَجَرَّب ذات يوم فعرض الامر على زوجه معلّلا بانه لن يستطيع الحياة مع هذا الطفل الذي يذكّرُهُ زَوْجَها القديم

وانها عن قريب تصبح ذات أولاد آخرين تَتَسَلّى بهم عن هذا الطفل الذي لم تحب اباه أبدا ، ولم تستطع نجاة تَحَمُّلَ هذه الضربة الموجعة من يدي حبيبها ، بل اصْفَرَّ وجهها حتى كاد يُغْمَى عليها وراحت تساورُها الظنون وأي قلب على وجه البسيطة ، قلب حيوان أو انسان ذكر أو انثى ، يستطيع تحمل فكرة كهذِهِ الفكرة ويرضى بقتل طفله وقطع فِلْذَة كَبِدِهِ ! ولكنَّ الحُبَّ الاعمى يفعل بصاحبه المُدْهشات ويحمله على اقطع الجرائم ، ولا يزال عزة وراء عشيقته حتى اقنعها بصحة فكرته ، واجبرها عليها ، وكان من امرها ما اسلفناه .

عشر سنوات مضت ونجاة تتردد فى خلالها على البحيرة لتجد غالبا طفلها بجانب الذي يسميه ابي « علي » وكان هذا لا يجهل انها امه ، ولكنه يتجاهل منتظرا الفرصة المناسبة لرفع الغطاء ، وتارة تجد الأم ابنها يلعب في تلك البقعة نفسِها التي تركته فيها قبل سنين ، فتفيض عليه من عطف الأمومة وَحُنُوّها وقد الفها الولد إلْفًا شديدا حتى صار كلما ابتعدت عنه خفق قلبُهُ الصغيرُ لفراقها فاتهم نفسه بالغلو فى حب هذه المراة الغريبة ، ولكنه لم يَتَبَعَّهُ إلا المجيء خصيصا لهذا المحل للاجتماع بها وكثيرا ما يقول فى نفسه لماذا لم يجعل الله هذه المراة « التي تُحِبُّه وتُحْسِنُ إليه » أُمَّهُ وها هو اليوم أصبح فى الحادية عشرة من عمره فصار رجلا يرعى الغنمَ بنفسه ومِرَارًا تأتيه نجاة من بعيد حاملةً عُلَباً كثيرةً من الحلوى واللُّعَب فيشتغل الولدُ فى اللعب والأكل وتبقى هي فى حراسة غنمه وتراقب جميع حركاته وسكناته ، باكية نادمة على ما فعلته من ابعاد ابنها ، وتزوجها ، لأن زوجها صار منذ اشهر عاكفا على الخمر والمَيْسِر ينهب ما لَها نهبا ولا يجيئها الا نادرا ، وعاتبته ذات يوم ، وكان ساعتئذ فى حالة سُكْرٍ فلطم وجهها وَهَدَّدَها بالحاقها بزوجها وطفلها ان لم تصمت . وقعت هذه الجملة على قلب نجاة كأنها سهم وصار الضياء في وجهها ظلاما ، وفهمت أن هذا المجرم هو الذي قتل رشاد ، أو تآمر على قتله واهتدت الى جميع الأشراك التي نصبها لاقتناص ثروتها وسرعان ما استحال ذلك الحب العظيم بغضا شديدا ، ونهضت لفورها قاصدة ابنها لتأتي به وتذهب الى الشرطة لاخبارهم عن المجرم ولكنها ما كادت تصل الى شاطئ البحيرة حتى احست بحركات خطى تتبعها فالتفتت واذا بعزة الذي لم يترك لها الوقت لأي مفاهمة كانت ، بل وثب عليها كأنه أسد ضار ماسكا برقبتها ، ولم يشعر هذا الا ونصل حاد يمرق احشاءه فارتخت يداه وسقط قتيلا ونهضت نجاة متعجبة واذا بها تجد ابنها أمامها عاريا ، وبيده خنجر يَقْطُرُ دما . كان الولد يَسْتَحِمُّ فى الجانب الآخر من البُحَيْرَةِ حينما رأى هذا الرجل الوَحْشِي يخنق المراة التي يحبُّها كثيرا وتحسن إليه كثيرا وَأَحَسَّ بدافع عظيم وباعث ملح يدفعه الى قتل هذا الرجل الذي يبغضه بغضا شديدا ، وان كان لم يره في حياته قط فأسرع نحوه وقبل أن يرتدي ملابسه اخرج منها خِنْجَره الحاد الذي أَعَدَّه لمصارعة الذِّئاب وطعن به الرجل فارتمت عليه نجاة وهي تردد هذه الكلمات :

ـ آه !.. يا ولدي العزيز انقَذْتَ أُمَّكَ ، وانتقمت لأبيك !.. (*)

(*) **مجلة المنهل** ، السنة الثانية ، مارس 1938 م .

للمطالعة

تعليق على أدب رضى حوحو

يمتاز ادب الأستاذ احمد رضا حوحو بطابع الخفة والصدق والانتقاد ، فانك لا تكاد تقرأ له فصلا من فصوله ، أو قصة من أقاصيصه ، أو تشاهد له مسرحية من مسرحياته حتى يفاجئك بهذا الثالوث الجميل الحبيب . . ولا نظن أن كاتبنا يتكلف هذه الخصائص تكلفا ، أو يسعى اليها سعيا ، بل انها لتنبعث من نفسه الخفيفة الصادقة الناقدة انبعاثا ، فهو خفيف فى كلامه ، خفيف فى نكته ، خفيف فى حركته وسكونه . وهو يعالج ما يعالج من الشؤون بكل صدق ، وينظر الى كل ما تقع عليه عينه بروح نقدية تنفذ الى صميم الأشياء ، وبتعبير واحد جامع ، فان رضا حوحو فى ادبه هو نفس رضا حوحو فى حياته من غير ما تعديل أو « رتوش » !..

عرفت الأستاذ حوحو منذ سنة 1948 م ، فتم الاتصال بيننا كأننا نشأنا فى اسرة واحدة ، أو تخرجنا من معهد واحد ، وكنا بحكم هذه العشرة الصافية اسسنا بمعية زميلين آخرين جمعية حرة متمردة على الأوضاع دعوناها « اخوان الصفاء » واستمرت هذه الجمعية تواصل اعمالها واجتماعاتها بدار أخينا حوحو ، بروح انشائية وكتابة كان من آثارها هذا الكتاب الذي يقدم نفسه بنفسه للقراء . ففي ليلة من تلك الليالي الزاخرة قدمت للأخ حوحو « **حماري قال لي** » للأستاذ توفيق الحكيم (وكانت الحرب قد حرمتنا زمنا طويلا من بريد الشرق) فالتهمه فى سهرة واحدة . وأعاده الي فى الغد ، وهو معجب بموضوعه ، مأخوذ بأسلوبه فقلت ـ وكنا قد انقطعنا عن النشاط الكتابي فى البصائر ـ لا تدع هذه الجذوة التي أوقدها الأديب الحكيم فى نفسك ، تخمد دون ان تقوم بعمل ما ..

فقال : ـ ماذا تريدني أن اعمل ؟

قلت : ـ تجند قلمك لتوجيه هذا الشعب الذي كثر مستغلوه وقل خادموه ، على نحو ما فعل توفيق الحكيم بمصر . . وذلك ما كان ، فما أصبح قراء البصائر حتى راوا « **حمار الحكيم** » يخترق الحدود المصرية فيمسي فى القطر الجزائري يجوب انحاءه ناشرا آراءه الحرة الصريحة (بنفس الشجاعة ونفس اللباقة) فكانت هذه الفصول الأدبية والاجتماعية ، التي استعذبها القراء فطلبوا منها المزيد لما عالجت من موضوعات مبتكرة ، ذات الوان مختلفة ، بتفكير طليق واسلوب خفيف طريف . . .

ان مجتمعنا قد تحرر الى حد بعيد من الخرافات التي نسجتها الجهالة على عقيدته الدينية ، ولكنه لا يزال يرسف فى اغلال عقائد اجتماعية باطلة تعوقه عن التطور والتقدم ، فهو لا يزال خرافيا فى السياسة والاقتصاد ، خرافيا فى التربية والتعليم والفنون ، خرافيا فى النظر الى المراة والزواج والأسرة ، خرافيا فى نظره الى الحياة كمجتمع متمدين يعيش فى القرن العشرين .

ومن هنا كانت حاجته الى المصلح الاجتماعي ماسة وضرورية ، ومن هذا المصلح يا ترى ؟

أعتقد أن علماءنا الأحرار اخذوا ـ ولا يزالون يأخذون ـ بيد الشعب فى كثير من الميادين ، كميدان نشر الفضيلة وحب الخير والتعاون وما الى هذا من القواعد الخلقية اللازمة لبناء أي مجتمع قوي سليم ، ولكنهم ـ نظرا لما يحيط بمراكزهم من اعتبارات مختلفة أيسرها الوقار والتحفظ ـ فهم لا يستطيعون التحليق فى جميع الأجواء ، ولذلك تراهم من قديم العصور يسايرون الركب ولا يقودونه . والجماعة البشرية لا تنقاد الا للفارس السباق !

فان المصلح المرجو لمعالجة أدواء مجتمعنا اذن ، انما هو الأديب الموفق الذي وصفه الأستاذ حوحو فى « **فصل الأدباء والفنانون** » بقوله : **الأديب هو الذي يستطيع ان يصل الى اعماق النفوس فيحللها ، والى اعماق الأشياء فيصورها ، وهو الذي يجعل من أدبه لغة روحية يخاطب بها ارواح الغير ويعبر بها تعبيرا صادقا عن مشاعره وتصوراته دون أن يحسب حسابا لسخط هذا أو رضا ذاك .**

ولأجل هذا تراني انظر الى هذا الكتاب الذي يقدمه « **حمار الحكيم** » الى القراء فى هذا الثوب القشيب ، نظرة تفاؤل وتقدير ، فهو لعمري نواة صالحة لغرس الروح النقدية فى صفوفنا ، هذه الروح الجموح التي تسمي الأشياء بأسمائها ، وتكشف عن الحقائق ما يغطيها من الثياب البالية والأغشية المموهة ، حتى تبدو عارية جلية يلمسها الأعمى ويراها الأصم !..

فما عليك يا صاحب « **حمار الحكيم** » الا أن تواصل جهادك الأدبي بهذه العزيمة الجريئة ، فتعمل ما وسعك العمل على طبع اقاصيصك ومسرحياتك الكثيرة التي شاهدها الجمهور الجزائري فهام بها هياما . وثق أنك اذ تسير فى هذا السبيل فانك تنير الطريق لأبناء أمتك ، وتعينهم على حل مشاكلهم الفردية ، ومعالجة أمراضهم الاجتماعية . وخير الأدب ما كان من الشعب والى الشعب ، وثق ، من جهة أخرى . انك بجهادك هذا تعمل على تعمير المكتبة الجزائرية الفارغة ، وتضع لبنة قوية فى صرح ادبنا الجزائري الحديث (*) .

(*) مقدمة كتاب مع حمار الحكيم للاستاذ عبد الرحمن شيبان .

17

الحـــــرّيّة

لابـن باديـــــس

(1889 — 1940 م)

تعريف وتمهيـــد :

« **عبد الحميد بن باديس** » باعث النهضة الجزائرية الحديثة ، وُلِدَ في « **قسنطينة** » وتعلّم فيها ، ثم رَحَل الى «**تونس**» وتلَقّى دروسه في **جامعة الزيتونة** ، ولما رجع الى **الجزائر** ، اتخذ من المساجد مَنَارَةَ العِـلْم ، واسّـس **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** التي كان لها الفضل في **نَشْرِ الثقافة العربية وبَعْثِ الرّوحِ الإسلامية** بين الجزائريين ، واصبحت تعاليمها ومَبَادِئُهَا **وَقُودَ الثورة المسلحة** ضد المستعمرين الفرنسيين حتى **رفرفت راية الحرية** فوق رُبُوع البلاد(*) .

وفي الوقت الذي كانت فيه فرنسا **تَفْرِضُ** سيطرتها الغاشمةَ ، واستعمارها البغيض على وطننا وعلى غيره من البلدان ، كانت تحتفل بعيد حريتها في الرابع عشر من جويليه في كل عام ، على مَرْأًى وَمَسْمَعٍ من الشعوب التي تستعمرها ، غَيْرَ عابئة بمشاعرهم ، بل كانت تدعو الجماهير الشعبية الى المشاركة في مهرجانات عيد حريتها ، مما **اثار سُخْطَ الكاتب** على استهتار الاستعماريين بالقِيَمِ الانسانية ، وما **يُبْدُونَه** من تناقضات بين اقوالهم وافعالهم ، إذ يقيمون احتفالات للحـرّيّة في بـلاد تعاني من احتلالهم الغاشم .

تَصَدّى الإمام الحـرّ لهذا الاستفزاز الاستعماري بكتابة هذا النص في عام 1939 م يُنَاجِي فيه الحـرية بمجموعة من الخواطر والأفكار تتضح لك فيما يلي :

النـــص :

(أ)

« أَيَّتُهَـا الحُـرِّيَّةُ المَحْبُوبَةُ !

تَحْتَفِلُ بِأَعْيَادِكِ الأُمَمُ ، وَتَنْصِبُ لِتَمْجِيدِكِ التَّمَاثِيلَ ، وَيَتَشَادَقُ(1) بِأَمْجَادِكِ الخُطَبَاءُ وَيَتَغَنّى بِمَفَاتِنِكِ الشُّعَرَاءُ ، وَيَتَفَنَّنُ فِي مَجَالِيكِ(2) الكُتَّابُ ، وَيَتَهَالَكُ مِنْ أَجْلِكِ الأَبْطَالُ وَتُسْفَكُ فِي سَبِيلِكِ الدِّمَاءُ ، وَتُدَكُّ لِسَرَاحِكِ(3) القِلَاعُ وَالمَعَاقِلُ وَلَكِنْ أَيْنَ أَنْتِ فِي هَذَا الوُجُودِ ؟

(*) ستاتي ترجمة مفصلة لحياته وادبه .

1 ـ **تتشادق** : تتحدث بملء شدقيها ، والشدق زاوية الفم من باطن الخدين . 2 ـ **مجاليك** : اظهار حقيقتك . 3 ـ **سراحك** : تخليصك .

ـــ كَمْ مِنْ أُمَمٍ تَحْتَفِلُ بِعِيدِكِ ، وَقَدْ وَضَعَتْ نِيرَ العُبُودِيَّةِ[4] عَلَى أُمَمٍ . . وَأُمَمٍ . .

ـــ وَكَمْ مِنْ قَوْمٍ نَصَبُوا لَكِ التَّمَاثِيلَ فِي الأَرْضِ . وَقَدْ هَدَمُوكِ فِي القُلُوبِ وَالعُقُولِ وَالنُّفُوسِ .

ـــ وَكَمْ مِنْ خَطِيبٍ فِيكِ مُفَــوَّهٍ وَقَدْ كَمَّ عَنْ ذِكْــرَاكِ الأَفْوَاهَ[5] .

ـــ وَكَمْ مِنْ شَاعِرٍ فَتَــنَهُ جَمَالُكِ ، وَلَكِنْ لَا شُعُورَ لَهُ مَعَ المُسْتَعْبَدِينَ .

ـــ وَكَمْ مِنْ كِتَابِيٍّ أَلْبَسَكِ الحُلَلَ الضَّافِيَةَ[6] مِنْ نَسْخِ أَقْــلَامِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يُنِيلُكِ خِــرْقَةً[7] بَالِيَةً مِنْ صُنْعِ يَدِهِ .

ـــ وَكَمْ مِنْ أَبْطَالٍ اسْتُشْهِدُوا لِإِنْقَاذِكِ وَلَكِنْ خَلَفَهُمْ مَنْ قَضَى عَلَيْكِ فِي مَهْدِكِ[8] .

ـــ وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ زَكِيَّةٍ كُتِبَتْ بِهَا صَحَائِفُ تَارِيخِكِ ، وَلَكِنْ مَحَتْهَا دِمَاءُ قُــلُوبٍ تَحَدَّرَتْ دُمُوعًا مِنَ الجُفُــونِ .

ـــ وَكَمْ هُــدِمَ لِسَرَاحِكِ مَا هُــدِمَ ، وَلَكِنْ بُنِيَ عَلَى أَنْقَاضِهِ[9] سُجُونُ الأَحْرَارِ . فَأَيْنَ أَنْتِ أَيَّتُهَــا الحُــرِّيَّةُ المَحْبُوبَةُ ــ فِي هَــذَا الوُجُودِ ؟ » .

(ب)

« فَتَّشْتُ عَنْكِ فِي قُصُورِ الأَغْنِيَاءِ ، فَوَجَدْتُ القَوْمَ قَدِ اسْتَعْبَدَهُمُ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ ــ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ ــ وَغَلَّتْ[10] أَيْدِيَهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمُ الشَّهَوَاتُ . فَتَّشْتُ عَنْكِ فِي أَكْوَاخِ الفُقَــرَاءِ ، فَوَجَدْتُ المَسَاكِينَ قَدْ قَيَّدَهُمُ الفَقْرُ فَرَمَاهُمْ فِي غَيَابَاتِ[11] الجَهْلِ وَدَرَكَاتِ الشَّقَاءِ[12]

فَتَّشْتُ عَنْكِ فِي الشُّعُوبِ القَوِيَّةِ ، فَوَجَدْتُ العُتَاةَ الطُّغَاةَ قَدْ قَيَّدَتْهُمُ الأَطْمَــاعُ فِي ثَرَوَاتِ الضُّعَفَــاءِ .

فَتَّشْتُ عَنْكِ فِي الشُّعُوبِ الضَّعِيفَةِ ، فَوَجَدْتُ الأَنْضَاءَ المُرْهَقِينَ قَدْ كَبَّلَهُمُ اسْتِبْدَادُ الأَقْــوِيَاءِ » .

---

4 ــ **نير العبودية** : قيودها . 5 ــ **كم الافواه** . وضع عليها الكمامة فأسكتها وأخرسها . 6 ــ **الحلل الضافية** : الثياب الواسعة الفضفاضة . 7 ــ **الخرقة** : القطعة من الثياب البالية . 8 ــ **المهد** : المكان المعد لنوم الطفل الرضيع . 9 ــ **الانقاض** : بقايا الهدم . 10 ــ **غلت** : قيدت . 11 ــ **الغيابات** : جمع غيابة ، وهي القبر . 12 ــ **دركات الشقاء** : منازله السفلى .

(حـ)

« فَأَيْنَ أَنْتِ أَيَّتُهَا الحُرِّيَّةُ المَحْبُوبَةُ ، مِنْ هَذَا الوَرَى[13] ؟

ــ أَنْتِ . . أَنْتِ الحَقِيــقَةُ الخَفِيَّةُ خَفَـاءَ حَقِيقَةِ الكَهْرُبَاءِ !

ــ أَنْتِ . . أَنْتِ الرُّوحُ السَّــارِيَةُ فِي عَــالَمِ الأَحْيَــاءِ !

وَلَئِنْ خَفِيْتِ بِذَاتِكِ فَقَدْ تَجَلَّيْتِ عَلَى مَنَصَّةِ الطَّبِيعَةِ فِي بِسَاطِ الأَرْضِ وَأَجْـزَاءِ السَّمَاءِ ، فَأَبْصَرَتْكِ عُيُونٌ اكْتَحَلَتْ بِإِثْمِدِ الحَقِيقَةِ وَاقْتَبَسَتْ مِنْكِ عُقُولٌ صُقِلَتْ بِالعِرْفَانِ وَاحْتَضَنَتْ صُدُوراً أُنِيرَتْ بِالإِيمَانِ ، وَتَذَوَّقَتْكِ نُفُوسٌ مَا عَبَدَتْ إِلاَّ اللهَ ، وَخَدَمَكِ قَوْمٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ » .

(د)

« آهِ . . آهِ أَيَّتُهَا الحُرِّيَّةُ المَحْبُوبَةُ ، وَا شَوْقَاهُ إِلَيْكِ ، بَلْ وَا شَوْقَاهُ إِلَيْهِمْ ! المَحْيَا مَحْيَــاهُمْ ، وَالمَمَــاتُ مَمَــاتُهُمْ .

أَنقِذِ اللَّهُمَّ بِهِمْ عِبَادَكَ ، وَأَحْيِي بِلاَدَكَ ، وَأَلْحِقْنَا ــ اللَّهُمَّ بِهِمْ ــ غَيْرَ مُبَدِّلِينَ وَلاَ مُغَــيِّرِينَ . . آمين » .

شرح وايضــاح :

أ ــ يبدأ الكاتب **بنداء** يوجهه الى **الحرية** التي يَعْشَقُهَا وَيُحِبُّهَا كُلُّ إنسـان حُرّ في هذا الوجود ليقول لها : **لقد ظَلَمَكِ المستعمِرون واساءُوا اليك ، يُمَجِّدُونَكِ بأقوالهم ، وَيَنْتَهِكُون حُرُمَاتِكِ بأَفْعَالِهِم** ، تَنَاقُضُهُمْ ظاهِرٌ في كل شَيْءٍ، فبينما هم يحتَفِلون بِعِيدِكِ ، يستَعبِدون غيرهم ، وبينما هم يَنْصِبُونَ لك التماثيل ، إذْ هم **يَحْطِمُونَهَا في قـلوب الشعوب** المُسْتَعْمَرَةِ ، وكثيرا ما **بُذِلَتْ من اجلِكِ الارواحُ والدِمَاءُ** ، ولـكنها ذهبت هَدَراً بما نال الضعفاءَ الأبرياءَ من قمعٍ واضطهاد على ايْدِي الظَّلَمَةِ والمستَبِدِّينَ .

ب ــ ثم رَاحَ الكاتب يبحث عن **الحرية** عَلَّهُ يَظْفَر بها هنا أو هناك ، فيقول : لم أجدكِ عند الأغنياء لأنهم مشغولون عنك بأموالهم وشهواتهم ، ولا عند الفقراء لأن البؤس يَعُوقُهم عن التَّطَلُّعِ إلى معاليك ، ولم أجدك عند الشعوب القوية ، لأن الطغاة قد أَعْمَتْهُم اطماعهم في ثَرَوَاتِ الضعفاء ، ولا عند الشعوب الضعيفة لأنهم مُكَبَّلُونَ بقيود الظلم والاستعباد .

حـ ــ وبعد أن صَوَّرَ الكاتب **وَاقِعَ الحرية في جَوِّهَا القاتم** ، راح يعلن عن إيمانه بها وتَفَاؤُلِهِ بمستقبلها ، فيقـرِّر أنّ الحرية حقيقة واقعة، وهي حقيقة لا تُرَى ، وإنمـا تَسْرِي في عَالَمِ الاحياءِ مِثْلَ تَيَّارِ الـكَهْرُبَاءِ ، وإنِ اخْتَفَتْ بذاتها فَمَظَاهِرُهَا تملأ الارض والسماء ، ولـكن لا يستطيع رُؤْيَتَهَا كُلُّ إنسـان ، لأن الظلم والطغيان يَقِفَانِ عَقَبَةً في

13 ــ **الورى** : الخلـق او الناس .

طريق الوصول اليها ، ولا يُبْصِرُهَا إلاّ مَنِ امتلأ قلبُه بالإيمان الحقّ ، وتَذَوَّق جَمَالَ الحرية وتَسَلَّحَ بالعِلْم والمعرِفة ، وهو العِلم الذي يقوم على الإيمان بالله وتَصْديق انبيائه المرسلين .

د ـ وبعد أن وَضّح الكاتب طريقة الوصول الى الحرية اخَذ يتشَوّق إليها وإلى اهلها ، ويدعو امته إلى الخَلاص ممّا تُعَانِيهِ واللِّحَاقِ بالمجاهدين في سبيل اللـه من عباده المؤمنين .

دراسة الأفكار :

هذا النص من **الأدب السِّياسيّ** الذي يَكشِف أساليب الاستعمار ، وطريقته الإستِعْمَارِيَّة في **إثارة مشاعر الشعوب** المستضعَفة ، ويبيّن تَناقُض المستعمرين وأنَانِيَّتَهُم وَاسْتِهَانَتَهُمْ بالقِيَمِ الإنسانِيّة .

وإن كان الكاتب لا يخاطب الاستعمار مباشَرةً ، ولا يهاجمه بطريقة عَلَنِيَّةٍ سافِرَة ـ كما فَعَل غيْرُه من المصلحين من امثال : **الكواكبي ، والأفغاني** ـ فإنه يَدْمَغُ أعمالهم بالخِزْيِ ، ويُلْزِمُهُمُ الحُجَّةَ القاطعة على ظُلْمهم وطغيانهم ! وهو بهذا المنهج يوضّح طريق الثورة أمام المواطنين الجزائريين ، ويُوحِي إليهم بضرورة الخَلاص مِنَ المستعمِرين .

ومن هذا النص نستطيع التَّعَرُّفَ على **شخصيّة الكاتب** ، فهو **ثائر في تَعَقُّلٍ ورَوِيَّةٍ وشجاعٌ في غير تَهَوُّرٍ** ، يَغْلِي من الألم دون ثَرْثَرَةٍ ، ويشعر بالمرارة دون عَوِيلٍ او صُراخ . ولعلّ أهمّ مميزات شخصية الكاتب تلك **النزعةُ الدينية** التي تبدو بوُضوح في هذا النص ، لقد ربط الكاتب بين **إدراك الحرية** ـ وهي أمْرٌ سياسيّ اجتماعيّ ـ وبين **الإيمان** ، بل جعل الإحساس بها قاصراً على الذين امتلأت قلوبهم **بنُورِ العقيدة الصحيحة والإيمان السليم** .

والكاتب بهذه **الرُّوح الدينية** يَنْفُذُ إلى قلوب سامعيه ، لانه يَسْتَحِثُّ فيهم أقْرَبَ عقيدةٍ ، وأحَبَّهَا الى نفوسهم ، وهي عقيدة **الإيمان بالله** ، التي تَمْلِكُ ـ وَحْدَهَا ـ تَوْحِيدَ صفوفهم ، وجَمْعَ كلمتهم ، وتَجْنِيدَ كلّ طاقاتِهم وعَزَائِمِهم .

وفي هذا الربط بين الحرية والدِّينِ دليلٌ على فَهْم الكاتب طبيعةَ شعبِه ومجتمعه ، وقدرته على النفاذ اليه والتأثير فيه .

وأفكار النص الأساسية هي :

1 ـ **تَنَاقُضُ المستعمِرين بين اقوالهم وافعالهم ،**
2 ـ **لا حرِّيَّةَ في بيئة يُهَيْمِنُ عليها المستعمِرون ،**
3 ـ **حقيقة الحرية ووسيلة إدراكها ،**
4 ـ **تَشَوُّقٌ إليها ودَعْوَةٌ إلى العمل من اجل بُلوغِهَا .**

وهي أفكار تتميز بالوضوح والتَّسَلْسُلِ والإقناع الفكريّ والوِجْدَانِيّ اللَّذَيْنِ يُؤَثِّرَان في العقول والقلوب .

دراســة الأســلوب :

إذا تاملنا أسْلُوبَ الكاتب في هذا النص أمْكَنَنَا ان نُمَيِّزَ فيه عِدّةَ خصائصَ أهَمُّها :

اولا : التَّكْـرَار: وهَدَفُ الـكاتب منه تَقْوِيَةُ المعنَى وتَوْكِيدُه ، وقد ياتي التكرار في اللفظ مثل قــوله :

« أنتِ . . أنتِ الحقيقةُ الخَفِيّةُ . . » [فقرة (جـ) س 2]

وقد ياتي بتَرْدِيدِ مُرَادِفٍ للعبــارة مثل :

« . . يَتَهَالَكُ مِنْ أَجْلِكِ الأَبْطَالُ . . » [فقرة (أ) س 2]

« كَمْ مِنْ أَبْطَالٍ اسْتُشْهِدُوا لإِنْقَاذِكِ . . » [فقرة (أ) س 13]

وهذا التَّكْرَارُ ملائمٌ لهــدف الـكاتب إذْ يُوحِي بالتَّرْكيزِ على شَيْءٍ مَعَيَّنٍ كما نَرَى في المثــال الأخير ، حيث يُرْشِد الكاتب بطريقته الواعية إلى طريق الخَــلاص من المستعمرين .

وفي قــوله :

« أين أنتِ في هــذا الوُجُودِ ؟ » . [فقرة (أ) س 3]

ثم يقــول :

« وأين أنتِ أيتها الحرية المحبوبة مِن هذا الوَرَى » . [فقرة (جـ) س 1]

إنما يَهْــدِف الى تاكيد ضَيَاعِ الحرية بين الطغاة المُسْتَبِدِّين .

ثانيا : التَّأَثُّرُ بأسْــلوب القرآن في قوله :

« غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَــاقِهِمُ الشَّهَــوَاتُ » . [فقرة (ب) س 2]

فهو ماخــوذ من قــوله تعــالى :

« وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ(*) ».

ثالثا : الاستشهــاد : كمــا في قــوله :

« تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ . . »(**) [فقرة (ب) س 2]

وهو حديث شريف

(*) من سورة المــائدة ، آية رقم 64 .

(**) رواه البخاري ، رياض الصالحين للنوري ص. 466 ، ط. بيروت .

وظاهرة التَّأثُّر بالقرآن الكريم والاستشهاد بالحديث النَّبَوِيِّ الشريف تَعْكِسُ لنا ثقافةَ الكاتب الدِّينِيَّةَ كما مَرَّ بك .

وقد تَنَوَّع أسلوبه بين **الخبر والإنشاء** ، وتَعَدَّدَتْ فيه الأساليب الإنشائية . من ذلك قوله :

« أيتها الحرية المحبوبة . . وَا شَوْقَاهُ » . [فقرة (أ) س 1]

إلى استفهام في قوله :

« أين أنت من هذا الوجود » [فقرة (أ) س 3]

الى امر بمعنى الدعاء في قوله :

« أَنْقِذِ اللَّهُمَّ بِهِمْ عِبَادَكَ » . [فقرة (د) س 3]

ولا يَخْفَى عليك ما وراء هذه الأساليب وغيرها – في النص – من قِيَمٍ جَمَالِيَّةٍ في المعنَى والأسلوب .

كما استعان الكاتب **بالأساليب البيانية** الكثيرة المختَلِفَةِ لِتَوْضِيحِ أفكاره .

كالتشبيه في قوله :

« أنت . . أنت الحقيقة الخَفِيَّةُ خَفَاءَ حقيقةِ الكهرباء » [فقرة (حـ) س 2]

والكناية في قوله :

« كَمْ مِنْ دِمَاءٍ زَكِيَّةٍ كُتِبَتْ بِهَا صَحَائِفُ تَارِيخِكِ » [فقرة (أ) س 14]

والاستعارة في قوله :

« كَبَّلَهُمُ اسْتِبْدَادُ الأَقْوِيَاءِ » [فقرة (ب) س 7]

وقوله :

« وَتَذَوَّقَتْكِ نُفُوسٌ » [فقرة (حـ) س 6]

وفي النص العديد من **الصور** ، فَتَأَمَّلْهَا جيّدا لتستطيعَ الوُقوفَ عليها وتَذَوُّقَ ما فيها من جمال .

وعباراتُ النص واضحةٌ إلا ما نَدَرَ مثل قوله :

« وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ زَكِيَّةٍ كُتِبَتْ بِهَا صَحَائِفُ تَارِيخِكِ وَلَكِنْ مَحَتْهَا دِمَاءُ قُلُوبٍ تَحَدَّرَتْ دُمُوعًا مِنَ الجُفُونِ » . [فقرة (أ) س 14]

فهو **كناية** عَمَّا يعانيه المضطهَدون على أيْدِي الاستعماريّين من قَمْعٍ وظُلْمٍ كلما طالبوا بالحرية والعدالة ، وهذا القَمْعُ والاضطهاد يُبْطِلاَنِ مايُرَدِّدُه المستعمِرون الفَرَنسيّون من مَزَاعِمَ حولَ ما كان لهم من ماضٍ ثَوْرِيٍّ تَحَرُّرِيٍّ.

ولعلك تلاحظ ما في هــذا التعبير من عَدَمِ وُضُــوحٍ ، ولا شــكّ في أن طريقــة الــكاتب التي كان يهاجم بها الاستعمار سَبَبٌ في ذلك الغموض .

ومن **المُحَسِّنات البديعيّة** في النص :

الطِّبَاقُ في قــوله :

« المَحْيَـا مَحْيَـاهُمْ والمَمَـاتُ مَمَـاتُهُمْ » [فقرة (د) س 2]

والسَّجْعُ في قــوله :

« يَتَشَادَقُ بِأَمْجَادِكِ الخُطَبَـاءُ ، وَيَتَغَنَّى بِمَفَاتِنِكِ الشّعراءُ » [فقرة (أ) س 1]

وفي النص العَدِيدُ من **المحسنات البديعية** يمكنك الوقوف عليها .

مجمل القول في النص

- **يُعْتَـبَرُ هذا النص من الادب السّياسيّ التحرريّ ، وهو يعكس منهــج الــكاتب في دعــوته إلى الحرية ، وطريقته في الثورة على الاستعمــار ، وهي طريقة « الإيحَــاءِ ،والنّداء » غير المباشِرِ ، وذلك بنَشْرِ الوَعْيِ وتوضيح الحقائق ، لإعــداد المواطنين للنضــال والتحرر .**

- **وفي النص رُوحٌ دينية تدل على وَعْيِ الــكاتب بطبيعة شعبه ، وتَمَسُّكِه بالإســلام ، وأفكاره واضحةٌ وإنْ كانت مَطْرُوقَةً ، لــكنّ طريقة العــرض جيدةٌ وجديدة ومُقْنِعَةٌ ، فيها تَسَلْسُلٌ فِكْرِيٌّ ، وارتباط وِجْدَانِيٌّ .**

- **يمتــاز اسلوبه بالتَّكْرَارِ ، سواء في اللفظ او العبارة ، وهذا التكــرار يكتسب اهمية كبيرة لملاءمة اسلوب الــكاتب مع منهجه التحرري الثوري ، وعبارته واضحة ، والفاظه ممتازة . وفيه من المحسنات البديعية ما يَجْلُو افكاره ويُجَمِّلُ اســلوبه .**

- **وفي النــص تَأَثُّــرٌ بالقــرآن الــكريم واستشــهادٌ بالحديث الــشريف . كما انه تتعدد فيه الأساليب الإنشائية المختَلِفَةُ الاغراضِ ، ليكتسب الخَبَرُ ــ بعد ذلك ــ صِيغَةَ التاييدِ والحكم الذي لا يُعْوِزُهُ البرهان أَوِ الدليل . وعاطفةُ الكاتب صادقةٌ تَتَجَلَّى لك بوضوح خِلالَ الصور البلاغيةِ المتعددةِ .**

المنـــاقشـــة :

1 ـ مَجَّدَ الكاتب الحرية ، فما صور التمجيد ؟ وهل وُفِّقَ الكاتب فيما ذهب اليه ؟
2 ـ بَحَثَ الـكاتب عنِ الحرية ، فهل وجدها ؟ وأين ؟
3 ـ تَضِيع الحرية بين الأقوياء والضعفاء . فَلِمَ ؟
4 ـ في النص ما يدل على تَحَسُّرِ الـكاتب على فُقْدَانِ الحرية . فما العبـارات التي تدل على ذلك ؟
5 ـ على أيدي مَنْ تتحقق الحرية ؟ اذكر الصفاتِ التي أَوْرَدَهَا الكاتب فى رُوَّادِ الحرية .
6 ـ هل ترى فى النص تَكْـرَاراً لبعض الأفكار ؟ وضِّح ذلك .
7 ـ « أين أنتِ في هذا الوجودِ ؟ » . ما الذي يدل عليه الاستفهام ؟
8 ـ « المَحْيَا مَحْيَاهُم ، والممات مَمَاتُهُم » اشرح هذه العبارة مُبَيِّنًا ما فيها من جمال .
9 ـ في النص صُوَرٌ جميـلة . هاتِ صورة لم تَرِدْ في الدراسة ، وبَيِّنْ سِرَّ جمالها .
10 ـ قال شوقي :

وَلِلْحُـرِّيَّةِ الحَمْـرَاءِ بَابٌ ... بِـكُلِّ يَـدٍ مُضَرَّجَةٍ يُـدَقُّ

أَخْـرِجْ من النص ما يُشِير إلى مضمون هذا البيت .

11 ـ الكاتب مُدْرِكٌ لطبيعة شعبه . فَمِنْ أيِّ افكار النص تَفْهَمُ تلك الحقيقةَ ؟

المقـــال الأدبيّ :

الحُرِّيَّةُ ، كَلِمَةٌ ذَاتُ دِلاَلاَتٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، تَنَاوَلَتْهَا السّياسة والفلسفة والدّيانات والاجتمـاعُ .

ـ ما الحرية فى نَظَـرِك ؟ وما واجب الأفـراد والمجتمعات نحوها ؟

السـؤال الـكتابي :

عَرَفَتِ النهضةُ الحديثةُ ائمَّةً مُصْلِحِين انْتَهَجُوا أُسْلوب الثورة المباشِرِ ضدّ الأوضاع الاستعمارية ((كالإمام جمال الدين الافغاني)) ، وعَرَفَتْ مصلحين آخرين اعتمدوا فى محاربتهم الظلمَ والاستعمارَ عَلَى إِعْدَادِ المجتمع ثقافيًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا كإمَامِنَا ابْنِ باديس .

ـ قارِنْ بين المَنْهَجَيْنِ ، وبـيِّنْ أَيُّهُمَـا تُفَضِّـلُ ، ولمـاذا ؟

(أ) نَمُوذَجٌ من تفسير ابن باديس (*)

نقدم لك فيما يلي نموذجا كاملا من تفسير الامام « ابن باديس » لآية من القرآن الكريم ، لتتعرفَ على طريقته في فَهْمِ القرآن الكريم وتفسيره .

وسترى أنه فهمٌ عصريٌّ يقوم على إدراكِ حقيقة الاسلام وربطِهِ بالحياة والواقع ، واتخاذ مبادئ الاسلام دواءً لجميع أمراض المجتمع وعلله .

الطور الأخير لكل أمة وعاقبتُه

« وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً ، كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً » . (الآية 58 من سورة الاسراء)

تمهيد :

الأممُ كالأفرادِ ، تمر عليها ثلاثةُ أطوارٍ : طورُ الشباب ، وطور الكُهُولة ، وطور الهَرَم

فيَشمَل الطورُ الأولُ : نشأتَها الى استجماعها قُوَّتَها ونشاطَها ، مُستعدةً للكفاح والتقدم في ميدان الحياة .

ويشمل الطور الثاني : ابتداءَ أَخذِها في التقدم والانتشار ، وسِعَةَ النفوذ ، وقوةَ السلطان الى استكمالها قوتَها وبلوغِها غايةَ ما كان لها أن تبلغَه من ذلك ، بما كان فيها من مواهبَ ، وما كان لها من استعداد ، وما لديها من اسباب .

ويشمل الطور الثالث : ابتداءَها من التقهقر والضعف والانحلال ، الى ان يحلَّ بها الفناءُ والاضمحلالُ ، اما بانقراضها من عالم الوجود ، واما باندراسها من عالم السيادة والاستقلال .

وما من أُمةٍ الا ويجري عليها هذا القانونُ العامُ ، وان اختلفت أطوارُها في الطول والقصر ، كما تختلف الأعمار .

هذه السُّنَّةُ الكونيةُ التي أجرى الله عليها حياة الأمم في هذه الدنيا ، أشار اليها في كتابه العزيز في غير ما آية .

فذكر أعمارَ الامم ، مُقدَّرةً مُحدَّدةً بآجالها في مثل قوله تعالى : **« لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ »** .

وَذكَرَ انشاءَ الأمم على اثر الهالكين في مثل قوله تعالى : **« وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ »** .

وذكرَ طور شباب الأمة ودخولَها مُعتَرَكَ الحياة في مثل قوله تعالى : **« عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ »** .

فان بني اسرائيلَ ما استخلفوا في الارض حتى قووا ، واشتدوا وتكونت فيهم اخلاق الشجاعة ، والنجدة والحَمِيَّة والأنفةِ بعد خروجهم من التِّيه ، وذلك هو

(*) تفسير ابن باديس ، ص : 159 .

الطور الأول ، طورُ الشباب للأمة الاسرائيلية . وذكر الطورَ الثانيَ وهو طور الكهولة واستكمال القوة ، وحسن الحال ، ورغد العيش في مثل قوله تعالى : ((**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**)) . وذكر الطورَ الثالثَ طورَ الضعف والانحلال في مثل قوله تعالى : ((**وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً**)) .

وإهلاكهم يكون بعد إسباغ النعمة وإقامة الحُجَّة عليهم ، وتَمَكُّن الفساد فيهم وتكاثر الظلم منهم . فإهلاكُهم هو نهايةُ الطور الثالث من أطوار الامم الثلاثَ . الى خاتمة الطور الثالث وعاقبته ، جاء البيانُ في قوله تعالى : ((**وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا**)) .

الألفـــــاظ :

((**القرية**)) المساكن المجتمعة ، ومادة ((قري)) تدل على الجمع ، فتصدق على القرية الصغيرة والمدينة الكبيرة . وتُطلقُ القريةُ مَجَازا على السكان اطلاقا لاسم المحل على الحالِّ . ومنه هذا ، و ((**الإهلاك**)) الإبادة والإفناء بالاستئصال كما فعل بعادٍ وثمودَ و ((**قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)) اي في الدنيا و ((**العذاب الشديد**)) كأمراض الابدان وفساد القلوب ، وانحطاط الأخلاق ، وافتراق الكلمة ، وتسليط الظلام كما أرسل على بني اسرائيل عبادا أولي بأس شديد ، فساءوا وُجوهَهم ، وجاسوا خلال ديارهم ، وكتسليط اهل الحق على اهل الباطل ، وكالجَدْب والقحْط وجوائح الأرض ، وجوائح السماء . و ((**في الكتاب**)) اي اللوح المحفوظ ، و ((**مسطورا**)) اي مكتوبا اسطارا مبينا .

التـــراكيب :

((**إِنْ**)) نافيةٌ ، و ((**مِنْ**)) زيدَت لاستغراق الجنس وتأكيد العموم ، و ((**إلاَّ**)) أفادت مع أن النافية حصرَ كل قرية في احد الأمرين من الهلاك والعذاب الشديد ، ليعلم أن لا نجاة لكل قرية من أحدهما قطعا . و ((**أو**)) تفيد احد الشيئين المذكورين على الابهام وعدم التعيين ، و ((**ذلك**)) اشارة المذكور من الهلاك والتعذيب .

المعـــــنى :

يقول تعالى : ما من قرية على وجه الأرض الا ولا بد أن يحل بها منا هلاك وفناء بما يُبيدها ويُفنيها ، أو عذابٌ شديد لا يفنيها ولكنه يُذيقها انواع الآلام شديد النكال . كان هذا قضاءً سابقا في علمنا ، ماضياً في إرادتنا ، مكتوبا اسطارا في اللوح المحفوظ .

الاحـــــكام :

احـكام الله تعـالى قسمان :

احكام شرعية وهي التي فيها بيان ما شرعه لخلقه مما فيه انتظام أمرهم وحصول سعادتهم اذا ساروا عليه . وأحكام قدرية وهي التي فيها بيان تَصرُّفه في خلقه على

وفق ما سبق فى علمه وما سبق فى إرادته . والأحكامُ الشرعية تقع من العباد مخالفتُها ، فيختلف مقتضاها من الفعل أو الترك ، والأحكام القدَرِيَّةُ لا تتخلف أصلا ، ولا يخرج المخلوقات من مقتضاها قطعا . وفى هذه الآية حُكمٌ من أحكامه القدَرية ، وهو أن كل قرية لا بد أن يصيبها أحد الأمرين المذكورين بما سبق من علمه ، وما مضى من ارادته فلا يتخلف هذا الحكم ولا تخرج عنه قرية .

ايضـــاح وتحليـــل :

الله حَكَمٌ عَدْلٌ حكيمٌ خبيرٌ ، فما من حُكْمٍ من أحكامه الشرعية الا وله حكمتُه ، وما من حكم من أحكامه القدرية الا وله سببُه وعلته . لا لوجوب أو ايجاب عليه ، بل بمحض مشيئته ، ومقتضى عدله وحكمته .

وقد قضى على كل قرية بهذه العاقبة من الهلاك والعذاب الشديد فى هذه الآية ، وَبيَّنَ فى غيرها سبب استحقاقها لهما فقال تعالى : ((**وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا**)) . ((**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**)) ، ((**وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**)) ، ((**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً**)) ، ((**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْرًا**)) ، ((**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**)) . فأفادت هذه الآيات أن سبب الهلاك والعذاب هو الظلمُ ، والفسادُ ، والعتوُّ ، والتمردُ عن أمر الله ورسله ، والكفرُ بأنعم الله . ((**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**)) .

توجيــــه :

الطور الأخير للأمم هو الذي ذُكِرَ فى الآيات كثيرا دون الطور الأول والثاني . ووجهُ ذلك : أنه هو الطور الذي ينتشر فيه الفساد ويَعظُمُ فيه الظلم وتنتهي فيه الأعذار للأمة ، ويحل فيه أجَلُها ، فينزل بها ما تستحقه من هلاك أو عذاب . فكرر ذِكْرُ هذا الطورِ لزيادة التحذيرِ منه ، والتخويفِ من سوء عاقبته والحثِ على تدارك الأمر فيه بالاقلاع عن الظلم والفساد ، والرجوع الى طاعة الله تعالى واعمال يد الاصلاح فى جميع الشؤون فيرتفع العذاب ، بزوال ما كان لنزوله من اسباب .

استنتــاج وتطبيــق :

القرى التي قُضِيَ عليها بالهلاك والاستئصال هذه قد انتهى أمرُها بالموت ، وفات عن العلاج مثل عادٍ وثَمُودَ من الأمم البائدة . وأما القرى التي قُضِيَ عليها بالعذاب الشديد ، فهذه لا تزال بقيد الحياة فَتَدارُكُهَا مُمْكِنٌ ، وعلاجها متيسر . مثل الأمم الاسلامية الحاضرة . فمما لا شك أن فينا لَظُلماً ، وعُتُوّاً وفساداً وكفرًا بأنعم الله ، وأننا من جراء ذلك لَفِي عذاب شديد . ولا نعني بهذا أن الأمم الاسلامية مخصوصة بهذا

بل مثلها ، واقوى منها فى أسباب العذاب والهلاك غيرها من أمم الأرض . وان لهم لقِسْطَهم من العذاب الشديد . واذا لم يأتِ المقدار المناسب من الهلاك أو العذاب لما عندهم من أسبابهما فلأنه لكل أمة أجل ، ولما يأت ذلك الأجل بعد . فاذا جاء لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

ارشـــاد واستنهـــاض :

وقد ربط الله بين الأسباب ومسبباتها خلقا وقدرا بمشيئته وحكمته لنهتدي بالأسباب إلى مسبباتها ، ونجتنبها باجتناب أسبابها . وقد عرفنا فى الآيات المتقدمة بأسباب الهلاك والعذاب لنتقي تلك الأسبابَ فنسلمَ أو نقلعَ عنها فننجوَ . فان بطلان السبب يقتضي بطلان المسبب! وقد ذكر لنا فى كتابه أمة أقلعت عن سبب العذاب فارتفع عنها بعد ما كان ينزل بها ، ليؤكد لنا أن الاقلاع عن السبب يُنجي من المسبب . فقال تعالى : « **إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ** » فبمبادرتهم للإيمان ، واقلاعهم عن الكفر ، كشف عنهم العذاب ، وارشدَنَا فى ضمن هذا الى العلاج الناجح فى كشف العذاب ، وابطال أسبابه ، وهو الايمان . كما أرشدَنا اليه أيضا فى قوله تعالى قبل هذا : « **فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا** » اي نجاها من العذاب ، وذكر قوم يونس دليلا على ذلك . وارشدنا اليها أيضا فى قوله تعالى : « **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** » . فالايمان والتقوى ــ هما ــ العلاج الوحيد لنا من حالتنا لاننا اذا التزمناهما نكون قد اقلعنا عن أسباب العذاب . ولا ننهض بهذا العلاج العظيم الا اذا قمنا متعاونين افرادا وجماعات ، فجعل كل واحد ذلك نصب عينيه ، وبدأ به فى نفسه ، ثم فيمن اليه ، ثم فيمن يليه من عشيرته وقومه ، ثم جميع أهل ملته . فمن جعل هذا من همه واعطاه ما قدر عليه من سعيه كان خليقا أن يصل الى غايته او يقــرب منهـــا.

وَلْنَبْدَأْ من الايمان بتطهير عقائدنا من الشرك ، واخلاقنا من الفساد ، واعمالنا من المخالفات ، ولنستشعر أُخُوَّةَ الايمان التي تجعلنا كجسد واحد وَلْنَشْرَعْ فى ذلك ، غير محتقرين لانفسنا ، ولا قانطين من رحمة ربنا ، ولا مستقلين لما نزيله كل يوم من فسادنا ، فبدوام السعي واستمراره ، يأتي ذلك القليل من الاصلاح على صرح الفساد العظيم من اصله .

وليكن دليلنا فى ذلك وامامنا كتابَ ربنا ، وسنةَ نبينا ، وسيرةَ صالح سلفنا . ففي ذلك كله ما يعرفنا بالحق ، ويبصرنا فى العلم ، ويفقهنا فى الدين ، ويهدينا الى الأخذ بأسباب القوة والعز والسيادة العادلة فى الدنيا ، ونيل السعادة الكبرى فى الآخرة . وليس هذا عن العاملين ببعيد . وما هو على الله بعزيز .

رجــاء وتفــاؤل :

ان المُطَّلِعَ على احوال الأمم الاسلامية يعلم أنها قد شعرت بالداء ، واحست بالعذاب ،

واخذت في العلاج ، وان ذلك ، وان كان يبدو اليوم قليلا ، لكنه بما يحوطه من عناية الله ، وما يبدو فيه من جهود المصلحين ، سيكون باذن الله كثيرا . وعسى أن يكون فى ذلك خير لأمم الأرض اجمعين .

حقق الله الآمال ، وسدد الأعمال ، بلطف منه وتيسيرٍ ، إنه نِعمَ المولى ونعم النصير (*) !

ب ـ منشور المقاطعة (**)

عندما اخذت فرنسا تستعد لاحتفال مرور مِائَةِ عام على احتلالها مدينةَ « قُسَنْطِينَةَ » استنكرت طوائف شعبنا الأبي هذا العمل المَشِينَ ، وقامت الجمعيات الاسلامية فى هذه المدينة تعلن استنكارها وتطلب من جماهيرها أن يقاطعوا هذه الاحتفالاتِ ، والامام « ابن باديس » بوصفه احد ابناء مدينة « قسنطينة » يدلي بدلوه فى تلك الأحداث بكتابة هذا المنشور فى سبتمبر عام 1937 م :

نـداء الى سـكان مدينة قسنطينة المسلمين

« إن الزعامة والطريق مَخُوفةٌ : غير الزعامة والطريق أمان .

« إخْـوانيَ القسنطينيينَ :

« فى مثل هذه الأيام منذ قرن ، مات اجدادكم المجاهدون المدافعون ، ومضت مائةُ عام كانت كافية لنسيان تلك المأساة وضَمْدِ تلك الجروح وتقريب السكان المتجاورينَ بعضِهم من بعض . لكن قوما من الأنانيين الذين يأبون الا أن يكونوا سادةً متفوقين ، والا أن يُشْعِروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين هؤلاء القوم ـ وليسوا كلّ الفرنسيين ـ ارادوا فى هذه الأيام ان يقيموا احتفالاتٍ عسكريةً بدخلة قسنطينةً تثير العواطف ، وتَمَسُّ كرامة الأحياء منا والأموات ، وتناقض الأخوة والرحمة التي ندعـو اليهـا .

« يحتفلون احتفالاتِهم ومطالبُ الشعبِ الجزائري بعرقلتهم معطلةٌ وحقوقُه بسعيهم مهملةٌ وسوط القوانينِ الاستثنائية نازل بيدهم على ظهره فى كل يوم . لهذا قد اجتمعت 14 جمعيةً اسلاميةً من جمعيات قسنطينة يوم السبت 18 سبتمبر الماضي فى نادي الاتحاد وكانت كلها مُستَنكِرَةً لهذه الاحتفالاتِ عازمةً على مقاطعتها ، فقررت ـ بالاجماع ـ ما يلي :

« نحن ـ الممثلين لجمعياتنا ـ نرى احتراما لانفسِنا واحتراما لأجدادنا واحتراما للانسانية ،

اولا : ان لا نشاركَ فى هذه الاحتفالات ولا نحضرها .

(*) تفسير ابن باديس ، ص. 159 .

(**) ابن باديس حياته وآثاره : ج 3 ، ص 387 .

ثانيا : ان نكون فى هدوء تام عـــام .

« اخوانيَ القسـنطينيين :

« قد فعل المؤتمرُ الاسلاميُّ الجزائريُّ واجبَه فاحتجَّ على هذه الإحتفالات فى اجتماعه العام الأخير ، وقدم مكتبُه ذلك الاحتجاج الى الوالي العام وقدمه مكتب لجنة القسنطينية الى امير قسنطينة . وفعلت الجمعيات الاسلامية القسنطينية واجبها بما قررته فى قرارها المتقدم ، وأخوكم هذا ـ كقسنطيني ـ فعل واجبه بنشر هذا المنشور عليكم . فما بقي الا ان تقوموا أنتم بواجبكم .

« فقاطعوا هذه الاحتفالاتِ ولا تشاركوا فيها .

« كونوا فى هدوء وســلام .

« والسلام عليكم من اخيكم : عبد الحميد بن باديس .

« حُرِّرَ بالمنصورة حوز تلمسان مساء الثلاثاء 23 رجب 1356 هـ ، 28 سبتمبر ســنة 1937 م » .

صفحــة ذهبــية :

نشرت الصحافة الفرنسية اللسان وغيرها كثيرا عن احتلال قسنطينة ، فأحببنا نحن أن نشاركها ، فننشر كتابين تاريخيين جليلين . نقلناهما عن كتاب **« تحفة الزائر فى مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر »** ، وهذا نصهما :

— 1 —

« من القائد العام ورؤساء الجيوش الفرنسية الى احمد باي وعلي بن عيسى وسائر العساكر والأهالي المحصورين داخل البلد : نعرفكم أن العناية الالهية منحتنا انتصارا مجيدا عليكم ، ويد القدرة الربانية كللتنا بأكليل النصر فها هو جيشنا الجسور وابطالنا الشجعان قد استولوا بعزمهم وقوة سلاحهم على خنادق بلدكم ولم يبق بيننا وبينكم الا احدُ امرين : اما اعمال السيف واما التسليم للنجاة من الحيف ، لا جرم أن عدم التسليم يعود عليكم بالدمار والخراب ، ونحن لا رغبة لنا فى سفك دمائكم فالتسليم أسلم لكم واحسن بكم لأنكم امسيتم فى مركز خطير جدا والخلاص منه ضرر كبير يلحقكم مستحيل ، كيف وبواريد فرنسا قد احاطت بكم من كل جهة وصرتم وسطها مثل السمك فى الشبكة . »

— 2 —

« **من الأمة المحافظة على شرفها وبلدها** ، الى العسكر الفرنسوي المعتدي على حقوق غيره : قد وصلتنا رسالتكم ، وفهمنا ما ذكرتموه فيها . نعم ، ان مركزنا امسى فى خطر عظيم ، لكن استيلاءكم على قسنطينة ، المحمية بالأبطال العربية الذين لا يهابون الموت ، موقوف على قتل آخر واحد منهم ، واعلموا أن الموت عندنا تحت أسوار بلدتنا احسن من حياتنا ، تحت سلطة فرنسا . »

صَدَى منْشُورِنا على الأُمَّةِ والنُّوابِ في صُحُفِ الاستعمار (*)

دُعِي إلى تسْلِيم النُّوَّاب ، ووقع ذلك بالفعل في كثير منهم في عمالة قسنطينة ، لم تهتز لذلك صحف الاستعمار ودوائره . فلمّا نشرَ صاحبُ هذه المجلة منشورَه على الأمة ونوَّابِها ، في الدعوة إلى التسليم والاتحاد ، والوقوف الهائل المُشرِّف ــ قامت القيامة في الدوائر ، وظهر في جريدة « لابريس » التي تصدر بالعاصمة وجريدة « الريبوبليكان » التي تصدر بقسنطينة .

ولما كانت الثانية أصرح بالعداء من الأولى خَصصْناها بالكتاب التالي : « **قسنطينة في 8 رجب 1356 هـ ــ 14 سبتمبر 1937 م** » .

« جناب السَّيِّد محرر جريدة « الريبوبليكان » المحترم :

« قرأتُ في عدد 2 سبتمبر الجارِي من جريدتكم منشوري على الأمة ونوابها ، فشكرتُ لكم نقله في جريدتكم ، ليطَّلع عليه قسم كبير من الرأي العام الفرنسي ، خصوصا القسم الذي تُمثِّلُهُ جريدتكم .

« ولمْ يَسُؤْني ما علَّقتم به عليه من عبارات الحقد والتَّحرِيش ، لأنَّ ذلك دَليلُ حصول ما قَصدْتُه من تأثيرِ الحق والصِّدق ، ممَّن لم يَتعوَّدوا سماعَه من المسلمين الجزائرين امثالِكم .

« ولا أَلُومُكم على ذلك ما دُمْتُم تَرَوْنَه إِخْلاَصا لأمَّتِكُم ووطنكم كما كنتُ انا مخْلصا في منشوري لأمتي ووطني .

« وإنما أُرِيدُ انْ أُحَقِّقَ لكم انَّ تَحْرِيشَكُم لا يُخِيفُ صِغارًا من تلامذتنا ، فمنْ بَاب أَحْرَى وأَوْلى أن لا يكون له أدْنَى تأثير علَى كبارنا في الشَّيْرِ على خطتنا إلى غايتنا .

« ومما يُؤْسَف له من امثالكم أنكم لا تُدْرِكُون تطورات الأمم وتقلبات الأيام . وتفكرون ــ فينا ــ في القرن العشرين بأفكار القرون الوسطى. إِن الزّمان ــ يا زميلي ــ يسير ولا يقف ، وسُنَنُ الكون نفاذة لا تتخلف والويْل لمن قعدَ أو تعامىَ (**) .

« تقبلوا ــ سيدي احترام زميلكم صاحب مجلة الشهاب ،

عبد الحميد بن باديس »

جـ ــ صحيفة السُّنَّة

صدر العدد الأول من صحيفة « **السُّنَّةِ النبوية المحمدية** » في الثامن من ذي الحجة عام 1351 هـ . وقد كتب الشيخ ابن باديس في هذا العدد مقالا بين فيه اهدافه من انشاء هذه الصحيفة ، وشرح خطة عمله الصحفي ، ومن خلال هذا المقال يظهر دور نشاطه الصحفي الفعال في خدمة منهجه الاصلاحي العام .

(*) ابن باديس حياته وآثاره : ج 3 ، ص 24 .

(**) من كتاب : **قال الشيخ الرئيس** . محمد الطاهر لفضلا، ص . 185 وما بعدها .

بواعثنا ، عملنا ، خطتنا ، غايتنا

عرفنا – مما هدانا إليه ربنا – الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والهدى الذي ما بعده إلا الضلال وسبيل النجاة التي ما في مخالفتها إلا الهلاك ، والدواء الذي بدونه لا تبرأ النفوس من أدوائها ولا تظفر بالقليل من شفائها ، فحمدنا الله على ما هدانا وعقدنا العزم على المحافظة على هذه النعمة وشكرها،وما شكرها إلا في العمل بها وبنشرها،واشفقنا على أنفسنا من تبعة الكتمان وما جاء فيمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه من ضعف الايمان ، فاخذنا على أنفسنا دعوة الناس إلى السنة النبوية المحمدية وتخصيصها بالتقدم والأحجية فكانت دعوتنا – علم الله – من أول يوم إليها والحث على التمسك والرجوع إليها ونحن اليوم على ما كنا سائرون وإلى الغاية التي سعينا إليها قاصدون وقد زدنا من فضل الله ، أن أسسنا هذه الصحيفة الزكية . واسميناها « **السنة النبوية المحمدية** » لتنشر على الناس ما كان عليه النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في سيرته العظمى ، وسلوكه القويم ، وهديه العظيم الذي كان مثالاً ناطقا لهدي القرآن وتطبيقا لكل ما دعا القرآن إليه بالأقوال والأفعال والأحوال مما هو المثل الأعلى في الكمال والحجة الكبرى عند جميع أهل الاسلام فالأئمة كلهم يرجعون إليها ، والمذاهب كلها تنطوي تحت لوائها ، وتستنير بضوئها ، وفيها وحدها ما يرفع اخلاقنا من وهدة الانحطاط ويطهر عقيدتنا من الزيغ والفساد ويبعث عقولنا على النظر والتفكير ، ويدفعنا إلى كل عمل صالح يربط وحدتنا برباط الأخوة واليقين ويسير بنا في طريق واحد مستقيم ويوجهنا وجهة واحدة في الحق والخير ويحيي منا النفوس والهمم والعزائم ويثير كوامن الآمال ويرفع منا الإصر والأغلال ويصيرنا – حقا – خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

فها نحن اليوم نتقدم بهذه الصحيفة للأمة كلها على هذا القصد وعلى هذه النية . عملنا نشر السنة النبوية المحمدية وحمايتها من كل ما يمسها بأذية . وخطتنا الأخذ بالثابت عند أهل النقل الموثوق بهم ، والاهتداء بفهم الأئمة المعتمد عليهم ودعوة المسلمين كافة إلى السنة النبوية المحمدية دون تفريق بينهم . وغايتنا أن يكون المسلمون مهتدين بهدي نبيهم في الأقوال ، والأفعال ، والسير ، والأحوال حتى يكونوا للناس كما كان هو صلى الله عليه وآله وسلم مثالاً أعلى في الكمال .

والله نسأل التوفيق والتسديد في القصد والقول والعمل لنا وللمسلمين أجمعين .

د ــ الرجــل المســلم الجــزائرى (*)

ألْقَيْتُ محاضرةً في هذا الموضوع بنادِي التَّرَقِّي بالعاصمة في شهر ربيع الأول . وفيما يلي أَكْتُبُهَا على ما بَقِيَ في ذِهْنِي ، كُنْتُ القيتها ارتِجَالاً وإذا شَذَّ عَنِّي شيء فلا يكون إلا قليلا .

سَبَبُ اختيارِي للموضوع :

كنتُ ــ وانا قادِمٌ للعاصمة من مَصِيفِ « حصن الماء » ــ أَحُومُ على موضوعٍ أَخْتَارُهُ للمحاضرة التي اقْتَرَحَهَا عَلَيَّ اعضاءُ النَّادِي المحتَرَمُون ، فوَقَعَ فِكْرِي على المرأة وحالَتِهَا وحقوقها . وبينما انا أُفَكِّرُ فيها وأَجْمَعُ اطراف الحديث في شانها إذا انا برجل مسلم جزائريّ ببرنوسه وقندوره وَقَفَ أمامي ــ لم يقف أمام حِسِّي ولكن وقف امام خَيَالِي ــ واخذ ذلك الرَّجُلُ يُخَاطِبُنِي بشِدَّة وعنجهية ويقول :

« انتم تُفَكِّرُونَ في تعليم المرأة فَلِمَنْ تُعَلِّمُونَهَا ؟ لي انا الرجل الجاهل لِيَتَمَعَّنَّ لَهَا ما يَقَعُ لِلْعَالِمِ الضَّعيف المغلوبِ مِنَ الجاهل القويّ الغالبِ ! وَمَنْ يُعَلِّمُهَا ؟ انا الجاهل ! كيف أَتْرُكُ نَفْسِي وأُعَلِّمُهَا ؟

« انتم تفكرون في نَزْعِ حِجَابِهَا وخَلْطِهَا بالمجتمعات ! أَلاَ تخافون عليها غَيْرَتِي ؟ فَلأَقَاتِلَنَّ عَلَيْهَا ! ألاَ تخافون إِهَارَتِي ؟ فَلأُضَايِقَنَّهُنَّ ولَتَرَيَنَّ مِنِّي كُلَّ انواعِ التَّعَدِّي والأَذَى !

« إذا أَرَدْتُمْ التفكيرَ الصَّحيحَ والإصلاحَ المُنْتِجَ فَفَكِّرُوا فِيَّ قَبْلَهَا ، فانا ابوها ، وزوجها ووَلِيُّهَا ومَصْدَرُ خَيْرِهَا وشرّها .

« وإذا أَرَدْتُمْ إِصْلاَحَهَا الحقيقيَّ فَارْفَعُوا حِجاب الجهلِ عن عَقْلِهَا قبل ان ترفعوا حجاب السِّتْرِ عن وَجْهِهَا ، فإن حجاب الجهل هو الذي أَخَّرَهَا . وامّا حِجاب السِّتْرِ فإنه ما ضَرَّهَا في زمان تَقَدُّمِهَا فقد بلغت بناتُ بغدادَ وبنات قرطبةَ وبنات بِجَايَةَ مكاناً عاليا في العلم وَهُنَّ مُتَحَجِّبَاتٌ . فَلَيْتَ شِعْرِي ما الذي يَدْعُوكُمْ اليومَ إلى الكلامِ في كَشْفِ الوجوه قبل كل شيء ... ! » .

فامام هذا الرَّجُلِ الخَيَاليّ المُرْعِبِ وحُجَجِهِ الدَّامِغَةِ ما وَسِعَنِي إلاّ العُدُولُ عن التفكير في المرأة إلى التفكير في الرجل فَاخْتَرْتُ موضوعَ المقالةِ : « **الرَّجُل المُسْلِم الجــزائريّ** » .

المــراد من المــوضوع :

هذا موضوع مُجْمَلٌ ، فالرجل المسلم الجزائريّ مَوْضُوعُ بحوثٍ طويلة من نَوَاحٍ عديدة لكنني اتكلم عليه من نواح ثلاث : رُجُولَتُه ، إِسْلاَمِيَّتُهُ ، جَزَائِرِيَّتُهُ .

(*) ابن باديس حياته وآثاره : ج 3 .

الرجـل :

خُلِقَ الرجل قويّاً ، مُتَهَيِّئاً بما مُنِحَ مِنَ القوة للقيام بما يقتضيها من عَظائمِ الأمور وجَلَائِلِ الأعمال ، للإنسانية التي هو فرد منها ، للوطن الذي هو من نَبَاتِه ، وللبلد الذي هو من سكّانه ، للبيت الذي هو رئيسه .

هو رئيس البيت ، و « **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** » فعليه واجب الرعاية : بالسّعْي والتَّكَسُّبِ ، بالتّهذِيب والتعليم ، للزوجة ، للأبناء ، للبنات ، « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** » ، وله حق الوِلَاية : « **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** » دَرَجَة الوِلاية بالنظر والتَّدَبُّرِ ، والتنظيم والتّسْيِير ، فهو السيد في بيته ليكون سيدا في قومه . والسيادة الحقيقية إنما هي بالنفع والعمل المنتج . فسيد البيت هو الأكثر عملا والأَجْلَبُ نفعاً له ، وسيد الوطن هو الأعمل والأنفع في سبيله . فالسيادة حظ العاملين على درجاتهم في الأعمال .

المسلـم :

هو المتدَيِّنُ بالإسلام . والإسلام عَقائدُ واعْمَالٌ واخلاق بها السعادة في الدّارَيْنِ . امّا تَحْصِيلُهَا لسعادة الأخرى فما بها على أحدٍ من خَفاء .

واما تحصيلها لسعادة الدنيا فقد صار في هذه العصور المتاخرة عند كثير من الناس مما يَخْفَى ، مع انّ دَعْوَتَه إلى تحصيل السعادة والسيادة في الدنيا في آيات القرآن العظيم كثيرة جدا .

فدَعَا إلى العِلم بمِثْل قوله تعالى « **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** » وللفلاحة بمثل قوله تعالى : « **هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** » وإلى الصِّناعَة وإتقانها بمثل قوله تعالى : « **أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ** » وإلى التّجارة بمثل قوله تعالى : « **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ** » ، كما سَمَّى العِبَادَةَ ابْتِغَاءَ مِنْ فَضْلِ اللهِ فقال تعالى : « **وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا** »

وهو إلى هذا دِينُ السّلامة و « **الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ** » ، ودِينُ المحبة « **لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** » ودِينُ السيادة بالعدل والسعادة بالإحسان « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** » .

الجـزائري :

إنما يُنْسَبُ للوطن أفراده الذين تربطهم ذكريات الماضي ، ومصالح الحاضر ، وآمال المستقبل . فالذين يعمرون هذا القطر وتربطهم هذه الروابط هم الجزائريون .

والنسبة للوطن تُوجِبُ عِلْمَ تاريخه ، والقيامَ بواجباته ، من نهضة عِلمية ، واقتصادية ، وعمرانية ، والمحافظة على شَرَفِ اسْمِهِ ، وسُمْعَة بَنِيهِ ، فلا شَرَفَ لمن لا يحافظ على شرف وطنه ، ولا سمعةَ لمن لا سمعة لقومه .

طريق العلم بهذا والعمل به :

هذه الحقائق التي ذكرناها ، بها يكونُ الرَّجلُ رجلا ، والمسْلم مُسْلما ، والجزائري جزائريا ، فتَهْذِيبُ الرَّجُل وتعليمُه لا يكون إلا بالعلم والعمل بها . وما ذلك الا بَبَثّها : بالمحاضرات فى النوادي ، بالدُّروس العَامّةِ فى المسَاجد ، بالخطب الجُمُعِيَّة على المنابرِ .

واذا كانت هذه طريقتنا للتعليم العام فعلينا ان نجعلها فى أوَّل ما نَهْتَمُّ به من شؤون اصْلَاحنا اذ لوْ كانتْ هي كما يَجِبُ ان تكون وقامتْ بوَاجِبها كما يَجِبُ أن تقوم لكنا على حال غير ما نحن عليه اليــوم .

وفى كثير من الرِّجال المتَّصِلِينَ بِها لنا اعظم الآمال .

شقيقة الرجل وشريكته :

ان العناية بالرجل تستلزم العناية بالمراة شقيقته فى الخلقة والتكليف وشريكته فى البيت والحياة .

هما زوجان متلازمان لا تكمل الوحدة البشرية الا بكمالهما . وما الوحدة البشرية فى ضرورية الزوجين لتكوينها الا كسائر المخاوقات الساري عليهما قانون الزوجية العام . مصداق قوله تعالى : « **وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** » ، ويعم هذا القانون جميع المخلوقات ومنها الانسان ، كما قال تعالى : «**وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا**»

هذا دليل الخلقة على ما بين الرجل والمراة من لحمة اتصال ، وما لكل واحد منهما على الآخر من توقف لبلوغ الكمال .

اما ادلة ذلك من الشرع فآيات عدة . منها قوله تعالى : « **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** » و « **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا** » « **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** » و « **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ** » .

هو الاول ، وهي الثانية :

هما ــ على ما بينهما من هذا التشارك والتلازم والاتصال ــ فانه هو المقدم عليها ، والقيوم على شانها ، والمسؤول عن انهاضها .

تشهد بهذا الفطرة الظاهرة فى ضعف خلقها ، والتاريخ البشري بما فيه من مدنيات قديمة وحديثة كلها قامت على كواهل الرجال . ويشهد به الدين فى قوله تعالى : « **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** » .

المـراة المسلمـة الجزائرية :

نَرَى حقًّا عَلَيْنَا بعْدمَا تكلَّمْنا عَلَى الرَّجُلِ المُسْلِم الجزائري ان نتكلَّم شَيْئاً عن المراة المسلمة الجزائرية من نواحيها الثلاث أيضا :

المـراة : خلقت لحفظ النسل ، وتربية الانسان فى اضعف أطْوَاره « **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا** » فهي رَبَّةُ البيت وراعيته والمضطرة بمقتضى هذه الخلقة للقيام به . فعلينا أن نعلمها كل ما تَحْتَاجُ إليه للقيام بوظيفتها ، ونُرَبِيها على الاخْلاَقِ النِّسَوِيَّة التي تكون بها المراة امراةً لا نِصْفَ رَجُلٍ ونِصْفَ امْرَاة . فالتِّي تَلِدُ لنَا رَجُلاً يَطِير خيرٌ من الَّتِي تَطيرُ بِنَفْسِها .

المسلمة : « **لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** » فعلينا ان نعلمها ما تكون به مسلمة ونعرفها من طريق الدين ما لها وما عليها ونفقهها فى مثل قوله تعالى : « **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** » .

الجزائرية : بدينها ولغتها وقوميتها فعلينا أن نعرِّفها حقائق ذلك لتلدَ اوْلادًا منَّا ولنا ، يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية ، ولا ينكرون أصلهم وإنْ انكرَهُم العَالَم بأَسْرِه ، ولا يتنكرون لأمَّتهم ولو تنكَّر لهم الناسُ اجْمعون .

الطريق المُوَصِّلُ إلى هذا : هو التعليم : تعليمُ البنات تعلِيما يناسب خَلْقَهن ودينهن وقوميَّتهن . فالجاهلة التي تلدُ أبناءً للأمَّةِ يَعْرِفُونَها مِثْل أُمَّهَاتِنَا ــ عليْهِنَّ الرحمة ــ خيرٌ من العَالِمَةِ الَّتِي تَلِدُ للجزائرِ ابناءً لا يَعْرفونها ، تَعْلِيمُ كُلِّ وَاحدٍ لأهْلِهِ بما عِنْدَهُ من عِلْـم .

ويوم نسْلك هذا الطَّرِيقَ فى تعْليم المراة ، والطَّرِيقَ السابقَ فى تعْلِيم الرَّجُل سلوكا جِدِّيا نكون ــ بإذْن الله ــ قد نهضْنا بهمَا نهْضَةً صَحِيحة نرْجُو من ورائها كل خَيْرٍ وكمـال (*) !

(*) ابن باديس ــ حياته وآثاره . ج 3 .

هـ — لمـــن أعيـــش (*)

أعيــش للإســلام والجــزائر

« قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ : إنَّ هَذَا ضِيقٌ فِي النَّظَرِ ، وَتَعَصُّبٌ لِلنَّفْسِ ، وَقُصُورٌ فِي العَمَلِ ، وَتَقْصِيرٌ فِي النَّفْعِ . فَلَيْسَ الإِسْلَامُ وَحْدَهُ دِينًا لِلْبَشَرِيَّةِ ، وَلَا الجَزَائِرُ وَحْدَهَا وَطَنُ الإِنْسَانِ ، وَلِلْأَوْطَانِ الإِنْسَانِيَّةِ كُلِّهَا حَقٌّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الإِنْسَانِيَّةِ ، وَلِكُلِّ دِينٍ مِنْ أَدْيَانِهَا حَقُّهُ مِنَ الاحْتِرَامِ .

فَأَقُولُ : نَعَمْ إِنَّ خِدْمَةَ الإِنْسَانِيَّةِ فِي جَمِيعِ شُعُوبِهَا ، وَالحَدَبَ عَلَيْهَا فِي جَمِيعِ أَوْطَانِهَا ، وَاحْتِرَامِهَا فِي جَمِيعِ مَظَاهِرِ تَفْكِيرِهَا وَنَزَعَاتِهَا — هُوَ مَا نَقْصِدُهُ وَنَرْمِي إِلَيْهِ ، وَنَعْمَلُ عَلَى تَرْبِيَتِنَا وَتَرْبِيَةِ مَنْ إِلَيْنَا عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الدَّائِرَةَ الإِنْسَانِيَّةَ الوَاسِعَةَ لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ التَّوَصُّلُ إِلَى خِدْمَتِهَا مُبَاشَرَةً وَنَفْعِهَا دُونَ وَاسِطَةٍ ، فَوَجَبَ التَّفْكِيرُ فِي الوَسَائِلِ المُوَصِّلَةِ إِلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الخِدْمَةِ وَإِيصَالِ هَذَا النَّفْعِ .

وَنَحْنُ لَمَّا نَظَرْنَا فِي الإِسْلَامِ ، وَجَدْنَاهُ الدِّينَ الَّذِي يَحْتَرِمُ الإِنْسَانِيَّةَ فِي جَمِيعِ أَجْنَاسِهَا ، فَيَقُولُ : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)[1] ! وَيُقَرِّرُ التَّسَاوِي وَالأُخُوَّةَ بَيْنَ جَمِيعِ تِلْكَ الأَجْنَاسِ ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَجْنَاسًا ، لَا لِلتَّفْضِيلِ ، وَأَنَّ التَّفَاضُلَ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَقَطْ ، فَيَقُولُ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا . إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ)[2]. وَيَدْعُو تِلْكَ الأَجْنَاسَ كُلَّهَا إِلَى التَّعَاطُفِ وَالتَّرَاحُمِ بِمَا يَجْمَعُهَا مِنْ وَحْدَةِ الأَصْلِ وَوَشَائِجِ القَرَابَةِ القَرِيبَةِ وَالبَعِيدَةِ فَيَقُولُ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ)[3]. وَيُقَرِّرُ التَّضَامُنَ الإِنْسَانِيَّ العَامَّ بِأَنَّ الإِحْسَانَ إِلَى وَاحِدٍ إِحْسَانٌ إِلَى الجَمِيعِ ، وَالإِسَاءَةَ إِلَى وَاحِدٍ إِسَاءَةٌ إِلَى الجَمِيعِ ، فَيَقُولُ : (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ

(*) ابن باديس حياته وآثاره : ج 3 ، ص 233 .

(1) سورة الاسراء ، آية رقم 70 .

(2) سورة الحجرات ، آية رقم 13 .

(3) سورة النســاء ، الآية الاولى .

أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)[1]. وَيَعْتَرِفُ بِالأَدْيَانِ الأُخْرَى وَيَحْتَرِمُهَا وَيُسَلِّمُ أَمْرَ التَّصَرُّفِ فِيهَا لِأَهْلِهَا : (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)[2]. ، وَيُقَرِّرُ شَرَائِعَ الأُمَمِ وَيُهَوِّنُ عَلَيْهَا شَأْنَ الاِخْتِلَافِ وَيَدْعُوهَا كُلَّهَا إِلَى التَّسَابُقِ فِي الخَيْرَاتِ فَيَقُولُ : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ، فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ، إلى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) [3] ، وَيُؤْمِنُ بِالعدْلِ العَامِّ مَعَ العَدُوِّ وَالصَّدِيقِ ، فَيَقُولُ : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا ، اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)[4] ، ... وَيُحَرِّمُ الاِعْتِدَاءَ تَحْرِيمًا عَامًّا عَلَى البَغِيضِ وَالحَبِيبِ ، فَيَقُولُ : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا)[5]. وَيَأْمُرُ بِالإِحْسَانِ العَامِّ ، فَيَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ)[6] وَيَأْمُرُ بِحُسْنِ التَّخَاطُبِ العَامِّ فَيَقُولُ : (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)[7] .

فَلَمَّا عَرَفْنَا هَذَا وَأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فِي الإِسْلَامِ ــ وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي فَطَرَنَا عَلَيْهِ اللهُ بِفَضْلِهِ ــ عَلِمْنَا أَنَّهُ دِينُ الإِنْسَانِيَّةِ الَّذِي لَا نَجَاةَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ إِلَّا بِهِ ، وَأَنَّ خِدْمَتَهَا لَا تَكُونُ إِلَّا عَلَى أُصُولِهِ ، وَأَنَّ إِيصَالَ النَّفْعِ إِلَيْهَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ ، فَعَاهَدْنَا اللَّهَ عَلَى أَنْ نَقِفَ حَيَاتَنَا عَلَى خِدْمَتِهِ وَنَشْرِ هِدَايَتِهِ ، وَخِدْمَةِ كُلِّ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ وَمِنْ نَاحِيَتِهِ. فَإِذَا عِشْتُ لَهُ فَإِنَّنِي أَعِيشُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ لِخَيْرِهَا وَسَعَادَتِهَا فِي جَمِيعِ أَجْنَاسِهَا وَأَوْطَانِهَا ، وَفِي جَمِيعِ مَظَاهِرِ عَاطِفَتِهَا وَتَفْكِيرِهَا ، وَمَا كُنَّا لِنَكُونَ هَكَذَا إِلَّا بِالإِسْلَامِ الَّذِي نَدِينُ بِهِ وَنَعِيشُ لَهُ وَنَعْمَلُ مِنْ أَجْلِهِ .

فَهَذَا ــ أَيُّهَا الإِخْوَانُ ــ مَعْنَى قَوْلِي : (إِنَّنِي أَعِيشُ لِلْإِسْلَامِ) .

أَمَّا الجَزَائِرُ فَهِيَ وَطَنِي الخَاصُّ الَّذِي تَرْبِطُنِي بِأَهْلِهِ رَوَابِطُ مِنَ المَاضِي وَالحَاضِرِ وَالمُسْتَقْبَلِ بِوَجْهٍ خَاصٍّ وَتَفْرِضُ عَلَيَّ تِلْكَ الرَّوَابِطُ لِأَجْلِهِ ــ كَجُزْءٍ مِنْهُ ــ

(1) سورة المائدة ، آية رقم 32 .
(2) سورة الكافرون ، آية رقم 6 .
(3) سورة المائدة ، آية رقم 48 .
(4) سورة المائدة ، آية رقم 8 .
(5) سورة المائدة ، آية رقم 2 .
(6) سورة النحل ، آية رقم 90 .
(7) سورة البقرة ، آية رقم 83 .

فُرُوضًا خاصَّةً ، وَأَنَا أَشْعُرُ بِأَنَّ كُلَّ مُقَوِّمَاتِي الشَّخْصِيَّةِ مُسْتَمَدَّةٌ مِنْهُ مُبَاشَرَةً ، فَأَرَى مِنَ الوَاجِبِ أَنْ تَكُونَ خَدَمَاتِي أَوَّلَ مَا تَتَّصِلُ بِشَيْءٍ تَتَّصِلُ بِهِ مُبَاشَرَةً . وَكَمَا أَنَّنِي كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً وَجَدْتُنِي فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ : إِلَى رِجَالِهِ وَإِلَى مَالِهِ وَإِلَى حَالِهِ وَإِلَى آلاَمِهِ وَإِلَى آمَالِهِ ــ كَذَلِكَ أَجِدُنِي إِذَا عَمِلْتُ ، قَدْ خَدَمْتُ بِعَمَلِي نَاحِيَةً أَوْ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ . هَكَذَا هَذَا الاِتِّصَالُ المُبَاشِرُ أَجِدُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ وَطَنِي الخَاصِّ فِي كُلِّ حَالٍ وَفِي جَمِيعِ الأَعْمَـالِ . وَأَحْسِبُ أَنَّ كُلَّ ابْنِ وَطَنٍ يَعْمَلُ لِوَطَنِهِ لاَ بُدَّ أَنْ يَجِدَ نَفْسَهُ مَعَ وَطَنِهِ الخَاصِّ فِي مِثْلِ هَذِهِ المُبَاشَرَةِ وَهَذَا الاِتِّصَالِ .

نَعَمْ إِنَّ لَنَا وَرَاءَ هَذَا الوَطَنِ الخَاصِّ أَوْطَانًا أُخْرَى عَزِيزَةً عَلَيْنَا ، هِيَ دَائِمًا مِنَّا عَلَى بَالٍ ، وَنَحْنُ فِيمَا نَعْمَلُ لِوَطَنِنَا الخَاصِّ نَعْتَقِدُ أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ نَكُونَ قَدْ خَدَمْنَاهَا وَأَوْصَلْنَا إِلَيْهَا النَّفْعَ وَالخَيْرَ مِنْ طَرِيقِ خِدْمَتِنَا لِوَطَنِنَا الخَاصِّ .

وَأَقْرَبُ هَذِهِ الأَوْطَانِ إِلَيْنَا هُوَ المَغْرِبُ الأَدْنَى وَالمَغْرِبُ الأَقْصَى ، اللَّذَانِ مَا هُمَا وَالمَغْرِبُ الأَوْسَطُ إِلاَّ وَطَنٌ وَاحِدٌ لُغَةً وَعَقِيدَةً وَآدَابًا وَأَخْلاَقًا وَتَارِيخًا وَمَصْلَحَةً ، ثُمَّ الوَطَنُ العَرَبِيُّ وَالإِسْلاَمِيُّ ، ثُمَّ وَطَنُ الإِنْسَانِيَّةِ العَـامِّ . وَلَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نُؤَدِّيَ خِدْمَةً مُثْمِرَةً لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ كُلِّهَا إِلاَّ إِذَا خَدَمْنَا الجَزَائِرَ . وَمَا مَثَلُنَا فِي وَطَنِنَا الخَاصِّ ــ وَكُلِّ ذِي وَطَنٍ خَاصٍّ ــ إِلاَّ كَمَثَلِ جَمَاعَةٍ ذَوِي بُيُوتٍ مِنْ قَرْيَةٍ وَاحِدَةٍ . فَبِخِدْمَةِ كُلِّ وَاحِدٍ لِبَيْتِهِ تَتَكَوَّنُ مِنْ جَمِيعِ البُيُوتِ قَرْيَةٌ سَعِيدَةٌ رَاقِيَةٌ ، وَمَنْ ضَيَّعَ بَيْتَهُ فَهُوَ لِمَـا سِوَاهَا أَضْيَعُ . وَبِقَدْرِ قِيَامِ كُلِّ وَاحِدٍ بِأَمْرِ بَيْتِهِ تَتَرَقَّى القَرْيَةُ وَتَسْعَدُ ، وَبِقَدْرِ إِهْمَالِ كُلِّ وَاحِدٍ بَيْتَهُ تَشْقَى القَرْيَةُ وَتَنْحَطُّ .

فَنَحْنُ إِذَا كُنَّا نَخْدُمُ الجَزَائِرَ فَلَسْنَا نَخْدُمُهَا عَلَى حِسَابِ غَيْرِهَا وَلاَ لِلإِضْرَارِ بِسِوَاهَا ــ مَعَاذَ اللهِ ــ وَلَـكِنْ لِنَنْفَعَهَا وَنَنْفَعَ مَا اتَّصَلَ بِهَا مِنْ أَوْطَانِ الأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ .

هَذَا ــ أَيُّهَا الإِخْوَانُ ــ هُوَ مُرَادِي بِقَوْلِي : (إِنَّنِي أَعِيشُ لِلْجَزَائِرِ) ، وَالآنَ ــ أَيُّهَا الإِخْوَانُ ــ وَقَدْ فَهِمْتُمُونِي وَعَرَفْتُمْ سُمُوَّ فِكْرَةِ العَيْشِ لِلإِسْلاَمِ وَالجَزَائِرِ ، فَهَلْ تَعِيشُونَ مِثْلِي لِلإِسْـلاَمِ وَالجَزَائِرِ ؟

ــ نَعَمْ ! نَعَمْ ! بِصَـوْتٍ وَاحِـدٍ .

ــ فَلْنَقُلْ كُلُّنَـا : لِيَحْيَـا الإِسْـلاَمُ ، لِتَحْيَـا الجَـزَائِرُ » .

و ـ عيد الفطر المبارك

تهنئة به إلى الأمة الجزائرية

« كُنَّا قَبْلَ اليَوْمِ نُهَنِّئُ الأُمَّةَ الجَزَائِرِيَّةَ بِمِثْلِ هَـذَا العِيدِ ، وَلَيْسَ لَهَا مِنْ مَظَاهِرِ السَّعَادَةِ مَا تَهْنَأُ بِهِ إِلَّا مَا نَرْجُوهُ لَهَـا وَنَأْمُلُ .

أَمَّا اليَـوْمَ ، فَإِنَّنَا نُهَنِّئُهَا وَهِيَ فِي طَوْرٍ جَدِيدٍ مِنْ أَطْوَارِ حَيَاتِهَا هُوَ أَسَـاسُ سَعَـادَتِهَا ، طَوْرٍ سَامَتْ بِهِ شَقِيقَاتِهَا هُنَا وَهُنَالِكَ ، فَنُهَنِّئُهَا وَمِنْ أَبْنَائِهَا مَنْ هُوَ سَجِينٌ فِي سَبِيلِ العِـلْمِ وَالهِـدَايَةِ ، وَمَنْ هُوَ سَجِينٌ فِي سَبِيلِ السِّيَاسَةِ وَالحُقُوقِ المَغْصُوبَةِ .

أُمَّةٌ أَخَذَتْ تُقَـدِّمُ الضَّحَايَا فِي سَبِيلِ سَعَادَتِهَا ، حَقِيقَةٌ بِأَنْ تَنَالَ السَّعَادَةَ ، وَبِأَنْ تَهْنَـأَ بِهَا ، فَتَهَـانِينَا إِلَيْهَا بِعِيـدِهَا وَسَعَـادَتِهَا » .

ز ـ شعب الجزائر

حُيِّـيتَ يَا جَمْـعَ الأَدَبِ ... وَرَقِيــتَ سَـامِيَةَ الـرُّتَبْ
وَوُقِيــتَ شَـرَّ الـكَائِدِينَ ... ذَوِي الدَّسَـائِسِ وَالشَّغَبْ
وَمُنِحْـتَ فِي العَلْيَـاءِ مَا ... تَسْمُـو إِلَيْـهِ مِـنْ أَدَبْ
أَحْيَـيْتَ مَـوْلِدَ مَنْ بِـهِ ... حَيِيَ الأَنَـامُ عَـلَى الحِقَبْ
أَحْيَـيْتَ مَـوْلِـدَهُ بِمَـا ... يُبْرِي النُّفُوسَ مِنَ الوَصَبْ
بِالعِـــلْمِ وَالآدَابِ وَالأَ ... خْـلَاقِ فِي نَشْءٍ عَجَـبْ
نَـشْءٍ عَلَى الإِسْـلَامِ أُسْـــسَ بِنَـائِهِ السَّامِي انْتَصَبْ
نَـشْءٍ بِحُـبِّ مُحَمَّـدٍ غَـــذَّاهُ أَشْيَــاخٌ نُجُـبْ
فِيــهِ اقْتَـدَى فِي سَيْـــرِهِ وَإِلَيْهِ ، بِالحَقِّ ، انْتَسَبْ
وَعَلَى القُــلُوبِ الخَـافِقَا ... تِ إِلَيْـهِ رَايَتَـهُ نَصَـبْ
بِالـرُّوحِ يَفْـدِيهَـا وَمَـا ... يُغْرِي النُّفُوسَ مِنَ النَّشَبْ
وَبِخُـلْقِهِ يَحْـمِي حِمَـا ... هَـا أَوْ بِبَـارِقَةِ الغَضَبْ
حَتَّى يَعُـودَ لِقَـوْمِـهِ ... مِنْ عِـزِّهِمْ مَا قَدْ ذَهَـبْ
وَيَـرَى الجَـزَائِرَ رَجَّعَتْ ... حَـقَّ الحَيَـاةِ المُسْتَـلَبْ

يَا نَشْءُ ، يَا ذُخْرَ الجَزَا ئِرِ فِي الشَّدَائِدِ وَالكُرَبْ
صَدَحَتْ بَلاَبِلُكَ الفِصَا حُ فَعَمَّ مَجْمَعَنَا الطَّرَبْ
وَأَذَقْتَنَا طَعْمًا مِنَ الفُصْحَى أَلَذَّ مِنَ الضَّرَبْ
وَأَرَيْتَ لِلأَبْصَارِ مَا قَدْ قَرَّرَتْهُ لَكَ الكُتُبْ
شَعْبُ الجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وَإِلَى العُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنَ اصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبْ
أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ رَامَ المُحَالَ مِنَ الطَّلَبْ
يَا نَشْءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدِ اقْتَرَبْ
خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلاَحَهَا وَخُضِ الخُطُوبَ وَلَا تَهَبْ
وَارْفَعْ مَنَارَ العَدْلِ وَالإِ حْسَانِ وَاصْدِمْ مَنْ غَصَبْ
وَأَذِقْ نُفُوسَ الظَّالِمِينَ السُّمَّ يُمْزَجُ بِالرَّهَبْ
وَاقْلَعْ جُذُورَ الخَائِنِينَ فَمِنْهُمُ كُلُّ العَطَبْ
وَاهْزُزْ نُفُوسَ الجَامِدِينَ فَرُبَّمَا حَيِيَ الخَشَبْ
يَا قَوْمِ هَذَا نَشْؤُكُمْ وَإِلَى المَعَالِي قَدْ وَثَبْ
كُونُوا لَهُ يَكُنْ لَكُمْ وَإِلَى الأَمَامِ ابْنًا وَأَبْ
نَحْنُ الأُلَى عَرَفَ الزَّمَانُ قَدِيمَنَا الجَمَّ الحَسَبْ
وَمَعِينُ ذَاكَ المَجْدِ فِي نَسْلِ العُرُوبَةِ مَا نَضَبْ
وَقَدِ انْتَبَهْنَا لِلْحَيَاةِ آخِذِينَ لَهَا الأُهَبْ
لِنَحُلَّ مَرْكَزَنَا الَّذِي بَيْنَ الأَنَامِ لَنَا وَجَبْ
فَنَزِيدَ فِي هَذَا الوَرَى ، عُضْوًا شَرِيفًا مُنْتَخَبْ
نَدْعُو إِلَى الحُسْنَى وَنُو لِي أَهْلَهَا مِنَّا الرَّغَبْ
مَنْ كَانَ يَبْغِي وُدَّنَا فَعَلَى الكَرَامَةِ وَالرَّحَبْ
أَوْ كَانَ يَبْغِي ذُلَّنَا فَلَهُ المَهَانَةُ وَالحَرَبْ
هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا بِالنُّورِ خُطَّ وَبِاللَّهَبْ
هَذَا لَكُمْ عَهْدِي بِهِ حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَبْ
فَإِذَا هَلَكْتُ فَصَيْحَتِي تَحْيَا الجَزَائِرُ وَالعَرَبْ

18

البشــــير الابراهيــــمي

الشباب الجزائري كما تُمَثِّله لِيَ الخواطر

(1307 – 1384 هـ ، 1889 – 1964 م)

تعريف وتمهيــد :

« **محمد البشير الابراهيمي** » رائد من رواد النهضة الفكرية في الجزائر ، بدأ حياته الدراسية في قرية **أولاد برا هم** ، ولاية **سطيف** ، بالشرق الجزائري ، ثم انتقل الى المشرق العربي ، واستقر زمنا طويلا في **المدينة المنورة** ، وبعد طوافه تَزَوَّد فيه من الثقافة العربية والإسلامية ، عاد الى الجزائر ليؤسس مع رفيق كفاحه **الشيخ « عبد الحميد بن باديس » جمعية العلمــاء المسلمين الجزائريين** ، وظل يناضل في سبيل تخليص بلادنا من الاستعمار الفرنسي حتى تحقق الاستقلال . توفي عام 1965 م

وقد كان الاستعمار الفرنسي حريصا على استمرار بقائه في الجزائر ليستغل خيراتها وطاقات شعبها ، فركز جهوده على تذويب الشخصية الجزائرية ، مستخدما في سبيل تحقيق أغراضه الاستعمارية وسائل متعددة من أهمها : محاولة إفســاد الدين الإسلامي ، وتشويه اللغة العربية ، وتحطيم القيم الخلقية العالية ، وبَثِّ العادات السيئة في نفوس الشباب ، ونَشْرِ الجهل واليأس بين المواطنين .

ولــكن **أصالة الشعب الجزائريّ** وقفت بالمرصاد أمام أطماعه ، فكلما انطفأ وَمِيضُ ثورة شعبية أو حركة إصلاحية اشتعلت أخرى !

والبشير الابراهيمي يؤمن بأن **الشباب أَمَلُ الأمة** ، وعُدّة المستقبل ، ولن يُفْلِح في بناء أمته إلا إذا تَحَلّى بالأخلاق الفاضلة وتمسّك بالمبادئ الرفيعة . فهو ما فتئ يعمل على توجيهه الوِجهة السليمة بالدروس والمحاضرات والمقالات . وقد كتب عِدّة مقالات نَشَرَهَا في « **البصائر** » ، وَجّه فيها الشباب ، وقدّم له مجموعة من المُثُل الأخلاقية العالية – التي إن تمثلها وعمِل بهداها حقق لشعبه ما يرجوه من أهداف وآمال – ومن بينها نقــدم لك النــص التــالي :

النــــص :

(1)

« أَتَمَثّـلُهُ مُتَسَامِيًا الى مَعالي الحياةِ ، عِرْبِيدَ[1] الشبابِ في طَلَبِها ، طاغِيًا[2] عن القيود العائقَةِ دونَها، جامحًا عن الأعِنّةِ[3] الكابِحَةِ[4] في مَيْدَانِها ، مُتّقِدَ العَزَمَاتِ تكادُ تَحْتَدِمُ جوانِبُه من ذَكاء القلب ، وشَهامة الفُؤاد ، ونشاطِ الجوارحِ » .

---

1 – **عربيد** : العربيد فى أصل استعمالها : السيىء الخلق ، وتطلق على مدمن الشراب والمراد بها هنا إدمان الطلب والاستمرار فيه . 2 – **طاغيا** : متجاوزا القيود . 3 – **الاعنة** : جمع عنان ، وهو زمام الدابة التي تقاد به . 4 – **الكابحة** : من كبح جماحه : اي أخضعه وردعه .

(ب)

« أتمثله مِقْدَامًا على العظائم في غير تَهَوُّرٍ[5] ، مِحْجَامًا عن الصغائر في غير جُبْنٍ ، مُقَدِّرًا مَوْقِعَ الرِّجْلِ قبلَ الخَطْوِ ، جاعِلًا أَوَّلَ الفِكْرِ آخِرَ العَمَلِ » .

(ح)

« أَتَمَثَّلُهُ واسعَ الوُجُودِ ، لا تقف أمامه الحدودُ ، يَرَى كُلَّ عَرَبِيٍّ أَخًا له أُخُوَّةَ الدَّمِ ، وكلَّ مسلمٍ أخًا له أُخُوَّةَ الدينِ ، وكلَّ بَشَرٍ أخا له أُخُوَّةَ الإنسانِيَّةِ ، ثم يُعْطِي لِكُلِّ أُخُوَّةٍ حقَّهَا فَضْلاً وعَدْلاً » .

(د)

«أتمثله حِلْفَ عَمَلٍ لا حَلِيفَ بِطَالَةٍ ، وَحِلْسَ[6] مَعْمَلٍ لاَ حِلْسَ مَقْهًى ، وَبَطَلَ أعمالٍ لا ماضِغَ أقوالٍ ، ومُرْتادَ[7] حقيقةٍ لا رائدَ خيالٍ » !

(هـ)

« أَتَمَثَّلُهُ مُقْبِلاً على العِلم والمعرِفَةِ والنفع ، إقبالَ النَّحْلِ على الأزهارِ والثِّمارِ لتصنعَ الشُّهْدَ والشَّمْعَ ، مُقبلا على الارتِزَاق إقبالَ النملِ تَجِدُّ لِتَجِدَ وتَدَّخِرَ لتَفْتَخِرَ ولا تُبالي ما دامتْ دائبةً[8] ، أن تَرْجِعَ مَرَّةً مُنْجِحَةً[9] ، ومرَّةً خائِبَةً .

(و)

أحب منه ما يحب القائلُ :

أُحِبُّ الفَتَى يَنْفِي الفَوَاحِشَ[10] سَمْعُهُ ... كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقْرَا[11]

وأَهْوَى منه ما يَهْوَى المتنبي :

وَأَهْوَى مِنَ الفِتْيَانِ كُلَّ سَمَيْدَعٍ[12] ... أَرِيبٍ[13] كصَدرِ السَّمْهَرِيِّ المُقَوَّمِ

خَطَتْ تَحْتَهُ العِيسُ[14] الفَلاةَ وَخَالَطَتْ ... بِهِ الخَيْلُ كَبَّاتِ[15] الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ[16]

(ز)

يا شبابَ الجزائرِ : هَكَذَا كُونُوا . . أَوْ لاَ تَكُونُوا . .

---

5 ـ **التهور** : الوقوع في الامر بقلة مبالات . 6 ـ **حلس معمل** : الحلس ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج ، وما يبسط في البيت على الارض تحت حر الثياب والمتاع ، والمقصود هنا : انه ملازم للعمل وغير ملازم للمقهى . 7 ـ **مرتاد حقيقة** : باحث منها . 8 ـ **دائبة** : مستمرة في العمل . 9 ـ **منجحة** : ناجحة . 10 ـ **الفاحشة** : القبيح من القول والفعل . 11 ـ **وقر** : صمم . 12 ـ **سميدع** : شجاع . 13 ـ **اريب** : عاقل بصير بالامور . 14 ـ **العيس** : الابل . 15 ـ **كبات** : جماعات . 16 ـ **الخميس العرمرم** : الجيش الكثير العدد والعدة .

شرح وايضـــاح :

تمثل خواطر الـكاتب في هذا النص مجموعة من المبـادئ والقيم التي يتمنى أن يتخذها الشباب الجزائري مثلا اعلى ، يسير على منواله . ويمكن توضيح هـذه المبادئ فيمـا يلي :

(أ) الدعوة الى طلب العلا في الحياة ، والوصول الى **اعلى درجات المجد والرفعـة** في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والادبية ، مهما كانت العقبات التي تقف في طريق التقـدم ، أو تحول دون تحقيـقه ، والوصول الى مثل هذه الدرجات العالية في الحياة يتطلب من الشباب بذل جهود كبيرة ، وعملا متصلا وعزما ثابتا ، ارادة قوية ، وقلبا جريئا شجاعا .

(ب) الدعوة الى **التريث في الأمور** ، والتعقل في تدبيرها ، فلا يتهيب الصعب منها ، ولا يقدم عليها دون التفكير فيها ، ولا يفعل الصغائر من الأمور ، ولا يشعر بأن البعد عنها والهرب منها جبن أو هزيمة . وعلى الشباب الواعي أن يتأمل ويتدبر كل عمل يقدم عليه قبل البـدء فيه ، واذا بدأ فيه فعليه أن يظل يقظا متدبرا الى أن يفرغ من عمله .

(حـ) التحرر من **قيود العصبية** ، **وسمو النظرة** في العلاقات الانسانية . **والشباب الجزائري** تربطه بالمجتمع العربي **صلات الدم** ، وبالمجتمع الاسلامي **اخوة الدين** ، وبالمجتمع الانساني **اخوة البشرية** . وكل هذه العلاقات تفرض عليه واجبات لا بد أن يلتزم بها ليحقق وجوده في المجتمع الذي يعيش فيه .

(د) البعد عن الصفات السيئة **والتمسك بالأخلاق الحميـدة** من شجاعـة ورزانة واحترام للوقت والجهد ، فلا يضيع وقته عبثا متسكعا في الطرقات ، أو منغمسا بين رفاق السوء في المقاهي . وأن ينظر الى الحياة نظرة واقعية في تقدير الأمور ، فلا يستبد به الخيال ، أو يجنح به بعيدا عن الحقيقة .

(هـ) الجد في **طلب العـلم** وتحصيل **المعرفة** واستخدامها في الخير والنفع لصـالح نفسه ومجتمعه وانسانيته ، وأن يقبل على تحصيلهما في شغف ونهم . كما تقبل النحـلة على امتصاص رحيق الأزهار والثمار لتقدم للناس الشهد اللذيذ .

وعليه أن يسعى الى **غاياته النبـيلة** دون توقف أو تراجع ، حالفه الحظ أم خالفه ، فان الدنيا لا تبتسم للانسان دائما ، وهذا شأنها . وليتخذ الشباب من **النمـلة** الصغيرة مثلا عظيما في سعيها وراء رزقها دون المبالاة بما حققت من نجاح ، ما دامت تحقق وجودها في الدأب والعمل .

(و) ثم يلح الـكاتب على أهم الصفات التي يتمنى أن يرى عليها الشباب **الجزائري** وهي **الصفات** التي اتصف بها **أسلافه الأمجاد** من شجاعة القلب ، ورزانة العقل ، واستقامة الخلق ، والبعد عن القبيح من الأقوال والأعمال .

واخيرا يحمل الـكاتب **نصيحة الى الشباب** فيقول لهم : اذا تمسكتم بهذه المبـادئ السامية والأخلاق الرفيعة ، حققتم وجودكم في هذه الحياة ، واذا ابتعدتم عن العمل بها ، فلا وجود لـكم ولا حياة .

دراســة بـلاغية :

يعتبر هذا النص من **الادب الاجتماعي الهـادف** الذي يرمي الى تكوين المجتمعـات السليمة عن طـريق تهـذيب الشباب وتربية نفـوسهم ، وتزويدهم بالنصـائح والمبادئ الحميدة .

واختيار مثل هـذا الموضوع يدل على **صدق الـكاتب وأصالته** ، فقد كان مربيا مخلصا ومصلحا أميـنا ، يدرك أثر الـتربية في بناء الشعوب ، ويعـرف قيمتهـا في تحقيق الحرية والاستقلال .

والنص مجموعة من الخواطر تدعو الشباب الى التمسك بالقيم العـالية . وليس هناك ترتيب بين هذه الخواطر حيث يمكن تقديم اي فكرة على الأخرى دون خـلل بالمعنى أو فساد فيه ، ولـكنها أفكار متجانسة فيما بينها تسير في خط واحد وتهدف الى تحقيق غاية واحدة هي بناء الشباب الجزائري بناء قويا متينا .

وافكار النص واضحة ، تدل على عمق وعي الكاتب بالحياة وتقديره المسؤولية الملقـاة على عاتقه كرائد **يبني دعـائم أمة ويعيد للشعب الجزائري شخصيته العربية المسلمة** . كما تعكس خبراته الطويلة التي استفادها من أسفاره ودراساته وكفـاحه في مختلف الميـادين .

وفي النص **قيم انسانية عظيمة** ، تتمثل في دعوة الشباب الى **الالـتزام** ، فيتزن فى أداء واجباته نحو مجتمعه الجزائري الصغير ، ومجتمعه الاسلامي العربي الكبير ، ومجتمعه الانساني الاكبر . وفيه **قيم اجتماعية** تتمثل فى الدعوة الى العمل وتمجيده ، ومحاربة البطالة والتنفير من آثارها ، **واتخاذ العلم سلاحا فى الحياة** من اجل التقدم والنهـوض .

وقد الح الـكاتب على المبـادئ التي نادى بها ، فكررها ، وهذا الالحاح يدل على صـدق الـكاتب واخلاصه في دعوته .

دراسة الأسلوب :

« **البشير الابراهيمي** » صاحب ثقافة عربية واسعة تظهر في جزالة أسلوبه وقدرته على التعبير عما يريد **بالفاظ موحية** وكلمات مختارة وعبارات قوية .

واسلوبه في هذا النص امتداد لـ « **مدرسة الصنعة** » التي تهتم بانتقاء الالفاظ وتجويد العبارة وتزيينها بمختلف **الألوان البديعية** .

وفي النص تبدو ظاهرة **الاقتباس والاستشهاد** ، من ذلك قوله :

« مقدرا موضع الرجل قبل الخطو » .

فهو اقتباس من قول الشاعر :

« قدم لرجلك قبل الخطو موضعها » .

وكما مر بك في النص من استشهاد الكاتب بأبيات **المتنبي** وغيره من الشعراء .

وعبارات الكاتب واضحة وان كان في بعضها شئ من الغموض مثل قوله :

« جاعلا أول الفكر آخر العمل » .

فهو يريد بهذه الجملة تسليط الفكر على العمل حتى لا يقع الشباب في الاندفاع والتهور والأسلوب **كله خبري** ، فيما عدا العبارة الأخيرة :

« يا شباب الجزائرَ . . . » .

ففيها **أسلوب انشائي** هو **النداء** الذي يدل على التنبيه . وفيها أمر يشير الى التهديد والانذار ، ويوحي بحرص الكاتب على تمثل الشباب لدعوته وتمسكه بنصائحه

واستخدام **الاسلوب الخبري** يدل على **تفاؤل الكاتب وثقته المطلقة في مستقبل شباب وطنه** ، وحرصه على العمل بما نادى به !

واستعان الكاتب **بالصور البيانية** المتعددة . من ذلك قوله :

« جامحا عن الأعنة » .

فهذا **تشبيه بليغ** يصور قوة تمرد الشباب على الصعاب وتحطيمهم للعقبات التي تقف في طريق وصولهم الى المجد .

وقوله :

« أتمثله مقبلا اقبال النحل » .

تشبيه يدل على مواصلة الكفاح المنظم .

وقــوله :

« حلــف عمــل لا حلــيف بطــالة » .

صورة توحي بحب العمل والاستمرار فيه والتنفير من البطالة .

وفي قوله :

« متقــد العــزمات » ، « تحتــدم جــوانبه » ، « لا ماضــغ أقــوال »

استعــارات جميــلة ، يمكنك ادراكها ، ومعرفة سر جمــالها .

وفي الأســلوب **جرس موسيقي** زينه الــكاتب ببعض **الوان البديع** .

كالسجــع في قــوله :

« واســع الوجود ، لا تقف أمامه الحدود » .

وقــوله :

« بطــل عمــل ، لا ماضــغ أقــوال » .

والطبــاق في قــوله :

« جاعــلا أول الفكــر آخــر العمــل » ، « مرتاد حقيــقة لا رائد خيــال » .

والمقــابلة في قــوله :

« أتمثله مقداما على العظائم في غير تهور ، محجاما عن الصغائر في غير جبن » .

والجنــاس في حديثه عن النحــلة :

« تجــد لتجــد » .

واستخدم الكاتب **الفاظا موحية** فى النص ، من ذلك مثلا : كلمة « **عــربيد** » وصفا للشباب المتطلع . وهذه الكلمة موضوعة أصلا فى اللغة للسكير الذي يدمن الشراب ، ولــكن الكاتب استخدمها هنا للدلالة على طلب الشباب للمعالي بحيوية وقوة

ومن ذلك أيضا كلمة : « **مقــداما** » ، وكلمة « **محجاما** » وصفا للشباب بأسلوب المبالغة الذي يوحي بالزيادة في الحدث والاكثار منه .

مجمل القول في النص

- **النص من الأدب الاجتماعي الهادف ، وفيه قيم ادبية وخلقية واجتماعية وانسانية عظيمة ، وهو في جملته مجموعة من الخواطر تعكس اماني الكاتب في مستقبل الشباب الجزائري ، وهي خواطر متفرقة ، ولكنها تتآزر فيما بينها لتعطي صورة مثلى للشباب الناهض كما يرجوه الكاتب .**
- **وافكار النص سهلة واضحة ، واسلوبه جيد العبارة متانق الكلمات فيه اقتباس واستشهاد ، ويعتمد على الأسلوب الخبري ، وفيه من الصور البيانية والألوان البديعية ما يوضح الفكرة ، ويجلو العاطفة ويجمل الأسلوب**

المناقشة :

1 ـ الكاتب يدعو الى الشجاعة والاتزان والتبصر واعمال الفكر مع العمل ـ فأي فقرة تفهم منها ذلك ؟

2 ـ في النص توجيه الى العمل والبحث عن الحقيقة ـ اذكر العبارات الدالة على ذلك .

3 ـ لم شبه الكاتب الاقبال على العلم والمعرفة باقبال النحل والنمل ؟ وما رأيك في هذا التشبيه ؟

4 ـ ما الصفات التي يحبها الكاتب في الشباب الجزائري ؟ وما أثرها في رقي البلاد وازدهارها ؟

5 ـ الى اي مدى تحققت إماني الكاتب في الشباب ؟

6 ـ استخرج صورة بلاغية من النص ووضح سر جمالها .

7 ـ « جاعلا أول الفكر آخر العمل » . ما رأيك في هذه العبارة ؟ وضح معناها بأسلوبك .

المقال الأدبي :

ـــ اكتب مقالا موجها فيه الخطاب الى الشباب الجزائري ، توضح لهم فيه ما يتطلبه الوطن من جهود لضمان استمرار المكاسب الثورية التي خققتها الجزائر باستقلالها .

نمـاذج من ادبه :

ا ـ فلسـطين (*)

« يَا فِلَسْطِينُ ، إِنَّ في قلب كُلِّ مسلم جزائريٍّ من قضيتِكِ جُروحًا دامِيَةً ، وفي جَفْنِ كُلِّ مسلِمٍ جزائري من مِحنَتِكِ عَبَرَاتٍ هامية ، وعلى لسان كل مُسلِم جزائري كلمةٌ مُتَرَدِّدَةٌ ، هي : « فِلَسْطِينُ قِطعةٌ من وطني الاسلامِيِّ الكبيرِ ، قبلَ أن تكونَ قِطعةً من وطني العربِيِّ الصغيرِ ، وفي عُنُقِ كُلِّ مسلِمٍ جزائري لَكِ يَافِلَسْطِينُ حَقٌّ واجِبُ الأداءِ ، وَذِمَامٌ مُتأكِّدُ الرِّعَايَةِ ، فَإِنْ فَرَّطَ فِي جَنْبِكِ ، أو أضاعَ بعضَ حَقِّكِ فما الذَّنْبُ ذَنبُهُ ، وإنما هو ذَنْبُ الاستعمارِ الذي يَحولُ بين المَرْءِ وأخيه ، والمَرْءِ وَدَارِهِ والمُسْلِم وَقِبْلَتِهِ » .

يَا فِلَسْطِينُ ، إذا كان حُبُّ الأوطانِ من أَثَرِ الهَواءِ والترابِ ، والمَآرِبِ التي يَقضِيها الشبابُ ، فإن هــوَى المسلِم لَكِ أن فيكِ أَوْلَى القِبْلَتَيْنِ ، وأن فيكِ المَسجدَ الأقصَى الذي بارَكَ اللهُ حَوْلَهُ ، وأنكِ كنتِ نهايةَ المرحلةِ الأَرْضِيَّةِ ، وبِدايةَ المَرحلةِ السَّمَاوِيَّةِ ، ومِنْ تِلكَ الرِّحْلَةِ الواصِلَةِ بَيْنَ السماءِ والأرضِ صُعودا ، بعد رِحْلَةِ آدمَ الواصِلَةِ بَينَهُما هُبوطا ، وَإِليكِ ، إِليكِ تَرامتْ هِمَمُ الفاتِحِينَ ، وترامتِ الأَيْنُقُ الذُّلُلُ بالفاتحين تَحمِلُ الهُدَى والسلامَ وشَرائعَ الإِسْلامِ ، وَتَنقُلُ النبُوَّةَ العامَّةَ الى أرضِ النبُوَّاتِ الخاصةِ ، وثِمارَ الوَحْيِ الجديدِ إلى مَنابتِ الوَحْيِ القديمِ ، وتكشفُ عن الحقيقةِ التي كانت وَقَفتْ عند «تَبوك» بقيادة «محمد بن عبد الله» ثم وقفت عند «مُؤْتَة» بقيادة زيدِ بنِ حارِثَة ، فكانتِ الغَزْوَتانِ تَحوِيمًا من الاسلامِ عَلَيْكِ ، وكانتِ الثالثةُ وِرْدًا ، وكانتِ النتيجةُ أَنَّ الاسلامَ طَهَّرَكِ من رِجْسِ الرُّومَانِ ، كما طهر أطرافَ الجــزيرةِ قَبْلَكِ من رِجْسِ الأَوْثانِ .

يَا فِلَسْطِينُ ، مَلَكَكِ الاسلامُ بالسيف ، ولكنه ما ساسَكِ وَلَا سَاسَ بَنِيكِ بِالْحَيْفِ فَمَا بَالُ هَذِهِ الطائفَةِ الصَّهيونِيَّةِ اليومَ تُنكِرُ الحقَّ ، وتَتَجــاهلُ الحقيقةَ ؟ وتَجحـدُ الفضلَ ، وتَكْفُــرُ بالنِّعْمَةِ ، فَتُزاحِمُ الْعَرَبِيَّ الوارِثَ باستحقاقٍ عن موارِدِ الــرِّزقِ فيكِ ، ثم تَغــلُو فَتَزْعُمُ أنه لاَ شِرْبَ لَهُ من ذلك المورِدِ . ما بالُ هذه الطائفةِ تَدَّعي ما ليسَ لَهَا بحق ، وَتَطوِي عشراتِ القرونِ لِتَصِلَ بِسَفاهَتِها وَعْدَ مُوسَى بِوَعْدِ «بلفور» وَإِنَّ بَيْنَهُمَا لَمَـدًّا أو جَزْرًا من الأحداث ، وجَذْبًا وَدَفْعًا من الفاتِحِين ، ما بالُها تَدَّعي

(*) عيـون البصـائر .

إرْثًا لم يَدْفَعْ عَنْهُ أَسْلَافُهَا غارَةَ بابِلٍ ولاَ غزوَ الرومانِ ، ولا عاديةَ الصليبيّينَ ، وإنَّمَا يستحِقُّ التراثَ مَنْ دافعَ عنه ، وحامَى دُونَهُ ، وما دافعَ بَابِلَ إلا انحسارُ الموجةِ البابليَّةِ بعد أَنْ بلَغَتْ مَداها ، وما دافعَ الرومانَ الا عُمَرُ والعرَبُ وأبطالُ اليَرْمُوكِ وَأَجْنَادِين . وما دافعَ الصليبَ وحامِليه إلا صَلاَحُ الدينِ وفَوارِسُ « حِطِّين » .

إِنَّ العربَ على الخصوصِ ، والمسلمين على العموم ، حَرَّرُوا فِلَسْطِينَ مَرَّتَيْنِ فِي التــاريخ ، ودَفَعُوا عنها الغاراتِ المُجْتَاحةِ مرات ، وانتظمَ مُلْكُهُم إِيَّاهَا ثلاثةَ عشرَ قرنا وعاشَ فيها بَنُو اسرائيلَ تَحْتَ رايةِ الاسلامِ وفى ظِلِّ حِمَايَتِهِ آمِنين على أرْواحِهم وأَبْدانِهم وأعراضِهم وأموالِهِم وعلى دِينِهِم ، ومن المُحَالِ أن يَحيفَ المسلمُ الــذي يؤمنُ بِمُوسَى على قــومِ مُوسى . .

أَيَظُنُّ الظانون أن الجزائرَ بعراقَتِها في الاسلامِ والعروبَةِ تَنْسَى فِلَسْطِينَ ، أو تَضَعُها في غير مَنْزِلَتِهَا التي وَضَعَهَا الاســلامُ مِن نَفْسِها ؟ لاَ وَاللهِ ، وَيَأْبَى لهــا ذلك شَرَفُ الاسلامِ ومَجْدُ العروبةِ ، وَوَشَائِجُ الْقُرْبَى . ولكن الاستعمارَ الذي عَقَدَ العُقْــدَةَ وَأَبِى حَلَّهَا لمصلحته ، وقَايَضَ بِفِلَسْطِين لمصلحتِهِ ، هو الذي يُبَاعِدُ بين أجزاءِ الاسلامِ لِئَلاَّ تَلْتَئِمَ ، ويقطعُ أوصالَ العروبةِ كَيْلاَ تَلْتَحِمَ ، وَهَيْهَاتَ هيهاتَ لِمــا يَرُوم ! .

إِن بين دولِ الاستعمارِ علائقَ ماسّةً ، وَإِنَّهُنَّ يَتَباعَدْنَ ما دام خيالُ الشرقِ بعيدا ، فإن لاَحَ ذلك الخيالُ حَنَّتْ من الاستعمارِ الدمَاءُ ، وتَعَاطَفَتِ الأرحامُ وتُنُوسِيتِ الأحقادُ ، فَهَلاَّ فَعَلْنَا مَا فَعَلُوا ؟

أيها العربُ ، إِنَّ قضيةَ فِلَسْطِين مِحْنَةٌ امتحنَ اللهُ بها ضَمائرَكُم وهِمَمَكُم وأَموالَكُم وَوَحْدَتَكُم ، وليستْ فِلَسطين لعرب فلسطين وحْدَهم ، وإنما هي للعــرب كُلِّهِم ، وليستْ تُنَالُ بالشِّعْرِيّاتِ والخَطَابِيّاتِ ، وإنما تُنَالُ بالتصْميم والحزم والاتحادِ والقوةِ .

إِن الصّهيونيّةَ وأنصارَهَا مُصَمِّمُون ، فَقَابِلُوا التصميمَ بِتَصْمِيمٍ أقوَى مِنه ، وقَابِلوا الاتحادَ باتحادٍ أَمْكَنَ منه «وَكُونُوا حَائِطًا لاَ صَدْعَ فِيه، وَصَفًّا لَا يُرَقَّعُ بِالْكُسَالَى » .

ب ـ فضــلُ اللغـةِ العــربيةِ على العلم والمدنية

قامتِ اللغةُ العربيةُ فى أَقَلَّ من نصفِ قرنٍ بترجمةِ علومِ هذهِ الأُمَمِ ، ونُظُمِهَــا الاجتماعيةِ وآدابِها ، فوَعَتِ الفلسفةَ بجميع فروعِها ، والرياضياتِ بجميع أصْنافِها ، وَالطِّبَّ والهندسةَ والأدبَ والاجتماعَ وهذه هي العلومُ التي تقومُ عليها الحضارةُ العقليةُ فى الأُمِمِ الغابِرَةِ والحاضرَةِ ، وهذا هو التُّرَاثُ العَقْلِيُّ المُشَاعُ الذي لا يزالُ

يأخذُهُ الأخيرُ عن الأولِ ، وهذا هو الجزءُ الضروريُّ في الحياةِ الذي إما أن تَنْقُلَهُ إليكَ فيكونَ قوةً فيكَ ، وإما أن تنتقلَ إليهِ في لغةِ غيركَ فتكونَ قوةً لِغَيْرِكَ ، وقد تَفَطَّنَ أسلافُنا لهذهِ الدقيقةِ فنقلُوا العِلمَ ولم ينتقِلُوا إليه وقد قامتْ لغتُهُمْ بحِفظِ هذا الجزءِ الضروريِّ من الضَّيَاعِ باتِّسَاعِهِ من أيْدِي الغوائِلِ وبنقلِهِ إلى الأواخِرِ عن الأوائِلِ وبذلك طوقتِ العالَمَ مِنَّةً لا يقومُ بها الشكرُ، ولولا العربيةُ لضاعَ على العالَمِ خيرٌ كثيرٌ .

« إنّ كثيرا من العلوم التي بُنِيتْ عليها الحضارةُ الغربيةُ لم تَصِلْها إلا عن طريق اللغةِ العربيةِ بإجماع الباحثين مِنَّا ومِنْهُمْ ، وإنّ المُنْصِفِينَ مِنهم لَيَعْتَرِفُونَ للغة العربية بهذا الفضلِ على العِلم والمدنيةِ ، وَيُوفُونَها حَقَّهَا من التَّمجيدِ والاحترام ، ويعترفون لعلماء الإسلامِ بأنهم أسَاتِذَتُهُمْ في هذه العلومِ ، عَنهُمْ أخَذُوهَا وعن لُغَتِهِم تَرْجَمُوها وأنهم يَحمَدُون للدهر أن هَيَّأَ لهم مجاوَرَةَ المسلِمين بالأندَلُسِ وصِقِلِّيَةِ وشمالِ إفريقيا وثُغورِ الشامِ حتى أخذوا عنهم ما أخذوا ، واقْتَبَسُوا عَنْهُم ما اقتبسوا ، ولا يزالُ هؤلاءِ المنصفون يذكرون فضلَ معاهدِ الأندلسِ العربية ، ومعاهدِ شمالِ إفريقيا ومعاهدِ الشامِ ، على الحضارة القائمةِ ، ولا يزالون يَنْتَهِجُون بعضَ المناهِجِ الدراسية الأندَلُسِيةِ في معاهدهم إلى الآن ، ولا يزالون يَرُدّون كُلَّ شيء إلى أصْلِهِ ويعترفون لكل صاحبِ فضلٍ بفضله .

وها هُنا أيها الإخوانُ مسألةٌ يجب الكشفُ عن حقيقتها ، فقد كَثُرَتْ فيها المغالطاتُ ، وجَنَى عليها تعصّبُ المُتَعَصِّبين من ذَوِي الدخائلِ السيئةِ من الغَرْبِيِّين ومُقَلِّدِيهم حتى أصبح باطِلُها حَقًّا وكَذِبُهَا صِدْقاً ووَهْمُهَا حقيقةً ، وحتى أصبح هذا الوهمُ من المُسَلَّمَاتِ التي لاَ تَقْبَلُ الجَدَلَ عند أبنائِنا الذين تَلَقَّوا العِلمَ على أيْدِي أولئكَ المُتَعَصِّبِين — وهي أن العربَ ليس لهم فيما تَرْجَمُوا إلا النقلُ المُجَرَّدُ ، وأنهم لم يَزِيدوا شيئا في التُّرَاثِ الفِكْرِيِّ الذي نَقَلوه ، وأن وظيفَتَهُمْ في هذه الوساطةِ وظيفةُ الناقلِ الأمينِ الذي ينقلُ الشيءَ كما هو مَلْفُوفاً من يَدٍ إلى يَدٍ .

أُغْلُوطَةٌ مَلأتْ كتبَ الكثيرِ منهم وتَرَدَّدَتْ على ألسنتِهم ، يُمَهِّدون بها إلى وَصْمِ العَرَبِيِّ بأنه بليد الفِكرِ جَامِدُ القَرِيحَةِ سَطْحِيُّ التفكيرِ مسدودُ الشَّهِيَّةِ العِلميةِ ، وَيَتَوَسَّلُون بذلك إلى تَزْهِيدِ العَرَبِيِّ في مَزَايَا أسْلاَفِهِ واحتقارِهِ لها ولَهُم .

والحقيقةُ التي يُؤَيِّدُها الواقِعُ ويشهدُ بها المُنْصِفُون مِنهُم أن العربَ حِينَمَا نَقَلُوا

عـلومَ الأوائلِ كما كانوا يُسَمُّونَها نَقلوُا بدافعٍ وِجْدَانِيٍّ الى العلم ورَغْبَةٍ مُلِحَّةٍ فيه . وأنهم نقلوا ليستقلوا وليستغلوا ولينتفعوا بثمرة ما نقلوا ولا يَتِمّ لهم هذا الاستقلال في العِلم الا بالتمحيص والتصحيح .

ومن الثابت عندنا أن عهد الترجمة كان عهدَ اضطراب في هذه العلوم المترجمة رُدَّتْ فيه التَّبِعة على المترجمين ، ثم انجلتِ الرَّغْوةُ وعَمِل الفكرُ العربي الوَقّادُ عمَلَه فصحح أغلاطَ الفلاسفة وصحح نظرياتِ الرياضة ، وجاء دور الاجتهاد في هذه العـلوم ، فاستقل الفكر العربي بالفلسفة وكَيَّفَهَا على ذوقه الخاص . واستنبط في هذه العلوم طرائق وأنواعا لم تكن معروفة من قبل للأوائل وصحح العلل وكشف عن الأوهام وانتقد انتقاد المستقل . وما كان الفارابي وابن سيناء وابن سليمان المنطقي في المشارقة ولا ابن باجة وابن الطفيل وابن مرجان وابن رشد وأبو الهذيل في الأندلسيين ــ بالمقلدين في علوم الأوائل .

أيها الاخوان : إن العربية لم تخدم مدنية خاصة بأمة ، وانما خدمت المدنية الانسانية العامة مدنية الخير العام والنفع العام ولم تخدم علما خاصا بأمة ، وإنما خدَمت العلم المشاع بين البشر بجميع فروعه النافعة . ومَنْ يستقرِئْ خاصةً هذه اللغة لعلم الطب وحدَه يَتَبَيَّنْ مقدار ما أفاءَتْ هذه اللغةُ على البشرية من خير ونَفْعٍ .

وقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى يوم كان العالَم كله يتخبط في ظلمات الجهل هي اللغةَ الوحيدةَ التي احتضنت العِلم وآوَتْه ونصرته .

أيها الإخوان : هذا فضل لغتكم على المدنية الانسانية ، وفضلها على الأمم غير العربية ، وأما فضلها على الأمم العربية فانه يزيد قدرا وقيمة على فضلها على الأمم الأخرى ، واذا قلنا ــ الأمم العربية فاننا نعني الأمم الاسلامية كلها ، لأنها أصبحت عربية بحكم الاسلام ولغة الاسلام .

فاللغة العربية منذ أن دخلت في ركاب الاسلام على الأمم التي أظلها ظِلُّـه كانت سببا في تقارب تفكيرهم وتشابه عقلياتهم وتمازج أذواقهم وتوحيد مشاربهم وان هذا لمن المناهج السديدة في توحيد الأمم المختلفة الأجناس ، ولولا العربية لاختلفت الأمم الاسلامية في فهم حقائق الدين باختلاف العقليات الجنسية ، وقد وقع بعض هذا ولكنه من القلة بحيث لا يظهر أثره في الحركة العامة للأمة .

ان الأمم التي دخلت الاسلام متفاوتة الدرجات فى الانفعالات النفسية وأنماط التفكير متفاوتة فى الادراك والذكاء متفاوتة فى القابلية والاستعداد متفاوتة فى التصوير والتخيل، ولكن اللغة العربية فتحت عليها آفاقا جديدة فى كل ذلك ما كانت تعرفها لولا العربية ودفعها بما فيها من قوة وبما لها من سلطان الى التفكير والتعقل على منهج متقارب، وحفزت الأفكار الخامدة الى التحرك وزادت الأفكار المتحركة قوة على قوة .

أيها الاخوان ، ان العربية هي التي قاربت بين الفكر الفارسي المنفعل القلق وبين الفكر البربري الرصين الهادىء ثم هيأت لكل فكر قابليته .

واللغة العربية هي التي سهلت لهذه الأمم المختلفة أسباب العلم والمدنية ، ومهدت لها الطرائق المؤدية اليهما حتى أخذت كل أمة حظها منهما .

واللغة العربية هي التي أفاضت على علماء المسلمين بكنوزها ودقائقها وأسرارها وأمدتهم بتلك الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية والفنية التي تعجز أي لغة من لغات العالم عن احضارها بدون استعانة واستعارة . فبحثوا في كل علم ، وبحثوا فى كل فن ، وملأوا الدنيا مؤلفات ، ودواوين ، ومن عرف كتاب أبى حنيفة الدينوري في النبات ، وكتاب أبي عبيدة في الخيل ، وكتاب الهمذاني في تخطيط جزيرة العرب ، وكتاب الجاحظ في الحيوان ، وكتب الأيمة في الطب والنجوم والابل ، رأي العجب العجاب ، من اتساع هذه اللغة وغزارة مادتها ! وعلم مقدار أفضالها على الأمة العربية ، كما أن من يقرأ شعر الشعراء النفسيين من الفرس بهذه اللغة وشعر الشعراء الوصافين من الأندلس يتجلى له أي أفضال أفضلته العربية على تلك القرائح الوقادة التي وجدت فى العربية فيضا لا ينقطع مدده ، واضافته الى فيض الاستعداد .

وما أمتن الانتاج الأدبي اذا كان يصدر عن اتساع في اللغة واتساع فى الخيال .

(حـ) من الأدب الخطابي « نـداء »(*)

ادت جمعية العلماء دورها فى احياء مقومات الشخصية الجزائرية ، وتعاونت مع الحركات الوطنية على النهوض بالشعب الجزائري فى شتى المجالات الى أن قيض الله للجزائر ابناء بررة شقوا طريق النضال المسلح لطرد المحتلين وتحقيق الاستقلال الوطني المنشود ، فوجه رئيس الجمعية المرحوم الامام **البشير الابراهيمي** من القاهرة فى 15 نوفمبر سنة 1954 م نداء الى الشعب الجزائري يدعوه الى الالتفاف حول الثورة المسلحة وخوض غمار الجهاد المقدس بالنفس والنفيس مما أخرس كل عميل أثيم يريد التشكيك فى شرعية الجهاد باسم الدين .

(*) الجزائر الثائرة : الفضيل الورتلاني الذي وقع هذا النداء مع الشيخ البشير الابراهيمي .

نداء الى الشعب الجـزائري المجاهـد (*) :

نعيـذكم بالله ان تـتراجعـوا . . .

ايها المسلمون الجزائريون :

الســلام عليكم ورحمــة الله وبركاته :

حَيَّاكم اللهُ واحيَّاكم ، وأَحْيَا بكم الجزائرَ ، وجعل منكم نورا يمشي من بين يَدَيْها ومن خَلْفِها . هذا هو الصوت الذي يُسمعُ الآذانَ الصمَّ ، وهذا هو النور الذي يفتح الأعين المُغَمَّضَة ، وهذه هي اللغة التي تَنفُذُ معانيها الى الأذهان البليدة ، وهذا هو المنطق الذي يُقوّمُ القلوبَ الغُلْفَ ، وهذا هو الشعاع الذي يخترق الحُجُبَ والأوهام

كان العالم يسمع ببلايا الاستعمار الفرنسي لدياركم ، فيعجب كيف لم تثوروا وكان يسمع أنينكم وتوجعكم منه ، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطيء ، على الموت العاجل المريح ، وكانت تسوق شبابكم الى المجازر البشرية ، فى الحروب الاستعمارية فتموت عشرات الآلاف منكم فى غير شرف ولا محمدة ، بل فى سبيل فرنسا ، وتوسيع ممالكها ، وحماية ديارها ، ولو أن تلك العشرات الآلاف من ابنائنا ماتوا فى سبيل تحرير الجزائر ، لماتوا شهداء وكنتم بهم سعداء .

ايها الاخوة الجزائريون :

اذكروا غـدر الاستعمـار ومماطلته :

احتلت فرنسا وطنكم منذ قرن وربع قرن ، وشهد لكم التاريخ ، بأنكم قاومتموها مقاومة الأبطال ، وثرتم عليها مجتمعين ومتفرقين ، نصف هذه المدة ، فما رعت فى حربها لكم دينا ولا عهدا ، ولا قانونا ولا انسانية ، بل ارتكبت كل أساليب الوحشية من تقتيل النساء والأطفال والمرضى ، وتحريق القبائل كاملة ، بديارها وحيواناتها واقـواتها .

ثم حاربتم معها وفى صفها ، وفى سبيل بقائها نصف هذه المدة ، ففتحت بابنائكم الأوطان وقهرت بهم أعداءها ، ورجمت بهم وطنها الأصلي ، فما رعت لكم جميلا ، ولا كافأتكم بجمل ، بل كانت تنتصر بكم ، ثم تخذلكم ، وتحيا بابنائكم ، ثم تقتلكم كما وقع لكم معها فى شهر مايو سنة 1945 ، وما كانت قيمة أبنائكم ، الذين ماتوا فى سبيلها ، وجلبوا لها النصر ، الا أنها نقشت أسماء بعضهم فى الأنصاب التذكارية ، فهل هذا هو الجزاء ؟

طالبتموها بلسان الحق ، والعدل ، والقانون ، والانسانية ، من اربعين سنة ، بأن ترفق بكم ، وتنفس عنكم الخناق قليلا ، فما استجابت ، ثم طالبتموها بأن ترد عليكم بعض حقوقكم الآدمية ، فما رضيت ، ثم طالبتموها بحقكم الطبيعي ، يقركم

(*) الجزائر الثائرة : الفضيل الورتلاني .

عليه كل انسان ، وهو ارجاع أوقافكم ومعابدكم وجميع متعلقات دينكم ، فأغلقت آذانها في اصرار وَعُتُوٍّ ، ثم ساومتموها على حقوقكم السياسية بدماء أبنائكم الغالية التي سالت في سبيل نصرها ، فعميت عيونها عن هذا الحق الذي يقرره حتى دستورها ثم هي في هذه المراحل كلها ، سائرة في معاملتكم من فظيع الى أفظع .

ايها الاخوة الجزائريون الأبطـــال :

لم تُبْقِ لكم فرنسا شيئا تخافون عليه ، أو تدارونها لأجله ، ولم تبق لكم خيطا من الأمل تتعلقون به ، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها ؟ أم تخافون على الحرمة وقد استباحتها ، لقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه ؟ أم تخافون على الأرض وخيراتها ، وقد أصبحتم فيها غرباء حفاة عراة جياعا ، أَسْعَدُكُم من يعمل فيها رَقيقا ، زراعيا يُباع معها ويُشْتَرى ، وحظكم من خيرات بلادكم النظرُ بالعين والحسرةُ في النفس ؟ أم تخافون على القصور ، وتسعة أعشاركم يأوون الى الغيران كالحشرات والزواحف ؟ أم تخافون على الدين ؟ ويَاوَيْلَكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله ، وياويلَ فرنسا من الاسلام ، ابتلعت أوقافه وهدمت مساجده ، واذلت رجاله ، واستعبدت أهله ، ومحت آثاره من الأرض ، وهي تَجْهَدُ في محو آثاره من النفـــوس .

ايها الاخوة المســلمــون :

ان الـــتراجع معنـــاه الفنـــاء :

ان فرنسا لم تبق لكم دينا ولادنيا ، وكل انسان في هذا الوجود البشري ، انما يعيش لدين ويحيا بدنيا ، فاذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها .

وانها سارت بكم من دركة الى دركة ، حتى اصبحت تتحكم في عقائدكم ، وشعائركم وضمائركم ، فالصلاة على هواها لا على هواكم ، والحج بيدها لا بأيديكم ، والصوم برايتها لا برأيتكم ، وقد قرأتم وسمعتم من رجالها المسؤولين ، عزمها على احداث « **اسلام جزائري** » ومعناه اسلام ممسوخ ، مقطوع الصلة بمنبعه في الشرق وباهله من الشرقيين .

ان الرضى بسلب الأموال قد ينافي الهمة والرجولة ، أما الرضى بسلب الدين والاعتداء عليه فانه يخالف الدين ، والرضى به كفر بالله وتعطيل للقرآن .

انكم في نظر العالم العاقل المنصف ، لم تثوروا ، وانما اثارتكم فرنسا بظلمها الشنيع وعتوها الطاغي ، واستعبادها الفظيع لكم قرنا وربع قرن ، وامتهانها لشرفكم وكرامتكم ، وتعديها الصريح على مقدساتكم .

ان اقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي ، يوجب عليكم الثورة عليه ، من زمان بعيد ، ولكنكم صبرتم ، ورجوتم من الصخرة أن تلين ، فطمعتم فى المحال ، وقد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبي فنعيذكم بالله وبالإسلام ، أن تتراجعوا او تَنْكِصُوا على أعقابكم ، ان التراجع معناه الفناء الأبدي والذل السَّرْمَدي .

ان شريعة فرنسا ، انها تأخذ البرئ بذنب المجرم ، وانها تنظر اليكم مسالمين أو ثائرين نظرة واحدة ، وهي انها عدو لكم وانكم عدو لها ، ووالله لو سألتموها الف سنة لما تغيرت نظريتها العَدَائية لكم ، وهي بذلك مصممة على محوكم ، ومحو دينكم وعروبتكم ، وجميع مُقَوِّمَاتِكم .

انكم مع فرنسا ، فى موقف لا خيار فيه ، ونهايته الموت ، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت .

انكم كتبتم البسملة بالدماء ، فى صفحة الجهاد الطويلة العريضة ، فاملأوها بآيات البطولة التي هي شعاركم فى التاريخ ، وهي ارث العروبة والاسلام فيكم .

ما كان للمسلم أن يخاف الموت ، وهو يعلم انها كتاب مؤجل ، وما كان للمسلم أن يبخل بماله أو بمهجته ، فى سبيل الله ، والانتصار لدينه ، اذا رضيها فى دنياه !

اخلصوا العمل لله واخلصوا بصائركم فى الله ، واذكروا دائما وفى جميع أعمالكم ما دعاكم اليه القرآن ، من الصبر فى سبيل الحق ، ومن بذل المهج والأموال في سبيل الدين ، واذكروا قبل ذلك كله قول الله « جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ » وقول الله « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » .

أيها الاخوة الاحـرار :

هَلُمُّوا الى الكفاح المسلَّح :

اننا كلما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الاسلامي فى الجزائر ، وذكرنا فظائعها فى معاملة المسلمين ، لا لشيء الا لأنهم مسلمون ، كلما ذكرنا ذلك احتقرنا انفسنا واحتقرنا المسلمين ، وخَجِلنا من الله أن يرانا ويراهم ، مُقَصِّرين فى الجهاد لاعلاء كلمته ، وكلما استعرضنا الواجبات وجدنا أوجبها والزمها فى أعناقنا ، انما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب ، ويدفع عنا وعن ديننا العار ، فسيروا على بركة الله ، وبعونه وتوفيقه الى ميدان الكفاح المسلح ، فهو السبيل الواحد الى احْدَى الحُسْنَيَيْن اما موتٌ وراءَهُ الجنةُ ، واما حياةٌ وراءَها العزةُ والكرامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المرجع ص 179 الجزائر الثائرة الفضيل الورتلاني .

د ـ رواية الثلاثة (*)

كتب الشيخ البشير « رواية الثلاثة » أثناء اقامته بـ « أفلو » التابعة لولاية تيارت حيث قضي ثلاثة اعوام في منفاه بهذه المدينة وقدم لهـا بمقدمـة شرح فيها موضوعها وشخصياتها واسلوبها .

أما الموضوع : فهو يتحدث عن حالة ثلاثة من الأساتذة لا يُدْفَعُونَ عن فضل ولا أدب ولا ذكاء ، وما فيهم الا بعيدُ الأثرِ في الحركة الاصلاحية ، واسعُ الخطى في ميدان تعليم الناشئة وتربيتها وكان لهم شيخ كالوالد يَأْبُوهُم وَيَجُوهُم ، وكانوا يعدون ايام اجتماعهم به ـ وهي قليلة ـ غُرَرَ اعمارهم ، يتسببون لها الأسباب ، لما يُفيضُه عليهم من طرائف الأدبِ ... ثم طرق الدهر بحادث حال بينهم وبينه وبين الناس الا رسائل تنفض عليها القلوب ما تكن ... فكان الظن بالثلاثة انهم يجلون في هذا المضمار ، ويسبقون جميع الناس فيه ، ولكنهم بدلا من ذلك نسوه ... ثم ادركوا خطاهم وتقصيرهم في حق شيخهم ، فعقدوا جلسات يتجاذبون فيها أطراف الحديث ، ما بين قائل ومجيب ، وبان وهـادم .

• وتنعقد من الأحاديث مناسبات واشباه مناسبات ، لتتوالد من بينها أغراض في الأدب ، ومناح في النقد ، وخبايا الأنفس والطباع .

ومن خلال أحاديثهم يتضح أن السبب في عدم مكاتبة شيخهم يرجع الى « الفرنك » ثمن طابع البريد . من الذي يدفعه من الثلاثة ! وبأي نسبة يوزع بينهم !

ويطول الحوار دون جدوى ، فيضطرون الى استدعاء شخصية رابعة هي شخصية « بوشمال » وباشتراكه تتعقد الأحداث ، ويأتي الحل من شخصية « ابن العابد » الذي شعر بضغط المجتمعين عليه ، فأعلن أنه لا يملك سوى فرنك واحد ، واعتذر عن المساهمة معهم بحجة أنه عدو للشيخ ، لأن الشيخ قد سبه وعرض به .

واما الشخصيات : فقد اعتمد الشيخ البشير في روايته على ثلاث شخصيات رئيسية :

(أ) شخصية الشيخ « السعيد بن حافظ » مدير مدرسة « التربية والتعليم الحرة بقسنطينة » .

(ب) شخصية الأستاذ « عبد الحافظ الجنان » مدرس بالمدرسة السابقة.

(حـ) شخصية الأستاذ « محمد بن العابد الجلالي » مدرس بالمدرسة السابقة . وشخصية ثانوية هي شخصية الأستاذ « بوشمال » الذي اقترح المدير استدعاءه ليستعين به على الرفيقين أو يسهم معهم في حل المشكلة ، أما شيخهم المتحدث عنه فهو كاتب الرواية .

وقد حدد البشير أبعاد شخصياته الرئيسية فيما يلي :

---

*) اعد هذه الرواية للطبع وعلق عليها الاستاذ الجلالي بن محمد الفاسي والرواية لم تطبع حتى الآن

1 ـ الرئيس يظهر بمظهر المدير الذي لم تفارقه رسوم الادارة المحافظ على تلك الرسوم حتى فى المواقف التي يجب الغاؤها فيها . الخائف الذي لا يلتمس القوة من نفسه ، وانما يلتمسها من غيره . السيىء الظن بالرفيقين يحكم عليهما انهما يحملان له حقدا ، وينطويان له على ضغينة ، مما يحمله الملمون للمديرين ، فهو يداورهما فى بعض المواقف مداورة الكيد ، ويسعى كلما لاحت له الفرصة فى التحريش بينهما ، حتى يكون احدهما ظهيرا له على الآخر ، ولكنه لم يفلح فى ذلك ، لأن الألتحام بينهما شديد ولأنهما على حذر دائم منه ، ومع ذلك فصفوه فى الغالب للجنان . والجنان يبادله بعض ذلك ، اخلاصا فى محل الاخلاص ، ومكايدة فى محل الكيد .

2 ـ والأستاذ ابن العابد يظهر بما يأتي اجماله . (متوقع للشر والخسارة المالية) من وراء هذه الاجتماعا ت. معارض للرئيس فيما يقوله حقا أو باطلا . باذل جهده فى ابعاد هذه النكبة ، وتأخيرها بقدر الامكان . غير واثق بالجنان الى النهاية ، فيما يرجع الى النكبة التي يتوقعها . مواد للأعاجيب من الهنات اليسيرة . واقف بالمرصاد لنقد ما يجب نقده ، وقد اجاد فى الكثير .

3 ـ الأستاذ الجنان يظهر فى المظاهر الآتية : المسالمة والملاينة الا فى مواقف الجد . اللعب على حبلين ولو فى موقف واحد . السعي فى الاصلاح كلما تفاقم خلاف . الميل الى السرعة والحزم .

أما أسلوبها فهو سهل منسجم ، متلاحم النسج ، متين التركيب ، فصيح المفردات ليس فيه تكلف ، ولا ركوب الضرورات ، التي ألف الراجزون ركوبها ، بريء من التكلف والحشو الذي الفوا أن يختموا به الأبيات ، ضعفا منهم ، وضيق عطن فى العربية وقصر باع فى مفرداتها وتراكيبها ، وفى أكثر ابياتها « **لزوم ما لا يلزم** » من التزام حرفين أو ثلاثة فى الروي ، ومع ذلك فكل ما فيها من هذا النوع مقبول متمكن . وفيها كثير من انواع **الجناس** ، وكلها من النوع العالي ، المتمكن لفظه ومعناه البريء من التكلف ، وانما هو من استرسال الطبع ، وقوة الاسر ، وروح الملكة فى العربية وفيها أبيات مستقلة بمعانيها ، تجري مجرى الأمثال ، وفيها طائفة من الألفاظ الغريبة ، التي لم يألف الكتاب والشعراء استخدامها ، وحبذا لو استعملوها واكثروا منها ، فانها زيادة فى ثراء اللغة وتوسيع لها ، وليس فى الأراجيز العلمية التي امتلأت بها الدنيا شيء سهل مستساغ الا قليلا من اراجيز فحول البيان ، مثل رقم الحلل لابن الخطيب ، ودول الاسلام لشوقي ، وما رايت قوما طاع لهم الرجز وانقاد كعلماء شنقيط ، مع السهولة عليهم فى النظم ، ومتانة السبك .

وبعد فقد داعبنا بهذه الرواية ، ثلاثة اساتذة ، هم لنا أبناء ، وهم فيما بينهم اخوة كلهم ادباء ، فعسى ان تكون حافزة لهممهم فى التدريب على هذا النوع الراقي من الأدب الهَزْلي . ولو نظمت هذه الرواية فى عصور الاقبال على الادب لطارت كل مطار ، وتلقاها الرواة والنقلة بما تستحقه من اجلال .

وفيما يلي نقدم لك جزءا من هذه الرواية :

الجلسة الاولى

(مكتب المدير : أوراق مُبعْثَرة ، أقلام مُغْبَرَّة ، وُصولات معلَّمة بالأحمر المدير جالس على كرسيه ، الجَنّان واقف ، ابن العابد مقعمز) .

المـــــدير :

حَمْدًا لِمَنْ جَمَعَكُمْ (فِي الْبِيرُو) — وَهُـوَ بِمَـا تَنْوُونَـهُ خَبِـيرُ
وَصَلَـــوَاتُهُ عَـلَى اَلْبَشِـيرِ — مَـا صَفَّـرَ الْقِطَـارُ فِى أَشَيرِ(1)
وَمَا جَرَى الْمِحْرَاثُ فِي الهَنْشِيرِ(2) — وَهَبَّتِ الرِّيَـاحُ فِى أَمْشِـيرِ(3)
وَهَـذِه بَرَاعَـةُ اسْتِهْـــلَالِ — مُنِيـرَةٌ فِى الْقَصْـدِ كَالْهِـــلَالِ
والشُّكْرُلِي إِذْ كُنْتُ فِي الْجَمْعِ سَبَبْ — وَكَانَ لِي فِيـهِ وَجِيفٌ وَخَبَبْ
يَا أَيُّهَا الْأَخْوَانُ أَهْلًا (بِيكُمْ) — إِنِّيَ قَبْـلَ الابْتِــدَا أُنَبِّيــكُمْ
بِـوَاجِبَـاتٍ اسْمُهَـا النِّظَـــامُ — قَـدْ سَنَّهَـا اَلْأَمَاثِـلُ الْعِظَـامُ
يَجِـبُ أَنْ تَنْتَخِبُـوا رَئِيسَـــا — لَكُمْ وَحَـاشُـوا الْمُلِقَ البَئِيسَا

ابن العــابد :

أَعُــوذُ بِالرَّحْمَنِ مِن ذِي اَلْكَلِمَهْ — فَـإِنَّهَـــا تَصُـــخُّ سَمْــعِي

المـــــدير :

وَلِمَهْ ؟

ابن العــابد :

لِأَنَّهَـــا ذَاتُ مَعَـانٍ مُؤْلِمَـــهْ — وَأَنَّهَـا تُثِـيرُ ذِكْـرَى مُظْلِمَـهْ

المـــــدير :

بَيِّنْ لَنَا الْمَعْنَى وَخَـلِّ الذِّكْـرَى — فَجَمْعُنَا يُحْـدِثُ مِنْهَـا ذِكْـرَى

ابن العــابد :

إِنَّ الرَّئِيسَ فِي كَـلَامِ الْعَــــرَبِ — مَـنْ شُـجَّ فِي يَافُوخِهِ بِالضَّرْبِ

الـجنـــان :

دَعْنَـا مِـنَ اللُّغَـةِ والْإِعْـرَابِ — فِيهَـا فَتِلْـكَ شِيمَـةُ اَلْأَعْرَابِ
وانْظُرْإِلَى التَّنْكِيتِ فِي قَوْلِ الْخَطِيبْ — فَإِنَّ ذِكْرَ الْبُـؤْسِ شَيْءٌ لَا يَطِيبْ
وَلَيْـسَ مِنْ مَـكَارِمِ اَلْأَخْـلَاقِ — تَعْرِيضُ ذِى الْغِنَى بِذِى الْأَمْلَاقِ

---

1 ـ اشير : محطة للقطار قرب برج بوعريريج .

2 ـ الهنشير : الضيعة ، 3 ـ أمشير : شهر قبطي يقابل شهر يناير .

المـــدير :

لا تَبْتَئِسْ فَكُلُّنَا بَئِيسْ

الجنـــان :

قِيَاسُهُ وَكُلُّنَا رَئِيسْ

ابن العـابد :

أُنْظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ قَالَ لَكُمْ وَلَمْ يَقُلْ مِنْكُمْ فَمَاذَا تَحْكُمْ ؟

الجنـــان :

أَنَا أَرَى أَنَّ الرَّئِيسَ قَدْ حَكَمْ لِنَفْسِهِ وَمَا لَنَا إِلَّا الْبَكَمْ

أَوْحَى لَهُ الْمَكْتَبُ والْكُرْسِيُّ مَنْزِلَةً مَا نَالَهَا إِنْسِيُّ

وكُلُّ حَالٍ لِلْمَآلِ يَرمُزُ فانْظُر فَأَنْتَ الْقَاعِدُ (الْمُقعمِزُ)(1)

المـــدير :

الْتَزِمُوا النِّظَامَ يَا إِخْوَانِي فَأَنْتُمُ فِي الْخَيْرِ مِنْ أَعْوَانِي

وَنَحْنُ جَمْعُ

الجـلالي :

بَلْ أَقَلُّ الْجَمْعِ كَمَا أَتَى بِهِ الدَّلِيلُ السَّمْعِي

المـــدير :

والْجَمْعُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَائِدْ يَقُودُهُ لِتَحْصُلَ الْفَوَائِدْ

الجـلالي :

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْقِيَادَهْ وإِنْ غَدَتْ فِي عَصْرِنَا سِيَادَهْ

قَدْ كُنتُ عِنْدَ قَائِدٍ مأْفُونِ فِي مَاءَةٍ تُنْسَبُ لِلْفَكْرُونِ(2)

دَرَيْتُ(3) مِنْهُ الْفِعْلَ واشْتِقَاقَه كَمَا عَلِمْتُ السُّمَّ وَاتِّنشَاقَهْ

المـــدير :

انْتَقِلُوا بِنَا إِلَى الْمُفِيدِ مِنْ عَمَلٍ مُوَفَّقٍ سَدِيدِ

وَعَيِّنُوا الرَّئِيسَ حَتَّى نَشْرَعَا فِي الْقَصْدِ مِمَّا رُمْتُهُ وَنُسْرِعَا

فَالأَمْرُ مُحْتَاجٌ إِلَى التَّنْجِيزِ بِسُرْعَةٍ فِي زَمَنٍ وَجِيزِ

---

1 ـ المقعمز : قاعد على قدميه . 2 ـ يريد قرية « عين الفكرون » الواقعة في الطريق ما بين قسنطينة وعين البيضاء . 3 ـ دريت الخ من مشتقات مادة « القائد » انقاد : ذل وخضع .

وَلَيْسَ فِي زِيَادَةِ ٱلْكَلاَمِ ... إِلاَّ الزِّيَادَةُ مِنَ ٱلْمَلاَمِ
فاجْتَهِدُوا فِي غَسْلِ هَذَا الْعَارِ ... مِن قَبْلِ أَنْ يُخَلَّدَ فِي ٱلْأَشْعَارِ
وَقَبْلَ أَنْ تَدْهَمَنَا الْقَوَافِي ... بِوَطْأَةٍ شُرُورُهَا ضَوَافِي
فَتَغْتَدِي رُبُوعُنَا عَوَافِي ... تَجْرِي بِهَا الرَّوَامِسُ السَّوَافِي

الجلالي :

تُخِيفُنَا بِالْعَارِ وَٱلْأَشْعَارِ ... وَلَسْتُ مِنْ حَلْيِهِمَا بِالْعَارِ(1)
وَلَيْسَ فِيهِمْ شَاعِرٌ سَوَاءِي(2) ... وَالشُّعَرَاءُ كُلُّهُمْ وَرَائِي
أُخِيفُهُمْ طُرًّا وَلاَ أَخَافُ ... وَطَالَمَا سَاجَلْتُهُمْ فَخَافُوا

المدير :

أَنَا النَّذِيرُ فَاسْمَعُوا نَصِيحَتِي ... وَأَرْهِفُوا أَسْمَاعَكُمْ لِصَيْحَتِي
فَالشَّرُّ لاَ يُدْفَعُ بِالتَّعَاجُزِ ... عَنْ دَفْعِهِ وَالْبُعْدِ وَالتَّحَاجُزِ
والدَّمُ لاَ يُغْسَلُ بالأَبْوَالِ ... وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ بِٱلْأَقْوَالِ
قُومُوا جَمِيعًا مُتَنَاصِرِينَا ... مُسْتَبْصِرِينَ مُتَظَافِرِينَا
لِتَتَّقُوا مَسَبَّةً وَبَهْدَلَهْ(3) ... قَدْ جَلَّلَتْ

الجنان : ... أَنَا أَفُضُّ (الشَّقْلَلَهْ)(4)

بِكِلْمَةٍ تَثْنِي ٱلْفَصِيحَ مُفْحَمَا ... ٱلْحَقُّ سَدًى وَٱلْبَيَانُ أَلْحَمَا(5)
إِنَّ الْجَمَاعَةَ مَا أَسْعَدَهُمْ ... وَعَنْ سَبِيلِ السُّوءِمَا أَبْعَدَهُمْ(6)
أَعْنِي بِهِمْ جَمَاعَةَ التَّعْلِيمِ ... وَعُصْبَةَ التَّهْذِيبِ فِي الْأَقْلِيمِ
قَدْ وَضَعُوكَ أَيُّهَا الْمُدِيرُ ... فِي رُتْبَةٍ أَنْتَ بِهَا جَدِيرُ
وَفِيهِمُ لِعَارِفِ الْفَضْلِ أُسًى(7) ... وَمَنْ يَحِدْ عَنْ نَهْجِهِمْ فَقَدْ أَسَا

---

1 ـ هذا اعتراف منه بانه غير عار من العار . 2 ـ سواء بفتح السين معناه : غيري . 3 ـ **المسبة** : كثرة السب والشتم . **البهدلة في الفصحى : الخفة والاسراع في المشي** ، وفي العامية معناه : الفضيحة وكشف المساوىء أمام الناس ، وهذا هو المراد . 4 ـ **الشقللة** : كلمة عامية استعملت لملحا . 5 ـ السدى : خيوط النسيج التي تمد عموديا على خشبة النول ، واللحمة الخيوط التي تجعل في وسط السدى افقيا : ويريد هنا أن الحق كالسدى . **لا** تظهر فائدته **الا** اذا الحم بالشرح والبيان . 6 ـ يعني جماعة التربية والتعليم ، وهي اصل لكل مدح . 7 ـ **اسى جمع اسوة** : القدرة ، واسا اصله : اساء فقصره ضرورة .

المـــدير :

صَرِّحْ ، أَبِنْ ، فَالْخَيْرُ فِي التَّصْرِيحِ قَـدْ تَبْـرَأُ الْعِـلَّةُ بِالتَّشْرِيـحِ

الـجنـان :

أَقُـولُهَا فَصِيحَـةً صَرِيحَـهْ قَاطِعَـةً لِصَـاحِبِي مُـرِيحَـهْ
أَنْتَ امْـرُؤٌ تَصْلُـحُ لِلرِّئَاسَـهْ وَأَنْتَ أَهْـلُ الْحِذْقِ وَالْـكِيَاسَهْ
وَأَنْتَ تَـدْرِي بِالْقَضَاءِ الْفَصْـلِ مِنْ أَيْنَ يُؤْكَلُ (الدِّمَاغُ الْمَصْلِى)(1)
وَهَـذِهِ فَـرْعٌ عَـنِ الْإِدَارَهْ فَخُذْهُمَـا بِالْحَـقِّ عَنْ جَـدَارَهْ
وَهَكَـذَا فَلْيَكُـنِ الْمُـدِيـرُ

الـجـلالي : وَهَكَـذَا فَلْيَكُـنِ الْبَنْـدِيـرُ

المـــدير :

مَـا لَـكَ لَا تَفْتَـأُ تَـزْدَرِينِي وبِكَـلَامِ السُّـوءِ تَعْتَـرِينِي
أَمَـا عَلِمْـتَ أَنَّـنِي أَمِـيرُكْ وَأَنَّنِي مِـنْ قَبْلِهَـا مُـدِيـرُكْ

الـجـلالي :

كَذَبْتَ بَـلْ يَمِـيرُنِي لِسَـانِي والْعِلْمُ نِعْـمَ الذُّخْرُ لِلْإِنْسَـانِ
أَمَا تَـرَانِي كُلَّ يَـوْمٍ أَكْدَحُ بِـهِ كَـأَنِّي فِي صَفَـاةٍ أَقْـدَحُ

ج ـ سـكت ... وقـلت ...(2)

هـدية إلى حُماة العروبة بالمغرب الأقصى

سَكَتُّ ، فَقَالُوا : هُـدْنَةٌ مِنْ مُسَـالِمِ وقُلْتُ ، فَقَالُوا : ثَـوْرَةٌ مِن مُحَـارِبِ
وَبَيْنَ اخْتِـلَافِ النُّطْقِ والسَّكْتِ لِلنُّهَى مَجَـالُ ظُنُـونٍ واشْـتِبَاهُ مَسَـارِبِ
وَمَا أَنَا إِلَّا الْبَحْـرُ : يَلْقَـاكَ سَاكِناً وَيَلْقَـاكَ جَيَّـاشًا مَهُـولَ الْغَـوَارِبِ

1 ـ هذا تصرف في المثل القائل : « يعرف من أين تؤكل الكتف » .
2 ـ عيون البصائر ص 467 . وقد نشرت في العدد 150 عام 1954 م .

وَمَا فِي سُكُونِ الْبَحْرِ مَنْجَاةُ رَاسِبٍ ... وَلاَ فِي ارْتِجَاجِ الْبَحْرِ عِصْمَةُ سَارِبِ
وَلِي قَلَمٌ آلَيْتُ أَنْ لا أَمُدَّهُ ... بِقَتْلِ مُوَارٍ ، أَوْ بِخَتْلِ مُوَارِبِ *
جَرَى سَابِقًا فِي الْحَقِّ ظَمْآنَ عَائِفًا ... لِأَمْوَاه دُنْيَاه الثِّرَار الزَّغَارِب(1)
يُسَدِّدُهُ عَقْلٌ رَسَا فَوْقَ رَبْوَةٍ ... مِنَ الْعُمْرِ ، رَوَّاهَا مَعِينُ التَّجَارِبِ
إِذَا مَا الْيَرَاعُ الْحُرُّ صَرَّ صَرِيرُهُ ... نَجَا الْبَاطِلُ الْهَارِي بِمُهْجَةِ هَارِبِ
وَمِنْ سَيِّئَاتِ الدَّهْرِ أحلاف فِتْنَةٍ ... وُجُودُهُمْ إِحْدَى الرَّزَايَا الْكَوَارِبِ
وَمِنْ قَلَمِي انْهَلَّت سَحَائِبُ نقمة ... عَلَيْهِم بِوَدْقٍ مِنْ سمام الْعَقَارِب
فَيَا نَفْسُ لَا يَقْعُدْ بِكِ الْعَجْزُ ، وانْهَضِي ... بِنُصْرَةِ إِخْوَانٍ ، وَغَوْثِ أَقَارِب
حَرَامٌ ، قُعُودُ الْحُرِّ عَنْ ذَوْدِ مُعْتَدٍ ... رَمَى كُلَّ ذَوْدٍ فِي الْبِلَادِ بِخَارِبِ
وبَسْلٌ(2) سُكُوتُ الْحُرِّ عَنْ عَسْفِ ظَالِمٍ ... رَمَى كُلَّ جَنْبٍ لِلْعِبَادِ بِضَارِبِ
يسمّن ذِئْبَ السُّوءِ قَوْمِي سَفَاهَةً ... بمَا جبَّ مِنْهُمْ من سَنَامٍ وغَارِبِ
وَمَا كَانَ جُنْدُ اللهِ أَضْعَفَ نَاصِرًا ... وَلَا سَيْفُه المَاضِي كَلِيلَ الْمَضَارِبِ
وَمِنْ جُنْدِه مَا حَطَّ أَسْوَارَ « مَارِدٍ »(3) ... وَمَا صَنَعَ الْفَارُ الْمَهِينُ « بمارِبِ »(4)
ومِنْ جُنْدِه الْأَخْلَاقُ : تَسْمُو بِأُمَّةٍ ... إِلَى أُفُقِ سَعْدٍ للسِّمَاكِ مُقَارِبِ
وَتَنْحَطُّ فِي قَوْمٍ فَيَهْوُونَ مِثْلَ مَا ... تَرَى الْعَيْنُ مِن مَهْوَى النُّجُومِ الْغَوَارِبِ
يَنَالُ الْعُلَا شَعْبٌ يُقَادُ إِلَى الْعُلَى ... نَشْنَوانَ ، مِنْ نَهْرِ الْمَجَرَّةِ شَارِبِ
رَعَى اللهُ مِنْ عُرْبِ الْمَشَارِقِ إِخْوَةً ... تَنَادَوْا فَدَوَّى صَوْتُهُمْ فِي الْمَغَارِبِ
تَوَافَوْا عَلَى دَاعٍ مِنَ الْحَقِّ مُسْمِعٍ ... وَوَفَّوْا بِنَذْرٍ فِي ذِمَامِ الْأَعَارِبِ
هُمُوا رَأْسُ مَالِي ، لَا نُضَار وفضة ... وَهُمْ رِبْحُ أَعْمَالِي ونُجْحُ مَآرِبِي
وهُمْ مَوْرِدِي الْأَصْفَى الْمُرَوِّي لِغُلَّتِي ... إِذَا كَدَّرَتْ « أُمُّ الْخِيَارِ »(5) مَشَارِبِي

---

(1) **الزغارب** : جمع زغرب ، وهو الماء الكثير المستبحر . (2) **بسل** : حرام .
(3) **مارد : قصر منيف** ، ضرب به المثل : « **تمرد مارد وعز الابلق** » .
(4) **مارب** : هو سد معروف كان باليمن ، وقد ترتب على اختلاله سيل العرم ، الذي اجتاح ارض سبأ .
(5) **ام الخيار** : كنية اصطلح الادباء في الجزائر من أبنائنا العاملين على تكنية نرنا بها أخذا من قول
ابي النجم الراجز : قد اصبح ام الخيار ... على ذنبا كله لم اصنع
ووجه هذه التكنية أنها كانت تتجنى علينا ، وتخلق لنا من الذنوب ما لم نصنعه ، كلما أرادت الحاق الذنوب بنا .

للمطالعة

جمعيــة العلمــاء ومكانتهــا (*)

في تاريخ الجـــزائر الحـــديث

للأستاذ محمد المبارك عضو المجمع اللغوي بدمشق

تمهـــيد :

إن من لا يعرف « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » لا يعرف شيئا عن الجزائر في عصرها الحاضر فهي تؤلف الجهــازَ الضّخمَ في كيانهــا والفكرةَ المُسْتَقِرَّةَ في ضميرها والمُعَبِّرَةَ عن رُوحِهَـا التي جُمِّعَتْ في أعمالِ بَـدَأَتْ من نَشْرِ العلم والدِّين والوَعْيِ السِّياسيّ وانتهت إلى ثورة مسلحة كانت الخاتِمةَ والنتيجةَ لحركتها .

ظـــروف نشـــأتها :

كان الجو الذي أُنْشِئَتْ فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو الجو الذي بَلَغَ فيه الاستعمار الفرنسيّ ذِرْوَةَ شِدَّتِهِ فكان الفرنسيون المستعمرون قد سَلَبُوا الاراضي من أصحابها وامتلكوها وسَارُوا على خطة التَّنْكِيلِ بالجزائريين المسلمين واحتقارهم واضطهادهم وتجهيلهم وإِفْقَارِهِمْ وإقصائهم عن جميع مرافق الحياة حتى إنهم ما كانوا يعتبرونهم مواطنين بل رَعِيَّةً تابعين وإنما المواطنون هم الفرنسيون وحدَهم واتخذوا كل الخطط لِمَنْعِهِمْ من تعليم الدِّينِ والقرآنِ واللغة العربية وَاسْتَوْلَوْا استيلاءً مباشِرًا على الأوقاف فأخذوا أموالها وعلى المساجد فاتخذوا بعضها كنائس ولم يكن الفرنسيون يَقْبَلُون حتى بفَرْنَسَةِ الجزائريين واعتبارِهم مواطنين فَرَنْسِيِّين لأن ذلك يُعْطِيهم حقوقَ الفرنسيين ويُوجِب تثقيفهم بالثقافة الفرنسية، وسِيَاسَتُهُمْ إنما كانت في اتِّخَاذِهِمْ خُدَّامًا وعَبِيدًا ويستلزم ذلك إِفْقارَهُم وتَجْهيلَهُم .

ولذلك أُنْشِئَت في الجزائر نتيجةَ هذا الاضطهاد أحزابٌ وهيئاتٌ كان غاية ما تطالب به وتتمنى تحقيقه أن يكون الجزائريون مواطنين فرنسيين لهم حقوق الفرنسيين

منهجهـــا الإصـــلاحي :

في مثل هذا الجو بَرَزَتْ حركة جمعية العلماء واتخذت نهجا جديدا يختلف عن ذلك الذي سَلَكَهُ غيرها منَ الأحزاب والهيئات فهي أطولُ طريقاً وأبعدُ هَدَفاً وأكثر أَصَالَةً وأَعْمَقُ جُذُوراً وذلك بإِعَادَةِ الجزائريّ إلى إطاره وكِيَانِهِ الإسلامي وإلى عَرَبِيَّتِهِ

(*) الامام الرائد الشيخ البشير الابراهيمي : محمد طاهر فضلاء .

وتكوينه تكوينا جديدًا يجعله غيرَ قابلٍ للاستعمار ويؤهّله للنضال والجهاد ، وكان من اعلام هذه الحركة الشيخ عبد الحميد بنُ باديس ذلك الرجل العظيم الذي لا يُنْسَى فضلُه أبدًا على الجزائر الحديثة وكـان منهم الشيخ الطيب العقبي والشيخ مبارك الميلي والشيخ البشير الإبراهيمي،والاستاذ احمد توفيق المدني حفظه الله الذي اصدر منذ أكثر من ثلاثين سنة كتابا عن الجزائر باللغة العربية لم يكتب مثله اي قطر عربي في ذلك الحين من الوجهة التاريخية والجغرافية والاجتماعية .

اهـــــدافها :

لقد أدرك هؤلاء جميعا أن حَلّ المشكلة وقد وصلت الى ما وصلت اليه لا يكون بالمطالبة بحقوق سياسية وإنما يكون بحركة جِذْرِيَّةٍ تنتهي بتحقيق المطالب السياسية بل بالتحرر الكامل ، لقد ادركوا أنَّهُلَايحفظ كيان هذا القطر العربي المسلم ـ كسائر الاقطار العربية التي كانت منهم على مرأى ومسمع ـ إلاَّ بِإِحْيَاءِ الإِسْلَامِ في عقيدته المُحَرِّرَة ونظامه وجهاده،وإِحْيَاء اللُّغَةِ التي بها أدَّى الإسلامُ رسالتَه وهي اللغة العربية وإحلال هذه العقيدة الشاملة محلَّ مُخَلَّفَاتِ عصورِ الإنْحِطَاطِ من حشويات وخرافات وانحرافات وإسفاف ومحلَّ تلك الثقافة الفرنسية السطحية المزيفة الغريبة عن رُوحِ هذا البلد العربيّ المسلم .

نشــــاطها :

فعمدت الجمعية إلى نشر هذا الوعي الإسلامي عن طريقين : طريقِ الشعب في المساجد والنوادي والبيوت وبواسطة الصحف والمجلات والكتب .

وطريقِ الجيل النَّاشِئِ في المدارس التي اخذوا يُؤَسِّسُونها في كل بلد من بلاد الجزائر ، وكانت حركة هائلة ومعركة اشتعلت بينهم وبين الاستعمار الذي كان يغلق هذه المدارس ويحاكم القائمين بها وتفتحها الجمعية وتزيد عليها مدارس أخرى جديدة . حتى استطاعوا خلال عشر سنين او اقل من ذلك ما بين 1930 و 1940 ان يُوجِدوا وَعْيًا عامًا ورُوحًا إصلاحية سَلَفِيَّةً وشعورا قويا بِتَمَيُّزِ الجزائريّ بإسلامه وعَرَبِيَّتِهِ عنِ الفرنسي الرومي ، وبلغ مَدُّ هذه الحركة فرنسا نفسها حيث كان يعيش عدد كبير من الجزائريين فقد كان في باريسَ وحدَها نحوُ مئة الف جزائري عدا المدن الاخرى ، فأسست النوادي فيباريس ومرسيليا .

اثــــرها :

لقد كان الوَعْيُ السّياسيّ الشامل في جُمهور الشعب الجزائري نتيجةً طبيعية لحركة جمعية العلماء في الجزائر وكان هو المرحلة الثانية التي اعقبت الوعيَ الفِكْرِيَّ والدِّينِيَّ ولم يكن ثوار الجزائر إلا أبناءَ هذا الجيل الذي رَبَّتْهُ مدارس جمعية العلماء ونواديها في الجزائر وفي فرنسا ولم تكن الثورة التحريرية نَفْسُهَا إلا جزءا من

الخطة العامة الواسعة التي رَسَمَتْ خطوطَهَا تلك العقولُ الكبيرة التي أسَّسَتْ هذه الجمعية وليس أعظم ثوار الجزائر بطولة إلا تلاميذَ بَرَرَةً لجمعية العلماء ومُنَفِّذِينَ مُخْلِصِينَ لِخُطَّتِهَا الحَكِيمَةِ وكانت العقيدةُ الإِسْلَامِيَّة والعاطفةُ الدِّينِيَّةُ اقوى بواعثِ هذه الثورة وامضَى اسلحتها ومن اعماقها كانت تَسْتَمِدُّ الثَّوْرَةُ قُوَّتَهَا ولَهِيبَهَا .

ليست الوطنية ولا القومية في الجزائر إلا ضَرْبًا من العواطف الإسلامية والمشاعر الدينية التي كانت تقف في وجه أوربا الصليبية المتعصِّبة التي كانت تقوم دَوْمًا بالتبشير والتبشير بالاستعمار لأن اوربا لم تفهم الدِّينَ إلا من هذه الزاوية الضَّيِّقَةِ وبهذه النظرة المُشَوَّهَةِ المُنْحَرِفَةِ .

إن جمعية العلماء قد أَحْيَتِ الجزائر وَبَعَثَتْ فيها عَرَبِيَّتَهَا التي كادت تَغِيب وإِسْلَامَهَا الذي كاد يُقْضَى عليه ، ولو أنّ حركات التحرر السّياسيّ في الجزائر سارت بطريق آخر وعلى منهج بعض الهيئات التي أنشئت في جو التأثر بالثقافة الفرنسية لكانت الجزائر اليوم قطرا فرنسيا ولو انه مستقل استقلالا ذاتيا ولكنه استقلال يمحو ذاتيتها ويزيل عنها إسلامها وعروبتها .

واجب الأمـة الجـزائرية نحـوها :

إنّ من الوفاء للتاريخ ومن الوفاء لأصحاب الفضل والسّابقة أن نضع جمعية « العلماء المسلمين الجزائريين » في قِمَّةِ تَارِيخِ الجَزَائِرِ الحديث وأن نضع رجالاتها الأبطالَ وفي مقدمتهم البطل المجاهد ابن باديس رحمه الله والعلّامة المجاهد الشيخ الإبراهيمي في سِجِلّ أبطال تاريخ الإسلام بوَجْهٍ عامٍّ وتاريخ العرب بوجه خاصّ .

وإن من الوفاء لهم ولتاريخنا وامتنا أن تسير الجزائر على النهج الذي رسموه وتكمّل الخطة التي بدأوها وذلك بأن تكون نهضتها بعد تحررها قائمة على الإسلام وَحْدَه تَحْمِل لِوَاءَ عَقِيدَتِهِ أَمَامَ سَائِرِ العَقَائِدِ الأخرى ، فَتُقِيمُ مجتمعها على أساس مَبَادِئَ مُتَحَرِّرَةً فِي عَقِيدَتِهَا وَفِي نُظُمِهَا مِنْ سَائِرِ « الايديولوجيات »والعقائد الاخرى وسائرِ الأنظمة دون أن يَحُول ذلك بينها وبين الاستفادة من تجارب الأمم فيما وراء المبادىء الاساسية والاتجاهات الكبرى وحينئذ تُقَدِّمُ الجزائر لسائر البلاد العربية أَصَحَّ تجربة اجتماعية سياسية في هذا العصر وخَيْرَ نموذج لشقيقاتها العربيات ولأخواتها الإسلاميات ولصديقاتها وغير صديقاتها من بلاد العالم جميعا .

للمطالعة

تعريب التعليم

بين القائلين والمعارضين له

اذا كان تعريب التعليم لا يزال يثير الكثير من الجدل في بعض الاوساط السياسية والاجتماعية والتربوية فمردّ ذلك الى ان الذين يجادلون فيه لا يتحررون من الدوافع الذاتية .

فلعلنا اذا اتبعنا في معالجة هذا الموضوع طريقة موضوعية نستطيع أن نهتدي الى راي يجمع بين الاراء المتعارضة ، أو يضيق على الاقل شقة الخلاف بينهما . وسنقصر كلامنا في هذه الدراسة على الالمام بالمسائل التالية ، وهي

1 ـ ما هو المقصود بتعريب التعليم .

2 ـ حجج المخالفين للتعريب .

3 ـ حجج المدافعين عن التعريب .

1 ـ المقصود بتعريب التعلم

المقصود بتعريب التعليم تدريس جميع مواد المنهج باللغة الوطنية في جميع مراحل التعليم وانواعه ، لا تدريس بعضها دون بعض ولا تدريسها في مرحلة دون مرحلة فاذا كانت بعض نظم التعليم توجب تدريس جميع هذه المواد في مختلف مراحل التعليم باللغة العربية كان التعريب تاما واذا كانت توجب تدريسها باللغة العربية في مرحلة واحدة أو تدريس بعضها باللغة العربية وبعضها الآخر باللغة الأجنبية كان التعريب ناقصا . ويشترط في تعريب التعليم تعريبا تاما أن تكون أهدافه ومضامين مناهجه عربية وأن يكون القاء دروسه باللغة العربية الصحيحة ، وان يكون هناك لدى المعلمين والتلاميذ كتب علمية باللغة العربية موافقة لمنهج التعليم ، وأن يؤدي التلاميذ امتحاناتهم الخطية والشفهية باللغة العربية الصحيحة . وهذه الشروط وحدها كافية للدلالة على ان تعريب التعليم لا يخلو من الصعوبات ، لان بعض المعلمين الذين تخرجوا من الجامعات الغربية يؤثرون القاء دروسهم بالعامية لضعفهم في الفصحى ، أو القاءها باللغة الاجنبية التي ثقفوها لتوافر مراجعها ووسائلها لديهم . أما التلاميذ فانهم يقدمون امتحاناتهم الشفهية بالعامية ، وامتحاناتهم الخطية

(*) للاستاذ جميل صليبا ، مجلة العربي 1974 .

بالفصحى ، وان كانت محشوة بالاغلاط . واكثر الاساتذة لا يحاسبون التلاميذ على اغلاطهم اللغوية في امتحانات المواد العلمية ، فلا عجب بعد ذلك أن ينقسم رجال التربية ازاء هذه الصعوبات الى طائفتين : طائفة ترى وجوب تعريب التعليم فى جميع مراحله وانواعه تعريبا تاما ، وطائفة تذهب الى وجوب تعليم جميع المواد العلمية باللغة الاجنبية كالفرنسية أو الانكليزية . وبين هاتين الطائفتين طوائف متوسطة بعضها قريب من الطائفة الاولى ، وبعضها قريب من الطائفة الثانية ، وربما كانت اقرب الطوائف الى التوسط تلك التي تقسم مواد المنهج قسمين : قسم تدرس فيه المواد باللغة العربية (كالتاريخ والجغرافية والتربية وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة) وقسم تدرس فيه المواد باللغة الاجنبية (كالرياضيات والعلوم الفيزيائية، والكيماوية ، والحيوية) . وكل طائفة من هذه الطوائف متطرفة كانت أو معتدلة تجمع على استثناء دروس اللغة من أحكام التعريب لان القائلين بالتعريب الكامل يدعون الى تدريس اللغات الاجنبية نفسها ، كما ان القائلين بتدريس جميع المواد باحدى اللغات الاجنبية يجمعون على استثناء اللغة العربية من هذا الحكم .

ونريد الان أن نلخص حجج المخالفين للتعريب وحجج المدافعين عنه لمعرفة ما في كل موقف من هذين الموقفين من حق أو باطل .

2 — حجج المخالفين للتعريب

يرى المخالفون لسياسة التعريب أن من مصلحة الشعوب العربية تدريس العلوم باحدى اللغات الاجنبية كالفرنسية أو الانكليزية أو غيرها . ولهم على ذلك عدة براهين منها :

1 — قولهم ان الفصحى ليست لغة الكلام والحياة . وانما هي لغة شبه ميتة لا يستعملها الا الشعراء والكتاب ولا تعيش الا في بطون المعاجم ، فاذا تكلفها المدرس كان كمن يصنع لنفسه أمرا بعيد المنال ، يعاني في سبيله كثيرا من المشقة . فما بالك اذا كان حرصه على استعمال الفصحى يجعل تعليمه بعيدا عن افهام تلاميذه . واذا كانت غاية التربية ان تترك في ذهن التلميذ آثارا عميقة تبدل فكره وعمله لتمكنه منها فان استعمال الفصحى في التدريس يحول دون بلوغ هذه الغاية ، لانها ليست لغة الكلام ، ولان من شروط التربية الصحيحة استعمال اللغة الطبيعية السهلة التي يتم بها الفهم والافهام في يسر . وهذه اللغة الطبيعية هي العامية لا الفصحى . فكان استعمال الفصحى في التدريس لا يختلف عن استعمال اللغة الاجنبية في شيء كلاهما يتطلب جهدا صناعيا اضافيا لو صرفه التلميذ في تفهم الحقائق نفسها لقطع شوطا بعيدا في طريق النمو والتقدم .

2 — ومن هذه البراهين قولهم ان اللغة العربية لا تشتمل على المصطلحات العلمية الضرورية للتعبير عن المعاني العلمية الحديثة . فاذا كان من شروط تدريس العلوم أن تتوافر لدى المدرسين مصطلحات علمية ثابتة ، فان خلو اللغة العربية من

هذه المصطلحات يجعل عملية التعليم مضطربة والدليل على ذلك ان لكل مدرس مصطلحات تخصه لا يفهمها الا تلاميذه، وتختلف هذه المصطلحات باختلاف البلدان العربية، بل قد تختلف في البلد العربي الواحد باختلاف الجامعات، وفي الجامعة الواحدة باختلاف الاساتذة. وجميع المحاولات التي قامت حتى الآن لتوحيد المصطلحات العلمية بوساطة المجامع العلمية والجامعات والمؤتمرات الثقافية والاتحادات العلمية لم تكلل بالنجاح، حتى ان مكتب التعريب الذي انشأته الجامعة العربية في الرباط لم يستطع حتى الآن ان يحقق هذا التوحيد وان كان قد بذل في سبيل ذلك كثيرا من الجهد الذي يستحق الثناء والتقدير.

3 ـ ومن هذه البراهين قولهم أن اللغة العربية لا تزال حتى الآن مفتقرة الى المراجع العلمية لروح العصر واذا قيل لهم ان الكتب العلمية التي الفها العرب المحدثون في الرياضيات والطبيعيات وغيرها قد يسرت الامر على التعلم، قالوا ان هذه الكتب لا تقاس بالكتب العلمية التي الفها العلماء الاوربيون والامريكيون، لانها متفاوتة الجودة والاتقان، فيها الكثير من الخطأ والغموض والابهام، دع ان قلة انتشارها تمنع من اعادة طبعها لتصحيحها وتنقيحها وتنسيقها واكمال ما ينقصها من الحقائق المطابقة لحالة العلم الحاضرة. ان كتب الطب العربية التي يؤلفها أساتذة جامعة دمشق مثلا على جودتها واتقانها تصبح بعد مدة قصيرة من الزمان غير صالحة للتدريس لسرعة تطور علم الطب، ولخلو هذه الكتب من الحقائق العلمية الجديدة. واذا كان الذين يتعلمون الطب فى هذه الكتب لا يتقنون احدى اللغات الأجنبية للاطلاع على مستحدثات العلم فان اعتمادهم على العربية وحدها لا ينفعهم في شيء. فما بالك اذا كانت الجامعات العربية لا تنشر مجلات أختصاصية تتضمن التعريب بالكشوف الجديد، أو بنتائج التجارب التي اهتدى اليها الباحثون. لقد حصر علماؤنا جهدهم حتى الآن في تعريب مصطلحات لم يتم الاجماع عليها، فصرفهم اشتغالهم بالتعريب عن الاسهام في التقدم العلمي. ولو بذلوا في البحث العلمي قسما من الجهد الذي يبذلونه في التعريب لاحتل العالم العربي في تاريخ العلم الحديث مرتبة أعلى من مرتبته الحاضرة.

4 ـ ومن حججهم قولهم ان اللغة العربية لا تتسع لاستيعاب جميع المصطلحات العلمية الحديثة. وسبب ذلك ان الانتاج العلمي قد توقف فيها مدة طويلة من الزمن، ولا سيما في عصور الانحطاط، حتى أصبحت المصطلحات القديمة التي ترجمها العرب عن اليونانية وغيرها غير صالحة للتعبير عن دقائق الفكر الحديث، اضف الى ذلك ان جهل الاساتذة المعاصرين بالاصطلاحات العربية القديمة جعلهم يخترعون الفاظا جديدة لمسميات قديمة. وقلما وجدت فيهم من يرجع الى مصطلحات الخوارزمي في مفاتيح العلوم ليقتبس منها مصطلحات الحساب والهندسة والفلك والموسيقى والحيل والكيمياء والمكاييل، أو الى مصطلحات ابن سينا في القانون والشفا ليقتبس منها بعض مصطلحات الطبيعة والتشريح والامراض والادوية وعلم النفس فلا غرو اذا جاءت الفاظهم مبهمة وأساليبهم مضطربة. وما حاجتهم الى وضع

سم جديد لمعنى قديم اذا كان القدماء قد سبقوهم اليه ، ان احياء الالفاظ الدالة على المعاني القديمة يوفر عليهم كثيرا من الجهد ، ولو نسجوا على منوال العلماء لجاءت لغة العلم الحديث متصلة بلغته القديمة ، ولكن هؤلاء المؤلفين يخترعون ما لا حاجة الى اختراعه ، ويغضون الطرف عن اختراع ما تدعو الحاجة اليه . لو طلبت من احدهم ان يسمي لك أجزاء السيارة أو الدراجة ، أو ان يصف لك ما يشتمل عليه احد المعامل الصناعية من الآلات والادوات لأعجزه الامر . وسبب ذلك ان هؤلاء المؤلفين تلقوا علومهم بالفرنسية أو الانكليزية ولم يطالعوا الكتب العربية القديمة ، فاذا اراد احدهم ان يترجم لك مصطلحا اجنبيا حديثا جاءك بلفظ غير مفهوم . دع ان اشتقاق المصطلح العلمي وتطويعه لأصول اللغة العربية ليس بالامر السهل ، لان اللغات الاجنبية تقبل كلمات مؤلفة من عدد من الحروف يفوق العشرة أو العشرين مركبة من جذور متعددة تضاف اليه توابع ولواحق وليس في اللغة العربية من هذه الوسائل شيء .

5 ـ ومن حججهم قولهم ان خلو الجامعات العربية من برامج التخصص العالي فى الفروق العلمية يوجب على المتخرجين منها ان يقصدوا بلادا أجنبية فاذا كانت الجامعات العربية لا تعلمهم هذه العلوم الا باللغة العربية عجزوا عن متابعة دراستها باحدى اللغات الأجنبية واضاعوا فى سبيل تخصصهم العالي كثيرا من الجهد والوقت والمال . هل من مصلحة البلاد العربية وهي في حاجة الى العلماء الاختصاصيين أن تبذل في سبيل اعدادهم وقتا أطول من الوقت الذي تبذله الدول المتقدمة . واذا كان الأساس الذي يبنون عليه تخصصهم اساسا واهيا ، فان البناء الذي يقيمونه على هذا الأساس لا يمكن أن يكون الا متصدعا ، ان تخلف البلاد العربية عن الركب يوجب عليها اتباع اسرع الطرق في اعداد الخبراء والاختصاصيين . وتعليم العلوم بالعربية ليس من الطرق التي تحقق هذه الغاية وفي اسرع مدة . يضاف الى ذلك ان عجز هؤلاء الاختصاصيين عن الكتابة والخطابة باحدى اللغات الاجنبية يجعلهم فى عزلة « تامة » عن العالم العلمي الدولي ، هذا اذا كان لديهم ما يقولونه ، وكثيرا ما تجدهم يحضرون المؤتمرات العلمية الدولية للاخذ لا للعطاء واذا كان لديهم ما يعطونه احتاجوا الى من يترجم لهم اقوالهم . ولو كان العرب المحدثين اسهام واسع في الواقع الحضاري لاحتاج علماء العالم الى تعلم لغتهم ، ولكنهم لا يزالون حتى الآن في بداية الطريق . وحاجتهم الى علوم الاوروبيين اشد من حاجة الاوروبيين الى علومهم .

6 ـ فهذه الاسباب وغيرها جعلت القائلين بوجوب تدريس العلوم باحدى اللغات الآجنبية الحية يتهمون المدافعين عن تعريب التعليم بمخالفة الواقع والبعد عن المنطق . فاذا قال أنصار التعريب ان التدريس باللغة العربية واجب قومي ، أو واجب ديموقراطي ، قالوا ان هذه الدعوى انقياد للعواطف لا تقيد بالحقائق الموضوعية واذا قال أنصار التعريب ان مبادىء التربية توجب تدريس العلوم بلغة الام لسهولة تبليغها قالوا ان لغة الام هي العامية لا الفصحى . او كانت الفصحى

سليقة فينا لأمكننا استعمالها في التعليم فما بالك اذا كنا لا ننطق السنتنا الا بالخطأ ، ولا نتكلم بالفصحى الا تكلفا . ومع ان المنكرين لتعريب التعليم لا ينكرون على العربية فصاحتها وبلاغتها وأثرها القديم في بناء الحضارة فانهم عند الكلام على اتخاذها اداة للتعليم يشكون في قيمتها الثقافية ويقولون ان اللغة العربية الحديثة قليلة الانتاج والدليل على ذلك ان انتاج اللغة الانكليزية 22% والروسية 71% والألمانية 51% واليابانية 11% والفرنسية 9% أما انتاج اللغة العربية فهو أقل من 4% شأنها فى ذلك شأن الايطالية والاسبانيولية والبرتغالية وغيرها . فاذا كان الامر على ما ذكرنا كان من الافضل لنا أن نزيد انتاجية لغتنا بتعليم اللغات الاجنبية للاقتباس منها ، ان المسألة مسألة حياة أو موت ، ولا حياة للعرب المحدثين الا اذا خرجوا من أقفاصهم المغلقة ومدوا أبصارهم الى العالم ، وصاروا لغيرهم من الامم انددادا في العلم والصناعة ، ولعلنا اذا أردنا تقويم المرحلة التي وصل اليها البحث العلمي في العالم العربي مع بيان آثار هذه المرحلة في تطور اللغة العربية نستطيع أن نعتمد على بعض المعايير التي تبرز لنا كذلك كعدد المجلات العلمية التي ننشرها ، وعدد المؤتمرات العلمية الدولية التي نقيمها ، وعدد البحوث العلمية المبتكرة التي ننشرها . ان هذه المعايير وحدها كافية للدلالة على ان اسهام العرب في البحث العلمي ضعيف ، دع ان ضخامة الانتاج العلمي العالي والسرعة التي تولد بها التعابير ، في المصطلحات العلمية الجديدة ، وسرعة تبدلها كل ذلك يؤلف عبئا لغويا ثقيلا لا تكفي الجهود المبذولة حتى الآن في حقل المصطلحات العلمية لتخفيفه .

3 — حجج المدافعين عن التعريب

أما المدافعون عن التعريب فيقولون ان اللغة العربية من أغنى اللغات وأوسعها اشتقاقا وأدقها تعبيرا صقلها العقل فى الماضي بضعة عشر قرنا حتى جعلها لغة الشعر والخطابة ، واصطنعها العلماء في مفردات الطب والنبات والحيوان والطبيعة والكيمياء والرياضيات والفلسفة حتى جعلوها لغة العلم والثقافة . فما بالك اذا كانت هذه اللغة ذات الطاقات الخلاقة قد أصبحت لغة جميع الاقطار التي فتحها العرب فخلفت فيها جميع اللهجات كالسريانية واليونانية ، والقبطية واستوعبت علوم الفرس واليونان ، حتى أصبحت اداة طيعة في أيدي العلماء ينشرون بواسطتها أفكارهم ، فليس القول بتقصير هذه اللغة فى استيعاب العلوم الا اسطورة خبيثة بثها المستعمرون في أبناء هذا الجيل . وخير وسيلة لابراز سخف هذه الاسطورة ايراد الحجج التالية :

1 — الحجة الأولى حجة تربوية ، وهي القول بأن التلميذ الذي يتعلم العلوم بلغته يتفوق على التلميذ الذي يتعلم تلك العلوم بلغة أجنبية . وسبب ذلك ان لغة الوالدين أقرب الى الفهم والافهام ، وأبعد عن التعقيد ، واللبس والابهام ، يستعملها الطفل بتلقائية تامة ، ويدرك ما تعبر عنه من الحقائق في سهولة وسرعة ووضوح . وفي ذلك كما يبدو لنا اقتصاد في الجهد الفكري ، لأن الذي يتعلم العلوم بلغة غير

لغته مضطر الى بذل جهدين ، احدهما لغوي والاخر علمي بخلاف التلميذ الذي يتعلم العلوم بلغة والديه ، انه لا يحتاج الى اضاعة الوقت في تفهم الالفاظ ولا الى تبذير طاقاته الحيوية في امور لا طائل فيها .

وقد دلت تجارب زملائنا الذين مارسوا تدريس العلوم في المدارس العربية والمدارس الاجنبية معا علي ان طلاب المدارس الاولى يتفوقون على طلاب المدارس الثانية في تفهم الحقائق العلمية وحفظها . ولست أريد الآن ان افصل القول في هذه التجارب ، ولكنني أريد أن اقول فيها قولا واحدا وهو أن نتائجها العلمية مطابقة لما دل عليه النظر العقلي ، فالطالب الذي يتعلم العلم بلغة غير لغته يشبه الرجل الذي ينتقل من بيئة الى أخرى ، كلاهما محتاج الى اضاعة قسم من الوقت في مؤالفة الشروط الجديدة التي يواجهها فلا غرو اذا تفوق طلاب المدارس العربية على طلاب المدارس الاجنبية في امتحانات العلوم ما دامت لغة هذه الامتحانات لغتهم الطبيعية .

2 ـ والحجة الثانية حجة قومية ، وهي قول انصار التعريب أن اللغة مرآة الشعب ومستودع تراثه وديوان آدابه وسجل مطامحه واحلامه ، ومفتاح أفكاره وعواطفه ، وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي وعنوان وحدته وتقدمه وخزانة عاداته وتقاليده . وبين اللغة والفكر علاقة وثيقة ، وبقدر ما يتمكن الأفراد من لغتهم القومية تنمو مشاعرهم وأفكارهم ، لآنه لا فكرة بغير لفظ ، ولا لفظ بغير فكرة ، نعم ان هناك أفكارا غامضة لا يمكنك التعبير عنها بالفاظ واضحة ، كما ان هناك الفاظ فارغة لا تعبر عن أي فكرة ، ولكن الفكرة لا تصبح واضحة متميزة الا اذا أثبتها اللفظ واللفظ لا يصبح ذا حياة وروح الا اذا دل على معنى محدد ، تلك هي وظيفة اللغة ، انها اداة التعبير عن خوالج النفس ، واداة الاتصال والتفاهم بين الناس ، واداة تحصيل العلم وتوسيع الاختيار ، واداة تثبيت الفكر ونقله من الاطار الذاتي الى الاطار الموضوعي ، ورمز الكيان القومي .

ولست أريد الآن ان أتكلم على هذه الوظائف ولا على تأثير اللغة في تكوين الروح القومية وحفظها ، فان لذلك مجالا آخر غير هذا المجال ، ولكني اريد أن أقول أن استعمال لغة قومية واحدة ادى الى التقارب والتفاهم بين أفراد الشعب من استعمال لغات متعددة او لهجات محلية مختلفة . واذا كانت الروح القومية روح جماعية مؤلفة من مجموع التصورات ، وكان لكل تصور لفظ واحد يدل عليه كانت الروح القومية الجماعية مقابلة لمجموع ما تتضمنه اللغة من الالفاظ ، واذا لم يكن هناك لفظ واحد للتعبير عن الشيء الواحد تعذر التفاهم بين الناس .

وفي التاريخ امثلة كثيرة تدل على أن تقدم الامم في مجال الحضارة مصحوب بتقدم لغاتها ، اذا ازدهرت حضارة احدى الامم وقويت شوكتها تقدمت لغتها كتقدم اليونانية في العالم القديم ، وتقدم العربية في العصر الوسيط ، واذا تأخرت الامة في المجال الحضاري تحجرت الفاظ لغتها وتأخرت أساليبها على النحو الذي شهدناه في عصور الانحطاط .

والنتيجة الصادقة التي نستخرجها من هذه المقدمات ان تنمية الروح القومية

توجب على العرب المحدثين تطوير لغتهم حتى يجعلوها مطابقة لحاجاتهم ، صالحة للتعبير عن افكارهم وخوالج انفسهم ، فان اهمال اللغة العربية يضعف الوعي العربي ويبدد الشعور القومي .

ومن احسن الوسائل للنهوض باللغة العربية اتخاذها اداة لتدريس العلوم كلها لا لتدريس علم دون آخر ، لاننا اذا درسنا العلوم المادية والانسانية باحدى اللغات الاجنبية لم نبلغ من التربية القومية غايتنا ، ولان الطالب الذي لا يدرس العلوم باللغة العربية يظل ضعيفا في التعبير عن خوالج نفسه . ان المربين الذين يتخذون اللغة الاجنبية اداة للتدريس يعرضون ثمار جهودهم للضياع ، اذ ينشؤون بذلك جيلا ذا معارف سطحية لا صلة لها بمحيطه وحياته ولا بخبراته السابقة . وكلما كانت اللغة الاجنبية من فصيلة اللغة القومية كان هذا الخطر اعظم . ويكفي ان تدرس العلوم باحدى اللغات الأجنبية حتى تصبح هذه اللغة غولا يأكل اللغة ويقتل تذوق المتعلم لمحاسن لغته . ومعنى ذلك ان اقتصار النشاط التربوي على اللغة الاجنبية وحدها يدفع اللغة العربية الى الوراء، وتقهقر اللغة القومية أمام لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية يعني تقهقر الفكرة الوطنية . اللغة بهذا المعنى وسيلة وغاية معا ، فهي وسيلة من جهة ما هي أداة للتعبير وهي غاية من جهة ما هي صورة كلية للروح القومية .

3 — يمكننا الآن بعد أن قدمنا ذلك ، أن نفند حجج المخالفين للتعريب فنقول :

أ — ليست اللغة التي ندعو الى استعمالها فى التدريس لغة العصر الجاهلي ولا لغة العصر الاموي او العصر العباسي ، وانما هي لغة العرب المعاصرين في مختلف أقطارهم . وهي وان اختلفت بعض الشيء عن اللهجات المحلية الا ان بينها وبين هذه اللهجات قرابة وثيقة . دع ان بعض هذه اللهجات أقرب الى الفصحى مما يظن ، والفرق بين العامية والفصحى في اللغة العربية الحديثة ليس اعظم من الفرق بينهما في بعض اللغات الاجنبية ، فاذا استعملنا هذه اللغة في التدريس لم نبتعد عن الحياة ، فما بالك ، اذا كانت وسائل الاعلام العربية قد جعلت هذه اللغة المبسطة على طرف اللسان وقد دل تطور اللهجات المحلية على ان اختلافها عن اللغة الصحيحة آخذ بالتناقض ، وسبب ذلك انتشار التعليم ونفود الاذاعات بواسطة الترانسيستور الى كل بقعة من بقاع الارض العربية .

ب — أما القول ان خلو اللغة العربية من المصطلحات العلمية يجعل التعليم بها محفوفا بالصعوبات ، فهو على صدقه لا يحول بيننا وبين التدريس باللغة العربية ، فاما أن نؤجل التدريس بهذه اللغة الى ان يتفق علماؤنا على مصطلحات موحدة واما أن نباشر منذ الآن بوسائلنا الخاصة ، بحيث يستعمل كل استاذ ما يشاء من المصطلحات ويكتب الى جانب كل مصطلح ما يقوله من الالفاظ الانكليزية أو الفرنسية . لقد اخذنا في سورية بهذه الطريقة الثانية منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، فعربنا التعليم الابتدائي والثانوي والعالي في وقت لم يكن لدينا فيه كتب عربية ولا مصطلحات عربية ، ولو لم نطبق ذلك منذ نصف قرن تقريبا لما استطعنا اليوم ان نؤلف الكتب

العربية في كل فرع من فروع العلم ، والمؤلفون بعضهم على بعض رقيب ، فاذا اهتدى احدهم الى اصطلاح موافق أخذه زملاؤه عنه بحيث يمكن القول ان أساتذة جامعاتنا يتعاونون على تثبيت المصطلحات من تلقاء انفسهم . فما بالك اذا كان مجمع اللغة العربية ينشر المصطلحات العلمية في معاجم خاصة يقتبسها عنه العلماء وينشرونها في كتبهم ، بل ما بالك اذا كان المكتب الدائم لتنسيق التعريف في العالم العربي ينشر مجلة دورية للتعريب بنشاط الترجمة والتعريب وينشر المعاجم التي تقترحها عليه وزارات التربية والتعليم بالفرنسية والانكليزية والعربية لتحقيق وحدة المصطلح العلمي في لغة الضاد .

ج ـ واذا قيل ان تدريس العلوم باللغة العربية يجعل المتخرج من مدارسنا عاجزا على الافادة من المراجع الاجنبية ، وان ثقافته العلمية اذا اقتصرت على ما قراة فى الكتب العربية القليلة العدد ظل متخلفا عن الركب ، قلنا انا لا ندعو الى تضييق الخناق على العقل العربي ولا الى حصر نشاطه فى لغة واحدة ، بل نضيف الى دعوتنا الى التعريب دعوة أخرى وهي وجوب اتقان لغة اجنبية « واحدة » أو لغتين اجنبتين ، فاذا قرا طلابنا علومهم باللغة العربية وكانوا من القوة في احدى اللغات الاجنبية بحيث يستطيعون ان ينتفعوا بمطالعة كتبها الاختصاصية لم يجمدوا علمهم بل جاوزوا درجات التحصيل التي بلغوها الى درجات أعلى منها .

د ـ أما القول ان اللغة العربية لا تتسع لاستيعاب جميع المصطلحات الحديثة فقول باطل من أساسه لان اللغة العربية استوعبت العلوم القديمة كلها يوم ترجمت اليها في العصر العباسي الاول مع انه لم يكن فيها اذ ذاك مصطلحات علمية تسهل سبل هذه الترجمة . ويكفي أن يرجع المرء الى كتب ابن سينا والخوارزمي والرازي والبيروني وجابر بن حيان وابن الهيثم وغيرهم ليدرك ان ما تضمنته هذه الكتب من المصطلحات يصلح ان يكون أساسا لوضع مصطلحات جديدة تعبر عن المعاني العلمية الجديدة ، وفي وسع علمائنا ان يقتبسوا من هذه المصطلحات القديمة ما يشاؤون ، واذا عز عليهم ايجاد مصطلح قديم لمعنى علمي حديث وضعوا له بطريق الاشتقاق والنحت لفظا جديدا أو عربوه ، ونحن لا نشترط في هذا التعريب أن يكون على وزن عربي ، بل نشترط فيه ان يكتب اللفظ بالحروف العربية والاجنبية معا لا بالحروف العربية وحدها .

هـ ـ اما القول ان الافراد الذين درسوا باللغة العربية لا يستطيعون أن يسهموا في النشاط العلمي الدولي لجهلهم باللغات الاجنبية العالمية فقول مشتمل على شيء من التمويه ، لأن العجز عن الاسهام فى النشاط العلمي الدولي لا يرجع الى ضعف علمائنا في اللغات الاجنبية ، بل يرجع الى ضعفهم في موضوع اختصاصهم . وما حاجتهم الى الاسهام في هذا النشاط اذا لم يكن عندهم ما يقولونه ونحن لم ندع الى الاعراض عن اللغات الاجنبية .

بل دعونا الى تعليمها واتقانها ، وليس في تعليم العلوم باللغة العربية ما يوجب الاعراض عن تعلم اللغات الاجنبية ومطالعة كتبها .

البـاب الثـالث

تطور الأدب العربي في العصر الحديث وخصائصه الفنية

تمهيـــــد :

عرفت فيما سبق العوامل التي اثرت فى أدبنا العربي الحديث ، ونقلته من الجمود والضعف الى اليقظة والقوة ومسايرة الحياة .

كما عرفت أن هناك تيارين رئيسيين أثرا فى مسيرته ونهضته هما : بعث التراث العربي القديم ، والاتصال بالحضارة الأوربية المعاصرة . ومن ثم ظهرت مدارس ادبية مختلفة فى الأدب العربي الحديث ، منها ما يأخذ من القديم بحظ وافر ، ومنها ما يثور على القديم ويلح فى الدعوة الى ضرورة التجديد ، على تفاوت بينها فى المحافظة والتجديد تبعا للاعتبارات الآتية :

1 ـ حركة التغير والتطور العالمية المستمرة فى النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية والأدبية . فمنذ القرن الخامس عشر الميلادي ـ وهو بداية عصر النهضة الأوربية ـ والعالم يموج بتيارات مختلفة كان من أبرزها تأثيرا على الأدب قيام الثورات الشعبية ، وانتشار الاستعمار ثم انحساره ، وقيام كتل ومنظمات دولية ، وتقدم الآلة والصناعات بصورة مذهلة .

وقد اخذت البلاد العربية دورها فى هذه الحركات منذ بداية نهضتها المعاصرة فى القرن التاسع عشر .

2 ـ ظروف المجتمع العربي ومتطلباته النفسية والفكرية خلال نهضته المعاصرة جعلته يتردد بين التمسك بالقديم فى الأدب ، أو يتجه الى لون معين من التجديد فقد كان الاستعمار الأوربي للبلاد العربية ـ مثلا ـ سببا فى انتشار النزعة الرومانسية الحزينة المعبرة عن آلام الانسان ، وفى الوقت نفسه كان هذا الاستعمار سببا فى تشبث فريق من الوطنيين بنزعات الأدب القديمة حفاظا لكيان الأمة وحرصا على مقوماتها الشخصية من الضياع والذوبان .

3 ـ تأثر الكتاب والأدباء العرب بالتيارات العالمية الأدبية على تفاوت بينهم فى التأثر بهذه التيارات وهضمها تبعا لاختلاف ثقافاتهم واتجاهاتهم النفسية والفكرية .

4 ـ ملاءمة طبيعة الأدب العربي لقبول أو رفض بعض النزعات الجديدة بحكم ما يحمله من خصائص فنية ورثها عبر تاريخه الطويل .

وقد تركت هذه العوامل وغيرها أثرها الواضح فى أدبنا العربي فجدت فيه فنون ادبية كالمسرحية والقصة ، وتنوعت الأغراض وكثرت المذاهب والاتجاهات وتطورت المعاني والأساليب .

وفيما يلي نقدم لك صورة لأهم المذاهب الأدبية الغربية مع بيان تأثيرها فى الأدب العربي الحديث ثم نوضح لك تطور الشعر والنثر فى هذا العصر ونبين خصائصهما الفنيــة .

الفصـــل الأول

المذاهب الأدبية الغربية واثرها فى الأدب العربي

1 ـ تمهيـــــــد

2 ـ الكلاسيــكية .

3 ـ الرومانسـية .

4 ـ الواقعــية .

5 ـ مذاهب أدبــية أخــرى

تمهيـــــد :

تحـدرت الآداب الأوربية منذ بداية عـصر النهضة خـلال مـسارات فنـية متميزة اصطلح النقاد على تسميتها بـ « **المذاهب الأدبية** » التي تَعَدُّ تعْبيرا امِينا عن حالات نفسيّة عامة اوْجَدَتْها حوادث التاريخ ، وملابسات الحياة .

وهذه المذاهب على تباين اتجاهاتها ، واختلاف منازعها اطلع عليها ادباؤنا ، وافادوا منها ،واتخذوا من بعض مبادئها اسسا لتطوير ادبنا العربي ، وما يتصل به من نظرات ومفاهيم نقدية .

وفيما يلي نقدم لك اهم المذاهب الأدبية التي نشأت في أوربا ثم نوضح لك مدى تاثيرها في الأدب العربي :

الكلاسيكيـة : (Classicisme)

تبوّات الكلاسيكية مكانتها الادبية في أوربا في النصف الأول من القرن السابع عشر(م) وقد ظهرت في انجلترا على يد الشاعر الانجليزي جون دريدن بينما ظهرت في فرنسا قبل ذلك بزمن وجيز على ايدي جماعة « البليّاد » (*) وعلى راسهم رونساو ودي بيلليه .

وكان هذا الاتجاه الكلاسيكي تلبية امينة للظروف الفكرية التي عاش في ظلالها الادب الأوربي في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، حيث كان للنزعة العقلية سلطان كبير على الابداع الأدبي . فافسح الكلاسيكيون مكانا عظيما للعقل ، وجعلوه وسيلتهم الى تقويم العمل الفني ، ومن ثم اتسم أدبهم بالوضوح ، والجنوح الى حشد الأفكار ، مع خلوّها من التعقيد والالتواء ، والاهتمام بجمال الشكل ، واتباع الأصول القديمة .

والتمسك بالقيم الأدبية التي سار عليها أدباء اليونان والرومان ، ومحاكاة ما ابدعه اللاتينيون من اعمال ادبية شامخة .

(*) البلياد (La pléiade) اسم اطلق على سبعة من الشعراء في عهد الملك هنري الثاني ، يرون ضرورة التمرس طويلا بشعر قدماء الاغريق والرومان في سبيل الوصول الى الابداع الحقيقي .

وعلى الأديب ـ في رأيهم ـ ان يتجنب جموح الخيال ، والاسراف العاطفي ، أو على حد تعبيرهم الأثير ـ أن يفكر بقلبه ، ويحس بعقله ـ وهو لكي يصل الى هذه الغاية لا بد أن تتوفر له ملكة الابداع ، بشرط ان يصقل هذه الملكة بالمران الطويل والاطلاع الدؤوب على نماذج من سبقوه من الأدباء الممتازين .

ومن ثم اتجه الكلاسيكيون الى الأدب الموضوعي (*) الذي يتمثل خاصة في المسرحية وخصوه بالكثرة الغالبة من انتاجهم ، كما أخضعوه لأصل عقلي عام تفرعت عنه القواعد الأخرى .

فهم يرون ان المسرحية ـ مادامت تشاكل الحياة وتعرض في زمن محدد ـ فلا بد ان يتوفر لها ما اطلقوا عليه « **قانون الوحدات الثلاث** » (وحدة الموضوع ـ وحدة الزمن ـ وحدة المكان) ، فالمسرحية تتناول حدثا واحدا خلال يوم واحد وفي مكان محدود .

وقد تشدد الأدباء الكلاسيكيون ـ وعلى الأخص الفرنسيون من امثال « راسين Racine » و « كورني Corneille » و « موليير Molière » ـ في الأخذ بهذا القانون الذي لا يسمح بوجود اكثر من عقدة (**) واحدة في المسرحية .

الكلاسيكية والأدب العربي :

كان للكلاسيكية تأثير محدود في الأدب العربي الحديث ، وقد ظهر هذا التأثير على نحو خاص في الشعر المسرحي ، عندما اتصل بعض كتابه بالمسرح الفرنسي الكلاسيكي عن طريق الترجمة والاقتباس ، فترجم مارون نقاش مسرحية « **البخيل** » لـ « موليير » ، كما ترجم سليم النقاش مسرحيتي « **هوراس** » لـ « كورني » و « **ميتردات** » لـ « راسين » . وظهرت آثار الكلاسيكية بوضوح في مسرحيات أحمد شوقي الذي اتصل بالأدب الكلاسيكي اتصالا مباشرا بحكم سفره الى فرنسا واقامته بها . فاقتفى بعض عناصر المذهب الكلاسيكي في مسرحياته الشعرية ، ومن اهمها عنصر « الصراع بين الحب والواجب » الذي نلمسه بوضوح في مسرحية « **مصرع كليوباترا** » إلا ان شوقي لم يكن يتعمق اسباب الصراع ويتعداه الى الكشف عن دوافعه النفسية ، مما جعل بعض أحداث مسرحياته غير منطقي احيانا . فنجده في مسرحية « **قمبيز** » مثلا لا يوضح كيف استطاعت بطلة المسرحية « **نتيتاس** » ان تتغلب على حقدها على قاتل ابيها الفرعون « **أمازيس** » .

كما ان شوقي حاول أن يوفر قدرا من الموضوعية لشخصياته ، ولكن التوفيق جانبه في كثير من المواقف ، فكان الشعر يأتي على لسان بعض شخصياته أقرب الى الشعر الغنائي منه الى الشعر المسرحي ، ويبدو ذلك جليا في مسرحية «**مجنون ليلى**»

(*) وفيه يتجنب الاديبُ الحديثَ عن عواطفه الذاتية ، بأن يتناول العواطف العامة التي تصلح لكل زمان ومكان ، مثل : الغيرة ، والبخل ، والحب ، والكراهية .

(**) هي النقطة التي تتشابك وتتعقد عندها أحداث المسرحية ، وتتوتر معها نفوس المشاهدين.

ولم يعن شوقي عناية كبيرة بقانون الوحدات الثلاث ، وهذا يتضح لنا في اغلب مسرحياته .

واذا كانت مسرحيات شوقي محاولة رائدة في الشعر العربي ، فقد تبعتها **محاولات** اخرى لها قدر كبير من الاتقان الفني ، والنضج الفكري ، فعرف الأدب الحديث كتابا مسرحيين مبدعين ، امتازوا بغزارة الانتاج وتنوعه (*) .

الرومانسية : (Romantisme)

بدات الرومانسية تتصدر الحياة الأدبية في اوربا في اواخر القرن الثامن عشر ، وبلغت قمة ازدهارها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

والرومانسية ــ كمذهب ادبي ــ قامت على رفض الكلاسيكية لاغراقها في الصنعة ، ومغالاتها في تعظيم العقل ، وامعانها في القدماء والسير على سننهم .

وكان من رواد هذا المذهب في انجلترا الشاعران **وردزورث** Wardsworth **وكلوريدج** Coloridge اللذان أصدرا معا ديوان « **المواويل الغنائية** » سنة 1798 م ، وقد جعلا الانسان بهمومه ، واهتماماته ، وتفصيلات حياته اليومية ، حتى التافه منها . محورا لشعرهما في هذا الديوان .

وقد مهد للرومانسية في فرنسا عدد كبير من الادباء على راسهم « **لامارتين** » La martine و « **ألفريد دي موسيه** » Alfred de Musset و « **فكتور هيجو** » Victor Hugo صاحب القولة المشهورة : « **يجب أن نخلص الشعر من الموضوعات المأخوذة من عصور غريبة عنا** » . ولم يكن من قبيل المصادفة ان تواكب الرومانسية ــ والتي هي ثورة في عالم الأدب ــ الثورة الفرنسية ، والاتجاه الديمقراطي في السياسة فاهتم الأدباء الرومانسيون بالطبقات الوسطى والدنيا من المجتمع ، بعد ان كان الأدب وقفا على الطبقة الأرستقراطية ، سجينا داخل قصورها ، مما ادى الى تقوية النزعة الفردية عند الأديب ، فصار يحتفي بعواطفه الذاتية ومشاعره الخاصة ، واستتبع ذلك ان فك الخيال من اساره ، وتحررت العواطف من ربقة العقل وتسلطه ، وانصرف الشعر عن معالجة القضايا العامة او المجردة الى التعبير عن التجارب الخاصة ، والالتجاء الى الطبيعة في بساطتها ونقائها ، هربا من تعقيدات الحضارة الحديثة وزيفها .

وكما نادى الرومانسيون بالتحرر من قيود الشكل التي فرضها الكلاسيكيون فقد دعوا الى التلقائية في التعبير . فتخلصت بذلك لغة الشعر من وعورتها واغرابها ، واصبحت لغة سهلة ، مشرقة العبارة ، شديدة المرونة .

(*) راجع القسم الخاص بالمسرحية في هذا الكتاب ، وترجمة شوقي .

الرومانسية وأثرها فى الأدب العربي الحديث :

وبدات الرومانسية العربية فى زمن مبكر من هذا القرن على يد المهجريين متمثلة فى حنينهم الشديد إلى وطنهم ، وإقبالهم على الطبيعة ، وامتزاجهم بها ، على نحو ما نجد عند جبران خليل جبران ، ونسيب عريضة ، وايليا أبي‌ماضي ، وميخائيل نُعَيْمَة . وتعد مقالات هذا الأخير ، والتي جمعها بعد ذلك فى كتابه النقدي الهام « **الغربال** » سنة 1913 ، من الأسس النقدية الهامة التي ارتكز عليها الشعراء الرومانسيون .

كما كان لخليل مطران (1949 – 1972) دور كبير فى التمهيد للرومانسية ، فنلمس فى قصائده شعورا قويا بآلام النفس البشرية وأوصابها واحساسا دافقا حارا بمظاهر الطبيعة من حوله ، فإذا هي كائنات حية تنعكس عليها عواطفه ونوازعه ، وانظر فى هذه الأبيات ، تر كيف يبث الطبيعة شكواه ، ويمزجها بآلامه ، فيأتي كل ما فيها صورة من جروحه .

ثَاوٍ عَلَى صَخْرٍ أَصَمَّ وَلَيْتَ لِي   قَلْباً كَهذِي الصَّخْـرَةِ الصَّمَّـاءِ
يَنْتَابُها مَوْجٌ كمـوْج مـكارِهِي   وَيَفُتُّهَا كالسُّقْـم فِي أَعْضَـائي
والبَحْرُ خَفَّاقُ الجَـوَانِبِ ضَائِـقٌ   كَمَدًا كَصَدْرِى سَاعَةَ الإِمْسَـاءِ

مدرسة الديوان :

وفى عام 1921 ظهرت « **مدرسة الديوان** » التي أثرت الحركة الادبية فى جانبيها الإبداعي والنقدي على السواء ، وبثت فى الشعر روحا جديدة ، ودفعته قدما نحو تطور واسع .

وقد عكف أصحاب (*) هذه المدرسة على التراث العربي ، ووفّوه حقه من الدرس والتحصيل ، واحتفوا – فى الوقت نفسه بالآداب الغربية ، وبالانجليزية منها على نحو خاص ، ويصور العقاد هذه الحفاوة بقوله : « **انَّ المرْءَ ليزدهي بآدميته حين يلقي بنفسه فى غمار هذه الآداب الغربية ، وتجيش اعماق ضميره بِتَدَافُعِ تيَّارَاتِها وتَعَارض مذاهبها ومتَّجهاتها** » .

وهذه الثقافة الضاربة بجذورها فى أغوار التراث العربي ، والمتصلة تلك الصلة الوثيقة بالآداب الغربية ، توضح طبيعة الأرض التي تحرّك عليها أصحاب الديوان نحو تجديد الشعر العربي .

وكان الشاعر عبد الرحمن شكري قد اصدر أول محاولة لهذه المدرسة فى ديوانه « **ضوء الفجر** » الذي يفيض بروح رومانسية مهدت لاتجاه جديد فى تصوير دخائل النفس وخوالجها .

(*) وهم : عبد الرحمن شكري (1886 – 1958 م) وعباس محمود العقاد (1889 – 1964 م) وابراهيم عبد القادر المازني (1889 – 1949) .

وتابع شكري الدعوة للرومانسية في مقدمات دواوينه ومقالاته النقدية ، فمجّد الشعرَ ، وعظّم دور الشاعر وجعله نبيا ، وطوّر الفكرَ النقدي فيما يتعلق بعدد من عناصر القصيدة كالخيال والعاطفة ، وطالبَ الشعراءَ بأن يَلِجُوا أعماقَ النفس ويُظْهِرُوا خبـاياها .

وهذه الأفكار التي نادى بها شكري تمثّل الملامح الرومانسية العامة التي اعتمد عليها أصحاب الديوان في دعوتهم إلى التجديد . وهي نفس الملامح التي اعتمد عليها المازني في هجومه على المدرسة الاتباعية عندما أصدر كتابه عن حافظ ابراهيم سنة 1915 م ، وفيه يقارن مقارنة واسعة بين شعره وشعر شكري وانتهى من هذه المقارنة بالحكم على شعر حافظ ابراهيم بأنه شعر مناسبات يومية طارئة ، لأنه لا يصور صاحبه ولا يشف عما في نفسه من أحاسيس وعواطف .

وجاء الهجوم الثاني سنة 1921 م حينما نشر العقاد والمازني معا كتابا سمياه « **الديوان** » (*) وفيه كتب العقاد فصولا طويلة في نقد شوقي ، وهو متأثر في نقده بالرومانسية الغربية التي انعكست بوضوح على اتجاه الشعري . فنجد العقاد في ديوانه « **عابر سبيل** » ـ على سبيل المثال ، يعني بالحياة العادية ، ويصف « **سَاعِي البريد** » و « **عَسْكري المرور** » و « **كواء الثياب ليلة الأحد** » .

وهو في هذا متأثر بالفكرة الرومانسية القائلة بأن الشعر الذي يعبر عن الانسان ينبغي أن ينبع من حياته العادية وأن يكون انعكاسا صحيحا لها ، ومقدمة الديوان نفسه لا تبعد كثيرا عن مقدمة وردزورث لديوانه « **قصائد غنائية** » . وقد تميز شعر العقاد بصفة عامة بنزعة فكرية كثيرا ما قضت على النزعة الرومانسية في شعره ، لاعتمادها على العقل والمنطق أكثر من اعتمادها على العاطفة والحس والخيال .

جماعـة ابوللـو :

وتألفت **جماعة ابوللو** (**) في سبتمبر 1932 ، وقد تولى رياستها الشاعر أحمد شوقي ولكن الموت اختطفه في أكتوبر من نفس السنة ، فشغل مكانه الشاعر خليل مطران ومن الملاحظ على هذه الجماعة أنها تفتقد التخطيط الفني ، فلم يعش أصحابها في ظل مذهب أدبي معين ينظمون فيه ، بل توزعتهم الاتجاهات المختلفة ، ومع ذلك نلاحظ موجة غلابة من الرومانسية هيْمنت على شعراء هذه الجماعة ، وظهرت بصورة واضحة في أشعار أحمد زكي أبو شادي ، ومحمود حسن اسماعيل ، وعلي محمود طه ، وأبو القاسم الشابي ، وبلغت قمتها عند ابراهيم ناجي (1898 ـ 1953 م) الذي كان على معرفة وثيقة بالأدب الرومانسي في الغرب ، فراح يصور آلام نفسه ووساوسها ، وهي نفس ظامئة دائما للحب بل هي نفس ملتاعة دائما

(*) ومن هذا الكتاب النقدي أخذت هذه المدرسة اسمها ، فعرفت « بمدرسة الديوان » .

(**) ابوللو : رب الشعر والموسيقى عند اليونان ، ومؤلف هذه الجماعة وصاحب فكرتها الشاعر احمد زكي ابـو شادي .

لأنها تخفق فى حبها ، وهو لذلك دائم التوجع والأنين فى شعره ، على نحو ما نلمس فى هذه الأبيات من قصيدته « **الأطلال** » :

يافُــؤَادِي رَحِــمَ اللهُ الهَــوَى ‏ ‏ ‏ كانَ صَرْحًــا مِنْ خَيَالٍ فَهَــوَى
اسْقِنِي وَاشْــرَبْ عَلَى أَطْــلَالِهِ ‏ ‏ ‏ وَارْوِ عَــنِّي طَالَمَــا الــدَّمعُ رَوَى
كَيْفَ هــذا الحبُّ أمْسَى خَبَــرًا ‏ ‏ ‏ وَحَدِيثًــا مِنْ أَحَادِيثِ الجَــوَى

واذا كان ابراهيم ناجي يذوب فى انطوائيه وجدانية ، فان شاعرا آخر من جماعة ابوللو قد أوحى له وطنه أجمل القصائد وهو الشاعر التونسي ابو القاسم الشابي ، وقد مر بك نماذج عديدة من شعره .

والدارس للرومانسية العربية يجدها ــ شأن الرومانسية فى الغرب ــ قد اشتملت على جملة من العيوب ، منها الانطواء على الذات ، والاغراق فى العاطفة والخيال ، والتهويم فى عوالم بعيدة عن الواقع ، فانبتّتْ الصلة بين الشاعر والمجتمع كما جاء جانب كبير من شعر هذه المدرسة قاتما حزينا.

الواقعيــة :

كانت الرومانسية تحمل فى ذاتها بذور الواقعية ، ولذا لم يكن غريبا أن تقوم الواقعية فى الثلث الثاني من القرن التاسع عشر لا على أنقاض الرومانسية ، أو كمذهب مناوئ لها ، بل كتيار يسير جنبا إلى جنب معها ، والسبب فى ذلك يرجع الى طبيعة كل من المذهبين ، فبينما آثرت الرومانسية الشعر صورة لأدبها نجد الواقعية تؤثر النثر ، وتتخذ من الفن القصصي والمسرحي اسلوبا فنيا لها .

والواقعية ــ فى مفهومها البسيط ــ تعني تصوير الواقع ، وكشف خباياه ، باستخدام التفاصيل الكثيرة المنتزعة من الحياة العادية ، وباختيار المواقف والأحداث المحتملة الحدوث ، وكان من جراء ذلك ان أصبح الأديب الواقعي أمينا فى معالجة موضوعاته وعرضها ، وتصوير بيئته ، واقترب بأسلوبه من الواقع اقترابا كبيرا .

ويعاب على الواقعية أنها تنظر الى الحياة من خلال منظار اسود فيتبدى لها كئيبا ، منطويا على شر كبير ، وما يبدو خيرا ليس فى حقيقته الا بريقا كاذبا أو قشرة ظاهرة ، فالشجاعة أو الاستهانة بالموت ــ كما ترى الواقعية ــ لو نقبنا عن حقيقتهما لوجدناها يأسا من الحياة أو ضرورة لا مفر منها،والكرم فى الحقيقة أثَرَةٌ تأخذ مظهر المباهاة ، وهكذا الأمر مع كافة القيم الانسانية التي يختفي وراءها (الوَحْشُ) الكامنُ فى الانسان (*) .

ويعد بلزاك Balzac (1799 ــ 1850 م) الرائد الأول للواقعية فى فرنسا ، وقد خلف اكبر موسوعة فى الأدب الواقعي ، وهي تشمل نحو مائة وخمسين قصة

(*) انظر **المذاهب الادبية** للدكتور محمد مندور .

اطلق عليها فى اخريات حياته اسم « **الكوميديا البشرية** » التي قسمها الى مجموعات ست تمثل قطاعات مختلفة من الحياة ، فنجد الحياة الحربية ، والحياة السياسية ، والحياة الريفية .. الخ .

وفى نفس الاتجاه الواقعي فى فرنسا قدم فلوبير Flaubert (1821 – 1880 م) روايته الشهيرة « **مدام بوفاري** » التي صور فيها عصره بجميع مشكلاته العاطفية والاجتماعية ، ونماذجه الخلقية والنفسية .

ومن رواد الواقعية فى انجلترا « شريدان » و « شاكري » و « تشارلز ديكنز » (1812 – 1870) الذي قدم وصفا صادقا وعميقا للمجتمع الانجليزي فى رواياته « **صحائف بكويك** » و « **دافيد كوبرفيلد** » و « **دمني وولده** » .

وقد ظهر تيار آخر للواقعية ، أطلق عليه النقاد اسم « **الواقعية الجديدة** » تمييزا له عن واقعية الغرب المتشائمة .

والواقعية الجديدة تصور واقعا جديدا مختلفا كل الاختلاف عن الواقع القديم لذلك قيل عنها انها « **واقعية التفاؤل والاستبشار** » ومن روادها «تشيكوف» (1860 – 1904 م) و «تولستوي» (1828 – 1910 م) و «مكسيم جوركي» (1868 – 1936 م) وغيرهم كثير .

وقد واصل التيار الواقعي عند الغربيين تطوره ، حتى انتهى فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر – مع إطراد التطور العلمي التجريبي – الى مذهب الطبيعية الذي يعتمد على تحليل الانسان تحليلا فسيولوجيا ، وتبيان اثر البيئة والوراثة فيه ، ويعد أميل زولا (1840 – 1902 م) رائد هذا المذهب بلا منازع .

الواقعية فى الأدب العربي الحديث :

ان الأدب العربي الحديث فى اتجاهه الواقعي لم يترسم خطى الواقعية فى الغرب بنظرتها المتشائمة ، ورفضها للحياة ، بل نهج لنفسه نهجا خاصا استوحاه من الواقع العربي بمشكلاته الاجتماعية وقضاياه السياسية .

فراح الكتاب يبرزون عيوب المجتمع ، ويعددون مساوئه ، ويصورون مظاهر البؤس والحرمان بقصد الاصلاح والتغيير .

فكتب طه حسين « **المعذبون فى الأرض** » رافضا المظاهر الصارخة للحرمان والفقر ، ومطالبا بالعدالة والتعاطف

وكتب توفيق الحكيم روايته « **يوميات نائب فى الأرياف** » سنة 1937 ، وكان قد اتيح له فى ذلك الوقت الاتصال بالريف بحكم عمله ، لوقف على حال الفلاح المصري فقدمه فى يومياته جاهلا مريضا محروما يحمل ذل أجيال من الاقطاعيين المستبدين وذلك من خلال مواقف حية من واقع الريف المصري .

ويظهر هذا الاتجاه الذي يجهر بسوء الأحوال ، ومظاهر الشظف الاجتماعي

عند كثير من الأدباء من اظهرهم : يحيى حقي في مجموعته القصصية « **دماء وطين** » ، ويوسف ادريس في روايته « **الحرام** » ، وعبد الرحمن الشرقاوي في روايته « **الأرض** »

وقد سادت الواقعية الادب الجزائري ، وظهر ذلك بوضوح في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ، اذ تناولت الحياة الجزائرية بكل تفاصيلها وابعادها ونلمس ذلك — على سبيل المثال — في رواية « **ابن الفقير** » لـ « مولود فرعون » التي صور فيها نشأته المعدمة ووصف حياة الفلاحين البائسة وكيف انهم « **يسكنون بيوتا بدائية فقيرة ، تتسلق فما مرتفعا يعلو كل منها الاخر ، وكانها عظام عمود فقري هائل لحيوان رهيب من حيوانات ما قبل التاريخ** » . وكان هذا داب فرعون في أعماله ، يتجه الى المجتمع ، ويكشف عن مثالبه وشروره ، وليس عجيبا بعد ذلك ان يقول عنه الأديب الفرنسي « **أندريه مالرو** » :

« ان مولود فرعون يرسم صورة صادقة للواقع الانساني في الجزائر ويبدع في تحليل المشاعر والعواطف الانسانية ، يتحسسها ويعرضها بكل ابعادها الحقيقية » .

وقد تهيأ للكتاب الجزائريين هذه الدقة في نقل الواقع ، والصدق في تصويره ، لجملة التجارب التي مروا بها في الحياة ، فجاءت موضوعاتهم في الأغلب الاعم معبرة عن خبرة شخصية بالواقع وما يجري فيه .

وحسبك محمد الديب الذي عمل محاسبا ونساجا ومعلما وصحفيا قبل ان يدخل ميدان الادب ، وقد انعكست هذه التجارب والخبرات كلها على ادبه فاكسبته عمقا ، وجعلته اكثر التصاقا بالواقع . فنلقاه يهاجم المستعمرين وعملاءهم على لسان ابن ايوب احد ابطال روايته « **الحريق** » بقوله :

« لقد استولوا على كل شيء ، انهم يريدون ان يصبحوا سادة ايضا ، لقد جعلوا من واجبهم الحقد علينا . وها هم اولاء ينتزعون في كل يوم قطعة من لحمنا ، فيبقى مكانها جرح عميق تسيل منه حياتنا ...

« يا جيراني .. موتوا وأنتم تعملون ، ولا تتركوا أرضكم ، ولا تهجروا شبرا منها ، لانكم ان هجرتموها هجرتكم ، وبقيتم انتم وأولادكم أشقياء مدى الحياة » .

ويصور حال عمال المدن في الجزائر على لسان احدى شخصيات روايته :

« حتى لو عملنا طوال الحياة لما بقي لنا في نهايتها سوى ملاجئ العجزة والتسول »

ولم يقف الشعر الجزائري بمعزل عن الحياة الاجتماعية ، بل اتصل بها على يد لفيف من الشعراء(*) .

وهكذا اتصل الأديب العربي بالحياة اتصالا وثيقا والتزم في انتاجه الأدبي بمشكلات المجتمع وقضاياه ، ينبه اليها ويحذر منها ، ويحث الخطى نحو واقع افضل للانسان العربي .

(*) انظر : تطور اغراض الشعر ، ونماذج من الشعر الجزائري الحديث ص 411 ، من هذا الكتاب

مذاهب أدبية اخرى :

عرفت كيف نشأت المذاهب الأدبية في الغرب ، ووقفت على أهم خصائصها الفنية وملامح تطورها ، وأدركت كيف أن كل مذهب كان يسود فترة من الزمن ، حتى يتطرف في اتجاهه ، فيظهر مذهب آخر يبتعد عن المذهب القديم ويسير في اتجاه جديد وعلى ذلك قامت الرومانسية(*) على انقاض الكلاسيكية ، وقامت الواقعية لتخالف اتجاه الرومانسية لتفرق بدورها في مشاكل المجتمع وقضاياه ، وادى ذلك الاغراقُ الى تيار آخر ، لا يريد أن يكون للمجتمع المحل الاول في الانتاج الأدبي ، بل يتبع بوجه خاص المزاجَ النفسي للكاتب ، ويعتبر الأدب غاية في حد ذاته ، **ذلك هو « المذهب البرناسي»** الذي ظهر في فرنسا في منتصف القرن التاسع عشر ، وزعيمه هو «لوكنت دي ليل» (1818 – 1894 م) وقد نادى في مقدمة ديوانه **« قصائد بربرية »** بهذه النزعة الجديدة ، ورد الشعر الى طبيعته كفن جميل هدفه الصور والأخيلة الجميلة في ذاتها ، وقد تطورت البرناسية الى ما يسمى بـ **« الفن للفن »** على يد لفيف من الأدباء على راسهم تيوفيه جوتيه (1811 – 1872 م) وهو القائل : **« على الشاعر أن يرى الاشياء الانسانية ، وأن يفكر فيها من خلال نظرته الخاصة دون اية مصلحة اجتماعية او مذهبية »** .

وقد ظهرت **الرمزية** **Le synbolisme** في النصف الثاني من القرن التاسع عشر معاصرة للبرناسية . والرمزية تؤمن بعالم الجمال المثالي وتعتقد أن هذا العالم يتحقق في الفن وأن الاشواق التي يجدها العابد خلال الصلاة والتأمل تتحقق للشاعر الرمزي خـلال عمـله .

والرمزيون يؤثرون ما يسمى بـ **« المبادلات الرمزية »** أي أن الشاعر يستطيع أن يشبه المؤثرات البصرية بالمؤثرات السمعية أو اللمسية ، لا لأن بينهما تشابها خارجيا ، بل لأن وقعها في النفس متشابه ، وهذا ما كان يسميه رامبو(**) بـ **« تشويش الحواس »** ويتضح ذلك في قول بودلير(***) **« هناك عطور ندية كأجساد الأطفال ، عذبة كالمزمار ، خضراء كالمروج »** فهو يشبّه العطور بما هو ملموس تارة ، وبما هو مسموع ومرئي تارة اخرى .

وقد اهتم الرمزيون بالايقاع الموسيقي في شعرهم اهتماما كبيرا ، فبالموسيقى وحدها يستطيع الشاعرُ أن يوقظ في المُتَلَقِّيَ الظلالَ العاطفية والرؤي الرَّاعشة التي غمرت نفسه ، ولذلك ثاروا على الأوزان التقليدية .

(*) نسبة الى جبل برناس ببلاد اليونان ، قيل أن آلهة الشعر اليوناني تقطنه الادب ومذاهبه د. محمد مندور ص 101 وما بعدها .

(**) آرثر رامبو Arthur Rimpaud « 1854 – 1891 » شاعر فرنسي ، من أبرز بناة المذاهب الرمزي .

(***) شارل بودلير Baudelaire « 1821 – 1867 » من دعاة الرمزية من اهم آثاره ديوانه : « ازهار الشر » .

وقد ظهرت السّيريالية «Le suréalisme» بعد الحرب العظمى الأولى ، متأثرة بآراء ونظريات « فرويد » فى تحليله للنّفسي الانسانية ، ودراساته عن اللاشعور . واصحاب هذا المذهب يتحللون من واقع حياتهم الواعية ، ويزعمون أن وراء ها عالما آخر فى اللاّوَعي أو اللاشعور فهم بذلك يُعبِّرون عن أغوار النفس دون وجود اي رقابة للعقل ، وبعيدا عن كل اهتمام فَنيٍّ أو اخلاقي ، ولذلك جاء الأدب السيريالي عبارة عن رموز لا رابط بينها كأنها هذيان محموم على نحو ما نجد عند الأديب السيريالي «اندريه بريتون » حينما يصف المراة بأنها بزوغ الصباح ، والحلم بأنه مصباح من مصابيح الشوارع .

والملاحظ على هذا المذهب انه لم يعش طويلا ، ولم تكن له أصداء بعيدة خارج حدود وطنه الأول فرنسا .

وفيما يتصل بتأثير هذه المذاهب الثلاثة الأخيرة فى أدبنا العربي الحديث ، نجد ان المذهب البرناسي لم يلْقَ قبولا من الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تعيشه البلاد العربية ، والذي يفرض على الأدباء واجبا قوميا ووطنيا هو الالتزام بواقعهم والعمل على النهوض به .

كما أن الظروف المادية والنفسية التي أوجدت السيريالية غريبةٌ تماما على مجتمعاتنا العربية ، ولذا فإن هذا المذهب لم يجد طريقة الى ادبنا وقوبل برفض وانكار شديدين ، وان كان قد ظهر تأثيره بوضوح فى الفنون الأخرى كالرسم والنحت . وبالنسبة للرمزية ، فقد اثرت بعض التأثير فى شعرنا الحديث ، ولم يكن ظهور الرمزية فى ادبنا خاضعا لنفس الظروف التي نشأت فى كنفها الرمزية الغربية ، التي وفدت علينا نتيجة اتصال الأدباء اللبنانيين بصفة خاصة بالأدب الغربي . ويعد الشاعر اللبناني سعيد عقل أعظم ممثل للمذهب الرمزي فى الأدب العربي .

وهو فى تقديمه « للمجْدُلِيَّة » يؤكد على أن الشعر يجب ألَّا يُخْبر بل يومئ ويلمح ، واصرّ ــ شأنه شأن الرمزيين ــ على الادراك اللاّمنطقي والحدْسي للعالم ، كما أعلن أن مادة الشعر هي الموسيقى .

وقد أثّرت هذه الحركة الناشطة المتصلة بادب الغرب ومذاهبه الأدبية على اختلاف اتجاهاتهافأدبنا العربي الحديث ، واكسبته عمقا وتفتحا ، وفتحت أمامه آفاقا جديدة راح يحلق بين جنباتها ، مضيفا أبعادا انسانية الى الآداب العالمية فى الشرق والغرب .

الفصـــل الثـــاني

تطور الشعر العربي وخصائصه فى العصر الحديث

1 ـ تمهيـــــــد .　　　2 ـ مراحل التطــور .

3 ـ تطور الأغــراض .　　4 ـ تطــور الفن الشعري .

5 ـ القالب الشـــعري

تمهيـــــد :

حظي الشعر العربي منذ **العصر الجاهلي** باهتمام كبير ، فقد اتخذ منه الحكامُ **سلاحا ودعاية** ، ووجد فيه الشعراءُ مكانة مرموقة ووسيلة للارتزاق ، ورات فيه الجماهيرُ **تعبيرا عن بعض جوانب حياتها** فجعلته سلواها وَمغْنَاها ، ولم يَرْقَ إلى مثل هذه المكانة لون آخر من الفنون الأدبية .

مــراحـــل التطـــور

ظل الشعر يتردد بين القوة والضعف ، حتى وصل الى درجة **الاسفاف** قُبَيْل العصر الحديث ، ثم بدأ في النهوض ، ومرَّ بمراحل نوضّحها لك فيما يلي :

1 ـ مرحـلة الانتقـال :

في مطلع النهضة الحديثة اخذ الشعر العربي يحبو رُوَيْدًا رويدا ، فظهر جيــل من الشعراء يمثلون **مرحـلة وسطى** بين القوة والضعف ، لم يَتَردّوا فيما تردّى فيــه شعراء الضعف السابقون ، ولم يصلوا إلى ما وصل إليه الشعراء اللاحقون بعــدهم ، ويمثل هذه المرحــلة « **اسماعيل الخشّاب** » و « **العطّار** » و « **الشّاعاتي** » في مصر ، و « **بُطْرُس كرامة** » و « **ناصِف اليَازِجي** » في لبنان ، و « **اَمِين الجِنْدي** » في سوريا ، و« **الأمير عبْد القادر** » في الجزائر ، و « **محمُود قَبَادُو** » في تونس ، وغيرهم في مختلف البلاد العربية .

وقد حاولوا ان يرجعوا بالأسلوب الشعري إلى عصر القوة ، فابتعدوا به عن الركاكة **اللفظية** ، واستفادوا من مظاهر النهضة في سعة اللغة والتوسع قليلا في الأغراض ، وقد مرت بك نماذج من شعر « **الأمير عبد القادر** » ، ونقدم لك مثالا آخر لأحد شعراء هــذه المرحــلة :

يقول **ناصف اليازجي** (*) معبرا عن رايه فى الحياة من خلال بعض مراثيه :

لَا تَبْكِ مَيْتًا وَلَا تَفْرَحْ بِمَوْلُودِ   فَالْمَيْتُ لِلدُّودِ وَالْمَوْلُودُ لِلدُّودِ
وَكُلُّ مَا فَوْقَ سَطْحِ الأَرْضِ تَنْظُرُهُ   يُطْوَى عَلَى عَدَمٍ فِي ثَوْبِ مَوْجُودِ
بِئْسَ الحَيَاةُ حَياة لا رَجَاءَ لَهَا   ما بَيْنَ تصْويبِ أنفاسٍ وَتَصْعِيد
لا تَسْتَقِرُّ بِهَا عَيْن على سِنَةٍ   إلاّ على خوْف نَوْمٍ غَيْر مَحْدُود

2 ـ نهضة الشعر العربي :

ثم جاء « **البارودي** » ووثب بالشعر العربي وثبةً قوية فعاد بديباجته الى **عصر القوة** ، وحاكى فحول الشعراء فى اسلوبهم ، واسس «**مدرسة المحافظين** » فى الشعر ، تخرج فيها كبار الشعراء من أمثال : « **احمد شوقي ، حافظ ابراهيم ، احمد محرم ، محمد عبد المطلب ، معروف الرصافي ، جميل الزهاوي ، بشارة الخوري ، شفيق جبري ومحمد العيد آل خليفة** » ، وغيرهم

وقد امتاز انتاجهم بمتانة الأسلوب ، وحسن الصياغة والعناية بالمعنى ، والمحافظة على بناء القصيدة العربية القديمة ، والتوسع في الأغراض والموضوعات الشعرية ، وسجلوا أحداث عصرهم السياسية والاجتماعية ، وحاولوا أن يستفيدوا من الأدب الأوربي ، فنظم **حافظ ابراهيم** اقصوصته الشعرية « **غادة اليابان** » ، ونعل **الرصافي** مثله في قصيدته « **يتيم في العيد** » ، وكان **شوقي** أكثرهم استفادة من الأدب الأوربي، فكتب **مسرحياته الشعرية** فى أخريات حياته .

الحركات التجديدية :

لم يكن بعث الشعر العربي فى العصر الحديث دعوة إلى محاكاة الشعر القديم فى عصور القوة محاكاة تعزله عن واقعه المعاصر ، وانما كانت حركة البعث واعية ، تأخذ من القديم قوة الديباحة وسلامة اللغة وحقيقة الروح الشعرية لتعبر بها عن طبيعة العصر ومتطلباته ، ومع ذلك فان أصحاب مدرسة المحافظين استفادوا شيئا من الأدب الأوربي كما عرفت ذلك . وقد مرت الحركات التجديدية بمراحل متعددة ، واتخذت مظهران : مظهر فردي كمحاولات « **شوقي** » فى مسرحياته ، ومظهر جماعي كمدرسة « **الديوان** » وجماعة « **ابولو** » ومدرسة « **الشعر الحر** » . وقد وقفت هذه الحركات التجديدية موقف المعارضة والثورة على طريقة أصحاب مدرسة المحافظين ، وهاجمتهم ورفعت صوتها عاليا مطالبة بضرورة التجديد فى الشعر ، وتتجلى أبرز دعواتهم للتجديد فيما يلي :

(*) توفي سنة 1871 م .

1 ــ اتساع دائرة الموضوعات الشعرية وعدم الوقوف عند حدود الأغراض التي طرقها الشعراء القدامى ، بل تعدّوها إلى كثير من الموضوعات ، فكل شيء فى الحياة ــ عندهم ــ يصلح أن يكون موضوعا شعريا مهْما كان بسيطا .

2 ــ ضرورة الوحدة العضوية فى بناء القصيدة حتى تكون أجزاؤها متلاحمة . فالقصيدة عمل تام كامل ينقسم الى وحدات تسمى أبياتا ، وكل بيت خاضع لما قبله ، فهو خيط فى نسيج يدخل فى تكوينه ، ويساعد على تشكيله ، ولم تعرف القصيدة العربية هذه الوحدة العضوية معرفة واضحة قبل عصرنا الحديث الا نادرا (*) .

3 ــ التنوع فى الأوزان العروضية حتى تلائم الحالات الشّعُوريّة التي يعبر عنها الشاعر وعدم التقيد بالقافية ، لأنها قد تدفع الشاعر ــ احيانا ــ الى استخدام كلمات غير مناسبة مضطرا اليها تحت قيود القافية .

وما زالت موجات التجديد تهب على بحر شعرنا العربي ، فتتشابك وتتصارع ثم تطفو على السطح حينا ، أو يطويها فى أسفل قاعه أحيانا ، متاثرا بالتعبير عن واقعنا المادي والمعنوي ومسترشدا بالتجديد فى الآداب العالمية .

وعلى الرغم من ذلك كله فمازال لمدرسة المحافظين انصارها ولمدرسة المجددين عشاقها من الشعراء والقراء .

تطـــور الأغـــراض

1 ــ **المـدح** : شغـل المدح جانبا كبيرا في الشعر العربي في مختلف العصور ، وكان معظمه يستهدف التكسب ونيل العطاء من الخلفاء الأمراء أو ذوي الجاه والسلطة ، وفي العصر الحديث، فقد هذا اللون من المدح دوافعه ، فترك قصور الملوك واتجه الى تخليد البطولات الشعبية والمآثر الوطنية ، والأعمال العظيمة في اي مجال سياسي او اجتماعي أو فكري او فني ، واتخذه بعض الشعراء وسيــلة من وسائل الخدمات العامة ، حيث كانوا يتقربون بها الى المسئولين من أجل خدمات اجتماعية للشعب . كما فعل **شوقي** في مدحه **سعد زغلول** الذي كان وزيرا للمعارف (التربية) في **مصر** وطالبه بانشاء مدرسة في احدى الضواحي الفقيرة ، فقال :

يا نَاشِيءَ العِـلْمِ بِهَـذِي البِلَادْ ... وُفِّقْتَ ، نَشْرُ العِلْـم مِثْلُ الجِهادْ
بانِي صُرُوحَ(1) المجْدِ أنتَ الذِي ... تَبْنِي بُيُـوتَ العـلْمِ في كلِّ ناد
بَنِيّ يا سـعْدُ كَزُغْبِ القَطَا(2) ... لانَقْـصَ اللـهُ لهُم من عِـدَاد
فَانْظُرْ رَعَـاكَ اللّـهُ في حَاجِهِم ... فنظـرةٌ منْـك تُنِـيل المُـرَاد

(*) فى النقد والادب شوقي ضيف ص 154 .

1 ــ **الصروح** : جمع صرح ، وهو قصر ، ويطلق على كل بنـاء عال .

2 ــ **القطـا** : مفرده قطاة ، وهو طائر في حجم الحمام يضرب به المثل في الاهتداء ، فيقال أهدى من قطاة ، والزغب من القطا : الصغير الذي بدأ ريشه في الظهور .

2 ـ **الهجاء** : عرفت في دراستك الماضية شيئا عن **نقائض جرير مع الفرزدق** ومن شاركهما في هذا اللون الأدبي ، ورأيت كيف استخدموا مختلف الوان السباب وأقبحها ، أما في العصر الحديث ، فقد تحول **الهجاء** الى **نقد اجتماعي بنّاء** ، وان تناول أشخاصا ، فليس لذواتهم ، وانما لمناصبهم التي تؤثر في كيان المجتمع ، ومن ذلك ما قاله « **معروف الرصافي** » في حكام **العراق** ابان وجود الاستعمار الانجليزي :

وَكَمْ عِنْدَ الْحُكُومَةِ مِنْ رِجَالٍ   تَرَاهُم سَادَةً وَهُمُ العَبِيدُ
كِلاَبٌ للأَجَانِبِ هُمْ وَلَكِنْ   عَلَى أَبْنَاءِ جِلْدَتِهِمْ أُسُودُ

3 ـ **الفخر** : اختفى بريق الفخر بالمآثر الفردية أو الآباء والأجداد ، وصار اعتزازا بالأمة والجنس .

يقول **بشارة الخوري** مفتخرا بقوميته وجنسه العربي :

سَائِلِ العَلْيَاءَ عَنَّا والزَّمَانَا   هَلْ خَفَرْنَا ذِمَّةً(*) مُذْ عَرَفَانَا ؟
المُرُوءَاتُ التِّي عَاشَتْ بِنَا   لَمْ تَزَلْ تَجْرِي سَعِيرًا في دِمَانا
ضَحِكَ المَجْدُ لَنَا لمَّا رَآنَا   بِدَمِ الأَبْطَالِ مَصْبُوغًا لِوَانا

4 ـ **الرثاء** : تحول الرثاء من التقرب الى الحكام الى رثاء العظماء والعلماء الذين يعد موتهم خسارة قوية . وقد اتسع مجال الرثاء فاصبح يتحدث عن شهداء الحرية .

يرثي الشاعر الجزائري **الأخضر السائحي** شهداء 8 مايو 1945 ، فيقول :

أَيُّهَا الذَّاهِبُونَ أَمْسِ ضَحَايَا   لَمْ نُضِعْ فِي التُّرَابِ أَيَّ ضَحِيَّة
ذِكْرُكُمْ لاَ يَزَالُ كالأَمْسِ حَيًّا   فِي قُلُوبٍ تَعِي الكَرَامَةَ حَيَّة
والثَّرَى الطَّاهِرُ الزَّكِيُّ أَمِينٌ   قَدْ رَعَى العَهْدَ للدِّمَاءِ الزَّكِيَّة
أَزْهَرَتْ فِيهِ ثَوْرَةٌ وَجِهَادٌ   فَإِذَا رَوْضُهُ ثِمَارٌ جَنِيَّة

5 ـ **الوصف** : بعد انْ كان الوَصف يصور ظواهر الأشياء ، ويكتفي برسم مشاهدها الخارجية ، أصبح تعبيرا عن الذات وخلجات النفس ، وموقف الشاعر من الأشياء ، وقد تجلت هذه النزعة عند شعراء **الرومانسية** والشعراء **المهجرين** فخاطبوا الحجارة والأشجار واضفوا على الجماد الساكن رعشة الحياة وهزة البعث .

(*) **خفرنا ذمة** : نقضنا عهدا .

يقف **خليل مطران** أمام البحر يُناجيه بهذه الأبيات :

مُتَفَــرِّدٌ بِصَبَــابَتِي ، مُتَفَــرِّدٌ بِــكَآبَــتِي ، مُتَفَــرِّدٌ بِعَنَــائِي
شَاكٍ إِلَى البَحْرِ اضْطِرَابَ خَوَاطِرِي فَيُجِيبُــنِي بِرِيَاحِــهِ الهَــوْجَاءِ
والبَحْــرُ خَفَّاقُ الجَوَانِبِ ضَائِقٌ كَمَدًا كَصَــدْرِي سَاعَةَ الأَمْسَاءِ

6 ـ **الغزل** : عرف الشعر القديم ألوانا متعددة من الغزل منها الغزل الحسي الذي يصور جمال المراة ويصف مفاتنها وصفا حسيا . ومنها **الغزل العفيف** ، الذي يتحدث عن عاطفة الحب باعتباره علاقة روحية .

وفي العصر الحديث حدث تبديل ملموس في القيم الاجتماعية ، وفي العلاقات بين الأفراد ، ونالت المراة العربية مكانتها فى المجتمع واصبحت فرص الاختلاط بين الجنسين ميسورة ، فنتج عن كل ذلك تحول فى شعر الغزل وخفت لوعة الحرمان التي تجلت عند الشعراء العذريين امثال **مجنون ليلى** ، **وكُثَيِّر عزَّة** ، ولم يعد مستساغا ان يتحدث الشاعر عن علاقته بالمراة كما كان يتحدث **عُمَر ابن ابى ربيعة** وأمثاله من الشعراء الماجنين .

واختفى الغزل التقليدي ، الذي كان لا بد للشاعر ان يبدأ به قصيدته مهما كان موضوعها . التزاما من الشعراء **بعمود الشعر** الذي الح عليه النقاد العرب القدماء ، واتجه الغزل الحديث ــ متأثرا بالدراسات النفسية ــ الى تحليل طبيعة الحب والكشف عن المشاعر الانسانية العميقة ، وقد تجلت هذه النزعة عند الشعراء الرومانسيين ، وخير من يمثلهم : **علي محمود طه** ، في دواوينه **« الملاح التائه ، وليالي الملاح التائه ، وزهر وخمر »** .

وظهر لون من **الغزل الواقعي** ، يصور المراقص التي أدى اليها اختلاط الجنسين ، وقد ظهرت هذه النزعة عند **نزار قباني** ، **في دواوينه « سامبا ، وقالت لي السمراء ، وطفولة نهد »** .

7 ـ **بعث التاريخ القديم** : اتجه فريق من الشعراء الى احياء التراث الديني والتاريخ العربي القديم استحضارا لصوره المجيدة ، وحثا على التطلع اليها ، ومحاولة بنائها من جديد .

يقف الشاعر السوداني **« محمد احمد محجوب »** أمام الآثار العربية فى اسبانيا فتهزه ذكريات الماضي ، ويأسف لما آل اليه حاضرنا ، فيقول :

طُفْنَا بِقُرْطُبَةَ الفَيْحَاءِ نَسْأَلُهَا عَنِ الجُدُودِ وَعَنْ آثَارِ « مَرْوَانَا »
عَنِ المَسَاجِدِ قَدْ طَالَتْ مَنَائِرُهَا تُعَانِقُ السُّحْبَ تَسْبِيحًا وَعِرْفَانَا
تِلْكَ السَّمَاوَاتُ كُنَّاهَا نُجَمِّلُهَا بِالحُبِّ حِينًا وبِالعَلْيَاءِ أحْيَانَا
فِرْدَوْسُ مَجْدٍ أَضَاعَ الخُلْفُ رَوْعَتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ للاسْلَامِ عُنْوَانَا

8 ـ **الشعر القومي** : وظهر تيار الشعر القومي بجانبيه السياسي والاجتماعي ، وكان للثورات الشعبية ، ومقاومة الاستعمار ، أعظم الأثر فى هذا الشعر . كما أدى الشعر دوره فى يقظة الوعي القومي ، فقام ينادي بالثورة ويحث عليها ، ويسجل فى عزة وفخار انتصار الشعوب ضد المستعمرين .

يخاطب **حافظ ابراهيم** المستعمرين الانجليز متحدّيا جرائمهم فيقول :

حَوّلُوا النِّيلَ واحْجبُوا الضَّوْءَ عنّا ... واطْمِسُوا النَّجْمَ واحْرِمُونَا النَّسِيمَا
وامْلأوا البحْر انْ أردْتُم سَفِينا ... وَامْلأوا الجَوَّ انْ أردتم رُجُومَا
إنّنا لنْ نحُولَ عن عَهْدِ مِصْر ... أوْ تَرَوْنَا في التُّرْبِ عظْماً رَمِيمَا

ويخاطب الدكتور **صالح خرفي** المستعمرين الفرنسيين فى الجزائر فيقول :

مُدِّي يَدَيْكِ إلى السَّمَا تَجِدِي الفَضَا ... والمَوْجُ يُرفَعُ كالجِبَالِ وَيوُضَعُ
واسْتَنْجِدِي بِخَزَائِنِ الدُّنْيَا فلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يا فَرَنْسَا يَنْفَعُ
الاّ اعْتِرَافكِ بِالجَزائِرِ دَوْلَةً ... عربِيَّةً فهُوَ الطَّرِيقُ المَهْيَعُ (*)

ويصور الشاعر الفلسطيني ((**ابو سلمى**)) نكبة بلاده فيقول :

زَحَفَتْ أَلْثِمُ أَرْضِي وَهيَ بَاكِيَةٌ ... والقَلْبُ بَاكٍ وَرَاحَتْ تَنْتَشِي القُبَلُ
وَعُدْتُ أَنْشَقُ منْ عِطْرِ التُّرَابِ هوًى ... في ظِلِّه التَقَتِ الأَجْدَادُ والرُّسُلُ
أَهلِي على الدَّهرِ تُدْمِينِي جِرَاحُهُمُ ... في حُبِّهِمْ يَتَسَاوَى العُذْرُ والعَذَلُ
خِيَامُهُمْ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ مَعْولَةٌ ... وَدُورُهُمْ منْ وَرَاءِ الدَّمْعِ تَبْتَهِلُ
تَقَاذَفَتْهُمْ دُرُوبُ العُمْرِ دَامِيَةً ... وأَنْكَرَتْهُمْ رُبُوعُ الأَهْلِ والمِلَلُ
في كلِّ أَرْضٍ شَظَايَاهم مُشَرَّدَةٌ ... وتحْتَ كُلِّ سمَاءٍ مَعْشَرٌ ذُلُلُ
أطوفُ أحْمِلُ أنِّيَ سِرْتُ نَكْبَتَهُمْ ... كأنَّنِي طَيْفُ ثأْرٍ والحِمَى طَلَلُ
يا فِتْيَةَ الوَطَنِ المَسْلوُبِ هلْ أَمَلٌ ... عَلَى جِبَاهِكُم السَّمْرَاءِ يَكْتَمِلُ ؟
إنَّ الطَّرِيقَ إلَى العَلْيَاءِ مُظْلِمَةٌ ... ولنْ تَضِلَّ وفِي أيْدِيكُمُ الشُّعَلُ

وأعلن الشعر الحديث حربا على الأوضاع الفاسدة ، فحارب الفقر ، ودعا الأغنياء الى الرأفة بالفقراء والمساكين ، وقد صوّر ((**الرّصافي**)) حالة طفل يتيم في يوم العيد فقال :

أطَلَّ صَباحُ العِيدِ في الشَّرْقِ يَسْمَعُ ... ضَجِيجًا بِه الأفْرَاحُ تَمْضِي وَتَرْجِعُ
صباحٌ به يكْسُو الغنِيُّ وَلِيدَهُ ... ثِيَابًا لهَا يَبْكِي اليتيمُ المُضَيَّعُ

(*) المهيع : جمعها مهايع ، والمهيع هو الطريق الواسع البين .

وناصر الشعر قضية المرأة ، ودعا الى العلم ، ووقف إلى جانب الطبقات الكادحة ، يصور آلامها ، ويبين فضلها على المجتمع .

وقد رسم الشاعر **احمد الصافي النجفي** ، صورة للفلاح ومتاعبه وتعاسته في الأبيات التالية :

رِفْقًا بِنَفْسِكَ أيُّهَا الفَلَّاحُ تَسْعَى وَسَعْيُكَ لَيْسَ فِيهِ فَلَاحُ
لكَ في الصَّبَاحِ على عنائك غُدْوَةٌ وعلى الطَّوَى لَكَ في المَسَاءِ رَوَاحُ
هَذِي الجِرَاحُ بِرَاحَتَيْكَ عَمِيقَةٌ وَنَظِيرُهَا لَكَ في الفُؤادِ جِرَاحُ
في اللَّيلِ بَيْتُكَ مِثْلُ دَهْرِكَ مُظْلِمٌ مَا فيه لَا شَمْعٌ ولا مِصْبَاح
يا وَاهِبَ الخَيْرِ الجَزِيلِ لِشَعْبِهِ أَكَذَا يُجَازَى بالعِقَابِ سِمَاحُ ؟
قد أقْسَمَ البُؤْسُ الذي بِكَ نَازِلٌ أنْ لَا تَمُرَّ بِدَارِكَ الأَفْرَاحُ

وقد اندمج معظم الشعراء في مضمار النزعة الوطنية استجابة لمطالب مجتماعاتهم التحاما بها وتفاعلا معها واحساسا منهم بالمشكلات التي يعانيها المجتمع وتبصيرا بطريق الخلاص منها .

9 ـ **الشعر الفلسفي** : تناول الشعر المعاصر كثيرا من الموضوعات الفلسفية متأثرا بالمذاهب الفلسفية الحديثة ، وكان لشعراء المهجر دور ملموس في السمو بهذا الغرض من أغراض الشعر ، فتحدثوا عن الكون ونشأته ، والانسان واصله ومصيره ، وعن الله والموت ، وغير ذلك من الموضوعات التي تتصل بالوجود ، أو بما وراء الوجود .

يتأمل الشاعر « **فوزي المعلوف** » حياته فوق هذه الأرض فيراها سجنا تكبله بالقيود ، ولا خلاص من تلك القيود الا بتحرير النفس من الجسد ، والصعود الى عالم الأرواح ، ذلك العالم الحر الطليق :

أَنَا عَبْدُ الحَيَاةِ والمَوْتِ ، أَمْشِي مُكْرَهًا مِنْ مُهُودِهَا لِقُبُورِه
كُلُّ مَا بِي تَحْتَ العُبُودِيَّةِ العَمْيَاءِ ، فَوْق الوُجُودِ بَيْنَ شُرُورِه
غَيْرَ رُوحِي فَإِنَّهَا حُرَّةٌ تَمْشِي بِرَوْضِ الخُلُودِ بَيْنَ زُهُورِه

وُيُنْكر « **أبو ماضي** » قول من يدعي معرفة مصير الروح بعد موت الانسان فيقول :

لَوْ عَرَفْنَا مَا الَّذِي قَبْلَ الوُجُود لَعَرَفْنَا مَا الَّذِي بَعْدَ الفَنَاءْ

(*) **العناء** : التعب . **الغدوة** : الرواح المبكر . **الطوى** : الجوع .

تطـور الفـن الشعـرى

اختلف الدارسون حول اسبقية الشعر او النثر ، فذهب فريق من الباحثين الى ان الشعر قد سبق النثر في الوجود ، واستدلوا على ذلك بأن الانسان الأول عـرف الغنـاء قبل الـكلام ، وعرف الرقص قبل السير المنتظم على الأقدام .

وسواء صحت تلك النظرية أم لا ، فان الانسان منذ قديم الزمان ، اراد ان يعبر عن احاسيسه ومشاعره ، فنظم الأشعار يرددها اهازيج واغاني، وشعرَّ الانسان بضعفه أمام قوى الطبيعة ، فاتخذ منها آلهة واضفى عليها من الصفات التي كان يعرفها فى حياته ، فتخيلها فى صراع ومعارك ، وحكى عنها الأساطير ، واستمد من هذه الأساطير مادة غنَّاها فى ملاحم شعرية ،وغذَّاها من خياله الواسع . ولأسباب دينية وتربوية نشأ المسرح واتخذ من الأناشيد والأشعار لغة الحوار بين الشخصيات .

ومن ثَمَّ فانه يمكننا ان نُميِّز بين ثلاثة الوان من الشعر هي :

1 ـ **الشعـر الغنـائي ؛**

2 ـ **الشعـر الملحمي ؛**

3 ـ **الشعـر المسرحي .**

1 ـ الشعـر الغنـائى :

يستمد الشعر الغنائي مادته من اهتمام الفرد بذاته ، واحاسيسه الخاصـة ، وانطباعاته عن الحياة المحيطة به من خلال رؤيته الذاتية ، وقد غلب هذا اللون عـلى الشعر العربي ، وظهر في اغراض متعددة مثل : **الغزل** ، **المديح** ، **الهجاء** ، **الرثاء** ، **الفخر** ، **الحكمة** .

واستمرت أغراضه حتى الوقت الحاضر ، وان كانت قد اتسعت في هذا العصر ، واختفى بعضها كما عرفت ذلك ، ولـكن مفهوم الشعر الغنائي اصابه تطور ملحوظ فى العصر الحديث ، ويتضح ذلك فى دراسة المقـومات الأساسية للشعر الغنائي وهي :

(أ) **التجـربة الشعرية** : والمقصود بها الحالة الشعورية التي يصورها الشاعر في قصيدته وهي نتيجة لتأمله في أمر من الأمور ولانفعاله به ، وقد اشترط النقاد المعاصرون أن يكون الشاعر صادقا في تجربته ، وليس معنى صدقه أن ينقل الحقائق أو يصورها كما هي في الواقع وانما يراد بالصدق : **الصدق الفني** ، ويتجلى ذلك فى تعبير الشاعر عن نفسه بتصوير شعوره تصويرا صادقا ولو كان ذلك مخالفا للحقيقة والواقع ، ولذلك عابوا على الشاعر أن يقول مالا يؤمن به وراوا ان شعر المناسبات ـ غالبا ـما يجعل الشاعر مضطرا الى عـدم الصدق مع نفسـه ، ولذلك أوجبوا عليه أن يستوحي موضوعاته من التجربة التي يعيش

احداثها حقيقة ، أو يتمثلها في نفسه ويحيا فيها حياة فكرية لا حياة واقعية ، فمثلا عندما رثى ((**البارودي**)) زوجته ، صور تجربة عاش في مناسبتها ، وعندما تحدث ((**شوقي**)) عن **نكبة دمشق** ، عاش بشعوره وفِكْرِه فى مأساتها ، وكلاهما صادق في تجربته .

(ب) **الوحدة العضوية** : ويقصدون بها وحدة الشعور النفسي في القصيدة وتلاحم اجزائها ، بحيث يكون موضوعا واحدا والجو النفسي واحدا ، ويكون الانتقال فيها من عنصر الى عنصر آخر شديد الارتباط ، وقد يتناول الشاعر احاسيس مختلفة ولكنها من وحي موقف شعوري واحد .

(حـ) **الأسلوب التصوري** : ويتمثل في الكلمات والعبارات والصور والموسيقى الخارجية ، التي تظهر في الوزن والعروض ، وفي الموسيقى الداخلية ، وهي النغم الخفي الذي يشيع في كلمات القصيدة .

وقد عنى أصحاب **مدرسة المحافظين** في العصر الحديث **بجودة السبك وصحة العبارة وحسن اختيار الألفاظ وملائمتها للمعاني وانسجامها فى الجملة .**

ثم جاء **المجددون** ، واهتموا كثيرا **بدقة المعاني وعمق الافكار** مع تفاوتهم فى اساليبهم طبقا لتفاوت قدراتهم الأدبية .

واتسع ميدان الخيال في الشعر الحديث ، وان ظهر فى أول عصر النهضة خيالا تفسيريا يعتمد على الصورة البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية ، ويستمد صوره من الصور الشعرية الجيدة فى الأدب القديم ، لكنه لم يلبث أن ساير حركة التجديد فى الشعر واصبح خيالا واسعا يجسم الاحساس ويشخص الكائنات الموجودة فى الطبيعة ، ويتغلغل في أعماق النفس البشرية ليكشف عن كثير من أسرارها ، ويصورها أجمل تصوير .

وتنوعت الموسيقى في العصر الحديث واستفاد منها الشعراء في تصوير مشاعرهم تصويرا صادقا وأمينا .

2 ــ الشعر الملحمى :

ويستمد موضوعاته من الأساطير التي يغذيها الخيال كما فعل الشاعر اليوناني ((**هوميروس**)) في ((**الالياذة ، والأوديسا**)) ، واحيانا يتناول قصة طويلة كما فعل الشاعر الانجليزي ((**ملتون**)) في ((**الفردوس الضائع**)) و ((**دانتي**)) في ((**رحلة الى الجحيم**)) . وقد صور الشعراء في ملاحمهم مشاعر أبطالهم تصويرا موضوعيا ، وان أسبغوا عليهم جانبا ذاتيا .

وقد حوى الشعر العربي عناصر ملحمية تمثلت في وصف الحروب والمعارك كمفاخر **عنتر ، وابي فراس** ، ولكنها لم تكن أعمالا ملحمية تامة ، وانما غلبت عليها النزعة الذاتية ، فكان الجانب الموضوعي في الوصف يختفي تحت بريق الفخر وابراز الطابع الذاتي .

كما حوى الشعر العربي القديم بذورا لعناصر قصصية ، كما رأيت مثلا في قصيدة **« قصة كرم »** ، **للحطيئة** التي سبق لك دراستها فيما مضى .

وفي بداية العصر الحديث نقل **عبد الله البستاني** ، **الياذة هوميروس** شعرا الى اللغة العربية . وحاول بعض الشعراء ان يكتب ملاحم في الشعر العربي ، فكتب **شوقي** قصيدته **« كبريات الحوادث في وادي النيل »** وان كانت دون مستوى الملحمة الفنية ، وكتب **مطران « حكاية عاشقين »** ، **وفوزي المعلوف « على بساط الريح »** ، **واحمد محرم « الالياذة الاسلامية »** .

ومع ذلك فان الشعر الملحمي قليل في الشعر العربي .

اما **القصة او الاقصوصة الشعرية** ، فقد لجأ اليها كثير من الشعراء وعلى راسهم المجددون في الشعر العربي ، وقد اعانهم الأسلوب القصصي على تحقيق مبادئهم في مراعاة **الوحدة العضوية** في الشعر ، وكان المحافظون قبلهم قد حاولوا كتابة القصة باللغة العربية ، كما فعل **شوقي في شعره التعليمي** .

أما المجددون فقد احسنوا استغلالها وخاصة بعد أن عرفوا القصة الغربية بخصائصها الفنية ، **فكتب ابو ماضي** ، وغيره من الشعراء مجموعة من القصص الشعرية ثم شاعت في دواوين الشعراء المتاخرين .

3 ـ الشعر المسرحي :

يعتمد الشعر المسرحي على تصوير قصة يقوم بأحداثها اشخاص ، ويفلح الشاعر اذا استطاع أن يتخلص من ذاتيته بأن يضفي على شخصياته صبغة موضوعية ، ولم يعرف الشعر العربي القديم هذا اللون من الشعر .

وفي بداية عصر النهضة ، حاول بعض الشعراء العرب أن يقدم للمسرح أعمالا شعرية ، من ذلك ما قام به **خليل اليازجي** (1870 مـ) في مسرحية **« المروءة والوفاء »** وما قام به غيره في تلك الفترة المبكرة ، ولكنها كانت محاولات أولية ناقصة .

وبدات **المسرحية الشعرية** على يد **« شوقي »** الذي تأثر بالادب الأوربي ، فقد كتب بعد عودته من فرنسا مسرحياته : **« عنترة ، مجنون ليلى ، قمبيز ، كليوباترا ، على بك الكبير ، الست هدى »** .

وهي خمس مسرحيات درامية وملهاة واحدة ، وقد استقى مادتها من **التاريخ** الفرعوني والعربي والمجتمع المصري في عصره .

وبعْدَ شوقي ، كتب **عزيز أباظة** : **« غروب الأندلس ، وشهريار »** ، ثم كتب **صلاح عبد الصبور** : **« ماساة الحلاج ، والأميرة تنتظر »** عالج فيها مشكلات فلسفية واجتماعية . وما يزال محصول الشعر المسرحي قليلا في الأدب العربي بالنسبة للشعر الغنائي .

القـــالب الشعـــرى

فرق العرب القـدماء بين الشعـر والنثر **بالوزن والقافية** . فالشّعر هو الـكلام الموزون المقفى ، والنثر هو الكلام الذي لا وزن له ولا قافية .

ولذلك حافظ الشعراء على الوزن والقافية محافظة كبيرة ، وخاصة في الفـترة التي كان تسجيل الشعر فيها يعتمد على الذاكـرة والرواية ، فان وحدة النغمـة والقافية يساعدان على سرعة حفظ الشعر وبقائه في الذاكرة .

وترجع بداية التجديد في الوزن الشعري الى العصر العباسي . وكانت **الموشحات** اكبر مظهر تجلت فيها نزعة التجدبد .

وفي بداية العصر الحديث ، حرصت **مدرسة المحافظين** الى حد كبير على قالب القصيدة العربية القديمة من حيث **الوزن والقافية** ، وان ظهرت عند بعضهم اتجاهات نحو تقليد الموشح الأندلسي كما فعل شوقي في بعض قصائده .

ولـكن المجددين مالوا الى التحرر من قيود الوزن والقافية ، وثاروا على شـكل القصيدة التقليدية ، واتخذ تطور الوزن اتجاهين :

أولا : استخدام الأوزان العروضية القديمة مع تصرف فيها،من ذلك ما تراه فى قصيدة « **الصباح الجديد** » **لأبي القاسم الشابي** :

مِـنْ وَرَاءِ الظَّـلاَمْ وَهَـدِيـرِ المِيَـاهْ
قدْ دعَانِي الصَّبَاحْ وَرَبِيـعُ الحَيَـاة
يا لَـهُ مِـنْ دُعَـاء هَـزَّ قَلْبي صَـدَاه
لَـمْ يَعُـدْ لِي بَقَـاء فَوْقَ هَـذِي البِقَاعْ
الـوَدَاعَ الـوَدَاع يا جِبَـالَ الهُمُـومْ
يَـا ضَبَـابَ الأَسَى يا فِجَـاجَ الجَحِيم
قَـدْ جَـرَى زَوْرَقِي في الخِضَـمِّ العَظِيمْ
وَنَشَرْتُ القِـلاَعْ فالوَدَاعَ . الوَدَاع

وهذا الشعر من بحـر المتدارك ، ووزنه :

فاعـلن فاعـلن فاعـلن فاعـلن فاعـلن فاعـلن فاعـلن فاعـلن

ولم يرد في الشعر القديم إلا بثماني او ست تفعيلات ، لـكن الشاعر هنـا اتى بأربع فقط .

ثانيا : التزم الشاعر بوحدة التفعيلة ، ولم يلتزم بعددها في كل بيت ، فيأتي في البيت الاول بأربع تفعيلات ، وفي الثاني بثلاث أو اثنتين ، ولكن على وزن التفعيلة الأولى . من ذلك قول الشاعر الجزائري « **عبد السلام حبيب** » عندما اهتز لبطولة **محمد بن الصادق** ، الذي قتل **الخائن علي شكّال** ، وهو بجوار رئيس الجمهورية الفرنسية « كوتي » في مدينة « باريس » :

خُذْهَا وَدَمِدِمْ منْ مُسَدَّسِه رَصَاصْ	متفاعلن 3 مرات .
خُذْهَا ، فَقَدْ حَانَ الْقِصَاصْ	متفاعلن مرتين .
الوَيْلُ لَكْ . . .	متفاعلن مرة واحدة .
يَا خَائِنَ الشَّعْبِ الجَرِيحْ	متفاعلن مرتين .
لَنْ أَسْتَرِيحْ . حَتَّى تَمُوتْ	متفاعلن مرتين .
بِاسْمِ الوَطَنْ . بِاسْمِ الجِرَاحِ الرَّاعِفَة	متفاعلن 3 مرات .
بِاسْمِ الجَزَائِرِ والنِّضَالْ	متفاعلن مرتين .
خُذْهَا رَصَاصَةَ ثَائِرِ	متفاعلن مرتين .

وهذا ما أطلق عليه النقاد المعاصرون اسم :« **الشعر الحر** » .

اما **القافية** ، فانها اخذت أشكالا مختلفة في الشعر الحديث ، فمن الشعراء من التزم **وحدة القافيه** في القصيدة كلها ، ومنهم من التزم **قافيتين** داخل البيت الواحد .

يقول **محمود حسن اسماعيل** في قصيدته « **ماذا تقول البغي** » :

سَاقَنِي القُوتُ وَسَاقَتْكُم إِلَيَّ   شَهَوَاتُ
هِيَ فِي شَرْعِكُم الجَانِي عَلَيَّ   نَزَوَاتُ

ومن الشعراء من **التزم بتبديلها** بعد عدد معين من الأبيات ، كما رأينا في قصيدة « **الطلاسم** » **لايليا أبو ماضي** ، وفي النماذج المختارة **لأبى القاسم الشابي** .

ومنهم من **التزم تغيير القافية** مع كل بيت من أبيات القصيدة . وهو ما سماه النقاد بـ « **الشعر المرسل** » كما ترى في الأبيات التالية للشاعر « **عبد الرحمن شكري** »

نَرَى فِي اليَوْمِ مَا هُوَ فِي أَخِيهِ   كَذَاكَ حَيَاةُ أَبْقَارِ السَّوَاقِي
وَلَوْلَا عَصْبُ عَيْنَيْهَا لَكَانَتْ   تُعَانِي اليَأْسَ والسَّأَمَ الدَّخِيلاَ
ولَوْلَا خِدْعَةُ الأَمَلِ المُرَجَّى   لَأَسْلَمْنَا النُّفُوسَ إِلَى الحِمَامِ

ومن الشعراء من تحرر من **قيود القافية** تماما ، فاصبح يبدل فيها من **غير التزام** . من ذلك قول الشاعرة « **فدوى طوقان** » :

فِي اللَّيْلِ اذْ تَنْعَسُ رُوحُ الوُجُود

يَخْطَفُنِي شيءٌ وَرَاءَ الفَضَاء   كَأَنَّمَا تَحْمِلُنِي فِي الخَفَاء

ضَبَابَةٌ تَسِيرُ فِي تِيه

لا لَمْعَةٌ تَجْلُو دَيَاجِيه

لَكِنَّ رُوحًا غَيْرَ مَنْظُور

وَرَاءَ دُونِي أَلْفُ دَيجُور

أُحِسُّهُ فِي لَا تَنَاهِي المَدَى   يَشُدُّنِي إِلَى بَعِيدٍ بَعِيدْ

وقد بالغ بعض دعاة التطور في الشعر وتحرروا من الوزن والقافية تماما ، فخرجوا بذلك من دائرة الشعر .

وقد حاول بعض دعاة التطور ان يضع قوالبّ محدّدة لهذه الحركة التجديدية ، ونادت بذلك الشاعرة ((**نَازِك الملائكة**)) ، ولكن انصار تطور الشعر راوا في هذا الاتجاه قيودا جديدة .

وما زالت قضيّة تطور الشعر من حيث القالب موضع دراسات ومناقشات ، وهي على اية حال تكسب شعرنا المعاصر تعددا فى الأشكال ، وخصوبة فى الأفكار ، وتجعله مسايرا لنهضة الشعر العالمي .

المناقشة :

1 ـ كيف تطور فن الرثاء فى العصر الحديث ؟ مع التمثيل .

2 ـ اشرح معنى « الصِّدْق » فى التجربة الشعرية ؟

3 ـ ما مميزات الشعر الغنائي ؟ ولماذا اقتصر الشعر العربي القديم على هذا اللون من الشعر ؟

4 ـ لقد شهد بناء القصيدة العربية تغييرا جوهريا فى الوزن والقافية لدى بعض الشعراء المعاصرين . ناقش هذه القضية مع التمثيل .

الفصــل الثــالث

تطور النثر العربي وخصائصه في العصر الحديث

1 ـ تمهيـــــد ، 2 ـ مراحل تطور النثر العربي ،
3 ـ فنون النثر : الخطابة ، الرسالة ، المقالة ، القصة ، الرواية ، المسرحية .

تمهيـــــد :

لم يكن النثر العربي قُبيْل العصر الحديث أحسن حالا من الشعر ، فقد جمدت فنونه ، وضاقت اغراضه ، وضعف أسلوبه ، ودار معظمه حول الرسائل والمقامات بأسلوب كثرتْ فيه الحلي اللفظية ، والمحسنات البديعية ، وتسرّبت العامية الى الفصحى .

وعندما بدات النهضة الحديثة نتيجة اتصال العرب بحضارة الغرب واحيائهم التراث العربي القديم ــ اخذ النثر يتقدم شيئا فشيئا ، وكانت استجابته للتطور أسرع من الشعر ؛ لاهتمام رواد النهضة بالنثر أكثر من الشعر، فتدنقلت إلى اللغة العربية علوم الطب والهندسة والفنون الحربية مترجمة بأسلوب النثر العلمي فى أوائل أيام النهضة .

وفى بلاد « الشام » كان المبشرون المسيحيون مهتمين بنقل كتبهم الدينية الى اللغة العربية ، وركزوا جهودهم حول النثر الأدبي لأنه يغذي العاطفة ويشبع الروح ويلائم أهداف الحركة التبشيرية .

والشعر فن رفيع تسعى اليه الأمم اذا استوفت مطالبها الأولية من وسائل التعبير عن الحياة العادية ، وهذا ما لم يتوفر للنهضة العربية المعاصرة فى أيامها الأولى .

ولكن تيار النهضة الزاحف من أوربا والمتأثر باشعاع الحضارة العربية الأصيلة فى عصورها الزاهرة لم يقتصر على ناحية واحدة ، فاقتحم كل ميدان ، ونما الشعر وازدهر النثر واخذا صورا تختلف عما كانت عليه فى عصر الضعف .

وقد مر بك تطور الشعر العربي فى العصر الحديث وعرفت أهم خصائصه الفنية ، ونقدم لك فيما يلي دراسة عن النثر فى ذلك العصر .

1 ــ مراحل تطور النثر العربى

مر النثر العربي فى العصر الحديث بمراحل ثلاث يمكن توضيحها فيما يلي :

(أ) مرحــلة التقـليد :

حاول بعض الأدباء أن يعيد الى النثر قوته فحاكوا أدباء القرن الثالث والرابع للهجرة ، واتخذوا من أسلوب « ابن العميد » مثلا يقلدونه فاهتموا بالصياغة الفنية وسهولة الأسلوب ووضوحه ، ومن أشهر أدباء هذه المرحلة :

« جمال الدين الأفغاني » ، « محمد عبده » ، « خليل اليازجي » ، وغيرهم .

(ب) مدرسـة المحافظـين :

ويمثل هذه المدرسة جيل من الأدباء شعروا بطغيان حضارة الغرب على المجتمع العربي فخافوا عليه من التصدع والانهيار بسبب ما تحمله ثقافة الغرب من تيارات واتجاهات خلقية واجتماعية تتعارض مع تعاليم ديننا وأساس قوميتنا فاتجهوا الى الشباب بالنصح والتوجيه وحاولوا علاج مشاكل المجتمع على اساس عربي اسلامي . وقد لجأ ادباء هذه المدرسة الى الأسلوب المرسل ، المتشبع بضروب البيان والصناعة البديعية مع عنايتهم بالفكرة وجمالها .

ويمثل هذه المدرسة كثير من الادباء منهم : « المنفلوطي » ، « الرافعي » ، « فرج انطون » ، « احمد حسن الزيات » ، وغيرهم .

(حـ) مدرسـة المجـدّدين :

ويمثل هذه المدرسة فرقة من الأدباء الذين اخذوا بحظ وافر من الثقافة الأدبية الأوربية فى فترة استقام فيها أسلوب التعبير العربي على أيدي مدرسة المحافظين .

ثم جاء المجددون وخطوا بالنثر خطوات واسعة فجددوا فى اغراضه ووسعوا فى موضوعاته فصارت تشمل الاجتماع والنقد والسياسة والتاريخ وغيرها ، وساعدت ظروف المجتمع العربي من النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية على اتساع اغراض النثر ومجالات التعبير به .

وقد كان للمجلات الأدبية دور هام فى ازدهار هذا اللون من الوان التعبير الفني ويتميز أسلوب المجددين بالتحرر من قيود الأساليب القديمة حيث اهتموا بالمعاني ، يبرزونها دقيقة واضحة ويصوغونها فى قالب مشرق وضاح .

ومن ادباء هذه المدرسة : « لطفي السيد » ، « العقاد » ، « طه حسين » ، « البشير الابراهيمي » ، « جبران خليل جبران » ، « ميخائيل نعيمة » وغيرهم من الأدبـاء .

2 ـ فنـون النـثر

يمكن أن نميز بين نوعين من النثر :

أ ـ النـثر العلمي .

ب ـ النـثر الفني .

ويشمل الخطابة والرسالة والمقالة والقصة والأقصوصة والمسرحية وسنوضح خصائص كل لون من هذه الألوان ونبين مراحل تطوره وأشهر من تناوله من الكتاب .

ا ـ النـثر العلـمي :

يطلق أسلوب النثر العلمي على النثر الذي يعبر عن **المفاهيم العلمية** المختلفة من نظريات أو حقائق أو تجارب أو ظواهر تاريخية أو اجتماعية أو نفسية .

وقد تطور هذا الأسلوب فى العصر الحديث تطورا كبيرا فإذا ما نظرنا الى محاولة المؤرخ المصري « عبد الرحمن الجبرتي » (1) فى كتابه **« عجائب الآثار فى التراجم والأخبار »** ، وجدناه يتردد في أسلوبه بين الفصحى والعامية وبعض الكلمات التركية .

ولكن « رفاعة رافع الطهطاوي » خطا بالنثر خطوة ملحوظة حيث اهتم بوضوح المعنى فى كتابه **« تخليص الابريز فى تخليص باريز »** وان كانت عبارته تسمو حينا وتهبط أحيانا .

ولما كثرت الترجمات في علوم الطب والهندسة وفنون الحرب والفلك والرياضيات وغيرها استقرت دعائم الأسلوب العلمي الى حد كبير .

ومع **التقدم العلمي المعاصر** في شتى العلوم والفنون **كثرت المصطلحات الجديدة** فى كل لغات العالم ، ولما كان معظم مخترعي هذه الاصطلاحات من غير الناطقين بالعربية فانه كان لزاما على المهتمين باللغة العربية متابعة هذا التطور العالمي والبحث عن طريقة علمية لإيجاد المصطلحات العلمية باللغة العربية ، ومن ثمّ تابعت **الجمعيات العلمية والمجامع اللغوية** نشاطها في هذا الميدان .

ويتميز أسلوب النثر العلمي : ببساطة العبارة وسهولة الألفاظ ووضوح الفكرة والبعد عن الخيال والعاطفة ويستخدم ـ غالبا ـ مصطلحات علمية خاصة بكل علم من العلوم أو فن من الفنون . وهدفه توصيل الفكرة الى الذهن سليمة وان خلا من جمال الشكل ورونق العبارة .

ومن كتاب النثر العلمي : « أحمد زكي » ، « فؤاد صروف » ، « زكي نجيب محمود » ، « الشيخ محمد الخضري » ، « الشيخ محمد مبارك الميلي » .

ب ـ النـثر الفني :

اتخذ النثر الفني فى العصر الحديث قوالب متعددة ـ كان بعضها امتدادًا للقوالب القديمة مع تغيير في الفكرة والأسلوب وطريقة العرض ، وظهرت قوالب جديدة ، واليك دراسة مفصلة للقوالب الأدبية للنثر الفني في العصر الحديث .

---

(1) توفي سنة 1825 م .

الخطـــابة *

الخطابة من أقدم الفنون الأدبية التي عرفتها العرب ، وكان لها شأن عظيم ــ عندهم ــ على مر التاريخ ، كما عرفت ذلك من دراستك السابقة .

وفي عصر الضعف الأدبي اصاب الخطابة ما أصاب الفنون الأدبية الأخرى من اهمال وضعف ، فتقلصت أغراضها ، وانحصرت في الخطابة الدينية ، وظلت في هذا المجال الضيق حتى بداية العصر الحديث .

والخطابة ــ فن يرتبط بالجماهير ــ تزدهر فى المواقف والظروف التي تثير مشاعر الجماهير وتلهب عواطفهم . وتتوفر هذه الظروف في حالة اليقظة القومية وفي الثورات السياسية والاجتماعية ، والحركات التحررية .

وقد بدات اليقظة السياسية في البلاد العربية بظهور الأحزاب السياسية وقيام الحركات الشعبية المتعاقبة في مختلف البلاد العربية وتكونت اندية سياسية ، وجمعيات علمية وأدبية ودينية ونبغ فى هذا الجو السياسي جماعة من الخطباء من اشهرهم : « عبد الله النديم » « سعد زغلول » ، « مصطفى كامل » ، « لطفي السيد » ، « عبد الرحمن الشهيد » ، « صلاح لبكي » ، « ابن باديس » « الطيب العقبي » ، « فرحات حشاد » ، « عبد العزيز الثعالبي » وغيرهم .

واتخذ **دعاة الاصلاح الاجتماعي** من الخطابة وسيلة لبث أفكارهم فاتجهوا الى الجماهير يخاطبونهم في كثير من القضايا الاجتماعية ومن هؤلاء المصلحين :
« جمال الدين الافغاني » ، « محمد عبده » ، « المعلم بطرس البستاني » ، « قاسم امين » ، « ابن باديس » ، « البشير الابراهيمي » .

واتسع ميدان الخطابة فى العصر الحديث فتناولت السياسة والاجتماع والقضاء والدين والعلم والأدب .

وتطورت **الخطابة الدينية** تطورا ملحوظا على أيدي كبار المثقفين من رجال الدين فلم تعد وعظا وارشادا قائما على التخويف من النار والترغيب في الجنة ، وانما امتدت الى جوانب الحياة العملية لتربط بينها وبين الدين وتتخذ من التطور العلمي المعاصر وسيلة لفهم الدين فهما عميقا يلائم طبيعة العصر . وممن اشتهر في هذا الميدان « الشيخ ابن باديس » و « الشيخ محمد الغزالي » و « الدكتور احمد الشرباصي » و « الشيخ سيد سابق » وغيرهم من العلماء المجتهدين .

خصائص الخطـابة :

يعتمد هذا اللون من الأدب على الحديث المباشر من الخطيب الى جمهور السامعين ولهذا لا بد من مراعاة شروط وأسس فنية يتوقف عليها نجاح الخطيب من أهمها :

(*) انظر نموذج للخطـابة ، ص : 275 ، 423 من هذا الكتاب .

1 ـ **ترتيب الخطبة** : ينبغي للخطيب ان يقسم خطبته الى **مقدمة** ، **وعرض** ، **وخاتمة** يمهد في **المقدمة** للموضوع الذي سيعرضه على الجمهور ، وفي **العرض** يقدم الخطيب أفكاره في نمو وتسلسل معتمدا على وسائل الاقناع المختلفة من حجج وبراهين ، وفي **الخاتمة** يركز على الأثر الذي يريد أن يتركه في أذهان السامعين

2 ـ **مادتها واسلوبها** : ينبغي أن تكون مادة الخطبة واضحة المعاني ، سليمة الأفكار يسهل فهمها على عامة الجمهور حتى يتفاعل معها وتؤتي ثمارها فيهم . ويكون للتكرار فيها أثر ملموس في نفوس الجماهير .

وينبغي أن تكون عباراتها قصيرة الفواصل ، قوية التأثير ليس فيها كلمات صعبة .

3 ـ **شخصية الخطيب** : يؤثر الخطيب بقوة شخصيته أكثر من قوة كلماته وعباراته وتتوفر قوة الشخصية لمن كان شجاعا حاضر البديهة جهوري الصوت سليم النطق ، يجيد استخدام النبرات الصوتية ، ويحسن الحركة من اشارة باليد أو تعبير بالوجه أو النظر أو غير ذلك من وسائل التعبير الأخرى غير الألفاظ والمعاني .

اشكال الخطابة :

تتخذ الخطابة اشكالا متعددة لا تخرجها عن كونها حديثا مباشرا من المتحدث الى جمهوره ولكنها تأخذ اسماء مختلفة تبعا لنوعية الجمهور ومستوياتهم الثقافية وموضوع الحديث ، والوسيلة التي ينقل بها الى الجمهور ، ومن هذه الأشكال :

(أ) **المحاضرة** : وهي عادة تقدم الى جمهور على درجة ما من الوعي أو الثقافة والرغبة في الاستماع الى مادة المحاضرة ، ادبية أو علمية أو سياسية أو غير ذلك

(ب) **المناظرة** : وهي تعبير عن الراي مع استخدام الجدل ويشترك فيها أكثر من متحدث وتدور حول الآراء التي يكثر الخلاف فيها .

(حـ) **الحديث الاذاعي او التلفزيوني** : ويمتاز بقصره وتركيزه على الموضوع الذي يتناوله ووضوح معانيه وسهولة الفاظه . وفي الحديث التلفزيوني قد يستعين المتحدث ببعض الوسائل التعبيرية المختلفة غير الكلام كالحركة والاشارة وغيرها من الوسائل التي يستعين بها المتحدث .

الرسالة *

الرسالة من الفنون الادبية القديمة التي عرفها العرب في فترة مبكرة من تاريخهم وقد استخدمها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مخاطبة ملوك عصره لتبليغهم الدعوة الاسلامية الخالدة ، وزاد اهتمام خلفاء المسلمين بهذا الفن كلما اتسعت رقعة الدولة الاسلامية .

(*) انظر نموذج للرسالة ، ص 215 من هذا الكتاب .

وظهرت مدرسة « **عبد الحميد الكاتب** » ـ كما عرفت ذلك ـ فى عصر الدولة الأموية وظلت طريقته سائدة حتى جاء « **القاضي الفاضل** » فى عصر الدولة الأيوبية واستن له أسلوبا خاصا في هذا الفن . وكانت الرسالة موضع اهتمام الحكام فأعدوا لها ديوانا خاصا أطلقوا عليه « **ديوان الانشاء** » وجعلوا رئيسه من كُبار الكتاب والأدباء حتى جاء الأتراك فألغوا ذلك الديوان ، كما عرفت ذلك فيما سبق .

والى جانب الرسائل الموجهة من **الديوان** كان الأدباء يتبادلون رسائل خاصة فيما بينهم ، وخاصة فى مناسبات الأعياد الدينية أو الوطنية ، وفى حالات العزاء أو العتاب أو الاعتذار ، وتعتبر **الرسالة الاخوانية** قطعة أدبية يضمنها الكاتب كثيرا من افكاره في الناس والحياة ويستشهد بآيات قرآنية واحاديث نبوية وأبيات من الشعر والأمثال والحكم .

وقد ضعفتْ خلال عصر الضعف الأدبي ، شأن كل الفنون الأدبية . وفي العصر الحديث لم تُبعث الرسالة من جديد كما بعثت الخطابة أو غيرها من الفنون القديمة ، وانما حل محلها أسلوب جديد يستعمل في المكاتبات المتبادلة بين المصالح والمؤسسات الحكومية فيما بينها ، أو بينها وبين الجمهور ، واهم ما يميز أسلوب هذه الرسائل : التعبير المباشر ، والوضوح التام ، والاختصار ، وعدم الاطالة فى المقدمات ، والتركيز والتحديـد .

اما الرسائل الاخوانية فانها لم تختف فى العصر الحديث ، وانما قل شأنها وضعفت قيمتها ، ولعل ذلك راجع الى سببين :

احدهما : ظهور الوان جديدة في النثر الأدبي مثل القصة والمسرحية شغل الناس عن الاهتمام بهذا الفن . والرسالة وان كانت من أديب الى صديقه الأديب الا ان جمهور الأديب يمثلون حافزا قويا في أعماله الأدبية .

ثانيهما : انشغال كتاب العصر الحديث ـ الى حد كبير ـ بمشاكل مجتمعهم وقضايا عصرهم ، والرسالة الاخوانية **لون من الترف الفكري** لا ينشط أنصاره في حالات القلق الفكري والنفسي والمعارك السياسية والاجتماعية . وقد شهد العصر الحديث كثيرا من هذه الأحداث .

ومع ذلك سجل لنا الأدب العربي الحديث بعض الرسائل الاخوانية التي كتبها « فارس الشدياق » و « عبد العزيز جاويش » و « مي زيادة » وغيرهم من الأدباء .

وقد اتبعوا فيها ـ غالبا ـ نمط الرسالة الاخوانية القديمة واختلفت باختلاف ثقافة كاتبها ونزعته الفنية فى الأدب .

المقـــالة

المقالة لون من الوان التعبير النثري الذي كثر استعماله في الأدب العربي الحديث وهي من ثمرات الاتصال بالأدب الأوربي ، وان مارس بعض الكتاب العرب قديما فن الرسائل العلمية والادبية « كالجاحظ » و « ابن المقفع » و« السيوطي » وغيرهم لكن رسائلهم كانت أطول حجما من المقالة الحديثة .

ويرجع الفضل فى ذيوع هذا اللون من النثر الى **انتشار الصحافة** وتنوعها ، وقد تناولت المقالة العربية موضوعات سياسية واجتماعية وعلمية وأدبية ونقدية ، واختلفت خصائص اسلوبها تبعا لاختلاف أنواعها . ومع ذلك فان هناك خصائص عامة تميز شكل المقالة عن غيرها من الفنون الأدبية الأخرى ومن اهم هذه **الخصائص : صغر حجمها ، ووحدة موضوعها ، وسهولة أسلوبها ، وتقسيمها الى عناصر ثلاث هي : التمهيد والعرض والخاتمة** ، وفي التمهيد يوجز الكاتب عناصر موضوعه ، وفي العرض يتناول كل عنصر بالتفصيل ، وفى الخاتمة ينتهي الى النتائج التي يريدها ويمكن توضيح أنواع المقالة وخصائص كل نوع فيما يلي :

المقالة السياسية : عرفت أن المقالة قد اتخذت من الصحافة مسرحا لها ، ولم تجرؤ الصحافة العربية في بداية ظهورها أن تتناول موضوعات سياسية او اجتماعية ، حتى قدم « جمال الدين الأفغاني » الى مصر سنة 1871 م وبدأ حركته السياسية الواعية وانضم اليه جماعة من المصريين أخذوا يحررون مقالات صحفية ، في نقد العادات الاجتماعية ، ومهاجمة الأوضاع السياسية ، وكان لمقاومة الاستعمار في البلاد العربية اثر كبير في نمو المقالة السياسية وتطورها ، وقد اتخذ منها الزعماء والسياسيون والقادة وسيلة للاتصال بجمهورهم ، كما كان للأحزاب السياسية في بعض البلاد العربية أثر فى تطور المقـالة السياســية وذيوعها .

وقد اختلف أسلوب المقالة السياسية باختلاف الظروف السياسية التي كانت تواجهها فعندما يكبل المستعمرون اقلام كتابها كانوا يلجأون الى أسلوب المداراة أو الايحاء والتلميح ، وعندما يطلقون لهم بعض الحرية في التعبير يلجأون الى الهجوم العنيف من غير تحفظ أو مداراة .

وتتميز المقالة السياسية **بالبعد عن التكلف وسهولة الالفاظ ووضوح الفكرة والعمل على اثارة الحماسة ، وتغليب الفكرة وذكر البراهين والحجج .**

ويعد جمال الدين الافغاني رائد هذا النوع من المقالات ثم تابعه مئات الكتاب في مختلف البلاد العربية وعلى صفحات الجرائد اليومية والأسبوعية .

المقالة الاجتماعية : عبر كثير من كتاب المقالة عن **مشكلات مجتمعاتهم** ، وحاولوا ان يتخذوا منها وسيلة لاصلاحه . فتحدثوا عن مشكلات « الفقر والجهل والدين والعادات والتقاليد والمرأة والأسرة » ، وقد غذى الصراع الفكري بين **المجددين**

(*) انظر نموذج للمقالة ، ص : 239 ، 19؟ ، 289 من هذا الكتاب .

والمحافظين حول القيم الاجتماعية والأخلاقية موضوعات المقالة الاجتماعية ، ونالت بذلك اهتماما لدى جمهور القراء وكتب في هذا الميدان :

« قاسم أمين » و « المنفلوطي » و « محمد كرد علي » و « الخضر حسين التونسي » و « والشيخ ابن باديس » و « الشيخ محمد البشير الابراهيمي » وغيرهم .

وتتميز المقالة الاجتماعية بوضوح الفكرة وتصوير المشكلة ومناقشتها في هدوء وروية ، وكثيرا ما يلجا كتاب المقالة الاجتماعية الى ذكر الامثلة التاريخية او الواقعية والاستشهاد بالنصوص القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة . واحيانا تحتوي على النصح او التهديد او الرجاء والامل .

المقالة الأدبية : يلجأ الأدباء الى أسلوب خاص يصورون فيه مشاعرهم نحو الأشياء ولكلّ أديب وجهة نظره في الحياة ، وله انطباعات معينة نحو بعض الأحداث أو المناظر يتناول الحديث عنها لا لهدف سياسي أو اجتماعي وانما يهدف الى ابراز قيم جمالية وفنية دون مراعاة للموضوعية أو مطابقة الواقع .

وان كان الأديب الملتزم هو الذي يتخذ من أدبه أداة لخدمة مجتمعه وانسانيته ، فليس معنى ذلك أن تذوب خصائص المقالة الأدبية في غيرها من انواع المقالات الأخرى لأن القالب الذي يميز أسلوبها يجعلها نمطا مستقلا ، ومن أهم خصائصها أنها تعتمد **على الخيال والتصوير وتستخدم عبارات جزلة والفاظا مختارة موحية ، وتركز اهتمامها على عمق الفكرة ووضوحها ، وسلامة اللغة وصحتها .**

ومن كتاب المقالة الأدبية : « العقاد » و « الزيات » و « طه حسين » و « مي زيادة » و « أحمد أمين » .

المقالة النقدية : وهي ترتبط بالأدب فتحلله وتُقَوِّمه وتذكر ما فيه من محاسن وعيوب وكثيرا ما تتناول المقالة النقدية ديوان شاعر أو قصيدة منه أو قصة أو مسرحية أو بحثا في الدراسات الأدبية أو أي عمل أدبي آخر وتطبق عليه نظريات النقد وتعطيه احكاما .

ومن هنا فان للمقالة النقدية جانبين : **احدهما موضوعي** وذلك عندما يستخدم الناقد عرض نظرية في النقد **وجانب ذاتي** عندما يصور فهمه الخاص لفكر الأديب أو أسلوبه أو خصائصه الفنية .

وقد ادت المقالة النقدية دورا عظيما في توجيه الأدب والنهوض به ، ومن أشهر كتابها : « الزيات » و « العقاد » و « محمد مندور » و « محمد غنيمي هلال » و « محمد يوسف نجم » .

ويتميز أسلوبها بالدقة العلمية وجمال الأسلوب .

القصـــــة *

تمهـــيد :

لم يخل أدبنا العربي القديم من القصة بمفهومها البسيط ، ففي الأدب الجاهلي قصص تدور حول أيام العرب وحروبهم وفى القرآن الكريم قصص عن الأنبياء ومن ارسلوا اليهم ، وفى العصر العباسي نُقِلَ إلى اللغة العربية بعضُ القصص من الأمم الأجنبية ، ومن اشهر ما ترجم حينئذ **« كليلة ودمنة »** و **« الف ليلة وليلة »** .

وعرف الأدب العربي فى تاريخه الطويل اعمالا أخرى توفر لها قدر من النضج الفني تَمَثَّلَ بنحو خاص فى **« رسالة الغفران »** التي كتبها ابو العلاء المعري المتوفى سنة 1057 م مصطنعا أسلوب المقامة ، وفى قصة **« حي بن يقظان »** التي الفها ابن طفيل (1185 م) والتي اتسمت بمتانة البناء الفني على الرغم من ازدحامها بالآراء الفلسفية والافكار المجـردة .

ولقد تَبَوَّأت المَقَامَةُ مكانة مرموقة بَيْنَ فُنون الأدب العربي الاخـرى ، ولكنها ما لبثت أن تخلت عن مكانتها بسبب انحرافها الى غرض تعليمي ، فحفلت بحشد من العلوم والمعارف ، وشغفت بالاغراب اللغوي والحرص على جمع الأساليب المنمقة بزخرف السجع والبديع وأصيبت بالعقم خلال الضعف الأدبي كسائر الفنون الادبية .

وفى العصر الحديث حاول بعض الكتاب بعث المقامة من جديد فضمن « الشدياق » كتابه **« الساق على الساق »** اربع مقامات اقتربت من القصة القصيرة ، وعالج فيها بعض المشكلات الاجتماعية ، وسار على هذا الاتجاه كل من « نصيف اليازجي » ، و « عبد الله فكري » وتبع ذلك محاولات أكثرُ نُضجاً واكتمالا اتَّضَحَتْ عند «علي مبارك» فى **« علم الدين »** و « محمد المويلحي » فى **« حديث عيسى بن هشام »** و « حافظ ابراهيم » فى **« ليالي سطيح »** ، ومع أن هذه المحاولات آتسمت بالجدة وتناولت الواقع بنظرات لماحة نافـذة الا أنها لم تُلَبِّ احتياجـات العصر ، ولم تستوف التعبير عن وجدان الامة التي وجدت طريقها الى الفن القصصي الغـربي عندما اتصلت به ، وما تبع ذلك من نقل واقتباس وترجمة ، وقد عرف أدبنا العربي نوعين من القصة هما :

1 ـ القصـة الطويـلة « الرواية » .

2 ـ القصـة القصيرة « الاقصوصـة » .

وفيما يلي توضيح للتطور التاريخي والخصائص الفنية لكل منهما :

(*) انظر نموذج للقصة ، ص : 231 ، 188 من هذا الكتاب .

ألـــروايـــة

مرت الرواية فى أدبنا العربي بأطوار متعددة تتجلى لك فيما يلي :

1 ـ الروايــة المــترجمة :

نتيجة اتصالنا بالغرب ، واطلاعنا على تراثه الأدبي بفنونه المختلفة ، اتجه بعض أدبائنا الى الفن القصصي بصفته الشكل الأكثر استيعابا لتطلعات واهتمامات جماهير الشعب ، والقادر على متابعة وتسجيل التغييرات الاجتماعية والانتفاضات السياسية التي كانت تزدحم بها البلاد العربية فى ذلك الوقت .

ومن ثم عنيت الصحف والمجلات بنشر القصة ، وأفردت لها بابا خاصا ، بل انقطع بعضها الآخر لهذا اللون الأدبي الجديد وكان ان نشطت حركة الترجمة ، وأخذت تمد هذه الصحف والمجلات بسيل دافق من القصص المترجمة . وقد مرت الرواية المترجمة بمرحلتين :

(أ) **المرحلة الاولى** : لم يتقيد فيها المترجمون بالأصل ، وأباحوا لانفسهم أن يتناولوا أحداث القصة بالتبديل أو التلخيص أو الحذف أحيانا ، ومن رواد هذه المرحلة رفاعة الطهطاوي الذي اتجه الى الأدب الفرنسي الكلاسيكي وترجم الى العربية « **مغامرات تليماك** » واطلق عليها « **مواقع الافلاك فى وقائع تليماك** » .

وهو لم يتقيد بالأصل ، ونقل الرواية بأسلوب السجع والبديع .

وترجم حافظ ابراهيم « **البؤساء** » لـ « فيكتور هيجو » فتصرف فيها بأن حذف فقرات باكملها ، واحتفظ بالمعالم الرئيسية لبطل الرواية «**جان فالجان**» .

وترجم محمد عثمان جلال « **بول وفرجيني** » (1) باسم « **الأمَاني والمِنّة فى حَديث قبُول وورْد جنّة** » واعاد المنفلوطي ترجمتها باسم « **الفضيلة** » .

ومن أشهر مترجمي هذه المرحلة : طانيُوس عبده ، ونجِيب حدّاد ، وسليم النقّاش ، واديب اسحاق ، وغيرهم .

(ب) **المرحــلة الثانية** : وفى هذه المرحلة اخذت الترجمة تتميز بالدقة ، والتزام النص الأصلي ، مع مراعاة سلامة اللغة واشراقها ، ومن رواد هذه المرحلة : احمد حسن الزيات ، والمازني ، ومحمد عوض محمد ، ومحمد بدران وغيرهم كثير وبذلك نما وعينا الأدبي بهذا الفن الجديد ، فتوفر عليه أدباؤنا ، وانقطع البعض منهم ولم يتعدود الى غيره من فنون الأدب الأخرى ، فانتجوا اعمالا تميزت بالأصالة والابداع .

2 ـ الرواية التاريخية :

وهي تستوحي أحداثها ، وتستمد شخصياتها من التاريخ ، وتقدم صورة تاريخية لفترة ما ، نابضة بطبيعة العصر وعاداته .

(1) Paul et Virginie par B. St. Pierre.

وفي تاريخنا الحديث عندما طغى استبداد المستعمرين ، اتجهت عواطف بعض الكتاب نحو التاريخ العربي القديم يستوحون منه بعض المواقف القومية العظيمة وذلك اذكاءً للهمم للنهوض بالواقع المتخلف الذي كانت تعيشه البلاد العربية في ذلك الوقت ، ولهذا كانت الرواية التاريخية من أسبق أنواع القصص العربية إلى الظهور ، ومن أوائل الكتاب في هذا الميدان « **سليم البستاني** » الذي ألف عددا من الروايات التاريخية من اهمها « **زَنُوبِيا** » 1871 م و « **بُدُور** » 1872 م و « **الهُيَام في فُتُوح الشَّام** » 1874 م. ثم تبعته محاولات جورجي زيدان الذي يعد في رواياته مؤرخا أكثر منه أديبا (*) .

وتقدم محمد فريد ابو حديد بفن الرواية التاريخية خطوات ملحوظة ، وكتب ما يزيد على ست روايات تاريخية(**) ، وهو يلخص أسلوبه الفني في هذه الروايات بقوله : «**التاريخ في نظري وسيلة لتهيئة الجو لأحداث الرواية لا أكثر ، وداخل هذا الجو التاريخي أتصرف كما يحلو لي ، حسب الروح التي تمليها عليّ الأحداث والشخصيات**» وقد عرفت الرواية التاريخية عددا من الكتاب من أبرزهم : ابراهيم رمزي ، وعلي الجارم ، وكرم ملحم كرم ، وعلي أحمد باكثير ، ومحمد سعيد العريان.

ولا ينكر احد عظمة الدور الذي قامت به الرواية التاريخية من شحذ للهمم ، وتعبية للنفوس ، ووصل حاضرنا بماضينا المجيد .

3 ـ **الرواية الاجتماعية** : اتجهت الرواية نحو قضايا المجتمع ومشكلاته وعالجت ما تزدحم به الحياة من متناقضات ، وما تزخر به نفوس البشر من نوازع وعواطف .

وتعتبر رواية « **زينب** » للدكتور محمد حسين هيكل التي نشرها عام 1914 م هي البداية الأولى لهذا الاتجاه الاجتماعي ، وبرغم غلو هذه الرواية في الرومانسية وحلولها المفتعلة ، وانتقالاتها بغير تمهيد ، الا انها تعد البداية الفنية الحقيقية للرواية العربية ، ونلتقي بعد هذه البداية بعدد من الروائيين الذين اسهموا بما قدموه من اعمال ناضجة مساهمة أيجابية في ارساء أصول فن الرواية ، والنهوض بها .

فنشر الدكتور طه حسين روايته « **الأيام** » سنة 1927 م ووصف فيها احداث صباه وشبابه وقدم صورة وافية للقرية المصرية ، ثم اتبع هذه الرواية بعدد من الروايات من اهمها : « **شجرة البؤس** » و « **دعاء الكروان** » .

كما كتب توفيق الحكيم أثناء اقامته بباريس « **عودة الروح** » ونشرها بعد عودته الى أرض الوطن ،وقدم فيها صورا من الحياة في المدينة والريف ، ثم نشر بعد ذلك « **يوميات نائب في الأرياف** » و « **عصفور من الشرق** » و « **الرباط المقدس** » ، وقد كان لتمكن الحكيم من فن المسرح دوره الكبير في رواياته التي تميزت بالدقة ، وحرارة الحوار وتدفقه .

(*) بلغت رواياته التاريخية احدى وعشرين رواية ، من أشهرها : الحجاج بن يوسف/ارمانوسة المصرية ، فتح الاندلس ، فتاة غسان ، عذراء قريش . . . الخ .

(**) وهي حسب ترتيب صدورها : ابنة الملوك ، الوعاء المرمري ، زنوبيا ملكة تدمر ، الملك الضليل ، المهلهل سيد ربيعة ، أبو الفوارس عنترة . . . الخ .

ومن هذا الجيل الرائد فى كتابة الرواية ابراهيم عبد القادر المازني الذي يغلب على رواياته طابع التأمل الفكري ، والتحليل النفسي والجنوح الى الفكاهة والسخرية من مفارقات الحياة ، وقد تميز أسلوبه بالجزالة والسهولة معا . ومن رواياته : ((**ابراهيم الثاني**)) و ((**عود على بدء**)) و ((**ميدو وشركاه**)) .

وتمضي الرواية الاجتماعية فى تقدمها وازدهارها على أيدي طائفة من الكتاب خبروا واقعهم الاجتماعي بتعقيداته ومساراته فراحوا يخرجون أعمالا روائية متفردة ارتفعت بهم إلى مصاف الكتاب العالميين .

ومن أبرز هؤلاء الكتاب نجيب محفوظ الذي أخرج لنا جشدا زاخرا من الروايات التي لتناول البيئات الشعبية باهتماماتها وتطلعاتها وتصوّرُ همومَ الانسان وصراعاته مع نفسه ومجتمعه ، ومن أهم أعماله الثلاثية (*) التي نشرها 1956 م وَتَتَبّعَ فيها الحياة الاجتماعية والسياسية من خلال تصويره لحياة أسرة مصرية ، وعلاقة أفرادها بالمجتمع وموقفهم من أحداثه ، ومن أعماله التي حققت نجاحا كبيرا ، واحتفى بها النقاد والقراء على السواء ((**بِدَايَة وَنِهَايَة**)) و ((**زُقَاق المَدَقّ**)) و ((**السَّمَّانُ والخَرِيف**)) و ((**اللِّص والكِلَاب**)) و ((**الطريق**)) ... الخ ، ومازال هذا الكاتب المبدع يثري حياتنا الأدبية بانتاجه المتجدد دوما .

وقد شهد ادبنا العربي رُقِيًّا وازدهارا على أيدي طائفة من الكتاب المبدعين من ابرزهم : يوسف ادريس ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ويحيى حقي ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، وغسان كنفاني ، والطيب صالح ، وغيرهم .

الروايــة الجـزائرية :

وفيما يتصل بالرواية الجزائرية ، نلتقي سنة 1947 م برواية ((**غادة ام القرى**)) للكاتب أحمد رضا حوحو ، وهي قصة مطولة عن المراة فى الحجاز التي كانت ـ فى تلك الأوقات ـ مهضومة الحقوق ، تعاني ضروبا مختلفة من الجهل والتخلف ، وأراد بهذا ان يلمح الى وضع المراة فى الجزائر ، وبأنها ليست بأحسن حال من أختها فى الحجاز ، ويتضح ذلك جيدا من كلمات الاهداء فى مقدمة الرواية :

((إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب ، من نعمة العلم ، من نعمة الحرية .

الى تلك المخلوقة البائسة المهملة فى هذا الوجود ، إلى المراة الجزائرية اقدم هذه القصة تعزية وسلوى)) .

وحينما خرجت هذه الرواية الى الوجود ، ثار عليها كثير من الناس بسبب هذا الاهداء ، وعدوه دعوة الى تحرر المراة والخروج على طاعة الرجل ، والسبب فى هذه الثورة أن العقول والنفوس لم تكن مهياة فى ذلك الوقت لقبول هذه الأفكار او حتى مناقشتها ، وقد كان حوحو دائما فى كتاباته سباقا الى الكشف عن عيوب المجتمع وتجسيم مساوئه ، وأعانه على ذلك ما توفر له من حس مرهف ، ووعي نقدي .

(*) (بين القصرين » و « قصر الشوق » و « السكرية » وتعد الثلاثية اشهر اعمال نجيب محفوظ على الاطلاق .

وباستثناء حوحو ومحاولته الوحيدة (1) ، لا نكاد نجد اعمالا روائية أخرى كتبت باللغة العربية فى تلك الفترة .

وعرفت الرواية فى الجزائر روادا ثلاثة كتبوا انتاجهم الروائي فى اللغة الفرنسية وهم : مولود فرعون ، ومولود معمري ، ومحمد الديب ، وقد ولد مولود فرعون ببلاد القبائل ، وكان والده فلاحا ، وقد قضى الشطر الأول من حياته فى ظروف مادية صعبة اعطى لها صورة وافية فى روايته الأولى « **ابن الفقير** » 1950 م ، وفى روايته الثانية « **الأرض والدم** » (2) تناول فيها قضية الانسان الجزائري والأرض ، ومما قاله عن الأرض : « **ان ارضنا طيبة ، انها تُحب وتَمْنَح فى الخفاء ، وتتعرَّف سريعا على ابنائها ، على هؤلاء الذين خُلِقُوا لها ، وخلِقَتْ لهم ، من شاءَ انْ يكْشِفَ عنْ جَمال ارضنا فليَمْنَحْها حبه** » .

وتعد « **الدروب الصاعدة** » رواية مولود فرعون الثالثة التي ظهرت سنة 1957 م هي التعبير الفني الواعي عن التحول العظيم فى حياة الشعب الجزائري ، وتألق احساسه القومي الذي ظهر بوضوح فى ثورته المسلحة .

وقدم محمد الديب ثلاثيته (3) : « **البيت الكبير** » 1952 م و « **الحريق** » 1954 م و « **النول** » 1957 م . تناول فيها أحداث حياته من الطفولة إلى الصَّبوة والشباب ، وقدم خلال ذلك صورة عن الشعب الجزائري ، وقد امتلأت نفسه بالمرارة والغضب ، واخذ يستجمع قواه للثورة الكبرى .

ويحدثنا مولود معمري فى روايته الأولى « **التل المنسي** » 1950 م عن المكان العزيز الذي نشأ فيه ، متخذا منه رمزا للوطن وحبه له .

وتعكس «**الغفاوة العادل** » 1956 م ــ رواية معمري الثانية ــ موقف فرنسا والجزائريين الموالين لها من الجزائر بعد أن تكشفت لهم حقيقة أوهامهم .

ثم تأتي رواية معمري الثالثة « **الأفيون والعصا** » 1965 م لتقدم لنا صورة واقعية لمجتمع القرية والمدينة ابان حرب التحرير .

وقد سار على نفس الدرب الذي شقه هؤلاء الرواد الثلاثة لفيف من الروائيين من ابرزهم : مالك حداد ، وآسيا جبار ، ومراد بوربورن ، وقد استشرفوا جميعا بأعمالهم الروائية آفاق الآداب العالمية.وقد ترجم عدد من هذه الأعمال الى اللغة العربية ومازال القارئ العربي متشوقا الى الاطلاع على بقيتها التي لم تترجم بعد الى العربية .

وقد واكب النقد الأدبي هذه الحركة النشيطة فى التاليف القصصي واخذ يُبيّن أصول العمل الروائي وقواعده وفيما يلي سنبين لك أهمها :

---

(1) الكثرة الغالبة من انتاج حوحو الادبي فى القصة القصيرة وهو لم يكتب الا رواية واحدة .

(2) حصل بها على جائزة الأدب الشعبي فى فرنسا عام 1953 ، منافسا خمسين كاتبا فرنسيا فى ميدانهم ولغتهم .

(3) ترجمها الى العربية الدكتور سامي الدروبي .

الخصـــائص الفنيـــة للـــرواية

تعد الرواية أكبر الأنواع القصصية على الاطلاق ، وهي قادرة بذلك على تقديم لوحات عريضة لما يجري في المجتمع ، فتتناول جانبا رَحْبًا من الحياة الانسانية ، تتشعب فيه الحوادث ، وتتعدد الشخصيات ، ويعني الروائي خلال ذلك بالتفاصيل والجزئيات ، فيقدم بذلك صورة كاملة لبيئة من البيئات ، او مجتمع من المجتمعات ، أو فرد من الأفراد ، وفيما يلي أهم العناصر الفنية التي تشتمل عليها الرواية :

1 ـ البيـــئة :

للبيئة الزمانية والمكانية دوّر كبير في تجلية أحداث الرواية ، وتوضيح الظروف التي صاحبتها ، مما يجعل القارئ أكثر فهما للأحداث ، وانجذابا لها .

والزمن في الرواية غالبا ما يكون طويلا ممتدا ، فربما اتسع البعد الزمني فاستغرق عمر البطل أو اعمار اجيال ، على انّ هذا ليس شرطا لازما،لأن من كتاب الرواية المعاصرين من قدّم رواية لم تستغرق غير زمن وجيز،كالدكتور محمد كامل حسين في روايته « **قرية ظالمة** » التي تبدأ وتنتهي في يوم وليلة .

وما قلناه بالنسبة للزمان نستطيع ان نقوله أيضا فيما يتصل بالمكان ، فأحيانا تتسع الرقعة المكانية فتشمل دولا أو قارات ، كما في رواية عبد الحميد جودة السحار « **وكان مساء** » حيث تنقل بطلُ الرواية بين مصر والسعودية والباكستان ، ومن الروائيين من أجرى أحداث روايته في مكان محدود ، كنجيب محفوظ في روايته « **ميرامـــار** » التي جرت الكثرة الغالبة من احداثها في « **فندق** » اسمه هو نفسه عنوان الروايـــة .

والرواية التاريخية ـ بصفة خاصة ـ يتوقف نجاحها الى حد بعيد على مدى الكشف عن البيئة بأبعادها الزمانية والمكانية ، وما تزخر به من عادات وتقاليد وقيم .

2 ـ الأحـــداث :

ان الأحداث في ذاتها مهما كانت اهميتها لا تكفي لاخراج عمل روائي ناجح ، والا كان من السهل على كل انسان أن يختار الحوادث الكبرى ليتخذ منها مادة قصصية وقيمة الحادثة تأتي من ان الكاتب تعمقها ، ونظر اليها في جوانبها المتعددة واكسبها قيمة انسانية وفنية خاصة .

ولذلك قد تكون حوادث الرواية في أصلها بسيطة وصغيرة ، ولكن الروائي يرى فيها من وجهة نظره الخاصة ، أهمية تجعلها تفوق في نظره اهمية كثير من الحوادث الأخرى .

ومن هنا تبرز أهمية الاختيار والانتخاب من الحياة الواسعة في العمل الروائي ، ثم

ان الحوادث التي تصادفنا فى الرواية لم تكن بالضرورة على هذا النسق فى الحياة ولكن الأديب يقوم بترتيبها والربط بينها ، والحفاظ على تتابعها تتابعا منطقيا .

وهناك نوع من الروايات يعتمد على الحوادث وتسلسلها تسلسلا أخاذا يستولي على لب القارئ ، كما هو الحال فى روايات المخاطرة والمغامرة ، والشخصيات تكون ثانوية الى جوار الحوادث التي تبهر القارئ وتدفعه الى متابعة ما يجري فى الرواية الى النهاية .

وتظل الحوادث فى تسلسلها الى ان تصل الى « **العقدة** » ، وهي النقطة التي تتجه اليها الأحداث ، وتجتمع عندها خيوط الرواية فيتعقد الموقف ، وتتوتر عندئذ نفوس القراء لهفة الى معرفة ما ستنكشف عنه الأحداث التي تستمر فى تسلسلها الطبيعي ، وتنفرج رويدا رويدا ، لتنكشف اخيرا عن « **الحل** » ، والحل قد يكون سعيدا مبهجا ، او حزينا مؤسفا ، ولا بد أن يأتي متسقا مع أحداث الرواية والا جاء نابيا ، ويصيب البناء الفني بالخلل .

3 ـ الشخصيات :

ان أول ما يشغل بال الروائي هو طريقة تقديم شخصياته الى القارئ وتعريفه بهم ، ولذلك نراه يبذل قصارى جهده ليقدمهم فى طريقة مشوقة ، تستهوي القارئ ، وتجعله يهتم بهم .

ويتوقف نجاح الرواية الى حد بعيد على مدى جودة تصوير الشخصيات ومن مقاييس هذه الجودة أن تطابق الشخصيات ـ بتكوينها المادي والنفسي ـ الأحداث التي تجري فى الرواية .

هذا ، وتندرج شخصيات الرواية هرميا من حيث الأهمية الى أن تصل الى شخصية البطل التي تسمى بـ « **الشخصية المحورية** » .

4 ـ الأسلوب :

المقصود بالأسلوب هنا التعبير ووسائله اللغوية وخصائصه الفنية . ويتبدل الأسلوب من كاتب الى آخر ، فلكل روائي وسائله التعبيرية ، حقا انه يستخدم نفس الألفاظ التي يستخدمها غيره من الروائيين الا أنه يصوغها صياغة جديدة فيها شخصيته وروح عصره .

ومن الروائيين من يعنى بجمال العبارة ، ورشاقة الأسلوب دون الالتفات كثيرا الى البناء الفني شأن طه حسين فى « **الأيام** » و « **دعاء الكروان** » .

ومنهم من يختار القريب فى الألفاظ ويمعن فى العناية بالشكل على حساب الصدق الفني أحيانا شأن محمود تيمور .

ومنهم من استطاع أن يستخدم لغة وسطى لا ترتفع ارتفاعا يفقدها قربها وواقعيتها ولا تهبط إلى السوقية والابتذال ، كالمازني ، ويحيى حقي ، ونجيب محفوظ .

والحوار جزء هام في الأسلوب التعبيري في الرواية ، ويعد من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الروائي في رسم الشخصيات ، وتصوير عواطفها وأحاسيسها المختلفة ، كما له دوره في تطوير الأحداث ، واستحضار الحلقات المفقودة منها ، ويشترط في الحوار أن يأتي معبرا عن الواقع النفسي والاجتماعي للشخصيات التي تنطق به . وهناك فريق من الروائيين أمعنوا في محاكاة الواقع ،وأداروا الحوار على ألسنة أبطالهم باللغة الدارجة ولكن هذا يتطلب من الأديب يقظة حتى يتجنب الوقوع في وَهْدَة الابتذال والاسفاف .

وفي وقتنا الحاضر يلقى هذا الاتجاه عُزُوفًا واعراضا من جمهرة الروائيين لأنه يحبس انتاجهم داخل حدود بلادهم ، ولا يسمح له بالتحليق في آفاق أكثر انتشارا واتساعا .

والحوار المعبر الرشيق من أسباب حيوية السرد وتدفقه . والسرد هو أحداث الرواية نفسها وقد اتخذت صورة الكلمات ، ويقوم بتقديم الشخصيات ، والقاء الضوء عليها ، والتطرق الى هواجسها النفسية ، ويجب أن يكون أسلوب السرد سهلا واضحا نابضا بالحياة ، فيأتي هادئا متزنا ، أو صاخبا عنيفا بحسب الموقف والأحداث في الرواية .

القصة القصيرة

ظهرت القصة القصيرة بشكلها الفني المحدد في الغرب خلال القرن التاسع عشر ، ومن روادها العظام : « **ادجار الان بو** » في أمريكا (1809 ــ 1849 م) و « **جي دي موباسان** » في فرنسا (1850 ــ 1893 م) و « **انطوان تشيكوف** » في روسيا (1860 ــ 1904 م) .

القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث :

بدأت القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث مترسمة خطى المقامات من حيث احتفائها بالسجع والبديع والاغراب اللغوي على نحو ما اتضح لك في التمهيد .

ثم جاءت قصص المنفلوطي(*) التي ضمنها كتابه « **العبرات** » لتمثل مرحلة انتقال من طور المقامة الى طور القصة القصيرة بشكلها الفني الحديث .

وكان المنفلوطي ينزع في قصصه منزعا رومانسيا ، ويعني بتصوير الفضيلة والعدالة ، والانتصار للفقراء في أسلوب مشرق مليء بالانفعال العاطفي ونظرا للبؤس الاجتماعي ، والاضطهاد السياسي الذي كانت تعيش فيه البلاد العربية في ذلك الوقت ، فقد لاقت قصص المنفلوطي الباكية الحزينة اقبالا ورواجا منقطع النظير .

(*) مصطفى لطفي المنفلوطي (1876 ــ 1924 م) أديب لم يكن يحسن الفرنسية فكلف البعض بترجمة القصص له ثم تولى هو بعد ذلك اعادة كتابتها أو تأليفها معتمدا على الاسترسال الانشائي والانطلاق الوجداني .

وما لبثت القصة العربية ـ بتأثير القصة الأجنبية الوافدة ـ أن خطت نحو النضج الفني على يد لفيف من الأدباء على رأسهم : محمد تيمور ، ومحمود تيمور ، ومحمود طاهر لاشين ، وغيرهم .

واتسمت قصص هذه المدرسة بطابع اصلاحي ، فلذا غلبت عليها النزعة التعليمية والوعظ الأخلاقي ، ومن أكثر أدباء هذه المدرسة انتاجا الكاتب محمود تيمور الذي كلف برصد العيوب الاجتماعية ، وتصوير حياة الكادحين في الريف والمدن وذلك بتقديم نماذج بشرية يدقق في اختيارها ، ويسرف في تصويرها ووصفها ، ويتضح ذلك جليا في مجموعات قصصه الكثيرة ، والتي من أهمها « **شفاه غليظة** » و « **مكتوب على الجبين** » و « **شباب وغانيات** » و « **احسان لله** » .

ومن كتاب القصة القصيرة اللامعين ابراهيم عبد القادر المازني الذي قدم مجموعات قصصية منها : « **على الماشي** » و « **صندوق الدنيا** » و « **في الطريق** » ، وهو يجنح في قصصه الى السخرية والفكاهة ، ويهتم بتصوير النفس البشرية ، واستجلاء جوانبها .

ثم جاء بعد ذلك جيل اتصل أبناؤه بالحياة اتصالا وثيقا ، ووعوا حركة المجتمع في مساراته المعقدة المتشابكة ، فانتجوا أعمالا قصصية لا تقل في فنيتها وعمقها عن الانتاج العالمي .

ومن رواد هذا الجيل : يوسف ادريس ، ويوسف الشاروني ، ويحيى حقي ، وسهيل ادريس ، ويوسف عواد ، وغيرهم كثير .

اما عن **القصة القصيرة في الادب الجزائري** (1) ، فقد اتخذت قبل قيام الحرب العالمية الثانية شكل المقال القصصي الذي ارتبط بالحركة الاصلاحية فتبنى دعوتها ، وشرح أغراضها ، وحارب الجمود والبدع والخرافات ، وكان يعتمد في الناحية الفنية على الحوار في المقام الأول ، واشتهر من كتاب المقال القصصي : محمد السعيد الزاهري (2) ، ومحمد العابد الجلالي (3) ، وعبد المجيد الشافعي (4) ، وغيرهم كثير .

ثم بدأت القصة القصيرة بمقوماتها الفنية تجد طريقها الى الوجود بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان من روادها في هذه المرحلة أحمد رضا حوحو ، وله « **صاحبة الوحي وقصص اخرى** » ومن أهم قصص هذه المجموعة « **ثرى الحرب** » و « **فتاة احلامي** » و « **جريمة حماة** » و « **خولة** » ، وقد نشر هذه المجموعة سنة 1954 م ثم نشر في السنة التي تليها مجموعته الثانية « **نماذج بشرية** » حدثنا فيها عن « **الشيخ رزق** » و « **سيدي الحاج** » و « **السكير** » و « **العصامي** » ، وغيرها من نماذج بشرية

1 ـ لمزيد من التفصيل راجع كتاب « القصة القصيرة في الادب الجزائري المعاصر » للدكتور عبد الله الركيبي . 2 ـ من مقالاته القصصية : « عائشة » و « الكتاب الممزق » . 3 ـ من مقالاته القصصية : « السعادة البتراء » و « الصائد في الفخ » . 4 ـ من مقالاته القصصية « الشباب الضائع » و « بين فتاتين » وقد كتب معظم انتاجه بعد الحرب العالمية الثانية .

برع حوحو فى تصويرها وتجسيم ما تنطوي عليه نفوسها من مفارقات تدعو الى السخرية ، ونلتقي بعد ذلك بعدد كبير من كتاب القصة القصيرة من ابرزهم : الدكتور عبد الله الركيبي فى مجموعته « **نفوس ثائرة** » وعبد الحميد بن هدوقة فى مجموعتيه « **ظلال جزائرية** » و « **الأشعة السبعة** » والطاهر وطار فى مجموعته « **دخان فى قلبي** » وغيرهم كثير .

وقد ازدهرت القصة القصيرة فى أدبنا المعاصر ، ولاقت رواجا وانتشارا بين جمهور القراء واحتلت مكانتها المرموقة بين سائر الفنون الأدبية الأخرى ، وقد ساعد على ذلك ما تميز به عصرنا من الآلية والسرعة .

الخصائص الفنية للقصة القصيرة :

إذا كانت الرواية كما مر بك ، تعنى بتقديم لوحات عريضة لما يجري فى المجتمع ، فان القصة القصيرة تتناول زاوية ضيقة من الحياة ، وتسلط اضواءها بشكل مركز على شخص فى حالة من حالاته ، أو على حادثة معينة غير متشعبة لا يهتم فيها الكاتب بالتفاصيل والجزئيات ، وأهم الصفات الفنية التي تتميز بها القصة القصيرة ما يلي :

1 ـ **الوحدة** : والمقصود بها وحدة الحدث والزمان والمكان ، وهو ما يعبر عنه ادجار الان بو بـ« **وحدة الانطباع** » اي أن القارئ يلزم ـ والأمر كذلك ـ أن يخرج من قراءته للقصة القصيرة بانطباع واحد ، لا بجملة انطباعات كما هي الحال فى الرواية .

2 ـ **التركيز** : وصفة التركيز اساسية فى القصة القصيرة ، واساسية فى الحادثة وطريقة سردها ، والموقف وطريقة عرضه وتصويره ويبلغ التركيز حدا لا تستخدم معه لفظة واحدة يمكن الاستغناء عنها أو يمكن أن يستبدل بها غيرها ، فكل لفظة لها دورها .

3 ـ وتتجمع خيوط القصة لتصل الى « **العقدة** » وهي النقطة التي يتأزم عندها الموقف فى القصة القصيرة .

ثم تأتي « **لحظة التنوير** » لتبدأ الأزمة فى الانفراج عن حل ، وبه تنتهي الاقصوصة

ويرى بعض النقاد أن النهاية يجب أن تكون حاسمة ، لا يتساءل بعدها القارئ بينه وبين نفسه عن تتمتها ، بينما رأى الفريق الآخر من النقاد انه لا بأس أن تكون النهاية مفتوحة لأن هذا من شأنه أن يثير التساؤلات فى نفس القارئ ويجعله مشاركا فى تصور النهاية ، فيكون بذلك أكثر انفعالا بالقصة وانجذابا لها .

المســرحيــة

تمهيـــــد :

المسرحية من أقدم الفنون الأدبية التي عرفتها الحضارة الانسـانية ، فمنذ زمان بعيد ، أقام **الاغريق** مسـارحهم في مناسبات دينية ووطنية ، وعرفوا نوعين من المسـرحيات هما :

المأساة والملهاة ، وتناولوا في اطارهما موضوعات دينية واجتماعية وأدبية ، وأدى مسرحهم دوره في تعليم مجتمعهم ، واهتم نقادهم بالمسرح ؛ فأعدوا له شروطه وأسسـه الفنية التي استفاد منها كل من اتصل بالعمل المسرحي ، حتى في العصر الحديث .

ومع أن العرب في عصر نهضتهم العلمية والأدبية نقلوا عن الاغريق كثيرا من الفنون والعلوم ، لكنهم لم يهتموا بشأن المسرح ، ولعل ذلك راجع الى ارتباط المسرح اليوناني بالأفكار الدينية الوثنية التي **لا يقرها الاسلام** ، والى طبيعة الشعر العربي ، وهو من النوع الغنائي الذي لا يصلح للتمثيل .

وأول اتصال أدبنا بالمسرح يرجع الى تأثرنا بالنهضة الأوربية المعاصرة .

نشأتهـــــا :

كان لرحلات بعض المفكرين العرب في بعض بلدان أوربا أثر مباشر في نشأة المسرحية العربية ، فعندما عاد « مارون النقاش » (1) من رحلاته في أوربا فكر في انشاء المسرح العربي وقدم لأول مرة مسرحية « **البخيل** » للكاتب الفرنسي « موليير » مترجمة الى اللغة العربية ، ولقيت نجاحا شجعه على مواصلة جهوده ، فأخذ يقتبس من المسرح الأوربي ومن قصص « **ألف ليلة وليلة** » بعد أن يدخل عليها شيئا من التحوير وفتح بذلك الطريق أمام غيره من كتاب المسرح العربي .

تطورهـــــا :

1 ـ **مرحلة الاقتباس** : كان لهجرة بعض اللبنانيين المهتمين بفن المسرح الى مصر أثر في تطور المسرحية العربية ، ومن أشهر الفرق التي وفدت الى مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فرقة « **يعقوب صنوع** » ثم فرقة « **أبو خليل القباني** » و شجع **الخديوي اسماعيل حاكم مصر** في ذلك الوقت نهضة المسرح العربي فأنشأ دار « **الأوبرا** » المصرية ودعا كثيرا من الفرق الأجنبية لزيارة مصر ثم توافدت فرق أخرى من البلاد السورية وتركز نشاطها في مصر .

وتميزت المسرحية العربية في هذه المرحلة باقتباس فكرتها من الأدب الأوربي ومحاولة صبغها بصبغة محلية ، وغلبت على لغتها اللهجة العامية .

(*) توفي عام 1855 .

(*) انظر نموذج للمسرحية ، ص 101 من هذا الكتاب .

2 ـ **المسرحية الاجتماعية :** اخذت المسرحية العربية تقترب من الاصالة والنضج على ايدي بعض المؤلفين الذين درسوا هذا الفن في اوربا ، فقد انشأ «جورج أبيض» مسرحا عربيا في مصر اثر عودته من فرنسا عام 1910 م ، وقدم لأول مرة مسرحية اجتماعية وليدة البيئة المصرية وهي مسرحية : « **مصر الجديدة** » التي كتبها « فرح أنطون » ، وبدات اصالة الفكر العربي تظهر في الفن المسرحي ، وغلبت على لغتها الفصحى بعد ان كانت الغلبة للهجة العامية في مرحلة الترجمة أو الاقتباس .

3 ـ **المسرحية الواقعية :** اتجهت المسرحية العربية الى التعبير عن واقع المجتمع العربي عندما توفر لها جيل من المثقفين استفادوا من التطور المسرحي فى مختلف الآداب العالمية ، وتعمقوا في فهم واقعهم الاجتماعي والنفسي ، فقدموا للمسرح مجموعة من المسرحيات التي تعالج الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي وتستوحي خصائص البيئة المحلية والشخصية الاقليمية في ادق خصائصها وأوضح معالمها .

وتعتبر مسرحيات « توفيق الحكيم » مثالا واضحا لهذا الطور من اطوار المسرحية العربية وفيها عالج مشكلات اجتماعية كما فعل فى مسرحية « **ايزيس وبراسكا** » وتناول قضايا فلسفية ومشكلات نفسية عميقة ، استوحى فيها بيئته المصرية وروحه الشرقية العامرة بالقيم الانسانية واضفى على ابطال مسرحياته فكرا فلسفيا تجريديا ، وتتجلى **نزعته الفلسفية** بوضوح فى مسرحيتي « **شهرزاد ، وسليمان الحكيم** » وفيهما يبدو ايمان الكاتب بقصور العقل الانساني كما يبدو فيها **اهتمامه بالجانب الروحي في الانسان** .

المسرحية الجزائرية :

تظهر في المسرحية الجزائرية نفس الظاهرة التي مرت بك في القصة الجزائرية فهناك لغتان كتبت بهما المسرحية الجزائرية هما اللغة العربية واللغة الفرنسية . وان كانت المسرحية الجزائرية قد عبرت عن شيء واحد هو طبيعة المجتمع الجزائري والشخصية الجزائرية المسلمة العربية .

ويعد «أحمد رضا حوحو» من رواد المسرحية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية وقد اشرف على فرق تمثيلية وقدم لها مسرحيته « **عنبسة** » وهي مسرحية تاريخية كتبها باللغة العربية الفصحى فى اربعة فصول ، كما كتب « **بائعة الورد** » ، « **والعقاب** » باللغة الفصحى ايضا ، ثم كتب « رضا حوحو » باللغة الدارجة مجموعة من المسرحيات مثل « **النائب المحترم** » و « **سي عاشور** » ، وكان اهتمامه بالحركة المسرحية العالمية واضحا في كتاباته التي ضمنها كتابه « **في الأدب والاجتماع** » (1) .

---

(1) لم ينشر حتى الآن

وقد واصل كتاب المسرح الجزائري باللغة العربية مسيرتهم ، لقدم « احمد توفيق المدني » و « محمد الطاهر فضلاء » و « الدكتور الركيبي » و « عبد الرحمن ماضوى » مجموعة من المسرحيات .

اما المسرحية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية فمن أبرز كتابها « كاتب ياسين » الذي قدم للمسرح مجموعة من اعماله ترجم بعضها الى اللغة العربية مثل « **الجثة المطوقة – الرجل ذو النعل المطاط** » ، ويمتاز كاتب ياسين بنزعته الوطنية الحرة وفكره الانساني العالمي .

الخصائص الفنية للمسرحية :

المقومات الفنية للمسرحية قريبة الشبه بالمقومات الفنية للقصة ، فكلاهما حكاية ولكن القصة تعتمد على **السرد** ، والمسرحية تعتمد على **الحوار** .

والحبكة فى المسرحية ضرورية بحيث تفقد المسرحية قيمتها اذا خلت من الحبكة وتتكون المسرحية من العناصر الآتية :

1 – **الموضوع** : وهو المشكلة الأساسية التي يقصد الكاتب الى اثارتها ومعالجتها فى مسرحيته ، وله حرية اختيار موضوعه بشرط أن يراعي القيم الأخلاقية والاجتماعية .

2 – **القالب** : وهو الاطار الذي يتشكل به نوع المسرحية من مأساة الى ملهاة أو « الدراما الحديثة » :

(أ) **المأساة** : وتتميز بطابعها الجاد الذي يثير في النفس الرحمة والخوف والغضب وتصطبغ بجو من الحزن وتغلب عليها العواطف .

(ب) **الملهاة** : وتتميز بطابعها الساخر الذي يثير في النفس الضحك والمرح .

(حـ) **الدراما الحديثة** : وفيها تختلط المأساة بالملهاة لأنها تمثل لحظة من لحظات الحياة بما فيها من حزن وفرح وبكاء وضحك ، وقد لقي هذا اللون اعجابا لما فيه من صدق التعبير عن واقع الحياة .

3 – **اجزاء المسرحية** : للمسرحية ثلاثة أجزاء رئيسة هي : التمهيد ، العقدة ، الحل

(أ) **التمهيد** : وهو الجزء الأول من المسرحية وفيه يمهد الكاتب للموضوع الأصلي ويعرف بشخصياته وأعمالهم ويصور البيئة المسرحية عن طريق الحوار .

(ب) **العقدة** : هي العنصر الأساسي في بناء الحبكة الفنية وتتألف العقدة في ابسط صورها من وجود معوقات تمنع البطل من الوصول الى غايته ، أو من حدة الصراع الذي ينشأ بين قوتين متعارضتين واذا أردنا أن نضرب مثلا لتوضيح العقدة في مسرحية عاطفية ، فاننا نجدها في اللحظة التي تقف فيها الأسرة أو التقاليد مانعا من لقاء الحبيبين والحيلولة بينهما بصورة نهائية ، والعقدة في المسرحية تثير في نفوس الجماهير الرغبة في انتظار الحل .

(ح) **الحـل** : وهو النتيجة التي تصل اليها أحداث المسرحية ويضع بها الكاتب نهاية الأحداث . وينصح نقاد المسرحية بأن يكون الحل متفقا مع مشاعر الجمهور مرضيا لنزعاتهم ، ويتحقق ذلك متى كان حلا واضحا ومشوقا ومعقولا .

وبعض كتاب المسرحية لا يلتزم بذلك النصح وقد يأتي بالحل مخالفا لكل توقعات النفس البشرية بحجة أن الحياة ليست دائما كما نتوقع .

4 ـ **الزمـان والمـكان** : وهما البيئة التي تدور فيها أحداث المسرحية وتصور عادات شخصياتها وتقاليدهم ، وزمان المسرحية قصير بالنسبة لزمان القصة ، ومكانها محدود ، وقديما اشترط نقاد المسرح اليوناني الا يستغرق العمل اكثر من أربع وعشرين ســاعة .

5 ـ **الشخصيات** : وهم الممثلون الذين يقومون بالحركة المسرحية ويفصحون عن موضوعها بالكلام والحركة والتمثيل ، وهم يختلفون باختلاف أعمالهم الرئيسية أو الثانوية ، واهم ما يجب ان تتصف به الشخصية هو ثباتها وعدم تناقضها مع نفسها أو مع الواقع .

6 ـ **اللغـة** : وسائل التعبير المسرحي متعددة يشترك فيها **الحوار والملابس والاضواء والاثاث والحركة** ، ولكل فرد من أفراد المسرحية لغته الخاصة به ، وهذا ما اطلق عليه النقاد **الواقعية في المسرح** ، وليست الواقعية فى اللغة ان الكاتب المسرحي ينطق شخصية انجليزية تتحاور مع شخصية فرنسية وثالثة عربية بثلاث لغات في مسرحية واحدة ، وانما يراعي منطق وتفكير كل شخصية وما ينبغي أن يصدر منها من كلمات وعبارات .

وبعض كتاب المسرح يستخدمون اللغة الفصحى في الحوار وبعضهم يستخدم العامية ، واتجه فريق ثالث الى لغة جديدة مزجوا فيها بين الفصحى والعامية ، واطلقوا عليها اسم اللغة الثالثة ، وهدفهم من ذلك توصيل فكرتهم الى كل فرد من أفراد المجتمع مهما كانت ثقافته العلمية وقدراته اللغوية .

المنــاقشــــــة :

1 ـ لماذا سبقت نهضة النثر نهضة الشعر في العصر الحديث ؟
2 ـ قارن بين أسلوب مدرستي المحافظين والمجددين في النثر .
3 ـ وضح خصائص الأسلوب العلمي .
4 ـ بين مظاهر تطور الخطابة في العصر الحديث .
5 ـ لماذا ضعف الاهتمام بشأن الرسالة في الأدب العربي الحديث ؟
6 ـ كيف ظهرت المقالة السياسية وما أبرز سماتها ؟
7 ـ ما معنى « واقعية اللغة » في المسرحية ؟
8 ـ اذكر اهم المراحل التي مر بها تطور القصة العربية .

البــاب الــرابــع

الادب المهجـــــري

- الهجرة واسبابهـا .
- نزعتهم الجديدة فى الادب .
- نشــاط المهجريين الادبي .
- خصــائص ادبــهم .

الهجـــرة وأسبـــابهـا :

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي شهـد **« لبنان »** موجة كبيرة من هجرة ابنائه إلى البلاد الخارجية ، وكان بعضهم يتجه إلى البلاد العربية المجاورة مثل **« سوريا »** أو **« مصر »** ، ولـكن السـواد الأعظم كان يتجه الى **الأمريكتين** الشمالية والجنوبية .

وترجع هـذه الهجرة إلى عـدة أسباب ، من اهمها :

1 ـ فساد الاحوال السياسية فى لبنان ، واثارة الفتن الطائفية بين المسلمين والمسحيين.

2 ـ سوء الحالة الاقتصادية بسبب انتشار نظام الاقطاع الذي أفسـد الحالـة الاقتصادية ، واصبح كثير من ابناء الشعب يعاني الضنك والحرمان .

3 ـ ساعد وجود الارساليات التبشيرية الأمريكية فى لبنان ، على توجيه أبنائه الى الهجرة نحو أمريكا ، ومن هذه الارساليات التبشيرية : « جامعة القديس يوسف اليسوعية » في بيروت .

نشـــاطهم الأدبى :

خرج **المهاجرون** جماعات وافرادا ، واتجه بعضهم إلى **«الولايات المتحدة الامريكية»** في الشمال ، وذهب الآخرون الى **« البرازيل »** في الجنوب ، واشتغلوا بالتجـارة والصحافة ، وكوّنوا لهم حياة جديدة في المهجر .

وكان من بين المهاجرين جماعة من الأدباء مارسوا الأدب شعرا ونثرا قبل رحيلهم ، ثم تفتحت مواهبهم على **الهزات الجـديدة** التي تغذوا منها في مجتمعهم الجـديد ، واصبحت الصحافة العربية فى المهجر ميْدانا فسيحا لنشر تجاربهم الفنية ، وتركز نشاطهم في جمعيتين ، هما :

1 ـ **الرّابطـة القلمـية** : التي تأسست عام 1920 مـ في مدينة « نيويورك » برئاسة **« جبران خليل جبران »** ، وكان من ابرز اعضائها : **« ميخائيل نعيمة ، ونسيب عريضة ، وايليا ابو ماضي ، وعبد المسيح حداد ، ورشيد ايوب »** .

2 ـ **العُصْبَة الأندلسـية** : وتكونت في المهجر الجنوبي عـام 1933 مـ ، وضمت **« الشاعر القروي »** و **« الياس فرحات ، ورياض معلوف »** . وكانت لها نزعـة محافظة ، وعرفت بغَيْرتها على التراث العربي .

نزعتـــهم الجـــديدة فى الادب :

ظهرت في **الأدب المهجري** نزعات جديدة تميّز ادبهم وتعبر عن واقعهم ، فقد حمل الأدباء المهاجرون من بلادهم تراثا عريقا من حضارتهم العـربية القـديمة ، واحتكوا بحضارة الغرب الحديثة ، وتنازعتهم عوامل متعددة من حب لأوطانهم وأمل في تقدمها وصلاح امرها ، وسخط عليها لانهم ما تركوها إلا بعد أن ضاقوا بها وضاقت بهم ، ويئسوا من صلاح امرها ، لِمّا كان فيها من نظم فاسدة واوضاع سـيئة .

وبين الأمل واليأس والحب والبغض صراع عنيف قد اعتمل فى نفوس المهجريين وانعكس على ادبهم ، كما قراوا آراء الفلاسفة وتأثروا بها فرددوا بعض أفكارها فى شعرهم ونثرهم ، واطلعوا على شعر **الملاحم** في الأدب الأوربي فحاولوا **محاكاته** ونقـله الى الأدب العربي .

ويمكن ان نميز في نزعتهم الأدبية المظـاهر الآتية :

اولا : الثَّـوْرة على القـديم ومحاولة التجديد في الفنون الأدبية . ويعـبر عن هـذه النزعة **« ابو ماضي »** في قـوله :

لَسْـــتَ مِنـِّـي إنْ حَسِبْـــتَ الشِّعْـرَ أُلْفَـاظًا وَوَزْنَا
خَـالَفَـتْ دَرْبُـكَ دَرْبِي   وانْقَضَى ما كَانَ مِنـَّـــا
فَانْطَــلِقْ عَنـِّي لِئَــــلَّا   تَقْتَــني هَمـَّـا وَحُـــزْنَا
واتَّخِـــذْ غَــيْرِي رَفِيقـًـا   وَسِــوَى دُنْيَــايَ مَغْنَى

ولم يقف ادباء المهجر عند اظهار الشعارات الأدبية يكتبونها في صحفهـم ويسجلونها في قصائدهم ، وإنما مارسوا التجديد حقيقة وعملا .

ثانيا : الحنين الى الوطن : مُفارقَة الأوطان مثيرة للمشاعر ، فاذا ما اصطلت بنارها نفسٌ شاعرة احترقَتْ شوقًا وولوعا ، واظهرت عواطف صادقة فيما تسجله من احاسيس نحو بلادها ، وقد سرت هذه النغمة بين شعراء المهجر الشمالي والجنوبي على الســواء .

يقــول « **إلياس فـرحات** » :

نَازِحٌ أَقْعَدَهُ وَجْــدٌ سَقِيمْ   فِي الحَشَا بَيْنَ خُمُودٍ واتِّقَادِ
كُلَّمَا افْتَرَّ لَهُ البَدْرُ الوَسِيمْ   عَضَّهُ الحُزْنُ بأَنْيَابِ حِدَادِ
يَـتَـذَكَّـرُ العَهْــدَ القَـــــدِيـمْ . . فَيُـــنَادِي
أَيْــنَ جَنَّـــــاتُ النَّعِـــــيمْ . . مِـنْ بِــلَادِي

ويقــول « **أبو ماضي** » :

رَبِّ هَبْــنِي لِبِــــلَادِي عَــوْدَةً وَلْيَكُنْ لِلْغَــيْرِ فِي الأُخْرَى ثَوَابِي
أَيُّهَــا السَّــائِلُ عَــنِّي مَنْ أَنَــا أَنَا كَالشَّمْسِ إِلَى الشَّرْقِ انْتِسَــابِي
لَسْتُ أَشْكُو إِنْ شَكَا غَيْرِي النَّوَى غُــرْبَةُ الأَجْسَامِ لَيْسَتْ بِاغْــتِرَابِ
أَنَــا فِي نُيُــويُورْكَ بِالجِسْمِ ، وَبِالرُّ وحِ فِي الشَّرْقِ عَلَى تِلْكَ الهِضَــابِ
أَنَــا فِي الغُــوطَةِ زَهْــرٌ وَنَــدَى أَنَا فِي لُبْــنَانَ نَجْــوَى وَتَصَــابِي

ثالثا : الايمان بالقومية العربية والدعوة اليها : وقــد تجلت هــذه النزعة في الادب المهجري بصور متعــددة ، فمنهم من كان يهتم بأحداث البلاد العربية المختلفة فيصور أحوالها او يحن إليها او يمجد شعبها .

يقــول « **ابو ماضي** » في مصر والمصريين :

الــشَّرْقُ تَاجٌ وَمِصْرُ مِنْــهُ دُرَّتُــهُ وَالشَّرْقُ جَيْشٌ وَمِصْرُ حَامِلُ العَــلَمِ
أَحْنَى عَلَى الحُــرِّ مِنْ أُمٍّ عَلَى وَلَــدٍ فَالحُرُّ فِي مِصْرَ كَالْوَرْقَاءِ فِي الحَرَمِ

ويُعْــلِنُ « **الياس فرحات** » عن نزعته العربية صراحة فيقــول :

إِنَّــا وإِنْ تَكُــنِ الشَّــآمُ دِيَــارَنَا فَقُــلُوبُنَا لِلْعُــرْبِ بِالاجْمَــــالِ

رابعا : الايمان بالحرية على اختلاف وجوهها : يعبر « **اليــاس فرحات** » عن هــذه الــنزعة في قــوله :

وَطَنِي العَــزِيزَ مَتَى تَسِــيرُ إِلَى العُــلا حُــرًّا بِظِــلِّ خَــوَافِــقِ الأَعْــلَامِ
فَلِــكُلِّ شَعْــبٍ عَــاثِرٍ أُمْنِــيَّةٌ تَحْقِيقُهَــــا دَيْــنٌ عَــلَى الأَيَّــامِ

والحرية التي يؤمن بها المهجريون مختلفة الوجوه متعددة الالوان ، يشرحها « **الريحاني** » في قوله :

« وأوّلُ حُقوقِ الإنْسَانِ الحُريةُ ، حريةُ الفكْرِ وحريةُ القوْلِ وحرّيةُ العَمَلِ ، وأولُ أسْبابِ الرُّقيِّ في الأمم الحريةِ الاجتماعيةُ والحريةُ السياسيةُ ، وأولُ دلائِلِ الحياةِ الرّاقيةِ ، أن يتمتعَ أفرادُ الأُمَّةِ على السَّوَاءِ بهذه الحقوقِ الطَّبيعيَّةِ »

خامسا : النزعة الانسانية السامية وعدم الوقوف عند النظرة الطائفية او التعصبية البغيضة .

يقول **« جبران خليل جبران »** معبرا عن هذه النزعة :

« أُحبُّكَ ياأخي سَاجِدًا في جَامِعِكَ ورَاكِعًا في هَيْكَلِكَ ومُصَلِيًّا فِي كَنِيستِكَ ، فَأنْتَ وأَنَا أبْنَاءُ دِينٍ وَاحِدٍ هُوَ الرُّوحُ » .

سادسا : النزعة الفلسفية ومحاولة الكشف عن اسرار الكون والحياة . كما رايت ذلك في قصيدة « **الطلاسم** » لأبى ماضي ، وقد حاول كثير من شعراء المهجر ان يخترق حجب هذا الوجود الصغير ، ليلحق فى عالم ارحب ، من عالم الواقع ويرتفع الى العالم الأعلى ... العالم المثالي الذي تخيله الفلاسفة والشعراء ، عالم الحب والخير والعدل والسلام والجمال . يقول جبران خليل جبران فى قصيدته **« البلاد المحجوبة »** :

يَا بِلادًا حُجبَتْ مُنْذُ الأَزَلْ ... كَيْفَ نَرْجُوكِ وَمِنْ أَيْنَ السَّبِيلْ
أَيُّ قَفْرٍ دُونَهَا أَيُّ جَبَلْ ... سُورُهَا العَالِي وَمَنْ مِنّا الدَّلِيلْ
أَسَرَابٌ أنْتِ أَمْ أَنْتِ الأَمَلْ ... فِي نُفُوسٍ تَتَمَنَّى المُسْتَحِيلْ
أَمَنَامٌ يَتَهَادَى فِي القُلُوب ... فَإِذَا مَا اسْتَيْقَظَتْ وَلَّى المَنَامْ
أَمْ عُيُونٌ طَفْنَ فِي شَمْسِ الغُرُوب ... قَبْلَ أَنْ يَغْرَقْنَ فِي بَحْرِ الظَّلَامْ

ومن **النزعة التاملية** فى الكون ان يقف الشاعر أمام الطبيعة فيحاكيها ويمتزج معها ويستوحي منها عوالم متحركة تحس وتتكلم . ونجد نموذجا لذلك فى مخاطبة « **ميخائيل نعيمة** » **للنهر** ، إذ يقول :

يا نَهْرُ هَلْ نَضَبَتْ مِيَاهُكَ فَانْقَطَعْتَ عَنِ الخَرِيرْ
أَمْ قَدْ هَرِمْتَ وَخَارَ عَزْ ... مُكَ فَانْثَنَيْتَ عَنِ المَسِيرْ
بِالأَمْسِ كُنْتَ إذَا سَمِعْتَ تَنَهُّدِي وَتَوَجُّعِي
تَبْكِي ، وَهَا أَبْكِي أَنَا ... وَحْدِي ، وَلَا تَبْكِي مَعِي

خصـــــائص أدبـــهم :

يتميزأدبهم بعـدّة خصائص ، اهمهـا :

1 ـ **التجـديد في المـوضـوعات ،**

2 ـ **الصـدق في التعبيـر ،**

3 ـ **الميـل الى الـرمز احيـانا ،**

4 ـ **الاهتمـام بالمعنى ،**

5 ـ **التنـويع فى الأوزان والقـوافي ،**

6 ـ **التساهل في اللغـة والتصرف في قـواعدها .**

ولعلك لاحظت هذه الخصائص من خلال ما قدمناه لك هنا من نماذج ونصوص ادبية .. ويمكنك المزيد منها من خلال النماذج التي سنقدمها لك فى ترجمة الشاعر « **ايليـا أبو ماضي** » .

تأثـيرهم فى الأدب العـــربى :

ظهر تأثير المهجريين في الأدب العربي في قوالبه واغراضه واشكاله . ففي مجال **الشعر** ، لم يقتصروا عند حد الشعر الغنائي ، بل حاول بعضهم أن يكتب شعرا **ملحميا** كما فعل « **فوزي المعـلوف** » فى ملحمته « **بساط الريح** » ، الى جانب الموضوعـات الجديدة التي اضافوها الى الشعر الغنائي ، كما مر بك . ومن حيث الشكل : فقـد جددوا في الأوزان والقوافي وتحرروا من قيودها ، وبدا تحررهم في صور مختلفة . وكان هذا التجديد فتحا للمجددين من الأدباء العرب وتشجيعا لهم .

وفي **النثر** ، سبقوا غيرهم الى كتابة الأشكال الفنية الحديثة كالمقال ، والقصة ، والمسرحية . واهتموا بالمعـاني . وبحكم اتصالهم بالأدب الغربي أدخـلوا الى الأدب العربي المذاهب الأدبية الحديثة من رومانسية ، ورمزية ، وغيرهما .

المنـــاقشـة :

1 ـ تحـدث عن نشاط أدباء المهجر في البرازيل والولايات المتحدة الأمريكية .

2 ـ ما أهم خصـائص الأدب المهجـري : مع التمثـيل ؟

3 ـ ما العـوامل التي أثرت في الأدباء المهجريين وظهرت في انتاجهم الأدبي .

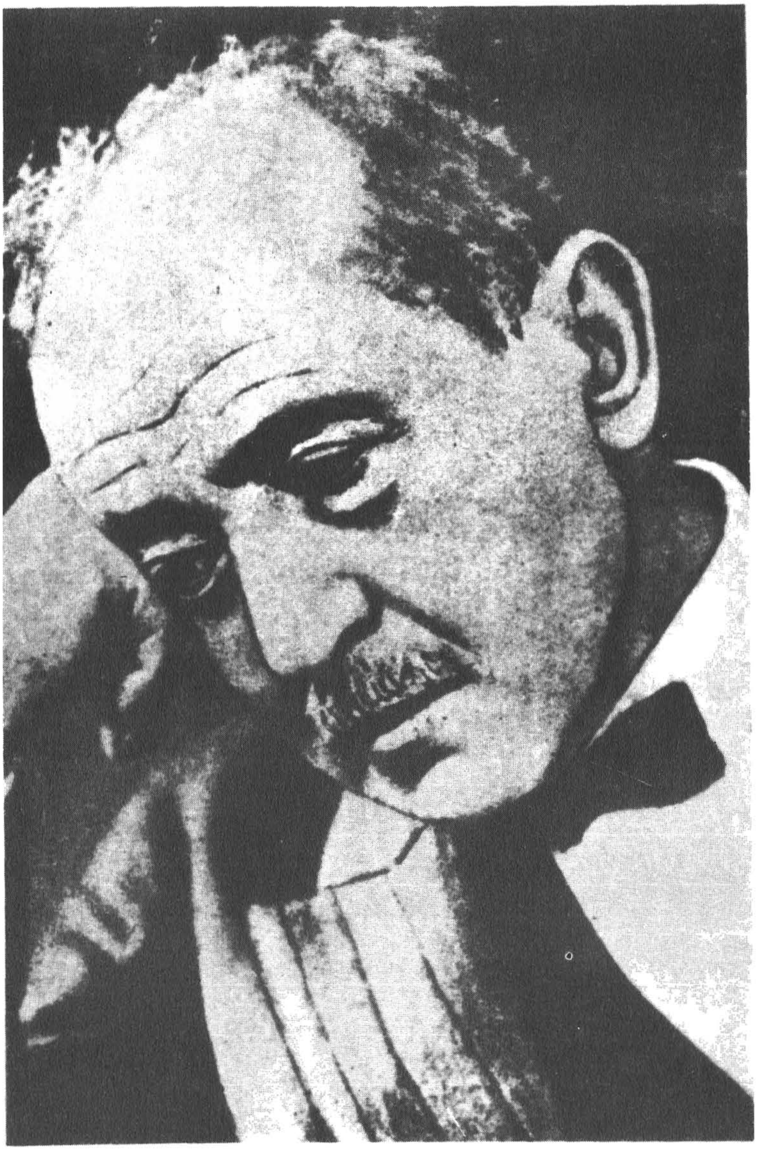
4 ـ ما مظـاهر تأثير الأدب المهجري في الأدب العـربي ؟

الباب الخامس

التراجم الأدبية

- أحمد شوقي .
- عبد الحميد بن باديس .
- إيليا ابو ماضي .
- البشير الابراهيمي .

احمـد شـوقي



(1868 ـ 1932 م)

مــــولده ونشـــــأته :

ولد « **احمد شوقي** » في مدينة القاهرة عام 1868 م من اب كُرْدِيٍّ وام تركية ، وقد امتزجت في أسرته عنــاصرُ متعددةٌ ، فكانت جَدتُهُ لأبيه شركسية ، وجدتُهُ لأمه يونانية .ونشأ الشاعر فى بيت والده ثم تعهدته جدته لأمه بالتربية ، وكانت تعمل وصيفة في قصر « **الخديوي اسماعيل** » حاكم مصر في ذلك الوقت حيث تربَّى شوقي في احضان ذلك القصرِ .

يقول شوقي عن جدته تلك :

« حَدَّثَتْنِي انَّها دخلتْ بي على الخديوي اسماعيل وانا في الثالثة من عمري وكان بَصَرِي لا ينزِلُ عن السماء من اختلالٍ في أعصابي ، فطلب الخديوي بدرة من الذهب ، ثم نثرها على البساط عند قدميه ، فوقفت على الذهب اشتغل بجمعه والعب به ، فقال لجدتي : (اصنعي معه مثل هذا فإنّه لا يلبث ان يعتاد النظر الى الارض) . قالت : هذا الدواء لا يخــرج الا من صيدليتك يا مولاي . قال : (جيئي به إليّ متى شئتِ)) .

بدأ «**شوقي**» حياتَهُ التعليميةَ فى سنٍّ مبكرةٍ ، إذْ دخل المدرسة الابتدائية وعمره اربع سنوات ، ثم انتقل الى التعليم الثانوي فأتمَّهُ وعمره خمسة عشر عاما ، وبعد ذلك التحق بكلية الحقوق ودرس بها عامين ، ولمــا انشىء في هذه الــكلية قسم للترجمة التحق به « شوقي » وقضى فيه عامين آخرين .

وبعد تخرجه عمل موظفا في القصر الملكي لمــدة عــام ثم أرســله **الخديوي توفيق** في بعثة علمية إلى فرنسا ليتابعَ دراستَهُ القانونيةَ ويَطّلعَ على الوانِ الثقافةِ الأوربيةِ .

وقضي شوقي اربع سنوات يتعرَّفُ فيها على حضارة أوربا ، ثم رجع إلى مصر ليلتحق بخدمة القصر من جديد ، وظلَّ في عمــله حتى قيام الحرب العالمية الأولى . وكان يحكم مصر في ذلك الوقت « **الخديوي عباس** » الذي عُرِفَ بعدائه للانجليز وميله الى تركيا ، فخلعته انجلترا من الحكم ، وأمرت « شوقي » بمغادرة مصر ، فاختار « **الاندلس** » منفًى له ولأسرتِهِ .

اقام « شوقي » في منفاه حتى انتهت الحرب العالمية الأولى ، ورجع الى مصر لا ليلتحقَ بخدمة القصر ، وإنّما **ليقفَ الى جوار قضايا الشعب المصري والعربي مناضلا بقلمه في سبيل حريتها** ، حتى ذاع صيتُهُ واشتهر اسمُهُ ، وجاءته وفودٌ من البلاد العربية تبايعه بإمارةِ الشعرِ في مهرجان عربي اقيم لهذا الغرض عام 1927 م(*) .

واستمرَّ شوقي في نظم اشعــارهِ وكتابة مسرحياتِه الشعريةِ ، وكلما تقدَّم به السنُّ غــزر انتاجه ونضج فكــره حتى خــلد اسمه في سجل الشعراء الخالدين ، وتوفى عــام 1932 م .

(*) سجل حافظ ابراهيم هذه المناسبة فى احدى قصائده كما مر بك

عـــــوامل نبـــــوعه :

تعاونت عوامل عديدة على تكـوين شـخصيته الشـعرية وأثرت في انتاجه الادبي ، ومن اهم هذه العوامل ما يأتي :

اولا : موهبته الفطـرية : وهب شــوقي ملـكة شــاعرية تفيض رقة واحساسا لنشأ ميّالا إلى العزلة قليل الـكلام في المجالس العامة ، لا يطيق رؤية الآلام او الحديث عنها ، وكان لشدة حيائه لا يقدر على القاء قصائده في مواجهة الجمهور ، وانما يوكّل غيرّه في ذلك العمل ، وكانت ملكةُ القريض تزورُه على غير موعد ، فيكتب الشعر في اي مكان وفي اي زمان . ولا شك أن تعدد العناصر الوراثية في أسرته كان له سبب في ذكائه وتفوقه .

ثانيا : ثقـافته : تعلم « شوقي » في مدارس مختلفة ، واجاد ــ إلى جانب اللغة العربية التي تملك ناصيتها ــ عـدةً لغات ، منها : اللغة التركية ، والفرنـسـية . وعاش في بيئات مختلفة ومجتمعات متباينة ، وقام برحلات زار خـلالها انجلـترا ، والجزائر ، وتركيا ، واليونان ، ولبنان ، وسويسرا . وقرأ الشعر العربي القديم على يد « الشيخ حسن المرْصَفي » ، واستفاد من صديقه الشاعر « اسماعيل صَبْري » وتأثر بكل من « لافونتين ، وراسين ، وكورني » من اعلام المدرسة الأوربية الادبية الحديثة ، وقد كان لهذه الثقافات أثر كبير في شعره .

ثالثا : ظـروفه الخاصة : تربى « شوقي » بين احضان النعيم في القصر الملكي ، وتزوج من امراة حملت إليه زينة الحياة الدنيا من مال وبنين ، فعاش حياة مترفة منعمة منحتْه فرصة عظيمة من الوقت للاطلاع والتزود من الثقافات الـكثيرة وممارسة الشعر قراءة وكتابة . كما مكنته صلته بالقصر من أن ينشر اشعاره في الصحف فاشتهر بين الناس ، وشجعه ذلك على التَّجوِيد والتَّحْسِين .

وكان يتلقى الهبات والمكافآت من أفراد الاسرة المـالكة كلما قال فيهم شعرا جيّدا ، فساعد ذلك على الاتقان والابداع . وانعكست حياة الترف على كثير من اشعـاره ، فخصب خياله وراقت صوره وتناسقت الفاظه وعباراته .

رابعا : أحداث عصره : عاصر « شوقي » أحداثا عظيمة اهتزت لها مصر ، والبلاد العربية والعالم بأسره ، فقد واكب نبوغه الشعري **ظهور الوعي القومي والثورات التحررية** في مختلف البلاد العربية ، كثورة **عرابي** ، و**سعد زغلول** في **مصر** ، وثورة **الـدروز** في **الشـــام** ، وثـورة **عمر المختـــار** في **ليـبيا** ، واشتعال نيران الحرب العالمية الأولى وكان شوقي على مقربة من السلطة الحاكمة في مصر فكان لأجل ذلك يعرف الـكثير من الأخبار السياسـية والأحداث العـالمية التي تهز المشــاعر وتفجر ينابيع القول فتنساب شعرا يسجّل ما دار من الأحداث .

آثــــاره الآدبيـــــة :

- يعد « **شوقي** » من اكثر شعـراء العرب انتاجا في الشعـر ، فقد بدا يقـرضه في سن مبكـرة ، وظل يمارســه أكثر من أربعين عاما .
- ولشوقي ديوان شعـر ، يعرف « **بالشوقيات** » ، يتألف من اربعة اجزاء طبع عدة مرات ، وظهرت بعض اجزائه في حياته والأخرى بعد وفاته .
- كما ظهر بعد وفاته كتاب : « **دول العرب وعظماء الاسلام** » الذي تناول فيه تاريخ الاســلام وعظمــاء رجاله .
- واعظم ميزة لشوقي في الشعر العربي هي **المسرحيات الشعرية** التي كتبها ما بين عـام 1929 وعام 1932 م ، وهي :

« مصرع كليوباترة ، مجنون ليلى ، قمبيز ، على بك الكبير ، عنتره ، الست هدى » .

- ولشوقي أعمال نثرية لكنها لا ترقى الى مستوى شعره ، منها مجموعة مقـالات جمعها تحت عنوان « **أسواق الذهب** »(*) ، ومسرحية « **اميرة الأندلس** » ، وروايات : « **حديث نبتاؤر ، عذراء الهند ، لا دياس وورقة الآس** » .

تطـــور شعـــورة :

جاء شوقي بعد نهضة الشعر العربي على يد « **البارودي** » فوجد الطريق شبه ممهد امامه فخطا بالشعر خطوات عظيمة وجدد في فنونه واغـراضه .

ويمكن أن نميز بين مراحـل ثلاث مر بهـا انتاج شوقي :

- **المرحـلة الأولى** : قبل منفاه ، وفى هذه المرحلة غلب على شعره طابع التقليد وكان الشاعر أسير القصر الملكي فاكثر من المدائح والتهاني وتناول فن الرثاء والغزل ,
- **المرحلة الثانية** : وهي تبدأ برجوعه من منفاه ، وفيها تخلص من قيود القصر ، والتفت الى الشعب يعبر عن قضاياه السياسية والاجتماعية ، ويعبر بصدق عن آلامه وآماله وظهر التجديد في شعره ، كما ستعـرف ذلك .
- **المرحـلة الثالثة** : وهي تبدأ من عام 1927 م ، وهو العـام الذي تربع فيه على امارة الشعـر ، وتستمر حتى وفاته عـام 1932 م . وفي هذه المرجـلة اتجه الى كتابة مسرحياته الشعرية .

(*) حاكى بها أطبـاق الذهب « للزمخشري » .

أغـــراض شعـــره :

تناول شوقي كثيرا من الأغـراض الشعرية التقليدية منها :

1 ـ **المـــدح** : لم يكن شوقي من عشاق المديح ، بل كان يأسف لموقف الشعراء من اتخاذهم المدح وسيلة للتكسب ، ومع ذلك وجد نفسه في أول عهده مضطرا إلى مدح الأسرة الحاكمة في مصر .

المُـلْكُ فِيــكُمْ آلَ اسْمــاعِيلا ما زالَ بَيْتُــكُمُ يُظِـلُّ النِّيــلا

وَمَدَحَ الخلافةَ التركيَّةَ وخلفاءَها ، يقولُ في مدحِ « السلطان عبد الحميد » :

رَضِـيَ المُسْلِمُـونَ والاسْـلَامُ فَـرْعَ عُثمانَ دُمْ فِـدَاكَ الدَّوامُ
هَلْ كلامُ العِبـادِ في الشَّمْسِ إلَّا أنَّهـا الشَّمْسُ ليسَ فيها كَلامُ ؟
رايهِ « عبدَ الحميـدِ » جَلَّ زَمانٌ انْـتَ فِيـهِ خَليفَـةٌ وإمـامُ

وعندما حَقَّقَتْ تركيا بعض انتصاراتٍ على يد «مصطفى كمال» هَلَّلَ شوقي بقولِهِ :

اللهُ أكْبَرُ كَمْ في الفَتْحِ مِنْ عَجَبِ يا خَالِدَ التُّرْكِ جَدِّدْ خَالِدَ العَرَبِ(*)
خُطاكَ فِي الحقِّ كانَتْ كُلُّهَا كَرَمَا وأنْتَ أكْرَمُ فيحَقْنِ الدَّمِ السَّرِبِ(**)

وبعد عوْدَةِ شوقي من منفاه تغيرتْ نغمةُ المدح في شعره فَخَلَتْ من المبالغة واتَّجهَتْ الى النصح والارشاد كما ترى في قوله مخاطبا « الملك فؤاد » :

فَعَجِّـلْ يا ابْنَ اسماعِيلَ عَجِّـلْ وهَـاتِ النُّورَ واهْـدِ الحائِرِينَا
هو المِصْبـاحُ فَأْتِ بِهِ واخْرِجْ من الـكَهْفِ السوادَ الغَـافِلينا
مـلايِينٌ تَجُـرُّ الجَهْـلَ قَيْـدًا وَتَسْحَـبُ بالقليـلِ المُطْلَقِيـنَا

2 ـ **الرثــاء** : كَثُرَتْ المراثي في شعر «شوقي» ، وفيها تناول رثاء الأفراد والممالك . وهو في رثائه للأفراد لا يهتم بالعويل أو البكاء على الميِّت ، ولا يرسم صورة للفقيد بالقدر الذي يهتم فيه بالاطار الذي يحيط بالمرثي ، وقد يخرج من الحديث عن مَنْ يرثيه الى موضوعات اجتماعيةٍ أو سياسيةٍ .

(*) **خالد العرب** : هو خالد بن الوليد ، القائد الاسلامي المظفر في عصر الرسول ـ عليه السلام ـ والخلفاء الراشدين .

(**) **الدم السرب** : الدم المسفوح .

يقـول في رثاء الامام « محمد عبده » :

مُفَسِّرَ آيِ اللهِ بالأمْسِ بَيْنَنا ... قُمِ اليومَ فَسِّرْ للوَرَى آيَةَ الموتِ
رُحِمْتَ ، مَصِيرُ العالمِينَ كما تَرَى ... وَكُلُّ هَنَاءٍ أو عَزَاءٍ إلى فَوْتِ
هو الدَّهْرُ مِيلادٌ فَشُغْلٌ فمأتمٌ ... فذكرٌ كما أبقى الصَّدَى ذاهِبُ الصَّوْت

وتتجلَّى النزعةُ العربيةُ الإسلاميةُ فى مراثي « شوقي » ، من ذلك مرثيته للبطل الليبي « **عمـر المختار** » الذي أعدمه الايطاليون ظلما وعدوانا عام 1931 م .

رَكَزُوا رُفَاتَكَ فِي الرِّمالِ دَواءَ ... يَسْتَنْهِضُ الوَادِي صَباحَ مساءَ
يا وَيْحَهُمْ ، نَصَبُوا مَنَارًا من دَمٍ ... تُوحِي إلى جِيلِ الغَدِ البَغْضَاءَ
خُيِّرْتَ فاخْتَرْتَ المبيتَ على الطَّوَى ... لم تَبْنِ جاهًا أو تَلُمَّ ثراءَ
أفْريقْيا مَهْدُ الأسودِ وَلحْدُها ... ضَجَّتْ عليْك أراجِلًا ونِسَاءَ

ومع أن « شوقي » صادق في مراثيه الا انه لا يثير في النفس عاطفة الحزن او البكاء وخاصة فى رثاء الأشخاص ، فمراثيه الى الخواطر الفلسفية اقرب منها الى فن الرثاء المعروف . من ذلك قوله فى رثاء أبيه :

يا أَبِي ، ما أنْتَ في ذَا أوَّلٌ ... كُلُّ نَفْسٍ للمَنَايَا فَرْضُ عين
هلَكَتْ قَبْلَكَ ناسُ وَقُرَى ... وَنَعَى النّاعُونَ خَيْرَ الثَّقلَيْنِ

وعندما أعلن « **مصطفى كمال** » قيام الجمهورية التركية ، وتنكر للخلافة الاسلامية رثاها شوقي بقوله :

عَادَتْ أغانِي العُرْسِ رَجْعَ نُوَاحِ ... وَنُعِيتِ بينَ مَعَالِمِ الأفْرَاحِ
كُفِّنْتِ في لَيْلِ الزِّفافِ بثَوْبِهِ ... وَدُفِنْتِ عندَ تَبَلُّجِ الإصْباحِ(*)
شُيِّعْتِ من هَلَعٍ بِعَبْرَةِ ضاحكٍ ... في كُلِّ ناحيةٍ وَسَكْرَةِ صَاحِ(**)
ضَجَّتْ عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ ... وَبَكَتْ عليكِ ممالِكٌ وَنَوَاحِ

3 ــ **الغـزل** : يكاد ينعقد اجماع الدارسين لشعر شوقي على أن غزله تقليدي متكلف ، ولعل سبب ذلك يرجع الى عاملين : أحدهما أن شوقي لم يذق الحرمان

(*) **تبلج الاصباح** : اشراقه .

(**) **الهلع** : الفزع ، **والعبرة** : الدمعة .

العاطفي الذي يدفع الشعراء الى التوجع والأنين ، والثاني - وهو الأهم - ان علاقته بالقصر كانت تفرض عليه الظهور بشخصية رزينة . وحدث أنْ بعث شوقي قصيدة فى مدح الخديوي توفيق بدأها بهذا القول :

خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ حَسْنَاءُ والغَوانِي يَغُرُّهُنَّ الثَّنَاء
أَتُرَاهَا تناسَتِ اسْمِيَ لمَّا كَثُرَتْ في غرامِها الأَسْمَاءُ
نَظْرَةٌ فابْتِسَامَةٌ فسلامٌ فكَلامٌ فَمَوْعِدٌ فلِقَاءُ

فلم يَرُقْ هذا الاتجاه في نظر القصر ، فعدل عنه شوقي .

« وشوقي » في غزله يحاكي القدامى من الشعراء العرب ، فهو يعارض « أبا الحسن القيرواني » القائل « **ياليل الصب متى غده ...** » بقصيدة يقول فيها :

مُضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ وبَكاه ورَحَّمَ عُوَّدُهُ
حَيْرانُ القَلْبِ معذَّبُهُ مقروحُ الجَفْنِ مُسَهَّدُهُ

وكان شوقي ينظم غزله لا رغبة في التعبير عن عواطف مشبوبة ، ولكن ليتغنى به . ومن قصائده التي لحنها وغناها المطرب محمد عبد الوهاب ، الذي تربطه بالشاعر صلات قوية :

يا جَارَةَ الوَادِي طَرِبْتُ وعَادَنِي ما يُشْبِهُ الأَحْلامَ من ذِكْرَاكِ
مثّلتُ فى الذِّكْرَى هَواكِ وفى الكَرَى والذِّكْرَيَاتُ صَدَى السِّنِينَ الحاكِي
ولقد مَرَرْتُ على الرِّياضِ بِرَبْوَةٍ غَنَّاءَ كُنْتُ حِيالَهَا أَلقاكِ

4 - **الوصف** : يتميز الوصف فى شعر شوقي بانه يجمع بين التقليد والتجديد ، وقد وصف الطبيعة في قصائد كثيرة ، ووصف رحلاته الى البلاد التي زارها ، ووصف المدن التي حل بها .

يقول في وصف **قصر الحمراء** بغرناطة : من قصيدته السينية ، التي حاكى فيها سينية **البحتري** في وصف ديوان كسرى :

حِصْنُ غَرْناطةَ ودارُ بني الأحمرِ من غافلٍ ويقظانَ نَدْسِ (1)
وقِباب مِنْ لا زَوَرْد وتِبْرٍ كالرُّبى الشُّمِّ بين ظِلٍّ وشَمْسِ
مَرْمَرٌ قامتِ الأُسودُ عليه كَلَّةَ الظفر (2) لَيِّنَاتِ المجَسّ
تنثر الماءَ في الحياضِ جُماناً يتنَزَّى (3) على ترائبَ (4) مُلسِ

1 - **الندس** : الفهم . 2 - **كلة الظفر** : ضعيفة الحافر . 3 - **يتنزى** : يتوالب ويسيل . 4 - **الترائب** : اعلى الصدور مكان العقود .

كما وصف شوقي في شعره بعض النكبات التي حلت ببعض البلدان العربية وغيرها . ووصف مخترعات عصره من الآلات والمعدات ، كالغواصة ، والطائرة(*) ويتميز وصفه بتعبيره عن مظاهر الترف الذي عاش فيه ، ويتجلى ذلك في وصف مجالس الأنس والشراب والمراقص في القصر الملكي . ومما قاله في وصف ليلة راقصة بقصر عابدين :

حَفَّ كَأْسَهَا الحَبَبُ(1) ' فَهْيَ فِضَّةٌ ذَهَبُ
أَوْ دَوائِرٌ دُرَرٌ مائجٌ بها لَبَبُ(2)
اللّيُوثُ ماثلةٌ والظِّباءُ تَنْسَرِبُ
الحريرُ ملبسُها واللُّجَيْنُ(3) والذّهبُ
والقُصُورُ مَسْرَحُهَا لا الرِّمالُ والعُشُبُ
يَسْتَفِزُّهَا نَغَمٌ لا صدًى ولا لَجَبُ(4)
يُسْتَعادُ مُرقِصُهُ تارةً ويُقْتَضَبُ
فَالقُدودُبانُ رُبَى يَبْدَ أنّها تَثِبُ
يلْعَبُ العِناقُ بها وَهْوَ مُشْفِقٌ حَدِبُ(5)
فَهْيَ مَرَّةً صُعُدٌ وَهْيَ مَرَّةً صَبَبُ(6)
وهي هٰا هُنا وهُنا تلتقي وتَصْطحِبُ

5 ـ **التاريخ** : ارخ شوقي في شعره لأحداث عصره في مصر والعالم الاسلامي ، ورجع الى تاريخ مصر الفرعوني ، والتاريخ الاسلامي ، يستحضر صوره ويجعلها ماثلة في الأذهان ، ليستخلص منها دروسا وعبرا توقظ المسلمين . وفى هذا المعنى يقول شوقي :

وأنا المُحْتَفِي بتاريخِ مِصْرَ مَنْ يَصُنْ مَجْدَ قَوْمِهِ صَانَ عِرْضَا

واشهر قصائده في هذا الميدان « **كبريات الحوادث فى وادي النيل** » التي القاها في مؤتمر المستشرقين بجنيف عام 1896 م ، ومن أبياتها :

قُلْ لِبانٍ بَنَى فَشَادَ فَغَالَى لَمْ يَجُزْ مصْرَ في الزَّمانِ بِنَاءُ
ليْس في المُمْكِناتِ أن تُنْقَلَ الأجبا لُ شُمًّا وأنْ تُنَالَ السَّمَاءُ

(*) راجع ص 96 من هذا الكتاب (نماذج من شعر شوقي) .

1 ـ **الحبب** : الفقاقيع التي تعلو الخمر . 2 ـ **اللبب** : موضع القلادة من الصدر . 3 ـ **اللجين** : الفضة . 4 ـ **اللجب** : الضجيج . 5 ـ **الحدب** : المعطوف . 6 ـ **صبب** : المنحدر .

أجْفَلَ الجِنُّ مِنْ عَـزَائِمِ فِرْعَو   نَ وَدَانَـتْ لِبـأْسِهـا الآنَـاءُ
شَـادَ ما لم يَشِدْ زمـانٌ ، ولا أنْشَـأَ عـصرٌ ولا بَنَـى بَنَّـاءُ

وعاصر شوقي أحداثا أليمة مر بها المسلمون ، فتساقطت بلدانهم في أيدي الأعـداء ، ويقف شوقي ليسجل في مرارة وحزن أحداث عصره ويربط بين حاضر الاسلام وماضيه ، فيقول عن « **دمشق** » أثناء وجود الاستعمار الفرنسي فيهـا :

مَـرَرْتُ بِالْمَسْجِدِ المَحْزُونِ أَسْأَلُهُ   هَلْ فِي الْمُصَلَّى أَوْ المِحْرَابِ مَرْوَانُ ؟
تَغَيَّرَ المَسْجِدُ المَحْزُونُ واخْتَلَفَتْ   عَـلَى المَنَـابِرِ أَحْـرَارٌ وَعُبْـدَانُ
فَلاَ الأَذَانُ أَذَانٌ فِي مَنَـارَتِـهِ   إِذَا تَعَـالَى وَلاَ الآذَانُ آذانُ(*)

ومن يتتبع أشعـار شوقي يجد أنه قد أكثر من التاريخ ، فقلما تخلو قصيدة وطنية أو اجتماعية من الاشارات التاريخية :

6 ـ **الشعـر السياسي** : عاش شوقي قريبا من الأحداث السياسية ، وسجلها ف شعره ، ونلاحظ في شعره السياسي تطورا ملحوظا ، ففي الفترة التي كان فيها مرتبطا بالقصر الملكي ، وكان معبرا عن سياسة القصر ، لم يكن حـرا في الادلاء برأيه السياسي ، ولهذا نلاحظ تناقضا في موقفه ازاء بعض أحداث سياسية معينة نتيجة ارتباطه بالقصر وتحرره منه . من ذلك أن شوقي هجا «عرابي» لأنه تحدى القصر وثار عليه ، فهجاه شوقي بقصائد منها :

عُـرَابي كَيْفَ أُولِيـكَ المَـلاَمَا   جَمَعْتَ عَلَى مَلاَمَتِـكَ الأَنَامَـا
خَطَبْتَ فَكُنْتَ خَطْباً لاَ خَطِيـبَا   أُضِيفَ إِلَى مَصَائِبِـنَا العِظَـامَا

ثم حذف شوقي من ديوانه كل ما هجا به عرابي ، وذلك بعد أن تحـرر الشاعر من قيود القصر ، حتى موقفه من الانجليز المستعمرين اختلف عنفا ومرونة باختلاف العـلاقة بين الانجليز والقصر .

على أن هذا الموقف السياسي المضطرب المتناقض ، ما لبث أن زال ، وبرز في صورته الحقيقية ، وذلك بعد أن عاد الشاعر من منفاه واستقل عن نفوذ القصر وسلطانه .

وكان شوقي يضطر أحيانا الى الرمز في شعره السياسي ، فهو عندما يتحدث عن قصة الاستعمار الانجليزي مع الشعب المصري يرمز الى المستعمر بالديك الهندي ، ويرمز الى الشعب بالدجاج فيقول :

(*) **الأذان** (الأولى) : الأذان للصلوات الخمس . **والآذان** (الثانية) : الأسماع .

بيْنَا ضِعَافٌ مِنْ دَجَاجِ الرِّيفِ ... تَخْطُرُ فِي بَيْتٍ لَهَا ظَرِيفِ
إِذْ جَاءَهَا هِنْدِيٌّ كَبِيرُ العُرْفِ ... فَقَامَ بِالْبَابِ مَقَامَ الضَّيْفِ
يَقُولُ: حَيَّا اللهُ ذِي الوُجُوهَا ... وَلَا أَرَاكُمْ أَبَدًا مَكْرُوهَا
أَتَيْتُكُمْ أَنْشُرُ فِيكُمْ فَضْلِي ... يَوْمًا وَأَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالعَدْلِ
فَعَاوَدَ الدَّجَاجَ دَاءُ الطَّيْشِ ... وَفَتَحَتْ لِلدِّيكِ بَابَ العُشِّ
فَجَالَ فِيهِ جَوْلَةَ المَلِيكِ ... يَدْعُو لِكُلِّ فَرْخَةٍ وَدِيكِ

ولشوقي موقف من سياسة مصر وتركيا والشرق والأمة العربية كلها :
اما موقفه من السياسة المصرية : فشوقي محب لمصر :

وَسَلَا مِصْرَ هَلْ سَلَا القَلْبُ عَنْهَا ... أَوْ أَسَا جُرْحَهُ الزَّمَانُ المُؤَسِّي
وَطَنِي لَوْ شُغِلْتُ بِالخُلْدِ عَنْهُ ... نَازَعَتْنِي إِلَيْهِ فِي الخُلْدِ نَفْسِي

ومن هنا لم يقف إلى جوار حزب او جماعة سياسية ، بل كان يدعو إلى الوحدة الوطنية ، ويوجه خطابه الى الأحزاب المختلفة لتترك الخلاف وتقف صفًا واحدا امام العدوّ المشترك :

إِلَامَ الخُلْفُ بَيْنَكُمُ إِلَامَا ... وَهَذِي الضَّجَّةُ الكُبْرَى عَلَامَا
وَفِيمَ يَكِيدُ بَعْضُكُمُ لِبَعْضٍ ... وَتُبْدُونَ العَدَاوَةَ وَالخِصَامَا
وَأَيْنَ الفَوْزُ لَا مِصْرُ اسْتَقَرَّتْ ... عَلَى حَالٍ وَلَا السُّودَانُ دَامَا(*)

اما موقفه من تركيا : فقد كان يؤمن بأنها رمز الوحدة الاسلامية ، فتتبع سياستها ، وغنَّى افراحها ، وبكى مصائبها . فعندما أعلن دستور تركيا عام 1908 م قال شوقي :

بُشْرَى البَرِيَّةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا ... حَاطَ الخِلَافَةَ بِالدُّسْتُورِ حَامِيهَا

وفرح لانتصار تركيا في بعض المواقف السياسية والحربية ، ثم رثاها عندما تخلّت عن الخلافة الاسلامية .

(*) يشير في هذا البيت الى المرحلة التاريخية التي كان فيها السودان مستعمرة انجليزية .

أمّا سياسته نَحْوَ الشرق والأمة العربية فيعبّر عنها في قوله :

وَنحْنُ فِي الشَّرْقِ وَالفُصْحَى بَنُو رَحِمٍ ... وَنَحْنُ فِي الجُـرْحِ وَالآلامِ إِخْـوَانُ

7 ـ **الشعر الاجتماعي** : لم يحفل الشعر العربي القديم كثيرا بالناحية الاجتماعية ، بل انصرف معظمه الى تعظيم الفرد وتمجيده ، وبدأ البارودي في تطوير أغراض الشعر العربي ، لظهر التيار الاجتماعي الذي نما عنـد شوقي .

ومن اهم الموضوعات الاجتماعية التي تناولها شوقي في شعره :

(أ) **الدين** : عرف شوقي بنزعة دينية اسلامية ظهرت في قصائد متعددة ، لقـد عارض البوصيري في **الهمزية** ، وفي قصيدة **البردة** . فانشأ على غرار الأولى قصيدةً بداها بقـوله :

وُلِدَ الهُـدَى ، فَالكَائِنَاتُ ضِيَاءُ ... وَفَمُ الـزَّمَانِ تَبَـسُّمٌ وَسَنَـاءُ

وعلى نهج الـبردة :

رِيمٌ عَلَى القَـاعِ بَيْنَ البَانِ وَالعَلَمِ ... أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ

ولـه قصائد دينية اخـرى منهـا :

إِلَى عَرَفَاتِ اللهِ يَا خَـيْرَ زَائِـرٍ ... إِلَيْـكَ سَـلَامُ اللهِ مِنْ عَـرَفَاتِ

(ب) **التربية والتعليم** : يؤمن شوقي بأن العلم والتأدُّب هما دواء النفوس من العـلل والأمراض الاجتماعية والنفسـية .

تَرْكُ النُّفُوسِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا أَدَبٍ ... تَرْكُ المَرِيـضِ بِلَا طِبٍّ وَلَا آسِ

ويعظّم شوقي رسالة المعلم ، ويدعو الشعب الى تعظيمه قائلا :

أَعَلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الذِي ... يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًـا وَعُقُـولَا

ويوجّهُ المعـلمَ إلى اهمية رسالته السّامية فيقول :

وَإِذَا المُعَـلِّمُ سَاءَ لَحْظَ بَصِيرَةٍ ... جَاءَتْ عَلَى يَدِهِ البَصَـائِرُ حُولَا

وقد أسهم شوقي في رسالة العلم ونشر التربية ، فكتب للتلاميذ أناشيد وطنية وقصائد تعالج قصصا خرافية أسطورية تشبه قصص كليلة ودمنة ، وتقترب من أعمال الشاعر الفرنسي « لافونتين » . يقول شوقي فى قصة حمار السفينة :

سقطَ الحِمارُ منَ السَّفينَةِ فى الدُّجَى   فبَكَى الرِّفَاقُ لِفَقْدِهِ وَتَرَحَّمُوا
حَتَّى إذَا طَلَعَ النَّهَارُ أَتَتْ بِهِ   نَحْوَ السَّفِينَةِ مَوْجَةٌ تَتَقَدَّمُ
قَالَتْ خُذُوهُ كَمَا أَتَانِي سَالِماً   لَمْ أَبْتَلِعْهُ لِأَنَّه لا يُهْضَمُ

ح) **المرأة** : كان شوقي من انصار المراة ، ويرى ان تعليمها ضرورة اجتماعية :

وإذَا النِّسَاءُ نَشَأْنَ في أُمِّيَّةٍ   رَضَعَ الرِّجَالُ جَهَالَةً وَخُمُولَا

وطالب شوقي باعطاء المراة حقوقها الاجتماعية مستهديا في ذلك بسيرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مع زوجاته وسائر النساء المؤمنات :

هَذا رَسُولُ اللَّهِ لَمْ   يُنْقِصْ حُقوقَ المُؤْمِنَاتْ
العِلْمُ كَانَ شَرِيعَةً   لِنِسَائِهِ المُتَفَقِّهَاتْ
رُضْنَ التِّجَارَةَ وَالسِّيَاسَةَ   والشُّئُونَ الأُخْرَيَاتْ

(د) **العمال** : اشادَ شوقي بالعمال في بناء الحضارة ودعاهم إلى العمل الجادّ المثمر :

أيُّهَا العمَّالُ أَفْنُوا العُمْرَ كَدًّا واكْتِسابَا
واعْمُرُوا الأَرْضَ فَلَوْلَا سَعْيُكُمْ أَمْسَتْ خَرَابَا

وكان يؤمن بحقوق العمال ، لكنه لا يرى الفوضى او الاضطراب وسيلة للحصول على تلك الحقوق ، فيقول :

اطْلُبُوا الحَقَّ بِرِفْقٍ   واجْعَلُوا الوَاجِبَ دَابَا

8 ــ **الشعر المسرحي** : بدا اهتمام شوقي بكتابة المسرحية الشعرية في عصر مبكر ، ففي اثناء اقامته في فرنسا الف مسرحيته « **علي بك الكبير** » ، لكنه لم يرض عنها ، فانصرف عن هذا اللون من الفن ، واهتم بالشعر الغنائي .

وبعد أن بويع بامارة الشعر اتجه الى كتابة مسرحياته التي سبقت الاشارة اليها . واعتمد شوقي فى بعض مسرحياته على التاريخ المصري القديم وعلى التاريخ العربي . وقد تاثر شوقي بالحركة المسرحية فى فرنسا ، والتي كان من أشهر كتابها فى ذلك الوقت : « **كورني ، وراسين ، وموليير** » كما تاثر بالشاعر الانجليزي « **شكسبير** » .

وعلى الرغم من كل ما اخذه النقاد على مسرحياته من انها تنقصها الحبكة الفنية ، ولم يلتزم فيها وحدة الزمان والمكان الى غير ذلك من العناصر الفنية في المسرحية ، فان شوقي رائد مجدد في هذا الميدان .

خصائص شعره :

يتميز شعر شوقي بعدة خصائص من اهمها :

1 ـ **كثرة الاغراض الشعرية ، وتنوعها ، والتجديد فيها** ، وقد عرفت ذلك من خلال ما قدمناه لك من نماذج مختلفة في اغراض شعره .

2 ـ **خصوبة الفكرة وعمقها وقوتها .**

3 ـ **عمق خياله وسعته ، ودقته في التصوير .**

4 ـ **الموسيقى الصوتية التي تعتمد على قوة اللفظ ، وحسن تجاور الكلمات .**

5 ـ **القدرة على التنوع في الاوزان والقوافي ، وطول النفس الشعري ، فقد التزم شوقي بقافية واحدة في قصائد زادت ابياتها على المائتين .**

6 ـ **سوق الحكمة والمثل في الشعر .**

7 ـ **وتتميز المسرحية الشعرية عنده بالتنوع وزنا وقافية ، وطول الحوار ، وعدم التقيد بوحدة الزمان والمكان . وينقص بعض مسرحياته الحبكة الفنية .**

المناقشة :

1 ـ كان لارتباط شوقي بالقصر الملكي في مصر اثر على شعره في الغزل ، والمدح ، والسياسة . ناقش هذه القضية مع التمثيل .

2 ـ « شوقي من اعلام مدرسة المحافظين في بناء القصيدة » . اشرح هذه العبارة .

3 ـ « قام شوقي برحلات متعددة » . فماذا استفاد شوقي من رحلاته ؟ وما اثرها على شعره ؟

4 ـ « شوقي شاعر محافظ مجدد » . فما مظاهر المحافظة والتجديد في شعره مع التمثيل .

5 ـ « تناول شعر شوقي موضوعات اجتماعية متعددة » . اذكر غرضين وحللهما مع التمثيل .

ايليـــا ابو مـــاضي



(1889 – 1957 م)

مـــولده ونشـــاته :

ولد الشاعر المهجري « ايليا ابو ماضي » عام 1889 م فى قرية المحيدثَة بناحية «بَكْفَيّا » فى بلاد لبنان ، وفيها تلقى تعليمه الأولى حتى بلغ الحادية عشرة من عمره وكانت موجات الهجرة تخرج من لبنان قاصدة بلاد الأمريكتين ، حيث الثراء والحرية كما هاجر نفر من اللبنانيين الى مصر ، واشتغلوا بالتجارة والصحافة والأدب .

هجرته إلى مصر : شد ابو ماضي رحاله الى مصر عام 1900 م بعد أن ضاقت به الحياة في لبنان فودعه آسفا مكرها على فراقه قائلا :

أَرْضَ آبائِنَـا عَلَيْـكِ السَّـلاَمُ   وَسَـقَى اللَّـهُ أَنْفُـسَ الآبَـاءِ
مَا هَجَـرْنَاكِ اذْ هَجَرْنَاكِ طَـوْعًا   لاَ تَظُنّي العُقُـوقَ فِي الأَبْنَـاءِ

ولما استقر به المقام في مصر ، بدأ يعمل في التجارة ، ففتح دكانا يبيع فيه التبغ ، وشغل وقت فراغه بقراءة الأدب العربي القديم ، وخاصة دواوين الفحول من الشعراء القدامى ، واحس برغبته في قرض الشعر فبدأ ينظمه وينشره في بعض الصحف المصرية ، حتى اكتملت لديه مجموعة من القصائد جمعها في ديوان طبعه في مدينة الاسكندرية وسماه « **تذكار الماضي** » .

هجرته الى امريكا : وفى عام 1911 م قرر الشاعر أن يغادر مصر ليهاجر الى الولايات المتحدة الأمريكية وربما كانت هذه الهجرةُ الاخيرةُ هَدَفَهُ منذ خروجه من لبنان ، ولكنه اضطر الى الاقامة في مصر بضعة اعوام ، لأن الهجرة الى مصر كانت سهلة ميسورة في ذلك الوقت ، أما الهجرة الى أمريكا فقد حالت دونها بعض العقبات حيث أصدرت الحكومة العثمانية قرارا يقضي بمنع هجرة السوريين الى امريكا ، ورفضت اعطاءهم جوازات سفر لهذا الغرض . وربما كان الشاعر يرجو مقاما طيبا في مصر ، ويحقق آمالا عظيمة من اقامته فيها ، ثم احس بانه لن يستطيع ذلك ففكر في الهجرة الى امريكا .

وعندما وطئت اقدام الشاعر ارض الولايات المتحدة الأمريكية اتخذ من مدينة « سنستانى » مستقرا له بضعة أعوام عمل خلالها بالتجارة ، ثم انتقل الى مدينة « نيويورك » عام 1916 م واشتغل بالصحافة فانشأ جريدة سماها « **السَّمير** » وفي مدينة « نيويورك » التقى بجماعة من رفاقه الادباء العرب المهجريين وكونوا « **الرابطة القلمية** » التي كان لها الفضل في نشر مذهبهم الأدبي .

وظل ابو ماضي يصارع الحياة فى مستقره الجديد وتصارعه ، يهزمها تارة فيقوى على احداثها بامانيه وعزائمه ، وتهزمه مرة اخرى فيرتد متشائما حزينا وهو في كل حين يعبر عن ماسـاته فيقول :

تَمْشِي بِلَادَ النَّاسِ فِي طَلَبِ العُلَا — وَبِـلَادُنَـا مَـتْرُوكَةٌ لِلنَّـاسِ
وَنَكَادُ نَفْتَرِشُ الـثَّرَى وَبِأَرْضِنَا — لِلأَجْنَـبِيِّ مَـوَائِـدٌ وَكَـرَاسِي
وَطَنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ الـدُّنَى — وَأَعَـزُّ نَاسٍ فِي الـبَرِيَّةِ نَاسِـي

وظل ابو ماضي يضرب على قيثارة جديدة **ينوع في الالحان ويجدد في الانغام** حتى وافته المنية في مدينة « نيويورك » عام 1957 م .

مصـــــادر ثقـــافته :

اولا ـ **الشعر العربي القديم** : استهل « ابو ماضي » حياته الادبية بمطالعة دواوين الشعر العربي القديم ، وخاصة شعراء عصر القوة خلال القرنين الثالث والرابع الهجري وعندما بدا يمارس الشعر ظهر تاثره وتقليده للشعراء القدامى شان المبتدئين فى نظم الشعر ، فنرى فى بعض مطالع قصائده التي انشاها فى ايامه الاولى تاثرا بكبار الشـــعراء .

من ذلك مثلا قوله :

كَمْ قَبْـلَ هَذَا الجِيلِ وَلَّى جِيلُ — هَيْهَـاتَ لَيْسَ إِلَى البَقَـاءِ سَبِيلُ

فهو قريب من مطلع قصيدة « المتنبي » :

عِيـدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُـدْتَ يَا عِيـدُ — بِمَـا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فِيـكَ تَجْدِيدُ

وحاول الشاعر تقليد **الموشح الاندلسي** بمختلف الوانه ، بل ذهب به التاثر حدا بعيدا حينما قلد شـــعراء الصنعة الذين يهتمـون بالمحسـنات البديعية المقصودة لذاتها ، من ذلك قوله :

أَيَّامَ تَحْسُدُهَا العَـوَاصِمُ مِثْلَمَـا — حَسَدَ «العَوَاطِلُ» أُخْتَهُنَّ الحَالِيَهْ(*)

ففي هذا البيت **جناس** بين « **عواصم وعواطل** » و**طباق ايجاب** بين « **العواطل ـ الحالية** » .

ولكن هذا التيار العربي القديم سرعان ما يذوب في نفس الشاعر عندما تنضج موهبته الادبية ، وتكتمل شخصيته الشعربية المتميزة .

(*) **العواطل** ، جمع عاطلة : وهي المراة التي ليس عليها حلي ، وعكسها الحالية .

ثانيا ـ **الرابطة القلمية** : وهي جمعية ادبية اسسها جماعة من الأدباء المهاجرين في امريكا عام 1920 م ، وقد تميز انتاجهم الادبي **بالتامل فى الحياة وأسرار الوجود** والتعمق في فهم النفس الانسانية واتساع النظرة الى المجتمع البشري ، والتعلق بالوطن العربي ، **والاتجاه الى الرمز** في التعبير ، وبهذه المبادئ تأثر ابو ماضي فأصبح للشعر عنده مفهوم يختلف عما حفظه وقراه لغيره من الشعراء . يعبر عن هذه النزعة الجديدة بقوله :

لَسْتَ مِنِّيَ انْ حَسِبْتَ الشِّعْـرَ أَلْفَـاظًا وَوَزْنَـا
خَـالَفَتْ دَرْبُـكَ دَرْبِـي وانْقَـضَى مَـا كَانَ مِنَّـا

ثالثا ـ **ظروفه الخاصة واحداث عصره** : مر الشاعر بتجارب عديدة ، واختلط بمجتمعات متباينة في لبنان ومصر وأمريكا ، ولكل مجتمع من هذه المجتمعات نظمه الخاصة التي تؤثر على أهله ومن يعيش بينهم ، وتنعكس هذه المؤثرات على انتاج الأدباء والشعراء ، وقد ظهرت آثارها واضحة في شعر ابي ماضي .

وكان الشاعر يجيد اللغة الانجليزية الى جوار لغته الأصلية فتمكن من الاطلاع على عيون الأدب الغربي والأمريكي واستفاد من كل ذلك .

وكان عصره مليئا بالأحداث التي تثير المشاعر وتهز الوجدان والعواطف وقد شغلته هذه الأحداث منذ هجرته الأولى من وطنه لبنان ، واتسعت دائرتها فشملت أحداث البلاد العربية كلها ، كما شهد ويلات الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وتأثر بكل ذلك ، وانعكس على انتاجه الشعري .

شـــعره وتطـــوره :

خلف أبو ماضي تراثا شعريا جيدا بدأ بنشره في الصحف المصرية ابان اقامته في مصر ، ثم تابع انتاجه بعد هجرته الى أمريكا ، وقد ظهرت دواوينه على الصورة التاليـة :

1 ـ **ديوان تذكار الماضي** نشره في الأسكندرية عام 1911 .

2 ـ **ديوان ايليا ابو ماضي** طبع في نيويورك عام 1918 م .

3 ـ **الجـداول** صدر في نيويورك عام 1927 م .

4 ـ **الخمـائل** صدر فى نيويورك عام 1940 ثم طبع بالشرق عدة مـرات .

5 ـ **مجموعة من القصائد متناثرة في بعض الصحف وخاصة صحيفة « العصبة »** .

ولم يكن محصول خمسين عاما من عمر الشاعر متفقا من حيث الجودة والقوة والنزعة والتقليد والتجديد ، ويمكن أن نميز **بين مرحلتين** واضحتين في شعره :

المرحلة الأولى : وتبدأ من فترة ممارسته الشعر حتى بداية تأثره بالمجتمع الجديد في أمريكا ، اي بعد هجرته اليها بسنوات قليلة ، وفي هذه المرحلة صدر للشاعر ديوانان هما : « **تذكار الماضي** » و « **ديوان ايليا ابو ماضي** » وان كان ديوانه الثاني يمثل مرحلة وسطى بين الاتجاهين القديم والجديد الذي سيتضح عنده فيما بعد .

- وابرز سمات شعره في هذه المرحلة انه كان أقرب الى**محاكاة** الشعراء السابقين في موضوعاته وقوالبه وأساليبه ، ولم تظهر فيه شخصية الشاعر بالصورة التي ستراها في المرحلة الثانية من مراحل انتاجه الشعري .

المرحلة الثانية : وتتميز هذه المرحلة بظهور **شخصيته كشاعر مهجري مجدد** بعد أن تشرب الحياة الجديدة في امريكا وصهرته أحداث عصره فيها ، فظهرت النزعة الانسانية والتأملية واللجوء الى الطبيعة ، والميل الى الرمز في التعبير، وغير ذلك من الأغراض والخصائص الفنية التي ستتضح من دراستنا لشعره .

أغـــراض شـــعره :

اولا ـ **التقليـد :** الاغراض الشعرية القديمة قليلة في شعر ابي ماضي ، وقد أعلن صراحة عن هجر بعضها . واذا ما تناولها فانه لا يبدع فيها وليس فيها ما يميز شخصيته ومن بين هذه الأغراض ما يأتي :

1 ـ **المـدح :** انكر ابو ما ضي على الشعراء فن المديح ورآه عيبا ينبغي أن يتبرأ الشعر منـه :

لَا تَسْأَلُونِي المَدْحَ أَوْ وَصْفَ الدُّمَى ... إِنِّي نَبَذْتُ سَفَاسِفَ الشُّعَرَاءِ
بَاعُوا لأَجْلِ المَالِ مَاءَ حَيَائِهِمْ ... مَدْحًا وَبِتُّ أَصُونُ مَاءَ حَيَائِي

2 ـ **الـرثاء :** لم يكثر الشاعر من المراثي ، ولم يتخذه وسيلة للتقرب من حاكم أو ذوي جاه وانما رثى بعض العظماء أو الأصدقاء .

يقول في رثاء صديقه « رافائيل هواويني » :

أَوْدَى فَنُورُ الفَرْقَدَيْنِ ضَئِيلُ ... وَعَلَى المَنَازِلِ رَهْبَةٌ وَذُهُولُ
خَلَقَ الأَسَى فِي قَلْبِ مَنْ جَهِلَ الأَسَى ... قَوْلُ المُخَبِّرِ : مَاتَ رَافَائِيلُ

ونلاحظ على شعره في المراثي انه لايثير فينا عاطفة الحزن أو البكاء ، وان كان الشاعر نفسه يكثر من العويل والدموع .

ويقول في رثاء الشيخ محمد عبده :

لَا زُمْتُ قَبْرَكَ وَالبُكَاءُ مُلَازِمِي ... وَاللَّيْلُ دَاجٍ وَالكَوَاكِبُ سُهَّرُ
أَبْكِي عَلَيْكَ بِأَدْمُعٍ هَطَّالَةٍ ... وَلَقَدْ يَقِلُّ لَكَ النَّجِيعُ الأَحْمَرُ
وَوَدِدْتُ مِنْ شَجْوِي عَلَيْكَ وَحَسْرَتِي ... لَوْ أَنَّ لَحْدَكَ فِي فُؤَادِي يُحْفَرُ

3 ـ **الغزل** : والغزل عند ابي ماضي لا يعدو النسيب الذي طالما تحدث عنه الشعراء ولا تحس في غزله بأن هناك محبوبة معينة استولت على قلبه فأثارت مشاعره ، وخلدها في شعره ، ووصْفُهُ للمراة وصفٌ حسّيٌّ غالبا :

لَيْتَ الذِي خَلَقَ العُيُونَ السُّودَا ... خَلَقَ القُلُوبَ الخَافِقَاتِ حَدِيدَا
لَوْلَا نَوَاعِسُهَا وَلَوْلَا سِحْرُهَا ... مَا وَدَّ مَالِكُ قَلْبِهِ لَوْ صِيدَا

ويقول :

لَمَّا رَأَيْتُ الوَرْدَ فِي خَدَّيْكِ ... وَشَقَائِقَ النُّعْمَانِ فِي شَفَتَيْكِ
وَرَأَيْتُ رَأْسَكِ بِالأَقَاحِ مُتَوَّجًا ... وَالفُلُّ طَاقَاتٍ عَلَى نَهْدَيْكِ
أَيْقَنْتُ أَنَّكِ جَنَّةٌ خَلَّابَةٌ ... فَحَنَنْتُ مِنْ بَعْدِ المَشِيبِ إِلَيْكِ

4 ـ **الحكمة** : لم يقصد ابو ماضي الى كتابة موضوع مستقل فى الحكم كما كان يفعل بعض الشعراء ولكن قد تأتى بعض الحكم في ثنايا القصيدة . وهي حكمة صادقة بريئة من التكلف أو الافتعال ومعبرة عن حياته بما فيها من آمال وآلام . من ذلك قولـه :

والنَّفْسُ تَعْشَقُ فِي الأَهْلِينَ مَوْطِنَهَا ... وَلَيْسَ تَعْشَقُهُ يَحْوِيهِمُ حُفَرَا
وَتَعْظُمُ الأَرْضُ فِي عَيْنَيْكَ مُحْتَرَمًا ... وَلَيْسَ تَعْظُمُ فِي عَيْنَيْكَ مُحْتَقَرَا

ثانيا ـ **التجديد** : الطابع التجديدي هو الطابع المميز لشعر ابي ماضي بين شعراء العصر الحديث ، وقد حاول ان يُلبس الشعرّ ثوبا مغايرا لثوبه القديم من حيث **الغرض والقالب والفكرة والاسلوب ، ونجح** إلى حد كبير في ذلك الاتجاه الذي سار فيه مع رفاقه المهجريين . وسترى ذلك من خلال دراستنا لأغراض شعره الآتية :

1 ـ **النزعة القومية** : لم يكن الشاعر معتنقا لمبدأ سياسي يدافع عنه ، بل كان يكره السياسة والخائضين فيها ـ يعبر عن رايه صراحة فيقول :

وَاهْجُرْ أَحَادِيثَ السِّيَاسَةِ وَالأُلَى ... يَتَعَلَّقُونَ بِحَبْلِ كُلِّ سِيَاسِي
إِنِّي نَبَذْتُ ثِمَارَهَا مُذْ ذُقْتُهَا ... وَوَجَدْتُ طَعْمَ الغَدْرِ فِي أَضْرَاسِي
وَتَرَكْتُهَا لِاثْنَيْنِ : غِرٍّ سَاذِجٍ ... وَمُشَعْوِذٍ مُتَذَبْذِبٍ دَسَّاسِ

ومع ذلك لم يستطع الشاعر حبس قلبه عن التعبير عن رأيه في بعض المواقف السياسية وان لم يتناولها من وجهة نظر السياسي الذي ينتمي الى جماعة معينة يؤيدها ويزود عنها في كل حين ، وانما عبر عن الجانب الذي يمس حياته ويؤثر فيها تأثيرا مباشرا .

وكانت نزعته السياسية تتركز في امرين : اولهما : **كراهية الاتراك** ، ثانيهما : **حب العروبة** . وبعبارة أوضح **هجوم على الاسلام وتاييد للقومية العربية** ، وفي شعره مظاهر متعددة تنعكس فيها هذه الحقيقة ، يتحدث عن ظلم الاتراك لبلاده فيقول :

ثَلاثُونَ عَامًا وَالنَّوَائِبُ فَوْقَنَا   مُخَيِّمَةٌ مِثْلُ الغُيُومِ القَوَاتِمِ
فَلاَ العِلْمُ مَرْمُوقٌ ولاَ الحقُّ نَافِذٌ   ولاَ حُرْمَةٌ تُرْعَى لِغَيْرِ الدَّرَاهِمِ
وما ثَمَّ غيْرُ البغْيِ والظُّلْمِ والأَذَى   فقُبِّحْتَ منْ عَصْرٍ كَثِيرِ السَّخَائِمِ
فَوَاللَّهِ ما تَرْضَى فيُسْوِدَكَ أُمَّةٌ   مِنَ النَّاسِ الَّا أَصْبَحَتْ في البَهَائِمِ

ويمتلئ قلب الشاعر حسرة لمصاب فلسطين ويفديها بنفسه :

دِيَارَ السَّلَامِ وَأَرْضَ الهَنَا   يَشُقُّ عَلَى الكُلِّ أَنْ تَحْزَنَا
فَخَطْبُ فلسْطِينَ خَطْبُ العُلَا   وَمَا كَانَ رُزْءُ العُلاَ هَيِّنَا
بِنَفْسِيَ « أُرْدُنُّهَا » السَّلْسَبِيلَ   وَمَنْ جَاوَرُوا ذَلِكَ الأُرْدُنَا

ويعز على الشاعر ان يرى البلاد العربية متخاذلة مُسْتضعفة ، فيصور ضعفها ويحذرها من مستقبلها حتى تفيق من سُباتها وتنهض من عثْرتها :

بَغْدَادُ في خَطَرٍ وَمِصْرُ رَهِينَةٌ   وَغَدًا تَنَالُ يَدُ المَطَامِعِ جِلَّقَا

ويتعجب الشاعر من قومه حين يراهم يعبثون في وقت تجمعت فيه الذئاب من اعدائهم على الأبواب ، ويدعو كلَّ عربي إلى العمل الجاد والثورة على الطغاة الظالمين :

عَجَباً لِقَوْمِي وَالعَدُوُّ بِبَابِهِمْ   كَيْفَ اسْتَطَابُوا اللَّهْوَ والأَلْعَابَا ؟
دُنْيَاكَ ، يَا وَطَنَ العُرُوبَةِ ، غَابَةٌ   حَشَدَتْ عَلَيْكَ أَرَاقِمًا وَذِئَابَا
فَالْبِسْ لَهَا مَاءَ الحَدِيدِ مَطَارِفًا   واجْعَلْ لِسَانَكَ مِخْلَبًا أَوْ نَابَا

1 ـ **شعره الاجتماعي** : تناول الشاعر الحديث عن بعض المشكلات ، وعبر عن وجهة نظره الخاصة فيها ، ومن اهم ما تناوله شعره الاجتماعي ما يأتي :

(ا) **الديـن** : عرف ابو ماضي بنزعته الانسانية العالية ، ولكنك تراه في بعض اشعاره يثير النزعة الطائفية الدينية عندما يقول عن الأتراك :

وَقَالُوا : نَحْنُ لِلإِسْلَامِ سُورٌ ... وإِنَّ بِنَا الخِلَافَةَ (والإِمَامَا)
فَهَلْ فِي دِينِ أَحْمَدَ أَنْ يَجُورُوا ... وَهَلْ فِي دِينِ أَحْمَدَ أَنْ نُضَامَا ؟

ولعه اتخذ من هجومه على الأتراك سببا لبث نزعته الطائفية في شعره ، حيث يقول في معركة « بُورْغَاس » التي انهزم فيها الترك امام اعدائهم المسيحيين :

وَقَدِ انْجَلَتْ فَإِذَا الهِلَالُ مُنَكَّسٌ ... عَلَمٌ طَوَتْهُ رَايَةُ الصُّلْبَانِ

وفي موقف آخر يقول :

لِلهِ مَا أَحْلَى البَشِيرَ وَقَوْلَهُ ... سَقَطَ الهِلَالُ إِلَى الحَضِيضِ وَدَالَا

(ب) **الفقـراء** : كان الشاعر حريصا على الدعوة الى الرافة بالفقراء ومساعدتهم ، ومشاطرتهم احزانهم :

لَهفِي ! وَلَوْ أَجْدَى التَّعِيسَ تَلَهُّفِي ... لَسَفَكْتُ دَمْعِي عِنْدَهُ وَدِمَائِي
قُلْ لِلغَنِيِّ المُسْتَعِزِّ بِمَالِهِ ... مَهْلًا ، لَقَدْ أَسْرَفْتَ فِي الخُيَلَاءِ
جُبِلَ الفَقِيرُ أَخُوكَ مِنْ طِينٍ وَمِنْ ... مَاءٍ ، وَمِنْ طِينٍ جُبِلْتَ وَمَاءِ

(حـ) **المـراة** : لم يكن ابو ماضي من انصار مساواة المراة بالرجل ، ويرى ان مكانها الطبيعي في المنزل ومع ان الشاعر كان يعيش في بلاد متطورة اعطت المراة كل حقوقها في المساواة بالرجل ، لكنه لم يقتنع بذلك الوضع ، ولعل الذي دفعه الى هذا الموقف هو ما لمسه من تعذيب المراة في المجتمع الذي يحملها مسئوليتين في البيت وخارجه :

سَجَّلَ العَارَ عَلَيْنَا مَعْشَرٌ ... سَجَّلُوا المَرْأَةَ بَيْنَ الهُمَّلِ
فَهْيَ إِمَّا سِلْعَةٌ خَامِلَةٌ ... سِلَعًا أَوْ آلَةٌ فِي مَعْمَلِ
تَتَهَادَاهَا المَوَامِي والرُّبَى ... فَهْيَ كَالدِّينَارِ بَيْنَ الأَنْمُلِ
فِي سَبِيلِ المَالِ أَوْ عُشَّاقِهِ ... تَكْدَحُ المَرْأَةُ كَدْحَ الإِبِلِ

3 ـ **الطبيعة** : منذ قديم الزمان والشعراء **يتفننون بالطبيعة وجمالها** ، ولكن ابا ماضي ورفاقه المهجريين لهم موقف خاص من الطبيعة ، تتجلى مظاهره فيما يلي :

اولا : المزج بين **الطبيعة والذات** ، وتجسيم الطبيعة في صور حسّية متحركة

وَلَيْكَ اللَّيْـلُ رَاهِبِي ، وَشُمُوعِي ... الشُّهْبُ ، والأَرْضُ كُلُّهَا مِحْرَابِي
وَكِتَـابِي الفَضَـاءُ أَقْـرَأُ فِيـهِ ... سُـوَرًا مَا قَـرَأْتُهَا في كِتَـابِ
وَصَـلاَتِي الذِي تَقولُ السَّوَاقِي ... وَغِنَائِي صَوْتُ الصَّبَا فِي الغَـابِ
وَرحِيقِي ما سَالَ من مُقْلَةِ الفَجْرِ ... عَلَى العُشْبِ كاللُّجَيْنِ المُـذَاب

ثانيا : اتخاذ الطبيعة مادة يصوغ منها الشاعر **تجربته الفنية** التي يبث من خلالها افكاره ومبادئه :

فمثلا عندما يحارب في الانسان نزعة الغرور ويصور شروره وآثامه يقارن بينه وبين الطبيعة ثم يفضّلها عليه حتى يكبح فى الانسان غرائزه السفلى ويحطم من غروره وكبريائه :

تَتَلْمَذْتُ للانْسَانِ في الدَّهْرِ حِقْبَةً ... فَـلَقَّنَنِي غَيًّـا ، وعَلَّمَنِي جَهْـلاَ
نَهَانِيَ عنْ قَتْلِ النُّفُـوسِ وَعِنْدَمَا ... رَأَيِ غِـرَّةً منِّيَ تَعَـلَّمَ بِي القَتْلاَ !
وَذَمَّ إِلِيَّ الـرِّقَّ ثُـمَّ اسْـتَرَقَّنِي ... وَصَوَّرَ ظُلْماً فِيهِ تَمْجِيده عَـدْلاَ
وَشَاهَدْتُ كَيْفَ النَّهرُ يَبْذُلُ مَاءَهُ ... فلا يَبْتَغِي شُكْرًا ولا يَدَّعِي فَضْلا
وكَيْف تُغَذِّي الأرضُ الأمَ نَبْتِهَـا ... وَأَقْبَحَهَ شَـكْلا كأحْسَنِه شَكْلا

ثالثا : اتساع النظرة في **مفهوم الطبيعة** فهي تشمل الجماد والنبات والطير والحيوان وقد اتخذ الشاعر من كل هذه الأشياء لَبِنَاتِ بنائه الشعرية في كثير من الموضوعات الانسانية ، يقول على لسان زنجي أمريكي :

فَوْقَ الجُمَّـيْزَةِ سِنْجَـابُ ... والأرْنَبُ تَمْرَحُ فِي الحَقْـلِ
وأنَـا صَيَّـادٌ وثَـّـابُ ... لَـكِنّ الصَّيْـدَ عَلَى مِثْلِي
مَحْظُـورٌ اذْ أَنِّي عَبْـدُ
والدِّيكُ الأبْيَـضُ فى القُنِّ ... يَخْتَالُ كيوُسُف فى الحُسْن
وأنَـا أتمنَّـى لَـوْ أَنِّـي ... أصْطَادُ الـدِّيك وَلِـكنيَّ
لا أقْـدِرُ إِذْ أَنِّي عَبْـدُ
وفَتَـاتِي فى تلْك الـدَّارِ ... سَـوداءُ الطَّلْعَـةِ كالقَـارِ
سَيَجِيءُ ويأخُـذُها جَارِي ... يَا وَيْحِي منْ هَـذَا العَـار
أفَـلاَ يَكْـفِي أنِّـي عَبْـدُ ؟

4 ـ **الحنين الى الأوطان** : الغربة تثير نوازع الشوق في قلوب المغتربين ، وقد ترك ابو ماضي أرضه وبلاده وذكريات طفولته فيها ، فكان دائم الحنين اليها .

مِثْلَمَا يَكْمُنُ اللَّظَى فِي الرَّمَادِ هَكَذا الحُبُّ كَامِنٌ فِي فُؤَادِي
لَسْتُ مُغْرًى بِشَادِنٍ أَوْ شَادِي أَنَا صَبٌّ مُتَيَّمٌ بِبِلَادِي
يَابِلَادِي عَلَيْكِ أَلْفُ تَحِيَّة

وبلاد الشاعر التي يحن اليها أوسع من قريته اللبنانية فهو لا يشتاق الى لبنان فحسب ولا يحن الى سورية وحدها ، بل هواه مع الشرق كله .

إِذَا خَطَرَتْ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ نَفْحَةٌ طَرِبْتُ فَأَلْقَى مَنْكِبَايَ رِدَائِيَا
أَحِنُّ إِلَى تِلْكَ المَغَانِي وَأَهْلِهَا وَأَشْتَاقُ مَنْ يَشْتَاقُ تِلْكَ المَغَانِيَا
وكَيْفَ اغْتِبَاطُ المَرْءِ لَا الأَهْلُ حَوْلَهُ وَلَا هُوَ مَنْ يَسْتَعْذِبُ الصَّفْوَ نَائِيا

5 ـ **التفـاؤل** : ودّع ابو ماضي موطنه يائسا من امره يائسا من صلاح اهله وحكومته

وَطَنٌ أَرَدْنَاهُ عَلَى حُبِّ العُلَى فَأَبَى سِوَى أَنْ يَسْتَكِينَ إِلَى الشَّقَا
شَعْبٌ كَمَا شَاءَ التَّخَاذُلُ والهَوَى مُتَفَرِّقٌ وَيَكَادُ أَنْ يَتَمَزَّقَا
وَحُكُومَةٌ مَا انْ تُزَحْزِحُ أَحْمَقًا عَنْ رَأْسِهَا حَتَّى تُوَلِّيَ أَحْمَقَا

وقد بلغ الياس مداه الى درجة افقدته الأمل فى مستقبل وطنه فيقول :

كُلَّمَا فَكَّرْتُ فِي حَاضِرِنَا عَاقَنِي اليَأْسُ عَنْ المُسْتَقْبَلِ
قَدْ مَشَى الغَرْبُ عَلَى هَامِ السُّهَى وَمَشَيْنَا فِي الحَضِيضِ الأَسْفَلِ

وبعد أن استوطن الشاعر امريكا وراى الدنيا تتبدل امام عينيه اخذ يصارع اليأس في نفسه واستطاع ان يتغلب عليه فأصبح يتقبل الأحداث والهموم بصدر رحب :

كُنْتُ حَتَّى مَعْ ضَمِيرِي أَمْسِ فِي حَرْبٍ عَوَانِ
لَمْ يَعُدْ قَلْبِي كَالبَرْ قِ شَدِيدَ الخَفَقَانِ
صِرْتُ كَالصَّخْرِ سَوَاءٌ هَادِمٌ عِنْدِي وَبَانِ

واذا تساوت الأحداث في نظره حلوها ومرها وخيرها وشرها فلماذا ييأس الانسان فى دنياه ويقضي أيام عمره حسرة والما ، ان التفاؤل يدفع الى العمل والعمل يحقق الآمال ، فاذا ابتسم الانسان لكل شيء راى الدنيا تبتسم من حوله :

قالَ : « السَّماءُ كئيبةٌ ! » وَتجَهَّمَا ... قلتُ : ابْتَسِمْ يَكْفِي التَّجهُّمُ فِي السَّمَا !
قالَ : الصِّبَا وَلَّى! فقلتُ له: ابْتَسِمْ ... لنْ يُرْجِعَ الأَسَفُ الصِّبَا المُتَصَرِّمَا !
قالَ : الّتِي كانتْ سَمَائِي في الهَوَى ... صَارَتْ لِنفْسِي فِي الغَرَامِ جَهَنَّمَا
خَانَتْ عُهُودِي بعْدَمَا مَلَّكْتُهَا ... قَلْبِي ، فَكَيفَ أطِيقُ أنْ أتَبَسَّمَا ؟
قلتُ : ابتَسِمْ واطْرَبْ فلَوْ قَارنتَها ... قَضَّيْتَ عُمْرَكَ كُلَّه مُتَألِّمَا !

6 ـ **النزعة الانسانية** : للشعر فى نظر ابي ماضي رسالة عليا هي الدعوة الى الحق والخير والجمال ، وعلى الشاعر أن يطيل التفكير فى الحياة ويتأمل ما فى الكون ، وما يدور فيه من صراع دائم بين الخير والشر ، ليتخذ الشاعر من كل ذلك طريقا يحقق به مبداين يؤمن بهما ابو ماضي هما : **حاجة الانسان الى اخيه الانسان مهما قل في نظره ، والحفاظ على سلامة البشرية من النزعات الانسانية الهدامة .**

وقد رايتَ في قصيدته الحجر الصغير ، تصويرا لقيمة الفرد في المجتمع وحاجة الناس اليه مهما كان عمله وقيمته .

وطالما حارب الشاعر فى النفس الانسانية اطماعها ، وحاول ان يردها عن غيها .

يَاصَاحِبِي لَيْسَ الوَغَى مِنْ مَذْهَبِي ... هَاتِيكَ وَسْوَسَةٌ مَنَ الشَّيْطَانِ
فَالنَّاسُ إخْوَانٌ وَلَيْسَ مِنَ النُّهَى ... أَنْ يَفْتِكَ الإخْوانُ بالاخْوَانِ
الحَرْبُ مَجْلَبَةُ الشَّقَاوَةِ للوَرَى ... والحَرْبُ يَعْشَقُهَا بَنُو الانْسَانِ

7 ـ **النزعة التاملية** : منذ قديم الزمان حاول الفلاسفة والحكماء أن يخترقوا بنظراتهم وتفكيرهم حجب هذا الوجود الضيق ليحلقوا في آفاق بعيدة تتصل بعالم الغيب وما وراء الوجود،وابو ماضي ورفاقه المهجريين اضافوا ثروة فكرية الى الشعر العربي الحديث بهذه النزعة التأملية فكتب أبو ماضي قصائد فلسفية طويلة من بينها قصيدة « **الطلاسم** » التي مرت بك . كما تحدث في قصائد اخرى عن مصير الروح بعد مفارقتها الجسد ، وتكلم عن الموت وغير ذلك من الأمور التي تتصل بما وراء الوجود . يعبر عن رايه في الموت فيقول .

بِرَغْمِكَ فَارَقْتَ الرُّبوعَ وَإِنَّنَا ... عَلَى الرَّغْمِ مِنَّا سَوْفَ نَلْحَقُ بالظّعْنِ
طَرِيقٌ مَشَى فِيهَا المَلَايِينُ قَبْلَنَا ... مِنَ المَلِكِ السَّامِي إلى عَبْدِهِ القِنِّ

فَظُنَّ لَنَا الدُّنْيَا وَمَا فِي رِحَابِهَا ... وَلَيْسَتْ لَنَا الَّا كمَا البحْرُ للسُّفنِ
فأكْثَرُ أَهْلِ الأَرْضِ مَعْرِفَةً بِهِ ... كأكْثرِهِم جهْلاً يُرَجِّمُ بالظَّنِ
فَيَالَكَ سِفْرًا لم يَزَلْ جِدُّ غَامِضٍ ... على كثْرَةِ التَفصِيلِ فِي الشَّرْحِ وَالمَتنِ

وليس لنا أن نناقش الشاعر في آرائه الفلسفية لأنه حر في التعبير عن فكرته وانما نقول : **انه ابتعد عن روح الاسلام في كثير من آرائه الفلسفية**

خصائص شعره :

يتميز شعره بعدة **خصائص من اهمها :**

1 ـ **وفرة انتاجه الشعري وكثرة الأغراض والتجديد في الموضوعات ،**

2 ـ **العناية بالمعنى والاهتمام بالفكرة عمقا ووضوحا .**

3 ـ **الاتجاه الى الرمز** في التعبير كما رايت في قصيدة « **الحجر الصغير** » .

4 ـ **التنوع في البناء الشعري وعدم الالتزام بنظام القصيدة العمودية من حيث الوزن والقافية .**

5 ـ **التسامح احيانا في قواعد اللغة** مثل قوله :

لِيَطْرَبَ مَنْ شَاءَ انْ يَطْرَبَا ... فَلَسْتُ بِمُسْتَمْطِرٍ خُلَّبَا

فحق يطرب أن تجزم بلام الأمر . وتحريكها ضرورة شعرية . تؤخذ على شاعر كبير مثل أبي ماضي .

المناقشة :

1 ـ من خلال دراستك التاريخية صور الحالة السياسية في لبنان في الوقت الذي هاجر فيه الشاعر من لبنان الى مصر .

2 ـ للغربة آثارها في الأدب ، كيف ظهرت آثارها في شعر ابي ماضي ؟

3 ـ للشاعر موقف من الطبيعة ـ اشرحه مع التمثيل .

4 ـ ما اهم الخصائص الفنية التي يتصف بها شعر أبي ماضي قبل هجرته الى امريكا ؟

5 ـ أبو ماضي شاعر مجدد . وضح مظاهر التجديد في اغراض شعره مع التمثيل .

عبد الحميد بن باديس



1889 ـ 1940 م

مولــده وأسرته :

في مدينة ((**قسنطينة**)) عاصمة الشرق الجزائري ولد « **عبد الحميد بن باديس** » عــام 1889 مـ ، ونشأ في أسرة عريقة معروفة بالعلم والجاه والثراء ، فكان من اجداده الأولين « **المعز بن باديس** »(*) ، ومن أسلافه المتأخرين « **المكي بن باديس** » الذي تولى منصب القضاء بقسـنطينة . وأما الشيخ « **محمد المصطفى بن مكي بن باديس** » والد « **عبد الحميد** » فكان صاحب مكانة معــروفة في قسـنطيــنة جعلته موضع احترام وتقدير من المواطنين والحاكمين ، وقد شارك في بعض الأعمال الادارية ، فكان عضوا في**المجلس الجزائري الأعلى** ، **والمجلس العــام** بقسـنطينة .

نشــأته وثقافتــه :

لقي « **عبد الحميد** » فى كنف والده ما يلقاه عادة اول الأبناء من رعاية في الأسر الـكريمة ، فقدمه ابوه الى الشيخ ((**محمد المداسي**)) واخذ هذا الشيخ يلقن تلميذه ((**ابن باديس**)) سور **القــرآن الـكريم** حتى اتم حفظه واتقانه .

وفى عام 1903 بدا ((**عبد الحميد**)) مرحــلة جديدة فى التعليم على يد شيخــه ((**الونيسي**)) ، فأخذ عنه مبادئ العــلوم العربية والدينية .

وقد تأثر **ابن باديس** بشيخه **الونيسي** وكان يقول عنه :

((وَإِنّي لَأَذْكُرُ وَصِيَّةً أَوْصَانِي بِهَا ، وَعَهْدًا عَهِدَ به إليّ ، وأَذْكُرُ أَثرَ ذلك العهـدِ في نَفْسِي ومُسْتَقْبَلِي وحَيَاتِي وتَارِيخِي كُلِّهِ ، فَأَجِـدُنِي مَدِينًا لِهَذا الرَّجُلِ بِمِنَّةٍ لاَ يَقوَمُ بها الشُّكْرُ ، فقَدْ أَوْصَانِي وشَدَّدَ عليّ ان لا أَقْــرَبَ الْوَظِيفَةَ ولا أَرْضَاهَا ما حَيِيتُ ، ولا أَتَّخِذَ عِلْمِي مَطِيَّةً لَهَا ، كَمَا كَانَ يَفْعَـلُه أَمْثَـالِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ))(**) .

(*) مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلفت دولة الأغالبة على مملكة القيروان وقد توفي عـام 373 هـ – 984 مـ

(**) ابن باديس حياته وآثاره جزء 1 .

وعنــدما عقد الشيخ **الونيسي** عزمه على الهجرة الى **المدينة المنورة** هم **عبد الحميد** بصحبته لــكن والده لم يأذن له في ذلك .

ولمــا بلغ خمسة عشرعاما زوجه والده ، وانجبت زوجته مولودا اطلق عليه اسم « **محمد عبده** » اسماعيل .

وفي عام 1908 مـ سافر **عبد الحميد** الى **تونس** ، ليتم دراسته في **جامعة الزيتونة**

وتتلمذ على يد الشيخ « **محمد النخلي القيرواني** » والشيخ « **محمد الطاهر بن عاشور** » والشيخ « **الخضر بن الحسين** » الجزائري الأصل ، ونال شهادة الجامعة عام 1911 م ، وبقي في **تونس** عاما بعد تخرجه يشتغل بالتدريس هناك .

رحلــته إلى الحجــاز :

رجع **ابن باديس** من تونس إلى وطنه عام 1913 م ليبدأ عمله مدرسا حرا بلا اجر في سبيل نشر العلم واللغة والدين . وفي **الجامع الكبير بقسنطينة** بدا يلقي دروسه على الناس . ولــكنه قطع عمــله في نفس العــام الذي بدأ فيه وسافر الى الحجاز لأداء فريضة الحج . وهناك التقى بشيخه « **الونيسي** » وتعرف على الشيخ « **محمد البشير الابراهيمي** » الذي كان قد هاجر مع أسرته الى **المدينة المنورة** ، ونشأت بينهما صداقة وزاد تقارب الصديقين فكانا يجتمعان في **المدينة المنورة** كل مساء يتحدثان عن الجزائر وما آل اليه أمرها ويرسمان طريق الخلاص لها .

عــودته الى الجــزائر :

كانت رحلة ابن باديس الى الحجاز ذات آثار بعيدة في نفسه ، فقد عاد وهو ممتلئ حماسا لمتابعة كفاحه ، متفائلٌ بالنصر وتحقيق الغايات ، لما راى من اهتمام أبناء الجزائر المهاجرين ، بقضية بلادهم ، وصدقهم في الكفاح الى جواره وزاد من عزمه أن بعض مَنْ لقيهم من علماء المسلمين شجعه على الرجوع الى الجزائر والعمل على النهوض بها .

وقد اطلع ابن باديس في ملتقَى الحج الكبير على احوال المسلمين بصورة عامة ، ومــر بمصر في طريق رجوعه الى الجزائر والتقى ببعض علمائها من أمثال الشيخ « **بخيت** » العالم الأزهري .

فاستفاد من كل ذلك ، واختمرت في راسه فكرةُ العمل للإصلاح ، واثر وصوله إلى الوطن بدأ نشاطه في ميادينَ متعددةٍ .

نشاطه فى الاصلاح الدينى وألاجتماعي :

أ ـ **التعليم** : اتخذ ابن باديس من « **الجامع الأخضر** » معهدا لنشاطه التعليمي والتربوي فكان يعلم الصغار فى الصباح ويلقي دروس الوعظ فى المساء للكبار ، وبدأ فى هذا المجال بعدد صغير من التلاميذ ثم أخذ عددهم ينمو شيئا فشيئا ، وعندما تعلم على يديه لفيف من التلاميذ أرسل ببعضهم الى جامع الزيتونة بتونس ، وبعد عودتهم عملوا الى جواره بالتعليم ، واخذ ابن باديس يتصل بالأهالي ويشجعهم على افتتاح المدارس والتبرع بالأموال ، فانتشر هذا النوع من التعليم فى كثير من البلاد الجزائرية ، وكلما كثر تلاميذه تفرقوا فى البلاد واسسوا مدارس واعانهم الأهالي ، بمختلف الوسائل حتى تكونت الشبيبة الاولى التي واصلت الكفاح بعد وفاة ابن باديس .

ب ـ **الصحافة** : راى ابن باديس أن حركة الاصلاح الديني والاجتماعي يجب أن لا تقتصر على العملية التربوية ، التي يمكن لها ان تحقق اهدافها العظيمة ، وآثارها البالغة على المدى الطويل ، فبالاضافة إلى تعليم الكبار بالمساجد والنوادي ، والقيام بالوعظ والارشاد فى كل مكان ، وبَثِّ المدارس لتعليم النشء فى أنحاء كثيرة من البلاد ، رأى ابن باديس ضرورة إنشاء صحافة عربية ، تكون مِنبراً رحبا ، يعلن فى عزم وثقة ان **الحركة الإصلاحية الجزائرية** حركة شعبية اصيلة ، تعمل لإحياء التراث الثقافي للأمة ، وتَنْقِيَتِهِ مِنَ الشوائب التي عَلِقَتْ به ، وتنشر الوعي الديني والاجتماعي فى البلاد، وتعبر عن نُبْلِ اهداف هذه الحركة السَّلَفِيَّةِ ، وأَصَالَةِ مبادئها ، فكان إِصْدَارُه جريدةَ « **المنتقد** »عام 1926 عملا وطنيا شجاعا ، على طريق الجهاد ، لاستكمال عوامل النهضة ، واسترجاع خصائص الشخصية الجزائرية المتميزة ، ولكن الاستعمار الفرنسي الذي وجد فى تلك الحركة الاصلاحية خطرا عليه ، أخذ يطبق شعاره « **فَرِّقْ تَسُدْ** » ، فراح يخادع بعضا من رجال الطرق ، وبعضا من الموظفين الدينيين ، ويستميلهم بشتى الأساليب ، حتى مالأه نفر منهم ، فتصدى لهم ابن باديس بيراعه الكاشف ، وسلط أضواءه على هؤلاء النفر ، فعراهم من ثوب الخداع والتضليل ، وجاهد الاستعمار وأعوانه ، وحمل عليهم فى « المنتقد » حملات هزت كيانهم ، فلم تجد السلطة الاستعمارية الفرنسية الا أن تصدر أمرا بتعطيل الجريدة ، لكن ابن باديس وزملاءه واصلوا جهادهم ، كما واصلوا حملاتهم فى عدة صحف اخرى ، منها «الشريعة» و «السنة» و «الصراط» ، فَلَقِيَتْ جَمِيعُهَا نفسَ المصير في وقت مبكّر ، فاصدر « البصائر » التي استمرت تصدر حتى 1957 ، باستثناء فترة زمنية ، توقفت فيها ، اثناء الحرب العالمية الثانية .

حـ ـ تأسيس جمعية العلمـاء المسلمين :

مهد لنشأة هذه الجمعية عدة أسباب أهمها :

1) ظهور الحركات الاصلاحية فى البلاد الاسلامية والعربية ، كحركة جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا .

2) اندلاع الحرب العالمية الأولى وتأثيرها فى قيام كثير من الحركات والتنظيمات العالمية

3) نشـاط ابن باديس فى مجال التعليم ، وبعث اليقظة الروحية فى الجزائر .

4) عودة طائفة من العلماء الجزائريين الى البلاد بعد ان قضوا فترة من الزمن مهاجرين فى مختلف البلاد العربية ، وانضمامهم الى نشـاط ابن باديس .

وقد فكر ابن باديس سنة 1924 م فى تأسيس جمعية تتولى تنظيم الجهود وتقوم بالأعمال المختلفة ، والأنشطة المتعددة من اجل يقظة الجزائر ، وبعثها وإصلاحها ، واختار لها اسم جمعية **«الإخاء»** واختار مدينة قسنطينة مركزا لها. لكن ظروفا حالت دون قيام هذه الجمعية ، واستمر ابن باديس فى متابعة جهوده فكان يجوب البلاد والقرى ويتصل بالعلماء ويحث الناس على بعث أبنائهم الى « معهده » فى قسنطينة حتى كثر تلاميذه ، وتضافرت الظروف الملائمة لتأسيس الجمعية !

وفى عام 1931 م ، انعقد ـ بنادي « الترقي » فى العاصمة الجزائر ـ مؤتمر حضره العلماء الجزائريون الذين يمثلون مختلف طوائف العلماء الموجودين فى ذلك الوقت وبعد عدة اجتماعات ومناقشات أعلن المؤتمرون عن تأسيس **« جمعية العلماء المسلمين الجزائريين »** وتكوين مجلسها الاداري ، وانتخاب ابن باديس رئيسا لها فى غيابه ، وانتخاب البشير الابراهيمي نائبا لها ، وضم مجلسها الاداري مجموعة من العلماء والأدباء من بينهم « الطيب العقبي ، محمد الأمين العموري ، مبارك محمد الميلي ، وابراهيم بيوض ، والعربي التبسي ، ومحمد خير الدين » .

وقد اقترن تأسيسها باحتفال فرنسا بالعيد المئوي لاحتلال الجزائر ، بعد ان تأكد للسلطة الاستعمارية أنها قضت على الشخصية الجزائرية قضاء تاما . وأن احتلال الجزائر اصبح احتلالا مؤبدا ، فكان تأسيس الجمعية فى مثل هذه الظروف بمثابة الشعاع الذي يخترق حجب الظلام ليؤذن بقرب بزوغ الفجر .

وقد اعلنت الجمعية عن قانونها الأساسي وجاء فيه ما يلي :

1 ـ الاسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده ، وارسل به جميع رسله ، وكمله على يد نبيه محمد الذي لا نبي من بعده .

2 ـ الاسلام هو دين البشرية الذي لا تسعد الا به وذلك لأنه :

ـ أولا : كما يدعو الى الأخوة الاسلامية بين جميع المسلمين يذكر بالأخوة الانسانية بين البشر اجمعين .

ـ ثانيا : يسوي في الكرامة البشرية والحقوق الانسانية بين جميع الأجناس والألوان

ـ ثالثا لأنه يفرض العدل فرضا عاما بين جميع الناس بلا ادنى تمييز .

ـ رابعا : يدعو الى الاحسان العام .

ـ خامسا : يحرم الظلم بجميع وجوهه وبأقل قليله من اي احد على اي أحد من الناس .

ـ سادسا : يمجد العقل ويدعو الى بناء الحياة كلها على التفكير .

ـ سابعا ينشر دعوته بالحجة والاقناع لا بالختل والاكراه .

ـ ثامنا : يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبقونه كما يشاءون .

ـ تاسعا : اشتراك الفقراء مع الاغنياء في الأموال ، وشرع المزارعة والمغارسة مما يظهر به التعاون العادل بين العمال وارباب الاراضي والأموال .

ـ عاشرا : يدعو الى رحمة الضعيف فيكفى العاجز ويعلم الجاهل ويرشد الضال ويعان المضطر ويغاث الملهوف وينصر المظلوم ويؤخذ على يد الظالم

ـ حادي عشر : يحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه .

ـ ثاني عشر : يجعل الحكم شوري ليس فيه استبداد ولو لأعدل الناس .

3 ـ القرآن هو كتاب الاسلام ، والسنة الصحيحة تفسير وبيان للقرآن ، وسلوك السلف الصالح تطبيق صحيح لهدى الاسلام .

4 ـ ندعو الى ما دعا اليه الاسلام وما بيناه من الأحكام بالكتاب والسنة وهدى السلف الصالح من الأئمة .

5 ـ عند المصلحة العامة من مصالح الامة يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة ويصدع الوحدة ، ويتحتم التآزر حتى تنفرج الأزمة ـ باذن الله ـ بقوة الحق وسلاح العلم والعمل والحكمة (*) .

وهي في جملتها اهداف ترمي الى الاصلاح الديني والاجتماعي .

والحق انها كانت حركة بعث شاملة لمختلف جوانب الحياة ، وهيأت المناخ الوطني العام الذي مارست فيه كل العناصر السياسية عملها الوطني بالجزائر المعاصرة ، بصرف النظر عن الانتماءات الحزبية المختلفة ، فجميع الحركات الوطنية التي جاهدت في سبيل تحقيق الاستقلال اسهمت في تحقيق هدف رئيسي من اهداف جمعية العلماء ، وان لم تنضم تحت لوائها أو تطبق جميع أهدافها .

ومع أن الجمعية حاولت أن تنفي عن نفسها ـ خاصة في اول امرها ـ ان يكون لها اهداف سياسية ، لكنها لم تستطع ذلك ، واصبح لزاما عليها ان تصطدم بخصومها العديدين وهم : المستعمرون الفرنسيون من حكام ومعمرين وأذنابهم من الجزائريين الخادعين والمخدوعين .

وعلى الرغم من هذه الخصومات المتعددة فقد استطاعت الجمعية ان تؤدي عملها ، وان تقوم بأعبائها في تحمل مسئولياتها التاريخية ، وركزت نشاطها في عدة اوجه اهمها

(أ) تأسيس مدارس حرة لتعليم البنين والبنات .

(ب) الوعظ والارشاد وتثقيف الكبار ، ومحاربة البدع والخرافات الدينية والاجتماعية ومقاومـــة الالحـــاد .

(حـ) اصدار الصحف التي تعبر عن راي الجمعية ، وتعمل على نشر اهدافها .

ومن خلال هذه الأنشطة استطاعت ان توقظ امة من سباتها وأن تنهض بشعب طال به عهد الاستعمار ، وتحملت في سبيل ذلك الوانا من العسف والظلم والطغيان ، ولم يخفت صوتها ولم تهدأ حركتها حتى نشبت الحرب العالمية الثانية ، وفرضت حالة

(*) ص 152 (قال الشيخ الرئيس ابن باديس)

الطوارئ في البلاد ، فتجمد كل نشاط واستغلت الحكومة الفرنسية حالة الطوارئ فنكلت بعدد غير قليل من أعضاء الجمعية وعطلت كل أعمالها ، وفي أثناء ذلك توفي مؤسسها الأول الامام ابن باديس (1) .

وفاته :

كان امامنا ابن باديس نحيل الجسم ضعيف البنية ، لكنه كان جذوة مشتعلة من النشاط والحيوية والكفاح ، جند كل ساعات عمره لحركة الاصلاح ، فكان يعلم الصغار في الصباح ، ويعلم الكبار في المساء ، وفي الوقت نفسه يتابع نشاطه الصحفي وإدارة الجمعية . أما وقت فراغه فهو للتجوال في البلدان لتجميع الكلمة وتوحيد الجهود ، وافتتاح المساجد والمدارس والأندية وبث الحركة الاصلاحية عبر المدن والقرى .

ولم يمض ذلك كله دون أن يؤثر على صحته تأثيرا بالغا فأصبح في أواخر أيام عمره كما يقول البارودي : « اشلاء همة في ثياب » .

---

1 ـ في أثناء الحرب العالمية الثانية تجمد نشاط الجمعية بسبب حالة الطوارىء وتوفي ابن باديس وكان البشير مبعدا في منفاه ، فأصبح هو رئيسها والشيخ العربي التبسي نائبا لها .

وفي عام 1943 م عادت الجمعية الى نشاطها وحققت نجاحا في ميدان التعليم ونشره (راجع ترجمة البشير في هذا الكتاب ص454) .

وعندما سافر الشيخ البشير الى المشرق العربي لمتابعة نشاطه من هناك اصبح الشيخ العربي التبسي رئيسا عمليا للجمعية ، واستمر في الطريق الذي سلكته الجمعية ، وقد اصبحت جذورها متأصلة في القرى والجبال والمدن والسواحل والصحاري .

وفي شهر (جوان) من عام 1954 م اعلنت الجمعية ان قضيتها مع الحكومة الفرنسية في حرية التعليم والدين جزء من قضية الجزائر العامة لا تحل الا في اطار حل كلي لها ، وكان ذلك ارهاصا بالثورة المسلحة التي بدات بعد ذلك بقليل .

وعلى اثر قيام جبهة التحرير بنشاطها المسلح في أول نوفمبر 1954 اصدرت الجمعية بيانا من القاهرة تدعو فيه الشعب الجزائري إلى خوض القتال حتى النصر ، وهكذا حملت هذه الجمعية مشعل النهضة يوهجه رويدا رويدا حتى عم ضياؤه الآفاق ، واصبحت به الجزائر رائدة لمختلف الحركات التحررية في العالم الثالث .

لمزيد من التفصيل راجع « ترجمة ابن باديس والبشير الابراهيمي والنصوص المختارة » لهما في هذا الكتاب . 2 ـ جوانب من الحياة العقلية والادبية . محمد طه الحاجري . 3 ـ قال الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس ، محمد طاهر فضلاء . 4 ـ ابن باديس حياته وآثاره : اعداد د. عمار الطالبي . 5 ـ الامام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحركة التحرير الجزائرية للدكتور محمود قاسم . 6 ـ الجزائر الثائرة : الفضيل الورتلاني . 7 ـ الامام الرائد محمد البشير الابراهيمي : محمد الطاهر فضلاء . 8 ـ عيون البصائر : البشير الابراهيمي . 9 ـ سجل مؤتمر جمعية علماء المسلمين الجزائريين . 10 ـ مجلة الشهاب : العدد الرابع عشر . 11 ـ المغرب العربي : صلاح المقداد . 12 ـ تاريخ الجزائر : محمد مبارك الميلي . 13 ـ نهضة الجزائر الحديثة : محمد علي دبوز .

ومع ذلك فقد ظل يتابع عمله الى ان اشتد به المرض ، وهو في مقره الدائم بمدرسة التربية والتعليم ، ثم غادرها الى دار أبيه قبيل وفاته بأيام قلائل . وفي مساء الثلاثاء 8 ربيع الأول سنة 1359 هـ ، 16 أفريل 1940 م انتقلت روحه الطاهرة الى الرفيق الأعلى ، وخرجت قسنطينة بأكملها تودعه الوداع الأخير ، وكان يوما مشهودا على الرغم من الظروف الاستثنائية التي كانت تعيش فيها البلاد بسبب الحرب العالمية .

ودفن جثمانه في روضة اسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة ، رضي الله عنه في الخالدين (١)

عــوامل نبوغــه :

اجتمعت عــوامل متعــددة اثرت في تكوين شخصية **ابن باديس** الثقافية ، واهم هذه العــوامل ما يلي :

أولا : ذكاؤه واستعداده الفطري وقوة عزيمته وارادته الصلبة واحتمــاله الصعــاب وقدرته على تخطي العقبــات .

ثانيا : اسرته ، التي عرفت بالعلم والمجد والثراء ، فقد اعانته كثيرا بما هيأت له من فرص التفرغ للدراسة والتعليم ، وبما أمدته من معونة مالية جعلته حرا لا يتقيد بوظيفة أو عمل يكسب منه الرزق ويعوقه عن القيام بمهمته ، كما كانت درعا واقيا له من بطش المستعمرين ، لما تتمتع به من مكانة اجتماعية وتقدير لدى السلطة الحاكمة .

ثالثا : ثقافته الدينية والعربية واعظمها اثرا في فكره واســلوبه هو « القرآن الكريم » ، وقد تزود من ثقافة شيوخه في الجزائر وتونس ، وزار بلاد الحجاز ومصر وفرنسا ، واستفاد من اطلاعه الواسع في عــلوم اللغة والتاريخ والفقه والحديث والتفسير وغيرها .

رابعا : حركة الاصلاح في العــالم الاسلامي والعربي ، وقد عاصر ابن باديس « حركة الاصلاح الديني » التي نادى بها « جمال الدين الافغــاني » ، و « رشيد رضا » وكان لجريدة « العروة الوثقى » ، ومجلة « المنــار » أثر بارز في حياة ابن باديس الثقافية واتجاهه الاصلاحي .

خامسا : احداث عصره وظروف مجتمعه ، فقد قضى **ابن باديس** فترة طويلة في تعليم التلاميذ وتهذيبهم ، واعداد المقالات في الأغراض السياسية والاجتماعية والأدبية والدينية لنشرها في الصحف المختلفة ، وكان يخاطب الجماهير في الاحتفالات الدينية والمهرجانات القومية ، وقد اثر كل ذلك في توجيه أدبه وجهة خاصــة في شكله ومضمونه .

1 ــ ابن باديس ، حياته وآثاره : د. عمــار طالبي ، ص 95 .

اثـــاره العلمية (*) :

أسفر كفاح اكثر من ثلاثين عـــاما من حياة « **الامام عبد الحميد بن باديس** » عن الثمـــار التـــالية :

1 – **تفسير القـــرآن الـــكريم كـــله في دروس ألقـــاها على تلاميذه استغرقت ثلاثة وعشرين عـــاما .**

2 – **شرح «موطا الامام مالك» فى «الحديث النبوي الشريف» تدريسا(**) وقد كتب بعض دروسه فى التفسير والحديث ونشرها بمجلة «الشهاب» .**

3 – **مقـــالات وخطب ورسائل في موضوعات سياســـية واجتماعية .**

4 – **تراجم لبعـــض الشخصيات الاسلامية والعربية .**

5 – **بعـــض المقطـــوعات الشعـــرية .**

منهجه فى التفســـير والحـــديث :

نهج **ابن باديس** في شرحه نصوص **القرآن الـــكريم والحديث النبوي الشريف** منهاجا خاصا ، وفق فيه بين **معطيات الاسلام** الصـــالح لـــكل زمان ومكان ، وما يتطلبه تطور العصر الحديث .

وتتضح خصـــائص منهجه فيما يلي :

اولا : ربط الدين بالدنيا ، واتخاذ المبادئ الدينية اساسا لبناء المجتمع والنهوض به ، وتربية الأمة ، وتهذيب اخلاقها فكرا وسلوكا وعمـــلا .

فعنـــدما يفسر قوله تعـــالى :

« أَقِمِ الصَّـــلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ الى غَسَقِ اللَّيْـــلِ وقُـــرْآنَ الْفَجْـــرِ إِنَّ قُـــرْآنَ الْفَجْـــرِ كَانَ مَشْهُـــودًا »(1).

يبدأ حديثه بذكر اسباب النزول وارتباط الآي بعضها ببعض ، ثم يشرح الألفاظ والتراكيب ، وبعدها يفسر المعنى العام ويستخرج منه الأحكام ، ثم ينتهي الى الجانب التعليمي التطبيقي ، فيقـــول :

(*) قامت دار **مكتبة الشركة الجزائرية للتاليف والترجمة والطباعة والنشر** ، لاصحابها : **مـــرازقة وابو داود وشركائهما** بنشر كتاب « **ابن باديس وآثاره** » في أربعة أجزاء . وقد جمع هذا الـــكتاب وقدم له الدكتور : **عمـــار الطالبي** .

(**) اقيم مهـــرجانان وطنيان بمناسبة اختتام دروس التفســـير وشرح احاديث « **الموطا** » بقسنطينة .

1 – من ســـورة الاسراء ، الآية رقم 78 .

« فِي رَبْطِ الصَّلاَةِ بِالْأَوْقَاتِ تَعْلِيمٌ لَنَا لِنَرْبُطَ أُمُورَنَا بِالْأَوْقَاتِ وَنَجْعَلَ لِكُلِّ عَمَلٍ وَقْتَهُ ، فَلِلنَّوْمِ وَقْتُهُ ، وَلِلرَّاحَةِ وَقْتُهَا ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ وَقْتُهُ . وَبِذَلِكَ يَنْضَبِطُ لِلْإِنْسَانِ أَمْرُ حَيَاتِهِ وَتَطَّرِدُ لَهُ أعمالُه . ويَسْهُلُ عليه القيامُ بالكثيرِ من الأَعْمَالِ . أمّا إِذَا تَرَكَ أعمالَهُ مُهْمَلَةً غيرَ مُرتَبِطَةٍ بِوَقْتٍ، فإنَّهُ لا بُدّ أنْ يضطرِبَ عليه أمرُهُ ويَتَشَوَّشَ بالُهُ ولا يأتي إلا بالعملِ القليلِ ويُحْرَمَ لذّةَ العملِ ، وإذا حُرِمَ لذّةَ العملِ أصابهُ الكسلُ والضَّجَرُ فقلَّ سَعْيُهُ ، وكان ما يأتي به من عملٍ ـ على قِلّتِهِ وتَشَوُّشِهِ ـ بعيدًا عَنْ أيِّ إتْقَانٍ »(1) .

ثانيا : استبطان النفس الانسانية وملاحظة الظواهر النفسية في فهمه لنصوص الدين فعندما يفسر قوله تعالى :

« والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِن أَزْوَاجِنَا وذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا »(2).

يربط نسق هذه الآية بما قبلها على أساس من فهم النفس الانسانية وتأمل الطبيعة البشرية فيقول :

« قد تَخْفَى عَلَيْكَ دَخِيلَةُ نَفْسِ الْإِنسانِ فَيُمْكِنُكَ أنْ تَعْرِفَهَا بِمَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ فَإِذَا جَرَتْ كَلِمَاتُهُ بِمَحَبَّةِ انْتِشَارِ الْخَيْرِ والْكَمَالِ فهو من أَهْلِهَا ، وإِذَا جَرَتْ بالضدّ فهو على الضدِّ ، فما يحب الانسانُ انتشارَه هو الدليلُ على صفاتِ نفسِه ، وهو ميزانٌ تَزِنُهُ به في الشرِّ والخيرِ ، والنقصِ والكمالِ (3) .

ثالثا : ميله الى التحليل عن طريق الحوار الذاتي ، وذلك بأن يورد سؤالا أو اعتراضا ثم يتولى الاجابة عنه بنفسه ، من ذلك مثلا عندما يشرح قوله تعالى :

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ من بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ »(4).

فيتساءل ويجيب : **« قَدْ يُقَالُ فَمَا هِيَ الْفَائِدَةُ إِذًا فِي تَخْصِيصِ الصَّالِحِينَ بالذكرِ في هذه الآية ؟ »** .

والجواب : **« أن هذه الآيَةَ خُوطِبَ بِهَا الصَّحَابَةُ بمكّةَ ، وهم الصالحونَ لِيعْلَمُوا ما وعدَهُم اللهُ بِهِ ، وليعْلَمُوا أنَّ قوّةَ الباطلِ إلى ضعفٍ ، وأن ضعفَ الحق إلى قُوَّةٍ » (5) .**

ولا شك في أن منهجه التربوي هو الذي دفعه الى هذه الطريقة ، لان إلقاء السؤال يثير الانتباه ، فاذا جاء الجواب بعده كان أبقى في نفوس السامعين ، واعظم نفعا و فائدة .

---

1 ـ ابن باديس ، ج. 1 ، ص. 312 2 ـ من سورة الفرقان ، الآية رقم 74 . 3 ـ راجع تفسير ابن باديس ، ج. 1 ، ص. 492 . 4 ـ من سورة الأنبياء الآية رقم 104 . 5 ـ ابن باديس ، ج. 1 ص. 355 .

وبهذه الطريقة التربوية الرشيدة سار الامام **ابن باديس** في شرح الأحاديث النبوية الشريفة .

ويعتبر هذا المنهج العصري في فهم الدين وربطه بظروف العصر والزمان والبيئة والمجتمع خطوة موفقة في احياء الدين ، وقد سار عليها كل من الأستاذ « **محمد عبده** » والأستاذ « **رشيد رضا** » ، ثم الامام « **ابن باديس** » الذي قدر له أن يتم شرح **القرآن الكريم** كله على هذا المنهاج .

أدبه السياسي :

غلب الطابع التربوي على انتاج « **ابن باديس** » الأدبي من حيث الصورة الظاهرية وبرزت الروح السياسية واضحة من خلال ما تناوله في دروسه العلمية وأدبه الاجتماعي بين الاخفاء والتصريح .

بين الاخفاء والتصريح :

لم يعلن ابن باديس صراحة فى بداية نشاطه انه يهدف الى غايات سياسية حفاظا على حركته من أن يعصف بها اعداؤه فى مهدها ولذلك كان ــ احيانا ــ يهاجمهم بصفته الشخصية لا كمسؤول عن جمعية العلماء (*) .

ولكن اهدافه السياسية اخذت تظهر شيئا فشيئا عندما بدأ يصطدم بخصومه الذين انكروا عليه وعلى جماعته التدخل فى الشؤون السياسية بحجة أنهم علماء تربية ودين . فأجابهم محتجا بقوله :

« ثمّ ما العَيْبُ الَّذِي يُعَابُ به علماءُ المسلمين إذا شَارَكُوا فى السِّيَاسَةِ ؟ فهل خَلَتِ المجالسُ النيابيةُ الـكُبْرى والصُّغْرى مِن رِجَالِ الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى ؟ وهل كانت الأكاديميةُ الفرنسيةُ خاليةً مِن آثارِ الوزيرِ القسّيسِ رشاليو ؟ » .

ثم يفصح **ابنُ باديس** عن أهدافه السياسية في صراحة وجراة وثقة بالله وبالنفس فيقول :

« إنَّ الاسْتِقْلَالَ حَقٌّ طَبِيعِيٌّ لِـكُلِّ أُمَّةٍ مِن أُمَمِ الدُّنْيَا . وقد اسْتَقَلَّتْ أُمَمٌ كانت دُونَنَا في القوّةِ والعلمِ والمنعةِ والحضارةِ ، ولسْنَا من الذين يَدَّعُون عِلمَ الغيبِ مع اللهِ ويقولون إن حالةَ الجزائرِ الحاضرة ستدومُ الى الأبدِ . فكما تقلّبتِ الجزائرُ مع التاريخ فمن الممكن أن تزدادَ تقلُّبًا . . وتُصْبِحَ البلادُ الجزائريةُ مستقـلةً استقلالا واسعا تَعْتَمِـدُ عليها فرنسا اعتمادَ الْحُرِّ عَلَى الْحُرِّ » (**) .

(*) راجع منشور المقاطعة من بين نماذج ادب ابن باديس فى هذا الكتاب .
(**) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 321 .

سـياسة أصـيلة :

ونزعة **ابن باديس** السياسية أصيلة تعبر عن ارادة الأمة الجزائرية ، فليست تقليدا أو ترديدا لحركة سياســية من حركات الامم الأخرى « **ليس في حركتِنا الدينيةِ ولا في الحركةِ السياســيةِ يدٌ خارجيةٌ** » .

وقوام هذه السياسة هي **تاكيد الشخصية الجزائرية** كشخصية عربية مسلمة :

شَعْـبُ الْجَـزَائِرِ مُسْـلِمٌ   وإلى العُـرُوبةِ يَنْتَسِـبُ

موقفــه من فرنســا :

ومن ثم حارب **ابن باديس** فكرة اندماج الجزائر بفرنسا :

« إِنَّ هَـذِهِ الأُمَّةَ الجزائريةَ الاسلاميةَ ليست هي فرنسا ، ولا يُمْكِنُ أَنْ تكـونَ فرنسا ، ولا تُرِيدُ أن تصيرَ فرنسا ، ولا تستطيعُ أن تصيرَ فرنسا ولو أرادت . بل هي أمةٌ بعيدةٌ عن فرنسا كلَّ البُعْـدِ في لغتِهَا وفي أخـلاقِهَا ، وفي عُنْصُرِها ، وفي دينِها لا تريد أن تندمجَ . ولهـا وطنٌ مُحَدَّدٌ هو الوطنُ الجزائريُّ (١) .

وقد اتخذ **ابن باديس** من فرنسا موقفا ذكيا حكيما مقنعا ، فهو يلخص موقفها من الجزائر في هذه الـكلمات :

« إن الذي يناسبُ سمعةَ فرنسا ومبادئها ويصدِّقُ ما ينادي به خطباؤها ويكون اجمعَ للقـلوبِ عَلَيْهَا ، هو ان تُعْنَى بالْعِبَادِ كما تُعْنَى بالْبِـلاَدِ » (2) .

ثم يذكِّـرُ **ابنُ باديس** المستعمرين الفرنسيين بموقف الجزائر من فرنسا خلال ازماتها السياسية ويطالبها بأن ترد الى الجزائر شيئا من ذلك :

« إِنَّ الامةَ الجزائريةَ قامت بواجبها نحو فرنسا في أيام عُسْرِها ويُسْرِهَا ومع الاَسَفِ لم نَرَ الجزائرَ قد نالت على ذلك ما يصلُحُ أن يكونَ جزاءَهَا ، فنحن ندعو فرنسا الى ما تقتضيه مبادئُها الثلاثةُ التاريخيةُ (الحريةُ ، والمساواةُ ، والاخوةُ) من رفع مستوانا العلميِّ والادبيِّ » (3) .

الـولاية في الاســلام :

ويرى **ابنُ باديس** ان الولاية في الاسلام تقوم على أسس معيــنة ، يجب أن تسـود في الأمم الاسلامية المستقـلة أو الأمم المجاهدة في سبيل استقلالها ، وهذه الاسس تتلخص في **أن السلطة ملك للأمة يتولاها اقدرُ الناس على القيام بها ، وأن الأمةَ رقيبةٌ**

1 ـ ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 390 . 2 ـ ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 279 . 3 ـ ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 279

عليها باعتبارها مصدر السلطة ، وان عليها ان تؤيّدَ الحاكمَ وتتضامنَ معه باعتبارها شريكة لـه في المسئولية ، ومن حقها ان **تقوّمَ اعوجاجَه** وتنصحَه وترشدَه وتحاسبَه على أعماله ، ومن حقها أن تعرفَ الخُطّةَ التي يسيرُ عليها وليس له الحقُّ في أن يحكمَ الا بالقانون الذي ارتضته الأمةُ لنفسها ، وأبناؤها جميعا سواءٌ أمام القانون (١) .

ويُفرّقُ **ابنُ باديس** في نظرته الى الوحدة العربية بين النواحي السياسية ، والقومية او الأدبية ، فهي بالمعنى الثاني قائمة لا محالة لما بين شعوب الأمة العربية من روابط الجنس واللغة والتاريخ والآلام والآمال .

أما الوحدة السياسية ، فانه يرى عدم امكانية قيامها فى ذلك الوقت ، لأن الاستعمار لا يسمح بقيامها ، **والوحدة السياسية لا تتم إلابين دول تملك أمرَ نفسِها .** ويرى انه من الخيرِ للشعوب العربية الواقعة تحت نيرِ الاستعمار ان تعملَ كلٌّ واحدة منها فى دائرة وضعيّتِها الخاصةِ ، كل دولة وما يناسبها من الخطط السياسية التي تستطيع تنفيذَها بالطرقِ المعقولةِ الموصلةِ مع الشعور التام بالوحدة القومية والأدبية العامة والمحافظة عليها والمجاهرة بها (2) .

الخلافة الاسلامية :

فرق **ابن باديس بين** الخلافة الاسلامية كنظام شورى يجمع قوة المسلمين ، وبين الخلافة الاسلامية الزائفة التي كانت مطيةً للمستعمرين يَفْتِنُونَ بها عَضُدَ المسلمين ويُمزِّقُونَ وَحْدَتَهُم ، فهذه الخلافةُ ، لا يرى ابنُ باديس خيرًا فيها ، فقد كانت نكبةً على المسلمين ، إذ فُتِنُوا بها لغير جدوى ، وحاربهم من أجلها الدولُ الغربيّةُ المتعصّبَةُ والمتخَوّفَةُ من الاسلامِ (3) .

وكان **ابن باديس** من دعاة الوحدة بين جماعة المسلمين ، وحدة تقوم على الجماهير لا على الحكومات والنظم ، لأنه لا يثق في الحكومات الوهميّةِ بينما يثق في الجماهير ثقةً مطلقةً ، لأن ضميرَها حيٌّ لا يموتُ (4) .

أما نزعته الانسانية العالمية في سياسته ، فانه يعبر عنها في قوله :

« إِنّنَا نحبُّ الانسانيةَ ، ونعتبرُها كُلاًّ ، ونحب وطنَنَا ونعتبرُه منها جُزءا . . ونحب من يحبُّ الانسانيةَ ويخدمُها ، ونُبْغِضُ من يُبْغِضُها ويَظْلِمُها » (5) .

أدبه الاجتماعي :

غلب الأدب الاجتماعي على إنتاج **ابن باديس** ، وتناول فيه موضوعات متعددة ، وعالج قضايا مختلفة من أهمها :

(1) ابن باديس ج. 3 ، ص. 461 .
(2) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 398 .
(3) ابن باديس ج. 3 ، ص. 411 .
(4) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 410
(5) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 278

1 ـ **الدين** : كان من أهم أهداف الاستعمار الفرنسي في الجزائر القضاء على الشخصية الجزائرية التي يُعْتَبَرُ الدينُ الاسلاميُّ أول مقوماتها ، فاستعان المستعمرون على ذلك ببعض رجال الطرق ، وراح هؤلاء يبثون خرافاتهم بين عامة المسلمين ، فتصدى لهم الامام **ابن باديس** وهاجمهم هجوما عنيفا . يخاطبهم قائلا :

« أقولُ لكم بغاية الصراحة إنكم تجهلون أصولَ الإسلامِ ، لأنكم لم تَتَعَلَّمُوهَا ، وأَنكم بِضرورة ذلك مخطئون فيما تَنْسُبُونَهُ إِليه ، وأَن الناس لعلمهم بذلك منكم لا يَقْتَدُون بشئ مما تقولون »(1) .

وليس الدين في نظر **ابن باديس** مجرد ظاهرة اجتماعية يدلي برأيه فيها كما يفعل عادة المفكرون والأدباء ، وانما نظر الى الدين نظرة شاملة فجعله **دستورَ الحياة ، ومنهجَ تربيةِ الأمة ، والأساسَ الذي ينهض عليه المجتمعُ الانسانيُّ الرفيعُ .**

2 ـ **التعليم** : التعليمهو اساس اصلاح الأمة في نظر **ابن باديس** ، وقد عبر عن هذه الحقيقة فى قوله :

« لن يصلُح المسلمون حتى يصلُحَ علماؤُهم ، فإنما العلماءُ من الأمة بمثابة القلبِ اذا صلُح صلح الجسدُ كلّه . . ولن يصلح العلماءُ الا اذا صلح تعليمُهم . . ولن يصلح هذا التعليمُ الا اذا رجَعْنَا بهِ إلى التعليمِ النَّبَوِيِّ فى شكْلِه وموضوعِه ، في مادّتِه وصُورَتِه »(2) .

وساء **ابنَ باديس** مَا رَآهُ مِنَ أبْتِعَادِ العلماء عن **الكتاب والسنة** في طريقة التعليم ، كما عاب عليهم تفكيرَهم وعدمَ اجتهادهم : « **فالعلماءُ** ـ إلا قليل منهم ـ **اجانبٌ او كاجانب من الكتاب والسنة ، من العلم بهما ، أو التَّفَقُّهِ فيهما** » (3) .

3 ـ **النقد الاجتماعي** : لقد تصدّى ابن باديس للدفاع عن دينه ومجتمعه ، فكان يهاجم خصومه بالرفق حينا ، والعنف احيانا ، ولكنه **التزم بمبدأين في نقده الاجتماعي .**

أولاهما : انه لم ينقد الاشخاص لذواتهم ، وإنما كان ينتقدهم لصفاتهم التي تتصل بالوطن والمواطنين .

« وَأَمَّا صِفَاتُهم وأعمالُهم العموميةُ فهي التي نتعرض لها ، وننقدها ، فننقد الحكامَ والمديرين والنوابَ والقضاةَ والعلماءَ وكلَّ مَنْ يتولّى شأنا عامًّا من أكبرِ كبيرٍ إلى أصغرِ صغيرٍ من الفرنسيين أو الوطنيين » .

---

(1) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 14

(2) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 217

(3) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 219 .

ثانيهما : الموضوعية في النقد ، والتزام الصدق والنزاهة . يعبر عن ذلك بقوله :

« وسنسلك فِي انتقادنا طريقَ الحقيقةِ المجرَّدَةِ والصِّدْقِ والإِخْلَاص والنزاهةِ والنَّظَافَةِ في الكلامِ » .

4 ـ **المرأة** : نظر ابن باديس الى المراة نظرة المصلح الواعي ، ولاحظ ان مكانتها في المجتمع الجزائري دون المستوى اللائق ، ورأى ان النهضة الحديثة لا تقوم على عاتق الرجال دون النساء ، فطالب بوجوب تعليم المراة ، والحفاظ عليها من مفاتن السفور ، وقال في ذلك :

« إذا أردتم إِصْلَاحَهَا الحَقِيقِيَّ فارْفَعُوا حِجَابَ الْجَهْلِ عن عَقْلِها قَبْلَ أنْ تَرْفَعُوا حجابَ السِّتْرِ عن وَجْهِهَا ، فان حِجابَ الجهلِ هو الذي أخَّرَها ، وأمَّا حجابُ السِّتْرِ فانه ما ضرَّها في زمانِ تَقَدُّمِهَا ، فقد بلغت بناتُ بغدادَ وبناتُ قرطبةَ وبناتُ بجايةَ مكاناً عاليًا في العِلمِ وهُنَّ مُتَحَجِّبَاتٌ » (1) .

ويرى ابن باديس : « أن العلومَ التي تليق بالمرأةِ هي العلومُ التي تُعِدُّهَا لأُمُومَتِهَا حتى ينشأَ على يدها جيلٌ ينتفعُ به الوطنُ . وهي رَبَّةُ البيتِ وراعيتُهُ ، والمضطرةُ بمقتضى هذه الخِلْقَةِ لِلْقِيَامِ بهِ ، فعلينَا أن نُعَلِّمَهَا كلَّ ما تحتاجُ إِليه للقيام بوظيفتِها وتربيتِها على الأخلاقِ النسَوِيَّةِ التي تكون بها المرأةُ امرأةً ، لا نصفَ رجل ونصفَ امرأةٍ ، فالتي تَلِدُ لنا رجلاً يطيرُ خيرٌ من التي تطيرُ بنفسها »(2) .

ولم ير **ابن باديس** مساواة المراة بالرجل مساواة تامة في ممارسة جميع الاعمال . وقد عاب على من ذهب الى هذا الراي ، فعندما قرا كتاب **« امرأتنا للشيخ الطاهر الحداد »** علق عليه بقوله :

« ما تَوَقَّعْتُ أَنْ يكونَ مِمَّنْ يَدْعُون إِلى الذَّهَاب بها في تَيَّارِ المدنيّةِ الغربيّةِ إِلى ما يُخْرِجُها عن حدودِ دينِها ووظيفةِ أنوثتِها » (3) .

التــراجم والســـير :

كان **ابن باديس** شغوفا بسيرة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وسيرة صحابته المكرمين ، وعظماء الاسلام السابقين من الرجال والنساء ، فكتب سيرا موجزة عن بعضهم مثل « **عبادة بن الصامت** » و « **سعد بن الربيع** » و « **ابى ذر الغفاري** » و « **هند بنت عتبة** » و « **الخنساء** » ، وغيرهم . .

وقد غلب على دراسته لهم ذكر اخبارهم وتوضيح العبرة والموعظة في سيرتهم ، والتركيز على المواقف البطولية في حياتهم ليتخذ من كل ذلك وسائل يعلم بها تلاميذه ويبعث بها الى امته .

---

(1) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 464 .　　(2) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 369 .

(3) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 475 .

شـــعره :

إنانتاج **ابن باديس** في ميدان الشعر لا يتجاوز القصيدتين او الثلاث ، ومن اشهر شعره ، قصيدته التي كتبها إثْرَ رجوعه من فرنسا عام 1937 مـ ، والتي حارب فيها فكرة إدماج الجزائر في فرنسا ، والحّ على توضيح معالم الشخصية الجزائرية وهي العروبة والاسلام :

شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبْ
مَنْ قَالَ حَادَ عَنِ اصْلِهِ أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبْ

وقد رسم **ابن باديس** في هذه القصيدة طريقَ الثورة ضد المستعمرين واعوانِهم من الخونةاو السلبيين . اما المستعمرون فلهم الويل والدمار :

وأَذِقْ نُفُوسَ الظَّالِمِينَ السُّمَّ يُمْزَجُ بالرَّهَبْ

واما الخونة والعملاء فهم كالشجرة الخبيثة لا تنبت الا خبثا ، وخير علاج لها ان تجتث من الارض :

واقْلَعْ جُذُورَ الْخَائِنِينَ فَمِنْهُمُ كُلُّ الْعَطَبْ

واما السلبيون والغافلون فقد يستفيقون على صيحات الاحرار فيصبحون قوة يشتد بها عضد المجاهدين :

واهْزُزْ نُفُوسَ الْجَامِدِينَ فَرُبَّمَا حَيِيَ الْخَشَبْ

وكأن الشاعر الملهم كان يرهص بمسيرة النضال في الجزائر ، فقد سارت كتائب جيش التحرير على هذه الطريقة وحققت للجزائر حريتَها واستقلالَها .

وللامام **ابن باديس** شعرٌ دينيٌّ يُنْبِئُ عن ايمانٍ وصدقٍ بالله ورسوله واعتزازٍ بالاسلام والعروبةِ .

المجدُ للّهِ ثم المجدُ للعرب من أَنْجَبُوا لِبَنِي الإِنسانِ خيرَ نَبِي
ونَشَرُوا مِلَّةً فِي النَّاسِ عَادِلَةً لاَ ظُلْمَ فِيهَا عَلَى دِينٍ ولاَ نَسَبِ
وحَرَّرُوا الْعَقْلَ مِن جَهْلٍ ومِنْ وَهَمٍ وحَرَّرُوا الدِّينَ مِنْ غِشٍّ وَمِنْ كَذِبِ
وحَرَّرُوا النَّاسَ مِنْ رِقِّ الْمُلُوكِ ومن رِقِّ الْقَدَاسَةِ بِاسْمِ الدِّينِ والْكُتُبِ
قَوْمِي هُمُ وبَنُو الإِنْسَانِ كُلُّهُمُ عَشِيرَتِي وَهُدَى الإِنْسَانِ مُطَّلَبِي
أَدْعُو إِلَى اللّهِ لاَ أَدْعُو إِلَى أَحَدِ وَفِي رِضَى اللّهِ مَا نَرْجُو مِن الرَّغَبِ

ويختم احدى خطبه بهذه الأبيات :

أَشَعْبَ الْجَزَائِرِ رُوحِي الْفِدَا ... لِمَا فِيكَ مِن عزة عربيهْ
بَنَيْتَ عَلَى الدِّينِ أرْكَانَهَا ... فَكَانَتْ سَلاَمًا عَلَى الْبَشَرِيَّهْ
خَلَّدْتُمْ بِهَا وبِكُم خُلِّدَتْ ... بهذِي الدِّيارِ عَلَى الأَبَدِيَّهْ
فَدُومُوا عَلَى الْعَهْدِ حتَّى الْفَنَا ... وحَتَّى تَنَالُوا الْحُقُوقَ السَّنِيَّهْ
تَنَالُونَهَا بِسَوَاعِدِكُم ... وإِيمَانِكُم والنُّفُوسِ الأَبِيَّهْ
فَضَحُّوا ، وَهَا أَنَا بَيْنَكُمُ ... بِذَاتِي وَرُوحِي عَلَيْكُمْ ضَحِيَّهْ

واذا تأملنا هذا الشعر وجدناه قليلا ، ولم يتناول اغراضا كثيرة ، واولى ان نسميه **« أناشيد وطنية »** حماسية .

وافكاره بسيطة ومعانيه واضحة ، رددها الشاعر في نثره كثيرا ومعظمها مبادئ وقيم تقوم عليها دعوته الاصلاحية للنهوض بالمجتمع الجزائري .

واسلوبه سهل فصيح لم يعتمد على الخيال او الصورة الفنية ، وموسيقاه خفيفة تساعد على الحفظ والانشاد .

شخصيته الادبية وخصائص اسلوبه :

1 ــ الامام **« عبد الحميد بن باديس »** مصلح اجتماعي ورائد نهضة قومية ، اتخذ من الفنون الأدبية اداة طيعة في تحقيق اهدافه الاصلاحية ، واكثر الوان الفنون الأدبية ملاءمة لهذا المنهج هما : **الخطابة والمقالة** ، وذلك لأن الخطابة ــ كما عرفت هي وسيلة من وسائل الاتصال المباشر بين المصلح والجمهور ، وبها يؤثر فيهم معتمدا على أسلوبه وشخصيته . **والمقالة** : هي الوسيلة الفعالة لنقل الأفكار ، وتنظيم الاتصال بين المصلح واتباعه المتفرقين في عديد من الجهات .

ومن ثم فان **ابن باديس** اعتمد على هذين اللونين من الوان الفنون الادبية اعتمادا كبيرا الى درجة يمكن معها القول بأنه اقتصر عليهما دون غيرهما من سائر الفنون الأدبية الأخرى .

وقد كان **ابن باديس** بارعا يؤثر في الناس بقوة روحه وحسن سلوكه وصدق عاطفته ، وبلاغة حجته ووسائل اقناعه ، وسهولة تعبيره ووضوح افكاره . ومعظم خطبه يرتجلها ارتجالا في مناسبات سياسية أو اجتماعية أو دينية .

ولابن باديس باع طويل في فن المقالة ، وقدم راسخ في تدبيجها بألوانها المتعددة **وقد تميزت مقالاته بتجديد موضوعها وترتيب افكارها وقوة حجتها ووضوح معانيها وسهولة الفاظها .**

2 ــ وأوضح ما يتميز به أدبه على اختلاف موضوعاته سياسية أو اجتماعية وعلى اختلاف الوانه من مقالة او خطبة او محاضرة ، هو **امتزاجه بالفكر الاسلامي** وربط الموضوع الذي يعالجه بمبادئ الدين الاسلامي في معناه الشامل ، ومن ثم فقد كثر في أدبه الاستشهاد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وقد ورد فيه أحيانا أمثلة من مواقف المسلمين العظماء .

3 ــ وليس للنزعة الفنية الذاتية نصيب في ادب **ابن باديس** ، لأنه ادب موجه لخدمة المجتمع ، ولذلك فقد اتصف بالصدق والأصالة ، وجاء تعبيرا عن تجارب حية ومواقف طبيعية ، وسجل احداث عصره تسجيلا أمينا .

4 ــ وكان لمنهج الالتزام اثر في اتخاذ هذا الأدب طابعا فكريا موحدا لم يحد صاحبه عنه ، لأنه يعكس مبادئ وقيما بينة المعالم متناسقة النتائج ، وان اختلفت الوان الثوب الذي يرتديه من مجاهرة صريحة الى مداراة مقصودة تبعا لاختلاف الظروف السياسية التي تعرض لها الكاتب وخاصة في أدبه السياسي .

5 ــ **ولابن باديس** شعر انشادي يلائم منهجه الاصلاحي وخطته في النهوض بأمته

وربما لا تتفق كثيرا طبيعة الشعر مع طريقة الدعاة والمصلحين ، فبينما يعتمد الشعر على تصوير حالات شعورية طارئة تعتمد على الخيال وتقوم على التصوير الفني ، يلجأ المصلحون الى التعبير عن الواقع بما فيه من ظواهر اجتماعية وتحديد منهج دقيق محدد لمعالجة ما فيه من امراض ، وبذلك المنهج يتجنبون العقبات أو الانفعالات التي قد تنحرف بهم عن سواء السبيل .

6 ــ ومع ان **ابن باديس** كان هادئ الفكر رحب الصدر في المناقشة ، لكنه كان صارما حادا أحيانا عندما يرى أن هذا الأسلوب هو اللائق بمن يخاطبهم ، ومن ذلك ما قاله في الرد على خصومه الذين عرضوا به وبخطته ووضعوه في مأزق حرج مع المستعمرين :

« لَوْ كُنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَنْحَطَّ إِلى تِلْكَ الدَّرَكَةِ السَّافِلَةِ ، ونُجَارِيَ أُولَئِكَ المحررين ، في أُسْلُوبِهِم ، لقلْنَا لَهُمْ : إنهم أنذالٌ سفهاءُ ، لَيْسَ لهم ضميرٌ ولا يعرفون شهامةً ولا كرامةً . ولنا من آدابنا الاسلاميّةِ وشهامتِنا العربيةِ ما يمنعنا عن الانغماسِ في مُسْتَنْقَعِهِم النَّتِنِ »(1) .

7 ــ وكان بعث اللغة العربية هدفا من اهداف **ابن باديس** فكرا وتطبيقا ، ولهذا حرَص على استخدام اللغة العربية الفصيحة في أدبه وتدريسه وخطابته ، واختارها لغة سهلة بسيطة تصل الى مدارك الناس دون مشقة أو عناء . ومع هذه البساطة حرَص على سلامتها وقوة بنائها ، وان كان يستخدم أحيانا بعض الكلمات الفرنسية الشائع استعمالها بين الناس ، من ذلك قوله :

(1) ابن باديس ، ج 3 ، ص 319 .

« لقد تَجَوَّلَتْ وَفودُ الْجَمْعِيَّةِ فى جميعِ الْجِهَاتِ ، وكانوا يَلْقَوْنَ من شُيُوخِ البلدان ـ الأميار ـ كلَّ تقديرٍ » (1) .

وقوله :

« وايُّ مُسَاعَدَةٍ شَاهَدْنَاهَا من الْحُكُومَةِ ، وقد أَقَرَّتْ قَرَارَ ـ بريفي ـ الجزائر الذي يمنع رجالَ الجمعيةِ من وعْظِ العامةِ وإرشادِهم في المساجد » .

وكلمة **« الأميار »** : جمع « مير » (MAIRE) ، وهو رئيس البلدية .

وكلمة **« بريفي »** : (PREFET) ، وهو الوالي .

ومثل هذه الالفاظ لا تعيب اسلوبه بل تجعله نمطا متميزا بين اسلوب ادباء عصره .

المناقشة :

1 ـ كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائرية دور في التربية والصحافة . فما هي ميادين هذا الكفاح ، وما رايك فيها ؟

2 ـ ما موقف « ابن باديس » من المراة ؟ وما رايك فى موقفه ؟

3 ـ ما معنى الالتزام فى الأدب ؟ ولماذا نعتبر « ابن باديس » اديبا ملتزما ؟ وما اثر هذا الالتزام على فكره ؟

4 ـ بماذا تميزت المقالة في ادب « ابن باديس » ؟

5 ـ لابن باديس مقطوعات شعرية . ما رايك فيها ؟ ناقش ذلك بالتفصيل .

6 ـ بين اهم خصائص اسلوب « ابن باديس » مع التمثيل .

---

(1) ابن باديس ، ج. 3 ، ص. 282 .

محمد البشير الابراهيمي



(1889 ـ 1964 م)

مولده ونشـــاته :

ولد « **البشير الابراهيمي** » بأولاد براهم براس الوادي ، بولاية **سطيف في** الشرق الجزائري عـــام 1889 مـ . ولم تكن اسرته على جانب من الثراء والجاه ، ولـــكنها كانت معــروفة بالعــلم والدين .

نشأ **البشير** في بيت والده الذي اهتم بتربيته وتعليمه ، فدفعه إلى احد شيوخ قريته ليعلمه القرآن الكريم . ولمــا بَلَــغَ سِنّ التاسعــة أتَمَّ حِفْظَ القــرآنِ الكريم كُلّه ، وبعد ذلك تَوَلّى تَرْبِيَتَهُ وتثقيفه عَمُّه « **محمد المكي** » الذي كان معروفا بالعلم والتقوَى . فربّاه احسنَ تربيَةٍ، وَعلّمه الدِّقّة والتنظيم فى شئون حياته ، فكان يستيقظ او ينام في موعد محدد ، ويطالع دروسه في مواعيدَ منتظمةٍ، وقرا عليه كثيرا من العــلوم اللغوية والأدبية والدينية ، وكان **البشير** شَغوفًا به مُحِبًّا له فلازمه وتأثّر به .

وقد وَفَد إلى دار عمه بعضُ ابناء قريته والقُرَى المجاوِرَةِ لها يقيمون عنده ويَتَلَقَّوْن العِلم على يَدَيْهِ . وعندما بلَغ **البشير** الرابعةَ عشرةَ من عمره ، فاجأه القدر بوفاة عمــه ، ثم تولّى هو مهمة تعليم تلاميذ عمه حتى هِجْرَتِهِ إلى **المدينة المنورة** .

هجــرته إلى المــدينة المنــورة :

منذ وَطِئت اقــدام المستعمرين الفرنسيين ارض الجزائر والأحرار لا يطيقون المقام فيها ، وطلاب العلم والدين متعطشون الى الهجرة بعد أن ضيق المستعمرون الخنـــاق عليهم .

وشهِدت الجزائر حركتين كبيرتين للهجــرة ، كانت الأُولى عام 1885 مـ والأخرى عــام 1911 مـ عندما ارادت فرنســا ان تطبق تنفيذ قانون التجنيد الإجباري على الجزائريين ، وقد هاجر في المرة الثانية عدد كبير من الأسر الجزائرية ، وَاتَّجَهَ معظم المهاجرين إلى **الحجاز ومصر والشام وتركيا** ، وإلى جانب الهجرات الجماعية كانت هناك الهجرات الفردية فى فترات مختلفة ، من ذلك هجرة اسرة **البشير الابراهيمي** إلى **المدينة المنورة** عام 1908 م ، وقد لَحِق بها **محمد البشير** عام 1912 م . وفى طريقه إلى **المدينة المنورة** ، مر **بمصر** ، وأقام فيها ثلاثة اشهر تَعَرّف خلالها على بعض الجوانب الحضارية والفكرية فى تلك البلاد ، والتقَى ببعض علمائها وادبائها وشعرائها من امثال : « **الشيخ سليم البشري، والشيخ محمد بخيت، وأحمد شوقي، وحافظ ابراهيم** » ، وغيرهم .

وعندما استقر في **المدينة المنورة** دَرَس البشير « **صحيح مسـلم** » ، و « **مُوَطَّا الإمام مالك** » وتَتَلْمَذ على كبار العلماء فى **المدينة المنورة** فى ذلك الوقت ، من أمثال : « **الشيخ أحمد الفيض آباد الهندي ، والشيخ الوزير التونسي ، والشيخ حمدان الونيسي القسنطيني ، والشيخ محمود الشنقيطي** » !

وتردد **البشير** على المكتبات الموجودة في **المدينة المنورة** ، وحَفِظ من علومها وَاطَّلَع على بعض مخطوطاتها النادرة .

وفى اثناء إقامته **بالمدينة المنورة** الْتَقَى بصديقه الشيخ « **ابن باديس** » الذي وَفَـد إليها قاصدا الحج عام 1913 ، وتَوَثَّقَتِ الصّلة بينهما .(*)

ويؤكد **البشير** أن هذه الأيام التي قضاها مع صاحبه **ابن باديس** في **المدينة المنورة** من عــام 1913 م هي التي **شهدت مولد تاسيس جمعية العلمــاء المسلمين بالجزائر** ، وإن كان ظهورها قد تأخر إلى عام 1931 هـ .

رحلــته إلى الشــام :

أمرت الحكومة العثمانية عام 1917 هـ سكان **المدينة المنورة** كُلَّهم بالرحيل عنها إِثْرَ الثورة التي قام بها **الشريف حسين بن علي** ضد تركيا ، فخرج **البشير** مع ثمانين ألف نسمة من سكانها متجهين إلى **دمشق**، واختير أستاذا للمدرسة السلطانية ، وهي المدرسة الثانوية الوحيدة في ذلك الوقت .

رجــوعه إلى الجــزائر :

قرر **البشير** أن يعود إلى **الجزائر** عام 1920 هـ ليأخذ مكانه في صفوف الجهاد في سبيل نشر العلم وبعث الأمة الجزائرية ، ويعمــلَ جَنْبــاً إلى جنب مع صــديقه **ابن باديس** .

وكم كان إعجاب البشير عظيما بالنتائج التي وصل إليها **ابن باديس** في حركته التعليمية عندما شاهد من بين تلاميذه نُخْبَة ممتازة يُدَبِّجُونَ المقالاتِ ويَنْظِمون الأشعارَ ويمثــلون جيلا يبشر بنهضةٍ فكرية عظيمة .

وأخذ **البشير** دَوْرَه في الجهاد التعليمي ، فكان يعلّم التلاميذ في بلدته ، ويُلْقِي بعض الدروس في المساجد ليفقه الـكبار ، وفي الوقت نفسه كان يمارس التجارة ، وبين الحين والآخر يلتقي بصديقه « **ابن باديس** » فَيُنَظِّمَانِ الجهود ويَرْسُمَان الخطط ويواصلان الـكفاح .

(*) كمــا مر بك ذلك في ص : 383 من هذا الـكتاب .

وفي عـام 1931 تأسّست **جمعية العـلماء المسلمين الجزائريين** ، وكان **للبشـير** فَضْلٌ كبير فى تأسيسها ، وهو الذي وضع دستورها . وقد لاحظ أن هناك بعض المفسدين لهم سِمَةُ العلماء وليسوا بعلماءَ ، وقد أرادوا التدخل للاستيلاء على الجمعية وحصلوا على عضوية تسمح لهم بالترشيح والانتخاب ، فَاحْتَاطَ البشير من هؤلاء العلماء المزعومين ، واشترط لعضوية الجمعية أن يكون العضو العامل معروفا بانتسابه إلى مؤسَّسَة عِلْمِيَّة مُعْتَرَفٍ بها ، أو حاصلا على مؤهل علمي منها ، والذين لا يملكون شيئا من ذلك عليهم أن يتقدموا إلى أداء امتحانها ، عندئذ هرب هؤلاء المفسدون وَانْتُخِبَ البشير وكيلا للجمعية ، وباتساع نشاط الجمعية فى **ميادين التعليم وإنشاء المدارس والمساجد والأندية** ، اتسع المجال الذي عمِل فيه **البشير** فقام بنشاط ملحوظ

ظل البشير الابراهيمي يواصل جهوده حتى قامت الحرب العالمية الثانية ، وطلبت فرنسا من رجال الجمعية أن يؤيدوها في موقفها ضد **دول المحور** ، لـكن العلمـاء لم يفعـلوا ، وانتهزت فرنسـا هذه الظروف المضطربة العصيبة إبّانَ الحـرب ورأت التخلص من كبار أعضـاء الجمعية ، فدبرت لهم المكايد ، وألقت بنفر منهم في السجون بتهم ملفقة ، وحددت إقامة **البشير** في « **أفـلو** » على مقربة من « **تيارت** » . وفي هذا المنفَى قضى **البشير** اياما ثقيـلة بالهموم ، فقد تلقى خبر وفاة صديقه **ابن باديس** بعد ايام قليلة من النّفي ، وتحمّل **البشير** مسئولية رئاسة **جمعية العلماء المسلمين** ، فأخذ يديرها عن طريق المراسلة خـلال مدة الحـرب .

وبعد ثلاثة أعوام من المنفى خرج البشير أَصْلَبَ عُودًا وَأَكْثَرَ نشاطا واشدَّ عزمًا ، فَرَاحَ يتابع الجهود التي توقفت أثناء فترة الحرب فأعاد إصدار جريدة « **البصائر** » وأشرف على تحريرها ، ولم يكن ثَمّةَ غَيْرُهَا من الصحف العديدة التي أنشأتها الجمعية .

اما فى مجال التعليم فقد ضرب فيه الشيخ البشير بِسَهْم وافِر ، وحقق فيه انتصاراتٍ عظيمةً وقد بلغ عدد المدارس الحرة الشعبية التي انشئت فى عام واحد اكثرَ من سبعين مدرسة ، وقام البشير بعِدّة إصلاحات هامة فى هذا الميدان اهمها :

1 ـ **توحيد التعليم بقيادة لجنة عُليا اشرف بنفسه عليها .**

2 ـ **تأسيس معهد ابن باديس فى قسنطينة عام 1947 م للتعليم الثانوي** الذي كان يمنح طلابه شهادة تعليمية تعادل شهادة « الباكالوريا » وقَدِ اعْتُرِفَ بشهاداته فى جامعات المشرق العربي ، واستطاع المتخرجون منه أن يواصلوا تعليمهم الجامعي فى مختلف الجامعات العربية .

3 ـ **وضع برنامج تعليمي موحد ، وتنظيم التفتيش** ، وقد اصبح عدد المدارس فى عام 1953 م 300 مدرسة وعدد المدرسين 700 مدرس ، وعدد التلاميذ والتلميذات 70 الف تلميذ وتلميذة (1) .

---

1 ـ الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقية ـ انور الجندي ص 49 .

4 — **تنظيم إطارات المدرسين ووضعهم في أربعة إطارات رئيسية** فهو — بحق — كما يقول عنه الأستاذ عبد الرحمن شيبان :

« لقد كان الشيخ البشير فيلسوفا في ميدان التربية والتعليم ، يَرَى أن غاية الغايات من التربية هي : **توحيدُ النشء الجديد في أفكاره ومشاربه ، وتصحيحُ نظراته إلى الحياة، وتفقيهُه في دينه ولُغَته ، وتعريفُه بنفسه وتاريخه** ، ويرى التعليم **رسالة وجهادا** ، فيخاطب المعلمين في إحدى وصاياه الحكيمة :« **ها أنتم تَبَوَّأْتُمْ في مدارسكم ميادينَ جهادٍ ، فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطلَ مَيْدَانٍ وأَوْقِفُوا أنفسَكم لإحْدَى خطتين : الدفاعُ المجيدُ أو موتُ الشهيدِ ، واعلموا أنكم عاملون فمسؤولون عن أعمالكم فَمَجْزِيُّونَ عنها من الله ومن الأمة ومن التاريخ»** . اما التلاميذ والطلاب فيقول لهم : «**إنكم يا أبناءنا مناطُ آمالنا ، ومستَوْدَعُ أمانينا نُعِدّكم لحَمْل الأمانة وهي ثقيلة ولاستحقاق الارث وهو ذو تَبِعاتٍ وتكاليفَ ، يا أبناءنا إن الحياة قسمان : حياةٌ عِلْمِيَّةٌ وحياة عَمَلِيّة وإنّ الثانية منهما تُبْنَى على الأُولَى قوة وضعفا وإنتاجا وعمقا وإنكم لا تكونون أقوياءَ في العمل حتى تكونون أقوياء في العِلم » (1)** .

واحست فرنسا بخطر نشاط الجمعية ، فراحت تُدَبّر المؤامرات وتفتعل الأحداث لتقتل الآلاف من الأبرياء ، وزَجّت بالشيخ **البشير** في السجن العسكري تمهيدا لمحاكمته خلال أحداث عام 1945 م بالجزائر ، وقضى في محبسه ما يقرب من عام ، خرج بعده للكفاح من جديد .

رحلتـــه الى المشـــرق العـــربى :

أَحَسّت **جمعية العلمــاء** بثبات كيانها داخل الأرض الجزائرية ، فأرادت أن تُوَثّق علاقاتها بالبــلاد العربية ، فكلّفت **البشير** أن يقوم بالاتصال بهذه الدول ويطلب معونتها المــادية والمعنوية ويُنَسّق معها تنظيما البعثات الجزائرية في تلك البلاد .

فاتخذ الشيخ**البشير** من **القــاهرة** عــام 1952 منطلقا لنشاطه في مختَلِف بلدان المشرق العربي ، واخذ يستقبل وفود الطلاب الدارسين من الجزائر ويرسل بهم إلى **« الأزهر » والجامعات المصرية ، وجامعات بغداد ، والشام** ، وغيرها ، ويرفع مطالب الشعب الجزائري في كل مكان ، وينادي بحرية الجزائر في كل المجالات العربية والإسلامية والدولية ! وظل في مصر حتى حقق الله للجزائر استقلالها عام 1962 م .

وفـــاته :

رجع **البشير** إلى الجزائر عقب استقلالها مباشرة ، فأُسْنِدَ إليه مَنْصِب في وزارة الاوقاف والشئون الدينية في أول حكومة جزائرية في عهــد الاستقــلال ، وقد أَمَّ المسلمين في صلاة اوّل جمعة بمسجد كتشاوة — إِثْرَ رجوعه مسجداً — بعد أن كان المستعمرون قد حوّلوه إلى كتدرائية طوال فترة الاستعمار .

---

1 — الاستاذ عبد الرحمن شيبان ، من كلمة في الاحتفال بالذكرى الاولى لوفاة الشيخ البشير الابراهيمي (الامــام الرائــد) .

وقد أثّر على صحته طولُ الجهاد والكفاح والصعاب التي قاساها في حياته ، وبدا عليه ذلك عندما تقدم به السن ، ففارق الحياة وعمره ستة وسبعون عاما ، وكان ذلك في 21 ماي عام 1965 م ، وشُيِّعَت جِنازته في موكب شعبي عظيم . وأمام جثمانه وقف الرئيس **هواري بومدين** قائلا : «**رحمة الله على الشيخ الابراهيمي ، فهو أبونا جميعا ، وأبو النهضة الجزائرية ، وتعازينا فيه لأنفسنا ولكل أبناء هذا الوطن ، ورجاؤنا من الله أن يلهمنا الصبر الجميل ، ويُهَيِّئَ لنا من أسبابه تحقيق كل الأهداف المُثْلَى التي عاش من أجلها الشيخ الابراهيمي ، فَصَبْرٌ جميل والله المستعان** » (1) .

عــوامل نبــوغه :

اثرت في تكـوين **شخصيته الأدبية** عِــدّةُ عوامِلَ ، اهمها ما يأتي .

1 ـ عاش **البشير** حياته الاولى في بيت والده ، وقد تعهده عمّه بالأدب والتربية ، فسـار معه على نظام دقيق في تنظيم اوقاته واعماله ، وقد ظهرت آثار هــذه التربية في ادبه وسلوكه كما يتضح ذلك فيما بعد .

2 ـ المعــارف **الدينية واللغوية والأدبية** ، التي تَلَقّاهَا في بــلده ، وفي بلاد المشرق التي زارها وتَعَلّم فيها على كبار شيوخ عصره .

3 ـ رحلاته المتعددة ، وإقامته فترات طويلة في **مصر ، والشام ، والحجاز** ، وتأثره بأدبائها وعلمائها وكبار المفكرين فيها واطلاعه على احوال الناس والبلاد التي عاش فيها ، كل ذلك أَمَدَّ ثقافته بزادٍ كبير في التفكير والبحث والدراسة .

4 ـ **مجمع اللغة العربية بمصر** : اختير البشير عضوا فيه عام 1961 . وهذا المجمع لا ينضمّ إلى اعضائه إلا كبار العلمـاء المثقفين والمتفوقين ، وكان البشير عَلَمـًا من اعــلام هذا المجمع ، وقد قَدّمَ فيه ابحاثا لغوية واشترك في مناقشات علمية وادبية مختلفة . وقد نَشَرت له مَجلة المجمع اللغوي بعض هذه الدراسـات .

5 ـ **أحـداث أمته وعصره** : وقد عرَفْتَ الـكثير عنها خلال دراستك للموضوع السـابق عن حياة الإمام **ابن باديس** .

آثـــاره :

ترك **البشــير** آثارا علمية وادبية مختلفة ، اهمها :

1 ـ **عيــون البصائر** : مجموعة مقــالات نُشِرَتْ في جريدة البصـائر .

2 ـ **النَّقَايات والنُّفَايات في لغة العرب** : فيه كل ما هو على وزن « **فُعَالَة** » من مختار الشَّيْءِ او مَرْذُولِه .

---

1 ـ الامــام الرائد ، ص 46 .

3 ـ أسرار الضمائر العربية .
4 ـ التسمية بالمصدر .
5 ـ الإطّراد والشذوذ في العربية .
6 ـ رسالة في الفرق بين لفظ المطَّرِد والكثير عند ابن مالك .
7 ـ رواية كاهنة أوراس .
8 ـ رسالة مَخارِج الحروف وصفاتها بين العربية الفصحَى والعامية .
9 ـ شعب الإيمان (في الأخلاق والفضائل الإسلامية) .
10 ـ بَقايا فصيح العربية فى اللهجة العامية بالجزائر !
11 ـ الصّفات التي جاءت على وزن « فعل » .
12 ـ نظام العربية فى موازين كلمتها .
13 ـ ما أَخَذَتْ به كتب الأمثال من الأمثال السائرة .
14 ـ حكمة مشروعية الزكاة فى الاسلام (1) .
15 ـ رواية الثلاثة .

وله **ملحمة رَجَزِيّة** طويلة ، نَظَمَهَا ايّامَ أَنْ كان مُبْعَدًا فى صحراء وهران ، وقد تضمنت فنونا من المواضيع ، **كتاريخ الإسلام ، والمذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية الجديدة ، والبدع فى الدين ، والاستعمار ومكايده ودسائسه** (2) . والمطبوع من هذه الآثار هو : **« عيون البصائر »** ، والباقي مخطوطات .

شخصيته الأدبيــة وخصائص أسلــوبه :

أَبْرَزُ الوان الفنون الادبية في إنتاج **البشير الابراهيمي** هو **فَنُّ المقالة** . وقد تَنَوَّعَتْ موضوعاتهــا واغراضها واساليبها . نوضحها لك فيما يلي :

المقــالة السيــاسية :

يلتقي **البشير الابراهيمي والإمام ابن باديس** في معظم الآراء السياسية ، وكلاهما يَنْتَمِي إلى جماعة واحدة مُتَّفِقَةٍ في الأهداف والأغراض والنَّزَعَات .

وكان من اهَمّ اهدافهما النضالية العمل على إظهار الشخصية الجزائرية ، كشخصية مُتَمَيِّزَةٍ **تَعْتَزُّ بالعربية لغتها وبالإسلام دينها** : (فالجمعية تريدها **أمة عربية مسلمة** كما هو قَسْمُهَا فى القَدَرِ وحَظُّهَا فى التاريخ وحَقُّهَا فى الإرْثِ ، وحقيقتها فى الواقع والمصطلح ـ تريدها كذلك وتعمل لتحقيق ذلك) (3) .

(1) الامام الرائد ، ص 166 . (2) **عيون البصائر** ، ص 25 . (3) راجع **مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما** ، ج 2 ، د. مهدي علام ص ص . 157

ولعل اهم ما يتميز به ادب **البشير** السياسيّ عن أدب ابن باديس السياسيّ ، هو أن **البشير أعطى قضايا الوطن العربي اهتماما أكبر من اهتمام ابن باديس بها** ، ولعل حياة **البشير المتنقلة** بين مختلف أقطار الوطن وانغماسه في أحداثها كان له أكبر الأثر في اهتمامه بقضايا الوطن العربي السياسية والاجتماعية ، فنجده مثلا يتحدث عن **مصر ، وليبيا ، وفلسطين** ، وغيرها من البلاد الإسلامية ، ويحاول أن يربط بين هذه **البلاد** وبين وطنه **الجزائري** بعاطفة صادقة وإحساس أصيل .

وتتميز المقالة السياسية **بتحليل الأحداث وتوجيه النصح ووضوح الأفكار وتَنَاسُقِهَا والدقة في الصياغة اللفظية واختيار الكلمات المعبرة الموحية .**

يتحدث **البشير الابراهيمي** عن **نضال الليبيين** من أجل استرداد حريتهم المسلوبة فيقول :

« وإخْوَانُنَا الليبيون عَمِلوا للاستقلال على قُرْبِ عَهْدِهِمْ بِانْتِزَاعِهِ منهم ، وبَذَلُوا فِي اسْتِرْجَاعِهِ فوق ما يَبْذُلُهُ مَنْ في منزلتهم من الضّعف والقِلّة ؛ وإنّ حَبْلَهُ لم ينقطع من أيديهم ، وإنّ رَوَائِحَهُ العَطِرَةَ لَتَنْعَمُ أُنُوفَهُمْ ، وإنّ أَخْيِلَتَهُ الجميلة لَتَتَرَاقَصُ في أذهانهم ، وإنّ ذِكْرَيَاتِهِ لَمَاثِلَةٌ في نفوسهم مُثُولَ ذِكْرَيَاتِ الشَّبَابِ في نفوس الشيوخ ؛ وليس بين إشراقِ الشباب وأُفُولِهِ إلا فُسْحَةٌ في العمر ، وإنّ كثيرا من الأحياء في لِيبْيَا أَدْرَكُوا زَمَنَ انْتِزَاعِهِ ، وسَيُدْرِكُون زَمَنَ ارْتِجَاعِهِ (1) » .

وللبشير الابراهيمي مجموعةٌ مِنَ المقالات ، أَطْلَقَ عليها عُنوان : **« سَجْع الكهّان »** تناوَل فيها بأسلوب لاذعٍ نَقْدَ الحكومات العربية وشعوبها وملوكهم وعلمائهم لمواقفهم الهزيلة من قضية فلسطين . وهو اسلوب يتميز بالتزام السجع والميل إلى الرّمز واختيار الكلمات الصعبة :

« هذه فصولٌ إنْ لا تكن فيها رُوحُ الكاهن ، ففيها من الكاهن سَجْعُه ، وإنْ لا يَجُلْ في جَوَانِبِهَا صَدَى الكَهَانة ، ففيها من ذالك الصّدَى رَجْعُه ؛ فيها الرَّمْزَمَةُ المُفْصِحَة ، والتَّعْمِيَةُ المُبْصِرَةُ ، وفيها التَّقْرِيعُ والتَّبْكِيتُ ، وفيها السُّخْرِيَةُ والتَّنْكِيتُ ، وفيها الإشارة اللّامِحَةُ ، وفيها اللّفظة الجامِحَةُ ، وفيها العَسَلُ لِلْأَبْرَارِ ، وما أَقَلَّهُمْ ، وفيها اللَّسْعُ لِلفُجّارِ ، وما أَكْثَرَهُمْ ، فَلَعَلَّهَا تَهُزُّ من أبناء العروبة جَامِدًا ، أو تَؤُزُّ منهم خَامِدًا ، فَنَجْنِيَ شيئًا من ثمرة النِّيّة ، ونُغَيِّرَ أواخرَ هذه الأسماء المَبْنِيّة (2) » .

تناولت المقالة الاجتماعية في ادب **« الابراهيمي »** كثيرا من المشكلات التي عاشها المجتمع الجزائري والمجتمع العربي ، وتناول الموضوعات التي لح عليها **« ابن باديس »** من إصلاح الدين والتعليم (3) ، ومهاجمة الطرقيين وإنصاف المراة ، والدعوة إلى الزواج(4) والتنفير من الطلاق .

(*) عيون البصائر ، البشير الابراهيمي ، ص 445 .
2 ، 3 ، 4 ، المرجع السابق ص 587 . ص 16 . ص 314 ، 321

ولعل اهمّ ما يُمَيِّز ادبَ ((**البشير**)) الاجتماعيَّ عن ادب صاحبه ((**ابن باديس**)) هو انّ **البشير** عاش في بيئات اجتماعية مختلفة وتأثّر بها وظهرت آثارها في أدبه الاجتماعيّ فهو عندما يتحدث عن المجتمع المصريّ وما فيه من عُيوب يصوّره تصويرًا دقيقا ويُحَلِّلُهُ تحليلا صادقا ويَصِفُه وَصْفَ الخبير بعاداته وتقاليده ونَفْسيّة سُكّانه فيقول :

((سَمَّوْكِ عَرُوسَ الشَّرْقِ فكأنّمَا أَغْرَوْا بكِ الخُطّابَ ، وسَمُّوكِ بِمَنَارَةِ الشَّرْقِ فَلَفَتُوا إليكِ الأَعْيُنَ . . وقَدِيمًا سَمَّوْا بغدادَ دارَ السّلام فَجَنَوْا عليها . . أنْتِ رِكَانَتُكِ يا رِكَانَةَ اللهِ . . إنهم لم يقاتلوكِ بالحديد والنار إلاّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، ولكنهم قاتلوكِ في الزّمَنِ كُلِّهِ بالأستاذ الذي يُفْسِدُ الفِكْرَ ، وبالكتاب الذي يَزْرَع الشّكّ ، وبالعِلم الذي يُمْرِضُ اليَقِينَ ، وبالصحيفة التي تَنْشُرُ الرّذيلَة ، وبالقلم الذي يُزَيِّنُ الفاحشة ، وبالبَغِيّ التي تُخَرِّب البيت ، وبالحشيش الذي يَهْدِمُ الصِّحَّة ، وبالمُمَثِّلَةِ التي تُمَثِّلُ الفجور . . فإنْ شِئْتِ أَنْ تُذِيبِي هذه الأسلحةَ كُلَّهَا في أيدي أصحابها فما أَمْرُكِ إلاّ وَاحِـدَةٌ وَهِيَ أَنْ تَقُولِي إِنّي مُسْلِمَةٌ))(1) .

وتمتاز مقالاته الاجتماعية بتحليل الفكرة وعُمْقِ المَعْنَى ، وتَخَيُّرِ الألفاظ وانسجام العبارات والتراكيب ، فهو من انصار الصّنعة في الادب يُشْبِه في هذه النزعة اتجاه ((**العقاد**)) ، لكن تأثير المدرسة الانجليزية في اسلوب **العقاد** جعله يختار الألفاظ السهلة ويَصُوغُهَا في تعبير مُحْكَم ، اما **البشير** فمن انصار التعبير المُحْكَم والألفاظ المختارة . ولا شكّ في انّ دراسته اللغوية والأدبية القديمة كان لها اثر كبير في اسلوبه .

المنـــاقشــة :

1 ـ ما العوامل التي اثرت في تكوين شخصية ((الابراهيمي)) ؟

2 ـ تَحَدّثْ عن انواع النشـــاط الذي قام به ((البشير)) في مصر والشـــام .

3 ـ كان لهجرة ((البشير)) ورحلاته المتعددة في مختلف البلاد العربية أثر واضح في أدبه . ناقِش هـذه الفكـرة مع التمثيل .

4 ـ ((البشير)) ينتمي إلى مدرسة الصنعة فى الأدب ! اشرح خصائص هذه المدرسة واستشهد عليهـا من أدب البشير .

5 ـ ما اهم الخصائص التي يتميز بهـا اسلوب المقـالة السياسية عند البشير ؟

---

(1) **عيـون البصـائر** ، البشير الابراهيمي ، ص 557 .

الباب السادس

نماذج من الأدب الجزائري
في العصر الحديث

نقدم لك في هذا الباب طائفة من النصوص الأدبية لشعراء وكتاب جزائريين من العصر الحديث ، تناولت موضوعات متفرقة ، وصورت جزءا من احداث عصرنا ، وعبرت عن واقعنا السياسي والاجتماعي والنفسي .

وستتعرف من خلالها على جانب من تراثك الادبي والفكري والثقافي الذي يعد دعامة اصيلة من دعائم شخصيتك الجزائرية العربية المسلمة .

اولا : الشعر (*)

أخو العلياء

محمد السعيد الزاهري (**)

كان الأمير خالد محيي الدين ـ احد احفاد الأمير عبد القادر ـ واحدا من الضباط الجزائريين الذين شاركوا مع الجيوش الفرنسية فى الحرب العالمية الأولى. وقد تطلعوا إلى مؤتمر « فرساي » أملا فى ان تحقق فرنسا آمانيهم ، وتطبق مبادئ المساواة فى الجزائر . ولكن فرنسا تنكرت لمطالبهم ، فلم يستكينوا ولم ييأسوا بل اخذوا ينظمون جهودهم ، ويتزعمون الحركات السياسية ويرفعون اصواتهم مطالبين بحقوق شعبهم فما كان من الحكومة الاستعمارية الا أن استخدمت أساليب القمع فأبعدت « الأمير خالد » من البلاد ونفته الى مصر . وفى تلك المناسبة يودعه الشاعر بالأبيات التالية :

لَئِنْ كُنْتَ فِي أُفْقِ الجَزَائِرِ كَوْكَبًا ... فَقَدْ لُحْتَ فِي الأَسْكَنْدَرِيَّةِ كَوْكَبَا
أَمَا كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ عِنْدَ شُرُوقِهَا ... شَبِيهًا بِقَرْنِ الشَّمْسِ تَقْصِدُ مَغْرِبَا
لَعَمْرِي لَقَدْ خَلَّفْتَ فِينَا مَآثِرًا ... يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُضَيِّعَهَا هَبَا
وَعَلَّمْتَ نَشْأً كَيْفَ يَسْعَى إِلَى العُلاَ ... فَأَمْسَى عَلَى طُرُقِ المَعَالِي مُدَرَّبَا
فَدَيْنَاكَ ذَا جَأْشٍ قَوِيٌّ ثَبَاتُهُ ... إِذَا مَا خُطُوبُ الدَّهْرِ تَنْشَبُ مِخْلَبَا
إِلى الآن لَمْ تُلْقِ السِّلاَحَ وَلمْ تَكُنْ ... لِتُلْقِيَ يَا مِقْدَامُ مِنْ بَعْدُ ذَا الظُّبَا(1)
فَأَنْتَ أَخُو العَلْيَاءِ وَالبَطَلُ الَّذِي ... إِذَا جَدَّ جِدٌّ زَادَ مِنْهُ تَقَرُّبَا
لَئِنْ كُنْتَ فِي أَهْلِ النِّيَابَةِ مُفْرَدًا ... كَأَنَّكَ كُنْتَ بَيْنَهُمْ مُتَغَرِّبَا

(*) من كتاب شعراء الجزائر فى العصر الحاضر محمد الهادي الزاهرى .

(**) ولد الزاهري عام 1899 م بقرية «اليانة» قرب بسكرة ، وبها حفظ القرآن الكريم ، ثم رحل الى قسنطينة حيث تتلمذ على يدالامام عبد الحميد بن باديس، وبعد ذلك تابع دراسته بجامع الزيتونة فى تونس . وابّان دراسته كتب عدة مقالات لقيت اقبالا ورواجا، واحتفت بها مجلات المشرق العربي فنُشِرت فى «المقتطف» و «الرسالة» و «الفتح» ، ثم جُمعت فى كتاب بعنوان «الاسلام فى حاجة الى دعاية وتبشير». وبحصوله على اجازة التطويع من جامع الزيتونة عاد الى الجزائر ليواصل كفاحه ، فأصدر جريدة « الجزائر » وجعل شعارها « الجزائر للجزائريين » ولم تلبث أن اوقفها الفرنسيون لاتجاهها الوطني .
وللزاهري الكثير من الاشعار التي نزع فيها منزعا وطنيا اصلاحيا ، وكانت وفاته سنة 1959 م .
(شعراء من الجزائر د. صالح خرفى) .

(1) الظبا : جمع ظبة بالضم : حد السيف او السنان .

خـــط عـــاثر

محمد الأمين العمـوري (*)

في الأبيات التالية يصور الشاعر حالته ، ويصف احساسة في الفترة التي عاش فيها شعبنا من تاريخنا المعاصر ، وهي ، كما يقول عنها الشاعر : حياة كل مسلم جزائري ، حياة بلاغاية ولا امل ، حياة من لا يأسف على امسه ، ولا يغتبط بيومه ولا يثق بغده .

نَفْسِي تُرِيدُ العُلاَ وَالدَّهْرُ يَعْكِسُهَـا   بِالقَـهْرِ وَالزَّجْرِ إِنَّ الـدَّهْرَ ظَـلاَّمُ

إِنَّ الزَّمَـانَ سَطَـا عَنِّي بِسَطْوَتِـهِ   كَمَا سَطَا عَنْ ضَعِيفِ الوَحْشِ ضِرْغَامُ

أَبْكِي إِذَا اشْتَدَّ إِرْزَامُ الحَوَادِثِ بِي   وَلِلْحَوَادِثِ مِثْـلُ الـرَّعْـدِ ارْزَامُ

انْ حَـلَّ عَـامٌ جَدِيدٌ قُمْتُ أَسْأَلُـهُ   قُلْ لِي : بِمَا ذَا أَتَيْتَ أَيُّهَـا العَـامُ ؟

قُـلْ لِلَّذِينَ تَمَـادَوْا فِي غَوَايَتِهِـمْ   هَـلْ فِي قُلُوبِكُمُ يَا قَوْمُ إِسْلاَمُ ؟

إِنِّي وإِنْ حَـطَّ سوءُ الحَظِّ مَنْزِلَتِي   وَقَـدْ عَـلاَ شَرَفِي بِالظُّلْـمِ أَقْوَامُ

فِي خُلْقَتِي رَجُـلٌ بَـرٌّ ، وَفِي أَدَبِي   فَحْـلٌ لِأَثْمَنِ دُرِّ الشِّعْـرِ نظَّـامُ

لَـوْ اتَّخَذْتُ خَلِيـجَ البَحْرِ مِحْبَرَةً   وَصِيغَ لِي مَنْ يَـرَاعِ العِلْمِ أَقْـلاَمُ

وكَـانَ لِي الجوُّ قِرْطَـاسًا أُمَهِّـدُهُ   ضَاقَتْ علَى ذِكْرِ مَـا قَاسَيْتُ أَعْوَامُ

لِي أُسْوَةٌ بِالأُلَى غَـارَتْ كَـوَاكِبُهُمْ   وَلَمْ تَهَبْ لَهُمُ الاَقْدَارُ ما رَامُوا

الطبيعـــة الســـاحـره

أَشْيَـاءُ حَـلَّ حَـلاَلُهُـنَّ حَـلاَلِي   نَقْـرُ الكُؤُوسِ وَرَنَّـةُ الخَلْخَـالِ

وَصَـدَى نَشِيـدِ العَنْدَلِيبِ عَشِيَّةً   وَعَـزِيفُ مُـوسِيقَى بِفَـجٍّ خَـالِ

وَصَفِـيرُ شُرْشُورٍ وَهَتْفُ حَمَـامَـةٍ   حَنَّتْ وَغَنَّتْ فَـوْقَ تَـلٍّ عَـالِ

(*) ولد الشاعر « الامين العموري » بوادي سوف من ولاية الواحات بالجزائر ، وتعلم بالمكتب الفرنسي الابتدائي وبالمكتب القرآني ، ثم تابع دراسته في مدارس قسنطينة ، وله شعر قليل ولكنه جيد ، ويغلب على شعره طابع البؤس .

وَتَنَزُّهِي بَيْنَ الرِّيَاضِ مُصَافِحًا ... رِيحَ الصَّبَا وَنَسَائِمَ الآصَالِ
والشَّمْسُ عِنْدَ بُزُوغِهَا وَغُرُوبِهَا ... تَبْدُو بِرَوْنَقِ بَهْجَةٍ وَجَمَالِ
وَتَرَنُّمُ العِيدَانِ حَرَّكَ سَاكِنًا ... مِنْهَا بَنَانُ خَرِيدَةٍ مِكْسَالِ
شِبْهُ الغَزَالَةِ والثُّرَيَّا رُبَّمَا ... أَجْرَمْتَ انْ شَبَّهْتَهَا بِغَزَالِ
سِرُّ السُّرُورِ وَكُلُّ سِرٍّ كَامِنٌ ... فِي سِرِّ نُورِ جَبِينِهَا المُتَلَالِ
يَا عَاذِلِي كُنْ عَاذِرِي مَهْلًا فَلِي ... فِي العِشْقِ أَيَّامٌ مَضَتْ وَلَيَالِ
لا تُكْثِرِ التَّعْنِيفَ وَارْفُقْ بِي فَقَدْ ... يُنْبِيكَ عَنْ حَالِي لِسَانُ الحَالِ
دَعْنِي أُعَانِي فِي الهَوَى مَا نَابَنِي ... إِنِّي بِغَيْرِ الحُبِّ غَيْرُ مُبَالِ
فَإِذَا تَمَلَّكَ بِالْفُؤَادِ وَلَمْ يَجُرْ ... فَهُوَ السَّعَادَةُ أَنْعَمَتْ بِوِصَالِ
وإِذَا تَوَلَّى بِالصَّبَابَةِ والبُكَا ... والجَوْرِ والإِعْسَافِ والبَلْبَالِ
فَهُو العَذَابُ العَذْبُ والأَلَمُ الَّذِي ... طُوبَى لِذَائِقِهِ وَحُسْنُ نَوَالِ

المــرأة الجـــزائرية والحجـــاب

محمد الصالح خبشاش (*)

تَرَكُوكِ بَيْنَ عَبَاءَةٍ وَشَقَاءِ ... مَكْبُوبَةً فِي اللَّيْلَةِ اللَّيْلَاءِ
مَغْلُولَةَ الأَيْدِي بِأَسْوَإِ بُقْعَةٍ ... مَحْفُوفَةً بِكَتَائِبِ الأَرْزَاءِ
دَفَنُوكِ مِنْ قَبْلِ المَمَاتِ وَحَبَّذَا ... لَوْ مِتِّ قَبْلَ تَفَاقُمِ الأَدْوَاءِ
مَسْجُونَةً مَزْجُورَةً مَحْرُومَةً ... مَحْفُوفَةً بِمُلَاءَةٍ سَوْدَاءِ
مَاذَا جَنَيْتِ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ... حَتَّى رَمَوْكِ بِطَعْنَةٍ نَجْلَاءِ

(*) ولد في وادي يعقوب بالقرب من قسنطينة عام 1904 وتعلم في الكتاب حتى حفظ القرآن الكريم ثم تابع دراسته في قسنطينة على يد الامام ابن باديس ولازمه ثماني سنوات ، وهو كاتب وشاعر تناول في شعره الموضوعات السياسية والاجتماعية .

لهْفي عَلى الجِنْسِ اللَّطِيفِ تَدَاوَلَتْ   عَنْـهُ الرِّيَـاحُ بِأَرْضِنَـا الجَدْبَـاءِ
لهْفي على العُرْبِ الحِسَانِ تضَاءَلَتْ   أَنْـوَارُهُـنَّ فَتِهْـنَ قَيْـدَ عَنَـاءِ
لهْفي عَلَـى بِنْـتٍ تَعِيشُ شَقِيَّـةً   حَتَّـى تُصَـادِفَ هَـادِمَ السَّـرَاءِ
أَتُرَى أَرَى فَتَيَاتِنَـا وَسَطَ المَـدَا   رِسِ يَـرْتَشِفْنَ سُـلاَفَـةَ القُـرَّاء
أَتُـرَى أَرَى فَتَيَاتِنَـا عَوْنَـا إلى   شُبَّانِنَـا في السَّـاعَةِ الـلأْوَاءِ[1]

* * * * *

الغَرْبُ قَدْ سَئِمَ السُّبَاتَ فَكَـرَّ الأَ   غْـلاَلَ فَاسْتَعْلَى عَلَـى الجَـوْزَاءِ
والشَّرْقُ قَـدْ أَلِفَ السُّهَادَ وَطَالَمَـا   رَامَ النُّهُـوضَ فَنَـاءَ بِالأَعْبَـاءِ
فَسَطَا عَلَيْـهِ الغَرْبُ سَطْوَةَ مَـارِدٍ   حَتَّـى هَوَى فِي الهُـوَّةِ التَّعْسَـاءِ

* * * * *

وَأَذَاقَـهُ سَوْطَ العَـذَابِ صَبِيحَـةً   وَعَشِيَّـةً مِنْ غَـيْرِ مَـا جَـرَّاءِ
وَأَتَـى بِقَـانُـونٍ لَـهُ مُتَشَعِّبٍ   مُتَلَـوِّنٍ كَتَلَـوُّنِ الحِـرْبَـاءِ
مَـا ذَاكَ إلاَّ لِلْجَهَـالَـةِ بَيْنَنَـا   وَغَبَـاوَةِ الفَتَيَـاتِ والأَبْنَـاءِ
فَإِلَى مَتَى هَـذَا الحِجَابُ إِلَى مَتَى   أَإِلَـى التَّـلاَشِي أَمْ لِيَوْمِ لِقَـاءِ ؟
أَتْرَابُكُنَّ[2] مِنْ الفِرَنجِ غَدَوْنَ فِي   غُـرَفِ العُـلا مِنْ عِـزَّةٍ قَعْسَـاءِ
وَتَمَتَّعَـتْ أَفْكَـارُهُـنَّ بِنَهْلَـةٍ   مِنْ خَمْرَةِ العِرْفَـانِ لَا الصَّهْبَـاءِ
وَلَقَـدْ رَأَيْتُ جَمَـاعَـةً تُعْزَى إلى   نَهْـجِ الهُـدَى والمِلَّـةِ السَّمْحَـاءِ
قَـدْ أَوْعَـدُوا وَتَجَهَّمُوا وَتَهَدَّدُوا   مَـنْ حَـلَّ قَيْـدَ حَلِيفَـةِ الأَرْزَاءِ
إِنِّي لأَعْتَقِـدَنَّ أَنَّ عُقُـولَهُـمْ   مَمْـزُوجَـةٌ بِمُجَمَّـدَاتِ المَـاءِ
فَهَـلِ الشَّرِيعَـةُ حَرَّمَتْ تَعْلِيمَهَـا   يَا نُخْبَـةَ الأَشْيَـاخِ (وَالصُّلَحَاءِ)
إِنْ كَـانَ ذَاكَ فَبَيِّنُوا بِحَقَـائِـقٍ   قَطْعِيَّـةٍ لِيُمَـاطَ كُـلُّ رِدَاءِ

1. اللأواء : الشدة والمحنة . 2. اتراب : جمع ترب ، والترب من ولد معك ، واكثر ما يستعمل في المؤنث.
يقال هذه ترب فلانة ، اذا كانت على سنّها .

وداع الـــوطــن

أبو اليقــظان (*)

قال هذه القصيدة المعبرة عن وجدان وطنية خالصة غير مشوبة بشيء من عوارض الاستسلام فى حفلة وداع اقيمت له بالنادي الآدبي في 12 محرم سنة 1343 هـ .

بلادِي مَنْبَتُ العُظَمَـا وَداعًا ... فَقَـدْ أَزِفَ الرَّحِيلُ بنا سِرَاعا
سَنَرْحلُ والقلوبُ لدَيْكِ تَبْقَى ... تُحَيِّي دائما تِلْـكَ البِقَاعَـا
سَنَرْحَلُ (يَا مِزَابُ) غَدًا لِتَحْيَا ... عُـلَاكَ فَتُصْبِحَ الحُرَّ المُطَاعَـا
فَكَمْ في السَّيْرِ من نَفْعٍ عَظِيمٍ ... لِشَعْبٍ حَلَّـهُ ضَعْفٌ وَضَـاعَا
وَهَلْ نَهَضَتْ بِلَادُ الضَّعْفِ إِلَّا ... بِفَضْلِ السَّيْرِ في الأَرْضِ اطِّلَاعا
سَنَعْمَلُ ما يُبَيِّضُ مِنْكَ وَجْهًا ... بِـإِذْنِ اللهِ عِـزًّا وارْتِفاعَـا
إِذَا كادَتْ لكَ الأَعْدَاءُ كَيْدًا ... وَرامُوا الازْدِرَاءَ والإِبْتِلَاعَـا
بَذَلْنا ما لدَيْنَا واتَّخَذْنَـا النُّـ ... ـفُوسَ لَـكَ المعاقلَ والقِلاعَا
فَنُعْلِمُهُـمْ بِـأَنَّ لنـا حُقُوقًا ... وَيَـأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ تُـرَاعـا
وَإِنْ رَامَتْ لَـكَ الأَوْغَادُ كَيْدًا ... هَزَزْنَا نَحْوَهُمْ ذَاكَ اليَرَاعَـا
فَأَصْعَقَهُمْ بِنَـارِ الشُّهْبِ فَوْرًا ... فَيُضْحُوا خامِدِينَ ولا نِزَاعـا
يَرَاعِي كَـانَ في الدُّنْيا طَبِيبًا ... يُداوِي رأسَ مَنْ يَشْكُو الصُّدَاعَا
أَلَا فَلْيَعْلَـمِ الأَضْـدَادُ أَنَّـا ... نُرِيـدُ لشَعْبِنـا حَقًّا مُشَاعَـا
فإِنْ سِلْمًا فنحنُ لذاكَ أَهْـلٌ ... وإِنْ ضِـدًّا فإِنَّ لنـا لَبَاعَـا

(*) ولد الشيخ ابراهيم ابو اليقظان عام 1888 م في القراراة ، من واحات غرداية ، وفقد أباه فى صغره فنشأ يتيما ، وبدأ حياته العلمية فى قريته ، ثم رحل الى بلدة زيزقن ، وتعلم على يد الشيخ اطفيش ، وتابع دراسته في تونس واتصل برجال العلم فيها واشرف على تعليم بعض تلاميذ ابناء ناحيته من الجزائريين الذين يطلبون العلم فى تونس ، ولما عاد الى الجزائر عام 1914 هـ اسس مكتبا عربيا ، وكان له نشاط عظيم فى الصحافة ، فأصدر مجموعة من الصحف ، بدأها بصحيفة « وادي مزاب » عام 1926 م ، وله عدة مؤلفات ورسائل ، منها : حياة سليمان باشا الباروني ـ فى جزأين ، وديوان وحي الجنان من ديوان ابي اليقظان . وترجم لابي عمار الكافي ، وعبد الله اباضي ، وابي عبد الله محمد بن بكر النفوسي . وقد توفي عام 1973 م (مجلة الاصالة عدد 14 ـ 1973)

فإنَّ لنـا مِنَ الحقِّ العزيـزِ ... سِلاَحًـا فاتِكًـا لَنْ يُسْتَطاعَـا
فَثِقْ يا أيُّهـا الوَطَنُ المفـدَّى ... بأنَّ لـكَ الضَّمائِرَ لن تُباعَـا
فأيِّدْهَـا وناصِرْهَـا دَوامًـا ... وَمُـدَّ لعوْنِهـا ذَاكَ الذِّرَاعا
وَسَلْ مَوْلاكَ يُلهِمُهَـا رَشَادًا ... وَيَكْشِفُ عَنْ مَشاكِلها القِناعا
فهـا إنَّا أولاءِ قَـدْ ظَعنَّـا ... وَبارَحْنَـا المنـازلَ والضِّياعَا
فـدُمْ جذِلًا حَبَـاكَ اللهُ عِزًّا ... وَحيَّـاكَ انفرَادًا واجتِماعًا

مسـامرة القمـر

حسن أبو الاحبـال (*)

أَحقًّا يا جَمَـالَ الكَوْنِ حقًّا ... سَتُصْبِحُ بعـدَ عِزِّك مُسْتَرَقًّا
وَتَعْلُوكَ الأسَافِـلُ مِنْ أنَاسٍ ... رَأَيتَ فِعالَهُـم غرْبًـا وَشَرْقَا
وَتَرْضَى أنْ تَسِيرَ على بسـاطٍ ... من الأنْوارِ ارْجُلُهُـمْ وَترْقَى
أُجِـلُّ جَبِينَكَ الـدُّرِيَّ عنْهُمْ ... وأرْغَبُ أنْ تكونَ عليه أنْقَى
عُبِدْتَ على شَبابِكَ في دُهُورٍ ... فَهلْ تَرْضَى بِعَهْدِ الشَّيبِ رِقًّا ؟
رأوْكَ كِدِرْهَمٍ ! مُلْقًى فَتاهُوا ... وَما حسِبُوا لِقَوْسِكَ عَنْهُ رَشْقَا
سَتُلْقِي الكَهْرَبَـاءُ إليكَ دَرْسًا ... وَما دَرَسُوا شُعَاعَكَ حِينَ يُلْقَى
هُم غَمَزُوا قَنَاتَكَ يَوْمَ أوْحَوا ... إلى المرّيـخِ مـا أوْحَوْهُ بَرْقَا
أُجِلُّـكَ أنْ تكونَ لهُمْ مُجِيبًا ... أُجِلُّـكَ أنْ تَلينَ لهم فَتَشْقَى
وَما ضَاقَتْ بِهِمْ أرضٌ ولكنْ ... لَهُـمْ شَرَهٌ بِـه الآمالُ حَمْقَى
ويعْتَبِرُونَ فِعْـلَ الشرِّ خَـيْرًا ... وَيَعْتقِـدُونَ ضُرَّ الغيرِ رِفْقَـا
فلو صَرَفُوا ضِياءَكَ عَنْكَ قالُوا ... لتصبِـحَ بعـدَهُ أنْقَى وأرْقَى
فما تَدْرِي لهُـمْ عُرْفًا وَنُكْرًا ... وما تدرِي لهم كَذِبًا وَصِدْقَا

(*) ولد الشاعر بخنشلة من ولاية الاوراس بالجزائر عام 1897 م وبدأ حياته العلمية فى الـكتاب ، ثم سافر الى تونس عام 1909 م ودرس بالزيتونة اربع سنوات ، ولما عاد الى الجزائر ساهم فى ميدان التعليم العربي فانشأ مدرسة عربية ببلدته ولكنها اغلقت ، واشتغل فترة بالاعمال الحرة لم التدريس وقد نظم الشعر وهو صغير ، وله عدة قصائد مختلفة الاغراض .

أَنِلْتَ بِحَارَهُمْ مَدًّا وَجَزْرًا وَسِرًّا مِنْ ضِيَائِكَ مُسْتَدَقَّا
وَتُولِي بِتَرْكِكَ الأَرَضِينَ عَفْوًا فَتُحْدِثُ بَيْنَهَا نُورًا وَرِزْقَا
وَقَيَّدْتَ الزَّمَانَ عَلَى مَدَاهُ وَلَوْلَاهُ لَكَانَ الدَّهْرُ طَلْقَا
تَطَوُّرُكَ الغَرِيبُ أَثَارَ فِكْرًا وَأَحْدَثَ فِي الوَرَى عِلْماً وَذَوْقَا
وَكَمْ لَكَ فِي التَّطَوُّرِ مِنْ عِظَاتٍ وَكُنْتَ الآيَةَ الكُبْرَاءَ شَقَّا
سَلِ الأُغْرَاضَ عَنْهُمْ لَا تَسَلْهُمْ أَكَانَ صُعُودُهُمْ شُكْرًا وَشَوْقَا؟
فَحَذِّرْ أَنْجُمًا وَاسْتَعْدِ شُهْبًا وَصِحْ بُعْدًا لَهُمْ عَنَّا وَسُحْقَا
وَلَا تُكْرِمْ لَهُمْ ضَيْفًا مُلِمًّا فَإِنَّ ضُيُوفَهُمْ فِي اللُّؤْمِ غَرْقَى
أَمَا أَبْصَرْتَهُمْ طِفْلاً وَشَيْخًا أَمَا خُبِّرْتَهُمْ خَلْقًا وَخُلْقَا

مدينـــة « تلمســـان »

محمد الهـادي السنوسي الزاهري (*)

هذه الابيات من قصيدة كتبها الشاعر فى وصف مدينة تلمسان عام 1916 م ، وفيها يقارن بين ما ضيها وآثارها « المنصورة » وبين حاضرها وشبيبتها الناهضة .

هَـذِي لَعَمْرُكَ يَا خِلِّي (تِلِمْسَانُ) فَلْيَهْنَإِ القَلْبُ وَلْتَبْرَحْهُ أَشْجَانُ
تِلْكَ الَّتِي أَشْبَعَ الرَّاوِي رِوَايَتَهُ مِنْهَا وَتَارِيخُهَا تَاجٌ وَعِرْفَانُ
تِلْكَ الَّتِي لَمْ يَزَلْ تَارِيخُهَا مَثَلاً شِيدَتْ بِهِ لِصُرُوحِ العِزِّ أَرْكَانُ
تِلْكَ الَّتِي كَانَ فِيهَا مَعْشَرٌ فطن شُوسُ الحَوَاجِبِ : أَبْطَالٌ وفُرْسَانُ
تِلْكَ الَّتِي بَزَغَتْ أَنْوَارُهَا زَمَناً حَتَّى اسْتَنَارَ بِهَا فِي الغَرْبِ سُلْطَانُ
تِلْكَ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَزْهُو بِجَوْهَرِهَا والجَوْهَرُ الفَرْدُ لَا يَعْرُوهُ نُقْصَانُ
تِلْكَ الَّتِي قَدْ تَوَخَّى النَّحْسُ سَاعَتَهَا حَتَّى تعادى خِلَالَ الدَّوْرِ ذُبْيَانُ
تِلْكَ المَدِينَةُ كَمْ دَانَ الزَّمَانُ لَهَا والمَالِكُونَ بِسَاطَ الأَرْضِ كَمْ دَانُوا
كَأَنَّهَا وَهِيَ تَحْتَ الأَسْرِ هَامِدَة دِينٌ مِنَ اللهِ قَدْ غطَّاهُ كُفْرَانُ

(*) هو : محمد بن علي بن محمد العابد بن السنوسي الزاهري ، ولد عام 1901 م بقرية اليانة ، بالزاب الشرقي ناحية بسكرة ، وكان والده من العلماء فاهتم بتربيته وبعث به الى قسنطينة فدرس على يد الامام ابن باديس ولازمه سبع سنوات ، وفى عام 1915 هـ عمل مندوبا لجريدة المنتقد ، ثم الشهاب ، وكتب عدة مقالات ونشر بعض قصائده . ومن اهم آثاره كتابه شعراء الجزائر فى العصر الحاضر الذي نشره عام 1920 م .

الـذبيـــح الصـــاعد

مفـدي زكريـا (*)

(أ)

1 ـ قَامَ يَخْتَـالُ كالمَسِيـحِ وَئِيدًا   يَتَهَـادَى نَشْوانَ ، يَتْلُـو النَّشِيدَا
2 ـ بَاسِمَ الثَّغْرِ، كالملائِكِ ، أو كالطِّـــفْلِ ، يَسْتَقبلُ الصَّبَاحَ الجَدِيدَا
3 ـ شَامِخًا أَنْفُـهُ ، جَلالًا وَتِيهًا   رَافِعًا رَأْسَهُ ، يُنَاجِي الخُـلُودَا
4 ـ رَافِلًا فى خَلَاخِلَ ، زَغْرَدَتْ تَمْـــلَأُ مِنْ لَحْنِهـا الفَضَــاءَ البعِيدَا ،
5 ـ حَالِمًا ، كالْكَلِيمِ ، كَلَّمَـهُ المجْـــدُ ، فَشَدَّ الحِبالَ يَبْغِي الصُّعُودَا
6 ـ وَتَسَامَى ، كالرُّوحِ ، فى لَيْلَةِ القَدْ   رِ ، سَلَامًا ، يَشِيعُ فى الكَوْنِ عِيدَا
7 ـ وَامْتَطَى مَذْبَـحَ البُطُولَةِ مِعْـــرَاجًا ، وَوَافَى السَّماءَ يَرْجُو المزِيدَا
8 ـ وَتَعالَى ، مِثْلَ المؤَذِّنِ ، يَتْـلُو   كَلِمَاتِ الهُدَى ، وَيَدْعُو الرُّقُـودَا
9 ـ صَرْخَةٌ ، تَرْجفُ العَوالِمُ مِنْهَـا   وَنِدَاءٌ مَضَى يَهُـزُّ الوُجُـودَا :
10 ـ «اشْنُقُونِي، فَلَسْتُ أَخْشَى حِبَالًا   وَاصْلِبُونِي، فَلَسْتُ أَخْشَى حَدِيدَا»

(*) ولـد فى ناحيـة مزاب بالجنـوب الجزائـري عـام 1913 م ، وبدأ حياته التعليمية فى الكتـاب حتى تعلم شيئا من عـلوم الدين واللغة العربية ، ثم رحل الى تونـس واتم دراسـته فى جامعة الزيتونة وشارك فى الثورة الجزائرية مشاركة أدبية وسياسـية ، فكان عضوا فى « جبهة التحرير الوطني » وشاعر الثورة الذي يردد أناشيدها ، وتعرض بسـبب ذلك لتعذيب المستعمرين الفرنسيين فدخل السجن خمس مرات ، وفر منه عام 1959 م . وتنقل بين مختلف البلاد العربية ، فزار : مصر ، وتونس ، والمغرب ، وهو فى كل مكان يهتف بحرية الجزائر ، ويشعل وقود الثورة حتى خفقت راية الحرية فوق ربوع البلاد .

وللشـاعر ديوان اللهب المقدس ، وملحمة شعرية كتبها عن الجزائر . وقد صور شعره مراحـل النضال الجزائري تصويرا صادقا وأمينا . وفى سجن بربروس بالجزائر العاصمة نفذ حكم الاعدام فى أول شهيد جزائري : المرحوم **احمد زبانا** من شهر يوليه عام 1955 م فسجل الشاعر هذه الحادثة وكتب قصيدته : **الذبيح الصاعد** ، ومنها اخترنا لك هذه الابيات وهي مأخوذة من ديوانه : **اللهب المقدس** .

(ب)

11 ــ يا « زَبانَا » ، أبلغْ رِفاقَكَ عنّا   في السّماوات ، قدْ حفظْنا العُهُودَا
12 ــ وارْوِ عن ثوْرَةِ الجزائر ، للأفـــلاكِ ، والكائناتِ ، ذِكْرًا مجيدَا
13 ــ ثورةٌ ، لمْ تكنْ لبغْيٍ ، وظلْمٍ   في بـلاد ثارتْ ،: تفُكُّ القيُودَا
14 ــ ثورةٌ ، تمْلأُ العوالمَ رُعْبا ،   وجهادًا يذْرُو الطُّغاةَ حصيدا
15 ــ وإذا الشّعْبُ داهمتْهُ الرّزَايا   هبَّ مُسْتصْرِخًا ، وعافَ الرُّكُودا

(ج)

16 ــ يافرنْسا ، أمْطِري حديدًا ونارًا   وامْلئي الأرْضَ والسّماءَ جُنُودَا
17 ــ واضْرِبيها عَرْضَ البِلادِ شعاليــلَ ، فتغْدُوا لهـا الضّعافُ وقُودا
18 ــ واسْتشيطي على العُرُوبةِ غيْظاً   وامْلئي الشّرْقَ والهلالَ وعيدَا
19 ــ سوْفَ لا يَعْدَمُ الهِلالُ صلاحَ الدّينِ ، فاسْتصْرخي الصّليبَ الحقُودَا
20 ــ واحْشُري في غَياهِبِ السّجْنِ شعْبًا   سِيمَ خسْفًا ، فعادَ شعْبًا عنيدَا
21 ــ واجْعلي بَرْبَرُوسَ مثْوى الضّحايَا   إنّ في بَرْبَروسَ مجدًا تليدَا ! !

(د)

22 ــ يا « زَبانَا » ويا رِفاقَ « زَبانَا »   عِشْتُمْ كالوُجُودِ ، دهْـرًا مَدِيدًا
23 ــ كُلُّ مَنْ في البلادِ أضْحى « زَبانَا »   وتمنّى بأنْ يمُوتَ « شهيدَا » ! !
24 ــ أنْتُمْ يا رفاقُ ، قُرْبانُ شعْبٍ   كُنْتُمُ البَعْثَ فيـه والتّجْدِيدَا ! !
25 ــ فاقْبلُوها ابْتهالةً ، صَنَعَ الرّشَّـاشُ أوْزانَها ، فصارتْ قصِيدَا ! !
26 ــ واسْتريحُوا ، إلى جوارِ كريمٍ   واطْمئنُّوا ، فإنّنا لنْ نحِيدَا ! !

ثـــانيـــا النثـــر

السَّـــرَفُ المـــالى

مبـــارك الميـــلي (*)

السَّرَفُ ـ أيُّها السَّـادة ـ يُطلق اطلاقا عاما على معنى هو : « تجاوُز المرء الحدَّ فى فعل من أفعاله » فالغلوُّ من شُعَبه .

ويستعمل السَّرفُ استعمالا خاصا . فيُرادُ منه : « تجاوز المرء الحد فى الانفاق » وهو أخُو التبذير . كلاهما إضاعة للمال . وقد حذَّر القرآن منه فى آيات منها : **« وَلَا تَأْكُلُوهَا اسْرَافاً وَبِدَاراً انْ يَكْبُرُوا »** ، **« وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا »** ، **« وَالَّذِينَ اذَا انْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يُقْتِرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا »** .

عاقبة السرف المالي فى الآخرة أنْ يُلقى بصاحبه فى النار . وعاقبتُه فى الدُّنيا ان يلقى به فى المتْرَبَة والصَّغار . فالسَّرفُ المالي هو الذي القى بكثير من أُسَرِنا بيْن يدي المرابين الذين اذا ذكرت لهم الرَّحْمة واثنيت عليها حسبُوها ثنيا مُغْرما بكراسي النيابة او مُبْتَلَى بخصومة العباد او فى معنى هذين ممَّن يهين المال فى سبيل اهانته وتشتيته لتشتيت شمله ، والسَّرفُ المالي هو الذي وضع بيوتا كانت ذا مجد وسؤدد . والسرف المالي هو الذي أخرج من أيدينا أملاكا ـ وأي أملاك ـ إلى أيدٍ ترى من اشْرف أعمالها سلبنا قُوت يَوْمِنا . والسَّرَفُ المالي هو الذِي قَعَدَ بالأُمَّةِ الجزائرية عن تعمير المساجد وانشاء المدارس واتخاذ ملاجئ للفقراء والعجزة .

أمَّا وُجُوهُه فكثيرة ، فأنا الآن أذْكرُ لكم من وجوه السَّرف الصداق ... فأما الصداق فالغرض منه التفرقة بين النكاح والسِّفاح ، واخْتَلفُوا فى حَدِّ أقل ما يجب منه ، ولكنهم

(*) ولد الشيخ مبارك بن محمد الميلي سنة 1898 م فى قرية الميلية قرب مدينة قسنطينة ، وكان أحد تلاميذ امامنا ابن باديس الذين تلقوا دروسهم بالجامع الاخضر ، ثم توجه الى تونس لمتابعة دراسته بجامع الزيتونة ، وبعد عودته ساهم فى الحركة الاصلاحية فاشترك فى تأسيس جمعية العلماء المسلمين وكتب فى عدة صحف كالمنتقد والشهاب والبصائر ، وكان ينشر مقالاته بامضاء « البيضاوي » وكان صاحب فكرة انشاء مطبعة عربية لطبع المخطوطات ونشر الصحف .

ويعد مبارك الميلي من أعظم مؤرخي الجزائر فى العصر الحديث ، ومن أهم آثاره : تاريخ الجزائر فى القديم والحديث . ورسالة الشرك ومظاهره . وتوفى عام 1944 م .

لم يختلفوا انه لا حد لأكثره ، وقد تغالى الناس فيه تغاليا بعثهم عليه التفاخر بالتكاثر واعتقاد أنّه سبب للمجد او مظهر من مظاهره . فحاطوا النكاح الضروري للبنين والبنات بصُعوبات قلّ من يقدر على تذليلها . وسنّوا له عوائد تَخوُرُ العزائم لمحاولة تغييرها أو تبديلها . ثم نظروا إلى الشّوارِ نظرهم إلى الصداق فأغرقوا فيها كل الاغراق .

ترى المصدِّق او المشوِّر يَرْهَنُ أمْلاَكَه انْ لم يَبِعْها او يأتي على اهم ذخيرته ان لم يستنفدها ليقال ان عروسه او كريمته جاءت بالخَمْسِيَنات والمآت من الملابس ، وبكذا وكذا من انواع الزينة التي يُبْلِيها النظرُ قبل الجَسَد ويذهبُ برونقِها الهواءُ قبل الغمس في الماء. ولو ان السّرف في الصداق والشوار كان بتمليك الزّوْجَيْن اصولاً تُغِلُّ او حيوانات تنتج لكان في منفعته ما يخفّفُ قليلا من مَفْسدته ولكنّه كما تروْنَ وتسمعون ضريبةً فادحة يستخلصها منّا نوْع من التجّار لا نجدهم للتنفيس على مُعْسِر ولا لبناء مشروع خيري .

نشأ عن هذا السرف ـ سوى الاضرار العامة لكل سرف ـ اضرارٌ لا يستهان بها .

1 ـ أحدها غرس الكراهية في نفس الزوج لما يحدثه التكلف في الصداق من ضعف رابطة المحبّة والرحمة التي هي مساك الحياة الزوجية وثمرة هذا الغرس هو سوء العشرة او الفراق الذي يجرح العواطف ويسيء حياة الأبناء .

2 ـ ثانيها عنوس المرأة بالعجز عن الشوار او الصداق . والعانس منغِّصَةٌ لحياة أسرتها

3 ـ ثالثها عزوبة الرجل بعجزه عن ذلك السرف في الصداق . والرجل الأعزب عضو اشل في الأغلب.

4 ـ رابعها انكاح البنْتِ غير من تميل إليه ويميل إليها جرْيًا خلف كثرة المال ودوسا لعاطفة المحبة بسبب رقة الحال .

5 ـ خامسها كثرة الطلاق لانبناء عقدة النكاح على السَّرف في الصداق لا على المحبة والوفاق .

6 ـ سادسها ضعف الأخلاق وانتشار الشرور من اجل اضطراب النفوس الناشيء عن العزوبة والعنوس . فان النكاح سكون وطمأنينة للزوجين ، قال الله تعالى : **« وَمِنْ آيَاتِهِ انْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ انْفُسِكُمْ ازْوَاجًا لِتَسْكُنُوا الَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون »** .

7 ـ سابعها ضَعْفُ الأمَّةِ بقِلّة النسل ورقة الدين وصرْفِ مواهب الشّبَاب إلى الاشتغال بالفارغات بل العَامِرَاتِ بالمساوي . والذي يألَفُ مناظر الغرام والهزل لا يستطيع ان يقف موقف الجد والبطولة .

ونختم هذا الوجه من وجوه الشّرف بكلمة صحّت عن عمرَ بن الخطاب عند احمد واصحاب السنن ، قال رضي الله عنه ــ والأمة غنية بكثرة الغنائم وقلة أبواب الانفاق ــ **« ألاَ لاَتَغْلُوا فِي صَدَاقِ النِّسَاءِ فإنّهَا لو كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا وَتقْوَى عِنْدَ اللهِ لَكَانَ أَوْلاَكُمْ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليْهِ وسَلَّم ما أَصْدَقَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم امراةً من نِسائِه ، ولا أُصْدِقَتْ امراةٌ منْ بَنَاتِه أكْثَرَ منْ اثْنَي عَشَرَةَ أُوقِيّة ، وانّ كَانَ الرّجُلُ لَيُبْتَلَى بِصَدَاقِ امْرَأَتِهِ حَتَّى يكُونَ لَهَا عَدَاوَةٌ فِي نَفْسِه »** .

والاثنتا عشرة اوقية تزيد على اربعمائة درهم . ولكنه نهى عن الزيادة على الأربعمائة ، وعزم على وضع الزائد في بيت المال ، فردت عليه امراة بقوله تعالى : **« وآتَيْتُم احْدَاهُنّ قِنْطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا »** فرجع لها.وكان وقّافًا عنْدِ كتابِ الله ولم يرْجع إليها في ذمّ الغلو وان فيه مفاسد ، ولكن في تحْديد اكْثر الصّداق وتمليك الزائد للمسلمين .

ونرى أن عمر رضي الله عنه كان لا يُعجزه الجواب بأنه امير وللأمير ان يقصر المباح على احد طرفيه حسب المصلحة العامة . ولكنه اختلر التسليم لوجوه احدها خشية أن يكون وضع الزائد على ما حده في بيت المال غصبا . أما لمال المصدق أو لمهر الزوجة . وثانيها انه كان يرى نفسه ــ كما هو الواقع ــ اسوة وقدوة . فسام للمراة ليعلم الامة احترام الأفكار وعدم التعصب للنفس (*) .

اداء الــــواجب بالتضحيـــــه

العــربي التبـسي (**)

يجبُ علينا انّ نَتَعلّم مُحَاسَبة انفسنا قبْل ان نُحَاسِبَ النّاس ، وقبْل انْ يحاسبنا النــاس .

يجبُ علَيْنَا انْ نَكُونَ اشدّاءَ على انْفُسِنا حتَّى نستطيع انْ نحتفظ بهذا الميراث العظيم وان نُبَلّغَهُ سَلِيمًا من بعدنا .

يَجبُ علينا ــ نحن حاملي راية القرآن والدِّين ــ ان نكونَ اقْوى رُوحًا ، واعظمَ همّةً ، واكثرَ تَضْحِيَةً من أُولئك المبشّرِين والمبشّرَات ، الذين هَجَرُوا البلادَ والأوطانَ والصّحْبَ والخِلّان ، وتركُوا « باريس ولندن ولاهاي » وغيْرها ، يَجُوبُون اقْطار الأرض للقيام بدعوتهم تاركين الدُّنْيَا وَرَاء ظُهُورِهِم ...

(*) يسجل مؤتمر جمعيّة علماء المسلمين الجزائريين .

(**) ولد العربي التبسي بمدينة تبسّة في الشرق الجزائري ، وتعلم في الزيتونة بتونس ، ثم في الازهر بمصر ولما عاد إلى الجزائر شارك في حركة الاصلاح واشتهر بالخطابة والوعظ والارشاد ، وكان احد أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وتولى رئاسة ادارتها فترة من الزمان حتى اغتالته يد المستعمرين عام 1956 م ، والنص من خطاب القاه عام 1952 م .

إنّهُ لا يُمكِنُ ارْضاء الاسلام والوطن ، وارضاء الزوجِ والأبناءِ في وقتٍ واحد .

انه لا يمكن لانسـان اَنْ يُؤَدّي وَاجِبه التّام إلاّ بالتَّضْحِيَة ، فَلْنَنْسَ من مَاضِي الآباء والأجداد كلّ ما يدعو إلى الفتور وإلى الموت ، ولنأخذ من ماضيهم كلّ ما هو مَدْعَاةُ قُوَّةٍ واتّحـاد .

انّ الذِينَ جَاءُوا دِيارَنا هذه لم يكونوا أكثر منّا مالاً وولدا ، انّما كانوا اكثر منا علما ونظاما . فلنكن نحن دعاة وبناة العلم والنظام ، وفينا والله نواةُ هاتين القوتين ولنَكُنْ مع ذلك مثال الاستقامة الدينية ، فدينُنَا السّمح دين اعمال لا دين اقوال ولنحارب الزيغ في الدين ، والضلالة في الاسلام ، فالدين الاسلامي لا يتحمل زيغا ولا ضلالة ...

لنَتَمثل قلْباً وقالبا على اننا جنُودُ الله نَنْصُر دِينَهُ وَنُبَشِّرُ بتعَاليمه ونُصْلِحَ حالَ امّته فالامانةُ التي وضعها الله سبحانه وتعالى على اعناقنا عظيمةٌ شاقة ...

لنَكُنْ قَائمِين بواجبَاتِنا الكامِلة في الدِّعاية لديننا ، بأقوالنا وبمساعِينا المستمرَّة التي لا يجب أنَ تنقطع ليلا أوْ نَهَـارا .

المـذهب المـادى والمـذهب الغيبـى

مـالك بن نـبي (*)

المـذهب المـادي :

من حَيْثُ المبدا : المادةُ هي العِلّةُ الأولى لِذَاتِها ، وهي ايْضَا نقطةُ البدْءِ في ظَوَاهِر الطّبِيعَة ، وبَديهي انّه لا يَحقُّ لنا ان نَعُدّ المادة شيئا عرَضِيّا (حَادِثا) ، اذْ انَّها حِينئذٍ ستكون مُنْبَثِقَةً عنْ بعْضِ الأشْيَاءِ ، أيْ عنْ سببٍ خالقٍ مُسْتَقِلّ ، وهذا يتنافى مع الفرض

(*) هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نَبِي ، وُلد في قسنطينة عام 1905 م 1323 هـ ، وانتقلت أسرته الى مدينة تبسة وبها تلقى دراسته الابتدائية ثم درس في قسنطينة حتى عام 1925 م وبعدها سافر الى باريس ودرس الهندسة ، وتخرج مهندسا في الكهرباء .

شارك في الحركة الاصلاحية منذ صباه ، واتصل بالامام ابن باديس وكان له الفضل في دخول العدد الاول من جريدة الشهاب « افلو » جنوب تيارت حيث يقوى نفوذ أهل الطرق .

قام مالك بعدة رحلات زار خلالها الصين واندونيسيا ، وأمريكا ، والاتحاد السوفياتي ، وعاش في المانيا وفرنسا فترة عن عمره وزار بعض البلاد العربية وأقام بمصر منذ عام 1956 م حتى عام 1963 م ، وفيها اتصل بالاوساط العلمية وظهرت مؤلفاته وترجم بعضها الى العربية ، وعاد من مصر الى الجزائر عام 1963 م ليواصل الكفاح بقلمه وفكره ، وأقام في منزله « منتدى » يؤمه كثير من المثقفين في الجزائر ، وتولى منصب مدير التعليم العالي في الجزائر .

والكاتب يجيد الفرنسية ويحسن العربية ، ويعرف الانجليزية ، وله عدة مؤلفات اهمها الظاهرة القرآنية ، شروط النهضة ، وجهة العالم الاسلامي مشكلة الثقافة ، آفاق جزائرية ، وبعض اعمال لم تنشر بعد . وقد توفي عام 1973 .

وإذَنْ وبكلّ بَساطة : هي موْجُودَة ، وهي أيْضًا غيرُ مَخْلُوقةٍ . **وهكذا نَتّفِقُ على اصل** المادة مبْدَئيًا ، وَنهْتَمّ فقط بتطوّرِهَا في حالاتها المُتعَاقِبَةِ ، وَبادِئِين من **نُقطَةِ التّسْليم هذه .** فيُمْكِنُ القَوْل بأن الخَاصَّة الوَحِيدة للمادة في مبدأ الأمر هي انها كانت « **كَمًّا** » **مُعَيَّنًا** او كُتلَــة .

وبناء عليه يجب ان نعتَبِر جميعَ الخوّاص الاخْرى كنتائجَ لهذه « الخَاصَّة الوَحِيدة » ولها وَحْدَها .

ويجب على الاَخَصّ ، انْ نَعْتَبِر هَذه المَادّة منْ حيْثُ الاَصْلِ في حالةٍ بَسَاطَةٍ وتجانُسٍ تام ، لانّ كُلّ تَنوُّعٍ في ذاتها يَسْتَتْبِعُ تَدَخُّلَ عَوَامِلَ مُتَنَوّعة بالضرورة ، مما يتَنَافَى مع المؤثر الوحيد ، وهو خاصة « الكمّ » .

وفي الحق انّه لمن الصّعْب ان نَتصَوّر كيْفَ تكوّنَتِ النّوَاةُ الاولى من اجزاء من نفس النوع ، وتسمى بِنَفْسِ الاسْم ، وَتتَنَافرُ بفعل قَانُونِ الكَهْرباء الاسـتاتيكيّة الأساسي

ومع ذلك فإننا سنُسَلّمُ بامكان ذلك ولكن هلْ تبدأ دوْرَة الاندماج بيْن الجُزَيْئات بالنسبة للنواة الأولى في وقت واحد للعناصر الاثنين والتسعين (*) التي رتّبها ماندليف ؟ او أن ذلك يحدث بالتّتَابُعِ من عنصر لآخر ؟ فان كان هناك ما يسمى « بالاقتران الزّمني » فان عنصرا واحدا فقط يمكن ان يوجد طبيعيا بواسطة تدخل مؤثر واحد ، اي حالة المادة في بساطتها وخُلُوّها من التكهّرب . ولكن سَتَبْقَى إحْدى وتسعون حالة شاذةً عن القاعدة ، لا يمكن انْ يوجدها نفس المؤثر في نفس الوقت.

وعلى العكس من ذلك إذَا كان هُنَاك تتابع في خلق المادة لعناصر الطبيعة ، فمن الواجب تفسير تَكَوّن هذه العناصر على انه مجموعة من واحد وتسعين تحوّلا عنصريا ، ابتداء من عنصر واحد اولي ، وليكن « الايدروجين » .

وهنا يمكن أن تحتل الظاهرة مكانها سواء أكان ذلك بواسطة سلسلة وحيدة : بحيث تخلق المادة الأولى العنصر الأول ، ثم تتوالد العناصر الباقية منه في سلسلة واحدة ، أم كان بسلاسل متعددة : تخلق المادة الاولى العنصر الأول « الايدروجين » ، ومن هذا العنصر الأول تتوالد عائلة من الأجسام البسيطة ولتكن أربعة مثلا ، يتسلسل من كل منها مجموعة من العناصر الباقية والكتلِ ناتجٌ عن عنصر أوّلي .

ففي الحالة الأولى : تتطلب السلسلة الوحيدة واحدًا وتسعين تحولا عنصريا محددا ، بما أن كل عنصر يتشكل في الوقت الذي تبقى فيه العناصر التي سبقته ،

---

1 ـ بلغ عدد العناصر **المكتشفة** عنصرين ومائة عنصر (102) ، وقد اشترك في اكتشاف العنصر الاخير العالم البريطاني **الدكتور ميلستيد** .

وهي على ذلك تتعرّض لاحدى وتسعين حالة من التعادل الطبيعي الكمياوي المختلف ، الذي يتضمن تدخل عامل مختلف ايضا عن قانون الاندماج الأولي . ولكنّنا افْتَرضنا اَصْلاً ان هذا القانون وحيد ، وانه مستقل عن الزمان وعن سائر العوامل الحرارية . الديناميكية ، فلدينا اذنْ سلسلة مكونة من واحد وتسعين تحولا عنصريا تتولد من العنصر الأول ، وهذه السلسلة لم تحظ بتفسير طبْقا لقانون واحد .

وعلى هذا ففي كِلْتاَ الحالتين لا يجد جدول « ماندليف » تفسيرا كافيا فى نظر المبدأ الذي نسلم به ، وهذا يثبت ضعف المذهب المادي .

وهناك فى الواقع مشكلة جديدة تخص وحْدَةَ النوع التي لا يمكن ان ترى فى الفرد ، وانّما فى الزوج : الذكر والأنثى ، ولذلك فان النظرية المادية لا تقدم اي تَسْويغ لهذا الازدواج الذي يُعدّ شرْطا لوظيفة التوالد الحيوانية .

فاذا كان هناك حدث «بيولوجي » عَرَضِي فيما يخص الرجل ، فان المشكلة تظل تواجهنا رغم ذلك فيما يتعلق بالمراة ، الا اذا قرّرنا حدثا مزدوجا فى الأصل نتج عنه الزوج المتوالد الضروري لتناسل النوع الانساني ، واذا نحن قررنا ـ رغم كل شيء ـ هذا الحدث المزدوج للمادة ، فيكون من الصعب أن نقرر أن نتيجته كانت متسقة تماما مع هدف وظيفة التناسل الواحدة المشتركة بين الذكر والأنثى .

وعلى كل ، فإنّ حتمية المادة يمكن انْ تصح اذا كانت تتحقق فى صورة خُنُوثة زوجية لنوعين متماثلين مستقلين : نوع الرجل ونوع المرأة ،وبهذا يوجد ايضا بقية نقص تثير عدم التوافق فى المبـدأ .

ومن وجهة النظر الآلية : من الثابت ان المادة تخضع لمبدأ « القصور الذاتي » خضوعا تاما ، فالمادة الحية على هذا تعد استثناء من القاعدة : فان الحيوان مزود بميزة تعديل وضعه بنفسه ، وهنا يظهر ايضا ضعف المذهب المادي .

وهناك ظواهر اخرى لا تقل عن السّابَقة فى إثَارَةِ الاهتمام بغرائب المذهب المادي ، ومن ذلك ظهور بقع فى بشرة الزنوج ، فهل يمكن ان يعزى هذا الى تأقلم عضوي فى بيئات يؤثر عامل الشمس فيها تأثيرا كبيرا ؟ ومع ذلك ففي نفس المستوى نجد البشرة البيضاء والصفراء أو النحاسية ، فهل يمكن أن يعزى هذا الى الغابة العذراء ؟ وفى هذه الحالة يجب أن تتلون بشرة الانسان فى البرازيل مثلا .

واخيرا ، ففي علم الفلك نصادف ايضا غرائب غامضة فى نطاق المذهب المادي ، فقد كشف تحليل الوان الطيف عام 1939 م لعالم الطبيعة « هابل » اتجاه حركة

النجوم السَّدِيمِيَّة الخارجية عن سمائنا بالنسبة لعالمنا ، فان هذه السديميات تبتعد عن كوكبنا ، فيما عدا ستة تقترب منه على عكس سالفاتها .

وهكذا تحتمل المادة فى مجموعها ـ بالنسبة لنا ـ تفسيرْين متعارضين ، فاذا وضح احدهما فى ضوء قانون اساسي معين ، فان معنى الآخر يظل معلقا ، وكل هذا الشذوذ الذي يتنافى مع الحتمية المادية المحضة ـ اساسا ـ يحتم اعادة النظر فى بناء المذهب كله ، فان المبدأ الأساسي نفسه يبدو عاجزا عن تزويدنا بنظرية متسقة عن الخلق وعن تطور المادة .

المذهب الغيبي :

من الضَّروري هنا ان نَفْرِضَ مَبْدأً متميزا عن المادة ، فالله خالق ومدبر للكون ، وسببٌ أول ينبثق عنه كل موجود ، وهذا مبدأ المذهب الجديد وسيتولى هذا المبدأ بيان اصل المادة ، وقد وجدناه غامضا موغلا فى الابهام فى المذهب السابق ـ فهي مخلوقة بواسطة حتمية مستقلة عن جميع خواصها .

وهذه الحتمية الغيبية « الميتافيزيقية » تسعفنا حين تعجز القوانين الطبيعية عن اعطاء تفسير واضح للظواهر . وبذلك ينتج عنها مذهب كامل متسق متجانس لا نقْص فيه ولا تعارض ، ممّا لزم المذهب المادي .

وفى الوقت الذي يعبر فيه المذهب الغيبي عن المطالب الفلْسَفِيّة للعقل الذي يرمي الى ربْطِ الأشياء والظواهر ربْطا منطقيًّا فى تأليف مُتَّسق ، نجده يَنْصُبُ علاوة على ذلك جسرا يتجاوز حدود المادة الى مثال اعلى للكمال الروحي ، الى الهدف الأساسي الذي لم تكف الحضارة عن الاتجاه نحوه ، فخلق المادة هنا ينتج من الأمر القاهر لارادةٍ عليا ، تقولُ لكل شيء حسب كلمة سفر التكوين : « كُنْ » .

وتطور هذه المادة سيكون طِبْقاً لاوامر ارادة تُوَزِّعُ التوازن والاتّساق اللّذَيْن قد يُلاحَظ علمُ البَشَرِ قوانينها الثابتة .

ولكن بعض مراحل هذا التطور ستخفي على الملاحظات المألوفة لرجال العلم دون ان ينطوي المذهب من أجل هذا على نقصٍ ما ، ففي هذه الحالات الاستثنائية نستعين بالحتْمِيَّة الغيبية التي لا تعارُضَ بيْنَهَا وبين طبيعة المبدأ .

فحيثما يُوجَدُ نقْص فى المذهب السابق ، يوجد تدخل سبَبٍ خَاصّ خالق ، عالمٍ بخلقه ، ومريد .

ولقد نجهل مؤقتا القانون الذي يُسَيْطِر على ظاهرة ما زالت تخفى علينا طريقة حدوثها ، ومع ذلك فان المذهب يظل منسجما منطقيا مع مبدئه الأساسي ، لأن مثل هذه الظاهرة يمكن تسويغها فى التحليل النهائي بناء على حتمية مطاقة ، فارادة الله هي التي تتدخل هنا ، بينما كانت الصدفة هي التي تتدخل هناك ، تلك الصدفة التي تعد الاله القادر على كل شيء فى المذهب المادي .

ولا يَغيبنَّ عن نظرنا أن الأمر لا يتعلق هنا ـ كما سبقت الملاحظة ـ بالمقارنة بين نوعين من العلم ، بل بين عقيدتين : عقيدة تؤله المادة ، واخرى تُرجِعُ كلَّ شيء الى الله تعالى .

وليس من نافلة القول ان نقرر ان عالما كبيرا يستطيع ان يكون مؤمنا كبيرا ، على حين أن مسكينا جاهلا يمكنه أن يكون جاحدا كبيرا أيضا ، والأمر هكذا غالبا ، وعندما نصادف حالة عجيبة لعالم يقول بأن القرد جد للانسان ، فيجب ان نفكر ايضا فى ذلك الوثني المتواضع على شاطئ نيجيريا فى الذي يعتقد تماما انه قد انحدر من جد تمساح ، فليس لدى كل من هذين الرجلين ، العالم والبدائي ، سوى فكرة غَيْبيّة يُعبّر عنها كلٌّ منهما بطريقته .

إن عصور الاضطرابات الاجتماعية ، والاختلال الروحي هي وحدها التي تخلق الصراع بين الدين والعلم .

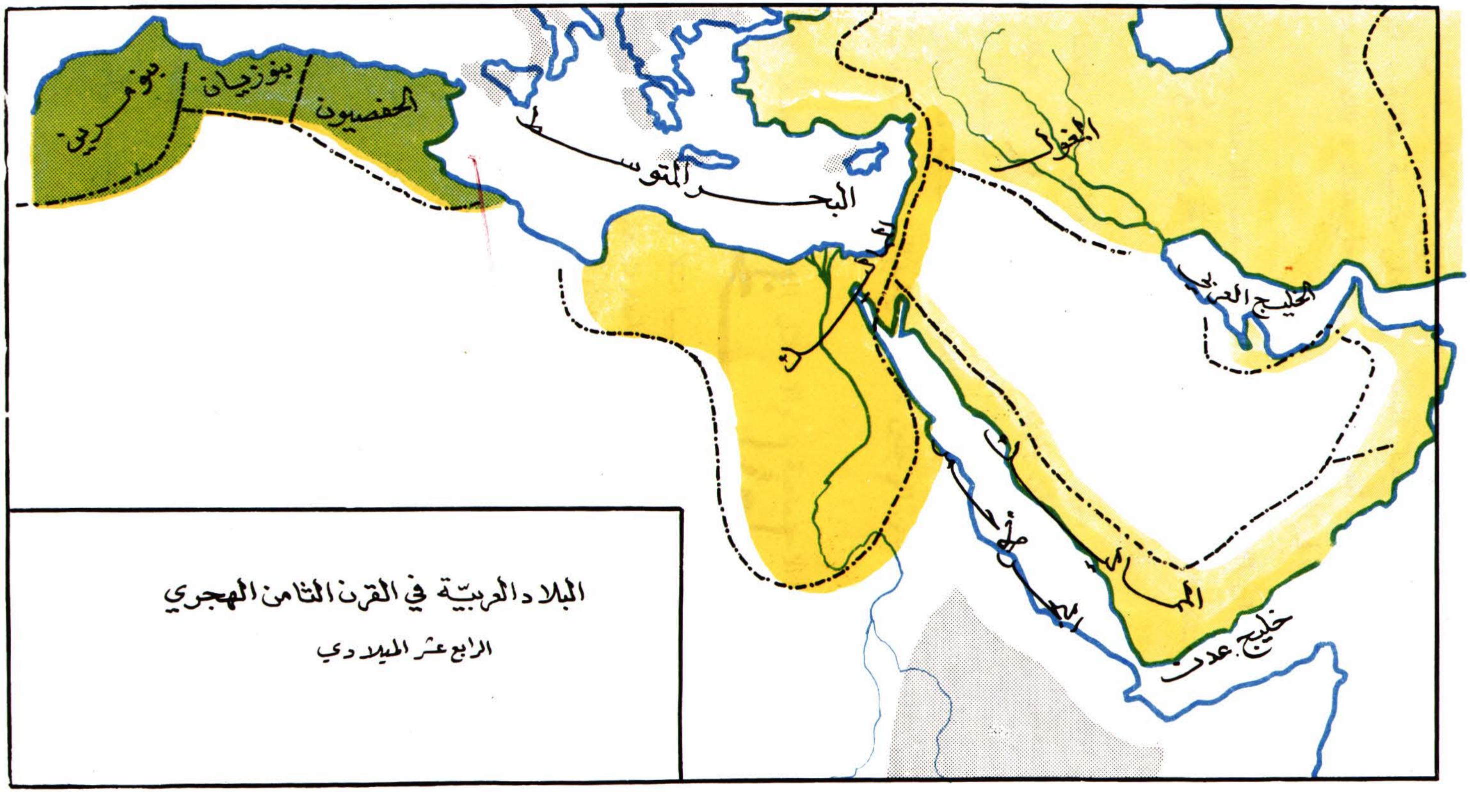
ولكن كلما تواردت احداث التاريخ ، فى روسيا مثلا ابان الحرب الأخيرة ، وفى فرنسا عقب ثورة 1789 م نجد ان آلهة العلم قد انهارت على نحو يدعو الى الرثاء ، لتفسح مجالا للعلم وحده ، ذلك الخادم المتواضع للتقدم الانساني ، ومع ذلك فمنذ الاستكشافات الأخيرة لعلم الفلك فَطِنَ العلم لنطاقه المنتهي المحدود ، وفيما وراء السَّديميات السحيقة فى البعد ، وراء ملايين السنين الضوئية ، وربما ملياراتها ، تمتد الهاوية التي لا قرار لها ، اللانهائية التي يستحيل الوصول اليها ، او حتى ادراكها بالنسبة للفكر العلمي ، اذْ لا يجد هذا التفكير موضوعه الخاص وهو : الكَمُّ ، والعلاقة ، والحالة .

فأي كَمٍّ ؟ واية علاقة واية حالة ؟

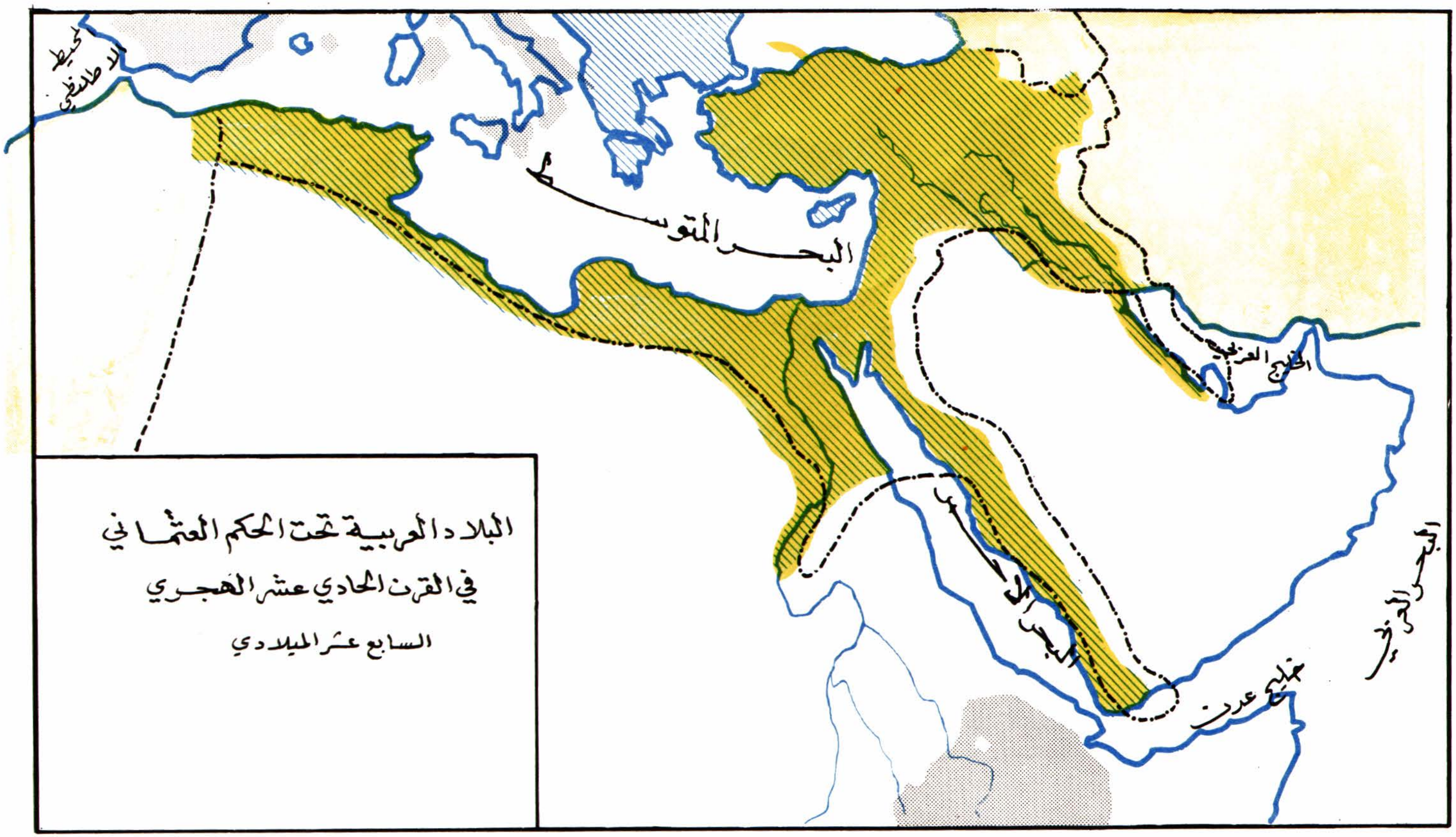
كل هذه الأسئلة لا معنى لها خارج حدود المادة ، والعلم نفسه لا معنى له وراء السديميات الأخيرة التي تقف على الحدود بين عالم الظواهر ، واللانهاية اللَّامادِّيَة .

وراء هذه الحدود يستطيع الفكر الديني وحده ان يقول شيئا واضحا بينا . « الله يعلم » .

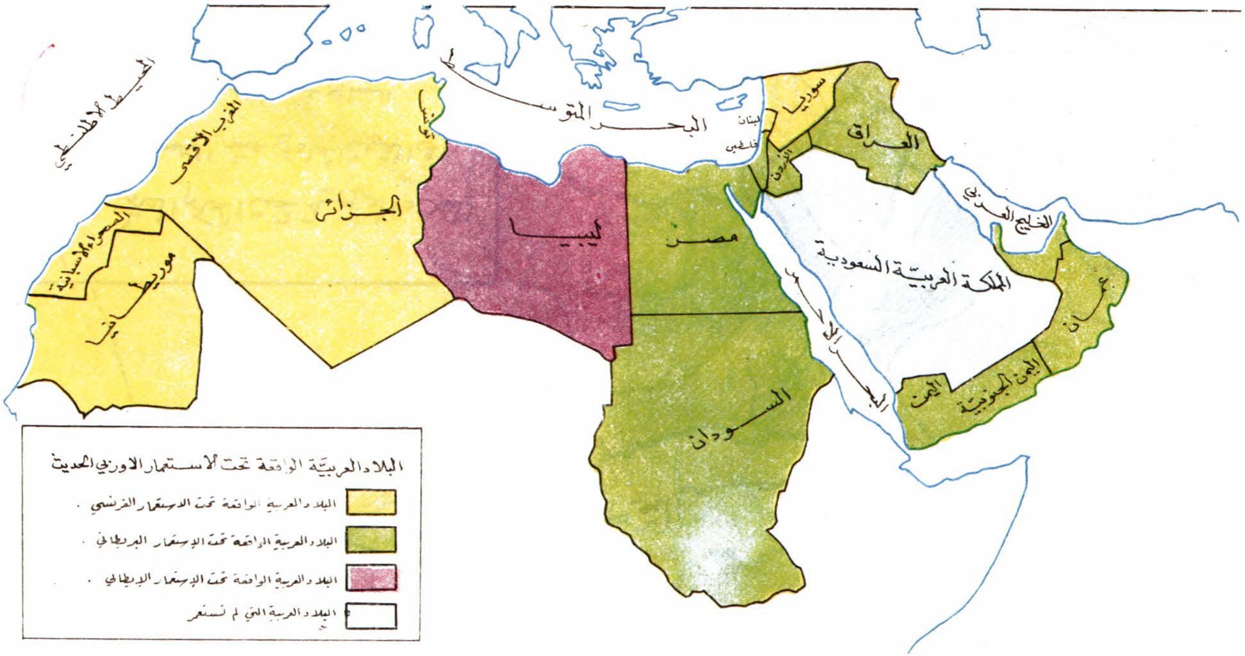
الخـــرائط

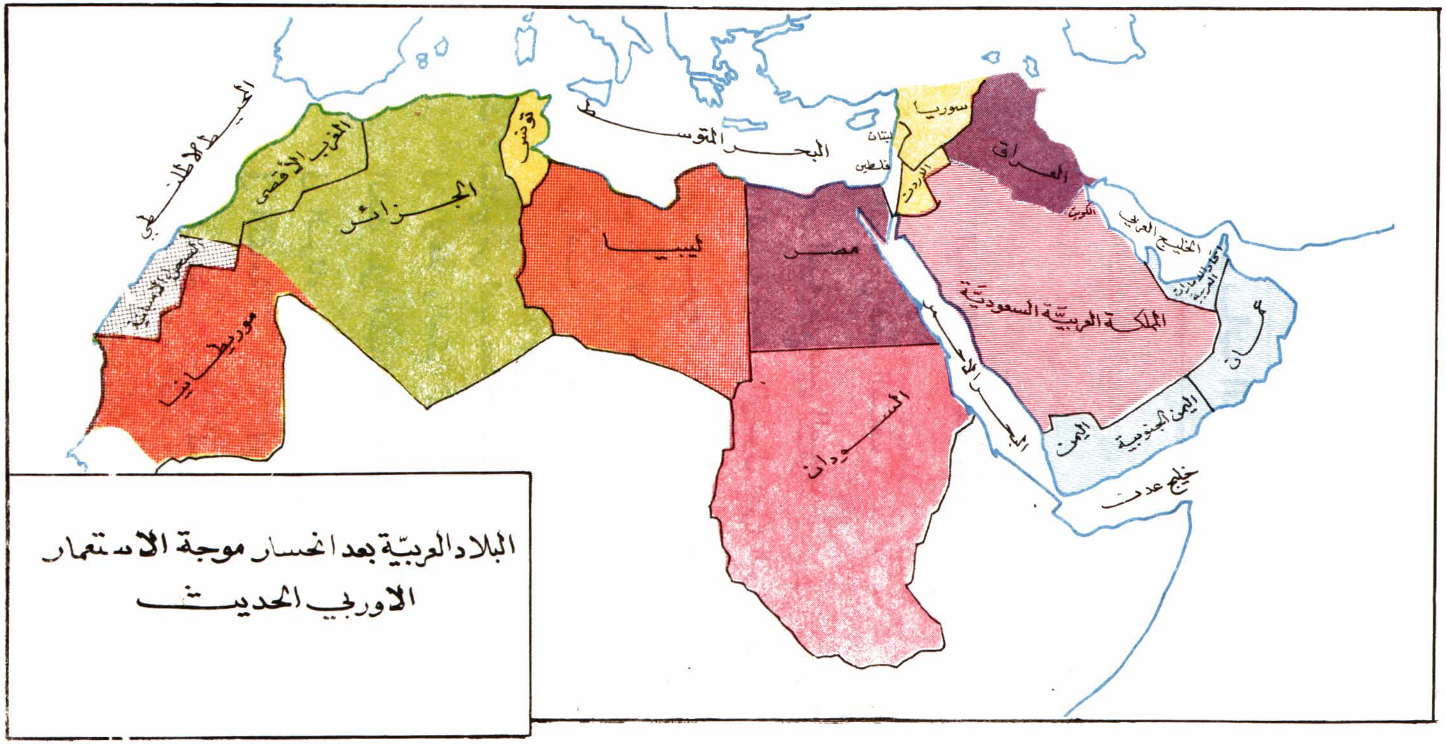


البلاد العربيّة في القرن الثامن الهجري
الرابع عشر الميلادي



البلاد العربية تحت الحكم العثماني
في القرن الحادي عشر الهجري
السابع عشر الميلادي


البلاد العربية الواقعة تحت الاستعمار الاوربي الحديث
البلاد العربية الواقعة تحت الاستعمار الفرنسي .
البلاد العربية الواقعة تحت الاستعمار البريطاني .
البلاد العربية الواقعة تحت الاستعمار الايطالي .
البلاد العربية التي لم تستعمر
المحيط الاطلسي
المغرب الاقصى
الصحراء الاسبانية
موريطانيا
الجزائر
تونس
ليبيا
مصر
السودان
البحر المتوسط
لبنان
فلسطين
سوريا
الاردن
العراق
الخليج العربي
المملكة العربية السعودية
البحر الاحمر
اليمن
اليمن الجنوبية
عمان



البلاد العربيّة بعد انحسار موجة الاستعمار الاوربي الحديث

محتويات الكتاب

« تابع »

محتويات الكتاب

الباب الثاني : العصر الحديث

« تابع »

محتويات الكتاب

« تابع »

محتويـات الـكتاب

« تابع »

محتويـات الـكتاب

مصلحة الطباعة

للمعهد التربوي الوطني ـ الجزائر

[redacted]

1985 ـ 1984